

الحكم المصري في السودان

١٨٢٠ - ١٨٨٥

obeykandi.com

السودان قبيل الفتح المصرى

ظلت بلاد السودان مغلفة دون العالم الخارجى أجيالا طويلة قبل أن تدخلها جيوش الفاتح اسماعيل بن محمد على الكبير فى عام ١٨٢٠ ولهذا لم يستطلع ارتياد ربوعها سوى نفر قليل من الرواد بدأوا منذ أواخر القرن السابع عشر يخاطرون بحياتهم فى سبيل إمارة الشام عن شىء من أسرار القارة الأفريقية المجهولة فوصل الطبيب الفرنسى چاك فرنسوا بونسيه Ponscet بين عامى ١٦٩٨ و ١٧٠٠ إلى سنار والحبشة، ومع أن الأحباش اضطروه إلى الخروج من بلادهم (١) فقد اقتفى أثره آخرون فذهب الكاشف البافارى كرمب Krump إلى سنار فى عام ١٧٠١ - ١٧٠٢ وتبعه نائب القنصل الفرنسى بدمياط « لونوار دى رول » Le Noir du Roule ولكنه قتل فى عام ١٧٠٥ لشقمة سلطان سنار عليه (٢) وكان من أثر ذلك أن أغلق الطريق إلى سنار إغلاقا تاما خلال السنوات السبعين التالية فلم يجد الرحالة لديهم الجرأة الكافية للذهاب إلى هذه الجهات حتى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن الذى يليه .

وكان الذين استطاعوا زيارة السودان قبل عهد المصريين أربعة هم جيمس بروس Bruce الأستكتلندى ووليم جيمس براون Browne الإنجليزى والشيخ محمد بن عمر التونسى وچون لويس بركار Burckhardt السويسرى وقد زار بروس الحبشة ثم سنار (١٧٧٠ - ١٧٧٣) وأقام براون فى دارفور ثلاث سنوات (١٧٩٥ - ١٧٩٧) واستطاع الشيخ محمد بن عمر أن يجول

(١) Ponscet. 36, 56, 92

(٢) Budge. I. 11 ; Shukry. 40

في أنحاء دارفور مدة طويلة (١٨٠٣ — ١٨٢٠) أما بركار فزار بربر والداير
وشندى وتبع مجرى نهر العظيرة حتى بلغ قوز رجب ثم زار التاكة وذهب
منها إلى سواكن في طريقه إلى الحجاز ثم سافر إلى القاهرة بعد رحلة استغرقت
أكثر من عامين (١٨١٣ — ١٨١٥). وقد نشر ما كتبه هؤلاء الكاشفون عن
أسفارهم وبذلك استطاع العالم الخارجي أن يقف على قدر غير يسير من أحوال
الشعوب التي عاشت في بعض أصقاع السودان إلا أن هذه المعارف على
جلال شأنها لم تكن كافية لإزاحة تلك الأستار السكيفة التي حجبته هذا
الجزء من القارة المجهولة عن أنظار العالم زماناً طويلاً.

غير أنه حدث بعد عام واحد من نشر « أسفار » بركار أن قررت مصر
بإرشاد عاهلها العظيم محمد على إرسال حملتها المشهورة على السودان في ديسمبر
١٨٢٠ فأتاحت الفرصة للباحثين بفضل هذا ليزنوا الحقائق التي جمعها الكاشفون
السابقون ويقفوا على معارف جديدة عن السودان ؛ ذلك بأن الأجانب الذين
رافقوا الحملة أو زاروا الأقطار السودانية بعد استقرار الحكم المصري اهتموا
بالتقريب عن تاريخ الجهات التي أخضعها جيوش محمد على وعادات أهلها
وأساليب معيشتهم وموارد رزقهم وما إلى ذلك من الشؤون . وهؤلاء
الأجانب بترتيب ما ظهر من كتاباتهم هم إنجلش English الأمريكي وكايو
Cailliaud الفرنسي وفيناتي Finati الإيطالي وهمبري Hanbury ووادنجتن
Waddington الإنجليزيان ، أدولف لينان دي بلفون Linant de Bellefonds
البلجيكي ، رويل Rùppel ، رسيجير Russeger ، بوكار مسكاو Puckler-
Muskau ، فردناند فرن Werne ، الدكتور ليسيوس Lepsius الألمان ،
كادالفين Cadalvéne وزميله بروفيرى Breuvery الفرنسيان وكومب Combes ،
تيبو Thibaut ، وبران روليه Brun-Rollet الفرنسيون وهو سككنس Hoskins
وهولرويد Holroyd وپالم Palime الإنجليز

ويؤخذ مما كتبه هؤلاء جميعهم أن السودان في القرنين السابع عشر والثامن عشر كان خاضعاً لسيطرة العرب الذين مدوا سلطانهم جنوباً حتى نهر السوبات وبحر الغزال ثم وقف تقدمهم إلى ما وراء الدرجة العاشرة من خطوط العرض الشمالية بسبب مقاومة الزنوج من الشلك والنوير والباري والنيام نيام والدنكا^(٢) وغيرهم وقد ترك العرب في الجهات التي خضعت لهم آثاراً عميقة في كيان البلاد الاجتماعي والسياسي والاقتصادي إذ نشروا الإسلام بين الأهالي الذين كانوا في العصور السابقة يعتنقون المسيحية أو محتفظين بوثنيتهم الأولى^(٣) كما أنشأوا علاقات تجارية مع البلدان المجاورة وجعلوا من الرقيق تجارة تدر أرباحاً طائلة للجنالين والنخاسين الذين بدأوا منذ ذلك الوقت البعيد يصيدون الزنوج ويصدرونهم إلى الأسواق الخارجية. وفضلاً عن ذلك فقد أسسوا ممالك ودويلات في سنار ودارفور وبورنو وواداي وبقري. ولسكن هذه الممالك وتلك الدويلات كان أهمها دولة الفونج الإسلامية التي قامت في سنار في أوائل القرن السادس عشر على يد ملكهم «عمارة دونقس» وقد ساعد عرب القواسمة عمارة في تشييد مملكته التي بسطت سيطرتها على النيل الأزرق نحو ثلاثة قرون.

فقد مد الفونج حدودهم من ناحية الشمال إلى الجندل الثالث ووصل سلطانهم في الجنوب إلى فازوغي وخضعت لهم الأقاليم الشرقية حتى ساحل البحر الأحمر. أما من ناحية الغرب فقد كانت حدودهم متاخمة لحدود دارفور^(٤) على أن الضعف ما لبث أن أخذ يدب في كيان دولتهم رويداً رويداً حتى إذا كان عام ١٧٨٩ زال حكم ملوك الفونج واغتصب السلطة منهم وزراؤهم ومنذ

Chaine, 52 ; Seligman 39, 135, 206. 366 ; Bull. Soc. Kh. Geog. Ser (٣) 11. p. 611 .

Lauture. (Mem. Etat Social) 34 ; Lauture. (Mem. Soudan) 40 — 44 (٤)

(٥) شقير ج ١ : ص ٦٦ . Cadalvene II, 262 . Jackson. 17 — 19 ;

ذلك الحين بدأ حكم الهمج وهو الاسم الذي صار يطلق على هؤلاء المقتصمين الذين ظلوا متربعين في دست الحكم ينشرون الفساد ويشيرون الحروب بسبب المنازعات الداخلية مع منافسيهم على السلطة حتى جاءت حملة الأمير إسماعيل ابن محمد على إلى السودان (٦).

وبين كانت دولة الفونج قائمة في سنار كان العرب الذين وفدوا إلى السودان الغربي من مراکش وتونس ومصر قد امتزجوا بالفور (أهل دارفور) واستطاعوا أن ينشئوا دولة جديدة في دارفور ولكن هذه الدولة ما لبثت أن مزقتها الحروب الأهلية بعد فترة قصيرة من تأسيسها. غير أن سليمان صولون استطاع أن يعيد بناءها كما انتشر الإسلام هناك (٧) ثم حكم البلاد خلفاؤه من بعده وفي القرنين السابع عشر والثامن عشر بلغت دارفور ذروة المجد والرفعة بيد أن سلاطينها بدأوا منذ استتب لهم الأمر يشنون الحروب على الدويلات المجاورة لهم في دار رنقة والسولا والبنقة والبرقو والبرقة والدمرق والبرقة، والفلاتة والباقرمي وغيرها ويحلبون منها الرقيق (٨) ثم اشتبكوا كذلك في حروب طويلة مع مماليك سنار المعروفة بالدولة الزرقاء. وكان السبب المباشر لهذه الحروب تلك المنافسة الشديدة التي قامت بين دارفور وسنار بشأن امتلاك إقليم السكردفان الواقع بينها وقد ألحقت هذه الحروب أكبر الأذى بذلك الإقليم كما انهكت قوى كل من الدولتين (٩) وكان مما أشاع الفوضى في ربوع السودان أن سنار ودارفور كانت كل منهما مستودعا هاما لتجارة الرقيق (١٠)

(٦) Budge II, 200 — 262; Robinson (Nimr) 100 et seq

(٧) Ensor, 144; Lauture (Mem. Soudan), 79

(٨) Pallme 350 — 352

(٩) Browne, 234; Tremeaux II, 52 — 53; Burckhardt, 482

(١٠) Poncet 28, 36, 55, 61, 82 — 3; Burckhardt 207, 233, 235, 324; Cailliaud II

. 277, 294, 295; also ibid, III 62, 115

كما أن بعض المدن نال شهرة واسعة باعتبارها أسواقاً لهذه التجارة الشائنة قبل الفتح المصري بأجيال طويلة ومن هذه المدن كوبة والفاشر^(١١) وبربر وشندى وسواكن ومدينة سنار^(١٢) وباره والأبيض^(١٣) وغيرها . فكانت قوافل الجلابين تنقل الرقيق الى جانب السلع الأخرى من هذه الأسواق الى بلاد الحبشة ومصر وإلى سائر الأقطار الأفريقية في الشمال والغرب .

وكانت هذه القوافل عند خروجها من الأبيض وباره والفاشر وشندى وغيرها مضطرة إلى المرور بأرض العربان البدو الذين كانوا يضربون في السهول ولا غاية لهم إلى جانب انتجاع المرعى سوى مهاجمة القوافل وسلب متاجرها مما ألحق بتجارة السودان أبلغ الأضرار ففي السودان الشرقي كانت قبائل العبابدة والحلانقة وبنو عامر تهاجم القوافل بين شاطئ البحر الأحمر والنيل وفي الغرب تعرضت قوافل السكرد فان ودارفور لسطو قبائل البقارة والسكبابيش والبديات وغيرها بينما كان الشائقية مصدر رعب وفزع للجلابين في الشمال^(١٤) وكان الشائقية مجمرة من القبائل العربية المستقلة استطاعوا في بعض الأحيان أن يؤلفوا نوعاً من الحكم وصفه أحد الرحالة الفرنسيين المعاصرين بأنه كان جمهورياً^(١٥) ولو أنهم فشلوا في إقامة حكومة ثابتة مستقرة في أي زمن من الأزمان بل إنهم سرعان ما دانوا بالطاعة لملوك سنار عندما كان هؤلاء الملوك في أوج سلطانهم . غير أن انتقال السلطة من أيدي ملوك الفونج إلى أيدي وزراءهم (الهمج) المغتصبين لم يلبث أن هيأ الفرصة للشائقية ليشقوا عصا الطاعة كما ساعدتهم قيام الحروب الأهلية في سنار نفسها على التخلص من

(١١) . Lauture (Kardofan) 15 ; Cuny 26

(١٢) . Poncet 24 — 25

(١٣) . Pallme 13, 293 ; Poncet 2, 21

(١٤) . Cailliaud II. 119 — 120 ; Burckhardt 320 — 324 ; Browne 182

(١٥) . Cadaivene II. 261

سيادة السناريين نهائيا ولو أن ملوك سنار ظلوا يدعون السيادة عليهم حتى وقت زوال سلطانهم على أيدي اسماعيل بن محمد على (١٦) أما في الغرب فقد أكثر الشائعية من الإغارة على سلطنة دارفور منذ أخذ الضعف يدب في كيان هذه الدولة في أواخر القرن الثامن عشر (١٧).

وفي أثناء حكم الفونج قامت في أجزاء أخرى من السودان بعض الأمور من المشايخ والرؤساء كانوا شبه مستقلين في أقاليمهم وتمتعوا بالسيطرة التامة ومن أشهرهم مشايخ العابدلاب (أو مشيخة العابدلاب) (١٨) وكانت أراضيهم تمتد من حجر العسل إلى (سوبة) وينتشر سلطانهم بين أربجي والجندل الثالث وكان من المشايخ شبه المستقلين ضمن الممالك والمشيخات التي خضعت رأسا لملوك الفونج مشيخة خشم البحر على شاطئ النيل الأزرق الشرقي بين رنقة والرصيرص ومملكة فازو على جنوب الأولى وكانت تمتد من الرصيرص إلى فداسي ومشيخة الحمدة على الدندر ومملكة بني عامر في الصحراء الشرقية بين البحر الأحمر شرقا وخور بركة غربا وبين عقيق على البحر الأحمر شمالا والحبشة جنوبا ومملكة الحلائقة ومركزهم جبل كسلا على القاش (١٩) أما الممالك والمشيخات التي خضعت للفونج على يد العابدلاب فكانت مشيخة الشنابلة على النيل الأزرق شمال سنار ومملكة الجموعية وكانت تمتد غربى النيل الكبير والنيل الأبيض من عقبة قري إلى الترعة الحضرية ومملكة الجعليين بين حجر العسل والدامر ومركزها شندى ومملكة الميرفاب في شمال الجعليين بين المقرن ووادي السنقيير ومركزها بربر ومملكة الرباطاب من وادي السنقيير إلى الشاخية

(١٦) Tremeaux II. 195 — 196, 200 — 4; Budge II. 204

(١٧) Ensor 145; Burckhardt 70; Cailliaud II. 195

(١٨) شقيير ج ٢ : ص ٩٩ ; Budge II. 204

(١٩) شقيير ج ٢ : ص ١٢٠ ; Jackson. App. V. ; Budge II. 205

ففيما وراء أبي حمد ومشيشة المناصير وكانت تمتد من الشانجية إلى الجندل الرابع هذا إلى مملكة الشانجية التي تقدم ذكرها (٢٠) ولم تستطع هذه الممالك والمشيشات إلا في القليل النادر إقامة الحكومة الموطدة التي تكفل انتشار الأمن واستتباب السلام فضلا عن أنها جميعها كانت تعتمد على تجارة الرقيق كمورد من أهم موارد ثروتها وأسباب قوتها وزادت الحال سوءا عندما أصبحت سيادة سنار على هذه المشيشات والممالك سيادة اسمية فحسب في السنوات التي سبقت مجيء المصريين إلى هذه البلاد إذ يصف مؤرخ السودان في ذلك العصر صاحب (تاريخ ملوك الفونج بالسودان وأقاليمه إلى حكم محمد سعيد باشا) كثيرا من حوادث الحروب الداخلية من أجل التنافس على السلطة والحكم في هذه الأصقاع التي استبد بالسلطة فيها أولئك المشايخ والملوك — أو المملوك — (٢١) وكان من عوامل هذه الفوضى اضمحلال سلطة سنار منذ جنح ملوكها إلى الكسل والخمول وصاروا يقضون أوقاتهم مستلقين على أسرهم المعروفة بالعنقريب حتى بلغوا من الهوان حدا جعل رعاياهم — على ما روى الرحالة جيمس بروس — يتحدثون عنهم في زراية واحتقار بينما كانوا يتحدثون عن الوزراء الهمج أحاديث ملؤها التعظيم والتبجيل (٢٢) وقد نجم عن رغبة الملوك في استرداد سلطتهم الشرعية من الوزراء الغاصبين أن اشتد النزاع بين أولئك وهؤلاء حتى وقعت البلاد فريسة لثورات لا يخبوها أوار (٢٣) وفي السنوات القليلة التي سبقت الفتح المصري عظم الإضطراب وعمت الفوضى حتى لقد اختفى الملك نفسه من ميدان النزاع وانحصر النضال في سبيل الإستحواذ على السلطة بين اثنين من الزعماء هما الوزير عدلان ومنافسه حسن

(٢٠) شقير ج ٢ : ص ١٠٣ — ١٠٦ ; Budge II 201 — 207

(٢١) تاريخ ملوك السودان وأقاليمه إلى حكم الخديوي إسماعيل .

(٢٢) Bruce VI. 356 — 357 ; Lejean (Voyage) 119

(٢٣) Russell (Nubia and Abyssinia) 78

رجب فظهر في سنار عدة أحزاب متنافرة سرعان ما أدى الخصام بينها إلى
سبك الدماء وتفاقم الأمور (٢٤) وفي بداية القرن التاسع عشر كان الشائقي
قد امتنعوا تماما منذ مدة طويلة عن دفع الجزية لسنار التي تحررت من سيطرتها
بلدة الدامر كما استقلت عنها شندى وإن كان ملكها نمر قد ظل يدفع الجزية
لها حتى عام ١٨٢٠ أى إلى أيام الفتح المصرى ولكنه كان يدفعها في الواقع
كرما وعطفا منه ، إذ كان يستمتع بكل مظاهر الاستقلال الفعلى عن
سنار (٢٥) أما قبائل الهدندوه والحلانقة وبنى عامر التي كانت فيما مضى من
الزمان تعترف بسيادة ملوك سنار فقد تحررت هي الأخرى من إريقة الدولة
الزرقاء وأصبحت كذلك مستقلة عنها (٢٦) .

وعلى ذلك فعندما قرر محمد على إرسال حملات الفتح إلى السودان كان
الوزراء الهمج في سنار قد اغتصبوا كل سلطة من حكامها الشرعيين كما استقلت
عنها المشيخات والدويلات التي كانت خاضعة لها ، وفضلا عن ذلك فقد استبد
الشائقية بالحكم في الشمال وتحرر العربان البدو في السودان الشرقى من كل
رقابة . هذا إلى ما لحق الكرديان من ضروب الأذى بسبب ما نشب على
امتلاكها من نزاع بين سنار ودارفور وقد وقع هذا الإقليم تحت نفوذ دارفور
منذ عام ١٧٧٧ (٢٧) وعند ما افتتحه المصريون كان حاكمه المقدم مسلم يدين
بالطاعة والولاء لمحمد الفضل سلطان دارفور (٢٨)

(٢٤) Cailliaud II. 169, 232, 233

(٢٥) Cailliaud III. 107

(٢٦) Déhéraïn 62; Cadalvene II. 195

(٢٧) Pallme 12; Browne 307

(٢٨) شقير ج ٢ : ص ٢٣٠ ؛ ج ٣ : ص ١٢ .

الفتح المصرى

كان لهذه الفوضى التى ضربت بجرانها فى أنحاء السودان آثار عدة ففسد شغل أصحاب الأمر فى سنار والمشيعات والدويلات الأخرى بالتطاحن والتناحر فيما بينهم وأشركوا الأهلىن فى حروبهم إذ كانوا ينتزعون الرجال عنوة من القرى والديساكر والحقول لملء صفوف الجيوش وبذلك أهملت الزراعة وكثرت المجاعات التى أودت بحياة مئات الألوف فى سنار وكردفان خاصة (٢٩) وكان مما زاد فى بؤس السودانىين وشقوتهم أن تجارة الرقيق الشائنة بلغت أوجها فى هذا العهد المظلم فعظم نشاط الجلايين والنحاسين وازدهرت أسواق الرقيق على الرغم من الإضطراب السائد بالبلاد (٣٠) وذلك الركود الهائل الذى أصاب التجارة المشروعة فى سائر السلع سواء أكانت هذه السلع من محصولات البلاد ومنتجاتها أم كانت تأتى إليها من الحبشة والبلدان المجاورة حتى تصدر من السودان بطريق القوافل إلى الأسواق الخارجية فى دويلات افريقية الوسطى والغربية والشمالية والحجاز ومصر بنوع خاص (٣١)

وكان من أثر اختلال الأمن فى ربوع السودان وما كان يلاقىه التجار من مخاطر فى أثناء اجتيازهم طرق القوافل الزاهبة من النوبة وسنار وكردفان ودارفور أن صار الجلابون تجار القوافل يؤثرون الخروج بمتاجرهم صوب البحر الأحمر فراراً من أعمال النهب والسلب التى كان يقوم بها الشائقة.

(٢٩) تاريخ مدينة سنار . صفحات ٧ ، ٢٨ ؛ ثم كتاب الطبقات صفحات ١٣ ، ٤٥ .

(٣٠) Shukry 48 — 51 .

(٣١) أنظر عن طرق القوافل : — ; Browne 182 ; Cailliaud III 244-5 ;

Burckhardt 320 — 324 ; Slatin 324 — 25 ; Pensa 234 .

والعبادة والحلافة وبنو عامر والبقارة والسكبايش والبيديات وغيرهم من القبائل المنتشرة في أنحاء السودان وهكذا تحولات التجارة عن مصر فخرمت أرباحا طائلة وليس من شك في أن المنازعات والحروب الداخلية في سنار ذاتها كانت من أكبر الأسباب التي أدت إلى وقوع هذه الخسارة (٣٢)

لهذا عني محمد علي منذ بلوغه أريكة الولاية بإعادة العلاقات التجارية بين مصر والسودان إلى سابق عهدهما والعمل على دعمها وتوثيق أواصرها إذ كان يسوءه أن يرى السودان نهبا موزعا بين طغمة من معتصبى السلطة في سنار وطائفة من المسكوك ومشايخ العربان لاهم لهم إلا ابتزاز أموال رعاياهم والاستمتاع بلذائذ الحياة والإغارة على قوافل الجلابين وسلب المتاجر ولما كان رجال القوافل القليلة التي استطاعت الوصول بسلام إلى أسوان والقاهرة في السنوات التي سبقت الفتح مباشرة قد أطالوا الحديث عن خصب التربة في بلاد سنار وغيرها ووفرة حاصلاتها وما يخفيه باطن الأرض من معادن الذهب والحديد في فازو على وكردفان ودارفور وسنار (٣٣). فقد عز على العاهل العظيم أن يظل استثمار هذه الموارد الطبيعية مهملا وألا يفيد السودانيون أنفسهم من تلك الثروة العظيمة والسكنوز الدفينة ومن ثم اشتدت به الرغبة في إحياء التجارة بين القطرين (٣٤) والإنتفاع بموارد البلاد عن طريق استغلال مناجم الذهب وكان ذلك من العوامل التي أقنعت الباشا بضرورة فتح السودان. (٣٥)

ومع أنه من المقطوع به أن الحصول على الرقيق كان كذلك من أهم

(٣٢) . English. (Introd.) p. 1X

(٣٣) سرهنك : ج ٢ : ص ٢٣٢ (نم) ; Mouriez II 220 ; Goiun 339

(٣٤) . Driault (Formation) 89 ; Déhéraïn 34 ; English (Introd)

(٣٥) . Cailliaud II 314

أسباب الفتح إلا أن الباشا كان يريد في واقع الأمر أن يدخل شيثامن النظام على تجارة كان من المستحيل عليه أن يقتلع جذورها بعد أن تأصلت في البلاد منذ أزمان سحيقة كان الرق خلالها متغلغلا في كيان السودان الاقتصادي والاجتماعي والسياسي وله في مصر ذاتها مكان معترف به في حياتها الاجتماعية وليس هناك ما يحرمه طالما كان الأرقاء يؤخذون من بين «الوثنيين» في أثناء الحروب ويكفل لهم أسيادهم حياة هائلة مفيدة^(٣٦) وقد حرص محمد علي على أن يضمن للرقيق المجلوب من السودان حالة استقرار ونظام^(٣٧) وذلك بإلحاقهم في جيشه وتعليمهم الزراعة وبعض الصناعات والحرف وسوف يتضح فيما بعد مبلغ عناية الباشا بأمر هؤلاء البائسين الذين أنقذهم من شرور النخاسين وأطاع الجلايين .

على أنه كانت هناك دوافع أخرى وأعظم أهمية وأوثق اتصالا بمستقبل مصر والسودان ولعل أظهر هذه الدوافع الحرص على سلامة مصر وتأليف وحدتها السياسية وذلك بالاستيلاء على مجرى النهر العظيم الذي يروى أراضي القطرين الشقيقتين ويربط بين شطرى الوادى من أقدم العصور^(٣٨) وقد فطن محمد علي إلى ضرورة ضم السودان من وقت مبكر ولولا انشغاله بإرسال ابنه ابراهيم باشا إلى بلاد العرب نزولا على إرادة السلطان لكان فتح السودان من الأمور التي عنى بها محمد علي عقب الفراغ من رد غارة الحملة الانجليزية على مصر في عام ١٨٠٧ ومع ذلك فانه على الرغم من انهماك الباشا في حرب الحجاز فقد أخذ يعد العدة لإرسال حملة الفتح إلى السودان عند أول سانحة وآية ذلك أنه أوفد إلى ملك سنار بادى السادس في عام ١٨١٣ وفداً كانت

F. O. 78/381 (Turkey) Report of Bowring ff 289 — 90 ; Burckhardt, (٣٦)

. 326, 329 — 30

. Shukry 54—5 (٣٧)

. Waddington 91 ; Chélu 161 ; Cameron 120 (٣٨)

مهمته الظاهرة أن يطلب معاونة السناريين على طرد فلول البكوات المماليك الذين فروا إلى السودان بعد مذبحة القلعة وإسنا عام ١٨١١ بينما كانت مهمة الوفد الحقيقية الوقوف على أحوال البلاد ومعرفة مقدار قواتها الحربية وما يلزم من الجيوش لفتحها وقد قدم الوفد بعد عودته من سنار تقريراً ضافياً إلى الباشا وصف فيه اضطراب الأحوال في تلك البلاد وما هي عليه من ضعف شديد يسلبها كل قدرة على المقاومة بصورة جديدة^(٣٩) وفضلاً عن ذلك فإن افتتاح سنار لم يكن وحده ما سعى الباشا إلى تحقيقه فإن تأليف وحدة الوادى السياسية وبسط السيادة على مجرى النهر بأكمله كان يتقاضاه العمل بالاستيلاء على أقاليم دنقلة وفازوغلى والخبشة ودارفور^(٤٠) ووجد محمد على من أحوال تلك الجهات فرصة مواتية لتنفيذ مآربه فقد طلب ملك بربر فى عام ١٨١٣ أن يساعده المصريون على استعادة سلطته المفقودة على أن يعترف بالتبعية لمحمد على وكان ممن حضروا إلى مصر لهذه الغاية الملك نصر الدين آخر ملوك الميرقاب والوزير أحد أعضاء الأسرة المالكة فى أرفو والملك إدريس واد ناصر من سلالة العنج فى سنار وإدريس واد عدلان من فازوغلى ، وقد طلب كل هؤلاء مساعدة محمد على لقاء اعترافهم بسيادته وفى عام ١٨٢٠ زار القاهرة « أبو مدين » وهو من أقارب سلطان دارفوركى يستنجد بالباشا ضد محمد الفضل ويطلب معاونته على اعتلاء أريكة تلك السلطنة كما جاء إلى القاهرة فى الوقت نفسه « واد هاشم » وكان يريد الحكم فى كردفان ويلتمس من الباشا مساعدته لقاء خضوعه له والاعتراف بسلطانه^(٤١) .

ولم يكن استنجاد هؤلاء الأمراء والمسكوك كل ما دفع الباشا إلى التعجيل

(٣٩) تقرير ج ٣ : ص ٣٤٢ . السودان المصرى والالكايزى ص ١٣٧ — ١٣٨

(٤٠) . Guin. 339

(٤١) . Robinson (Conquest) 109 — 110

بإرسال حملة الفتح فقد بات السودان منذ استقراره بالممالك مصدر خطر عظيم على مصر ذاتها ذلك بأن البكوات وأشياعهم الذين استطاعوا النجاة من منبجحتي القلعة واسنا سرعان ما ولوا وجوههم شطر السودان فلبجئوا إلى بلاد دنقلة وتغلبوا على الشائقية وطردهم من بعض مراكز قوتهم في مراغة (٤٢) وأخذوا ينشئون الصلات الوثيقة مع الأهالي ويهتمون بالزراعة ولم يقنعوا بالعيش بدنقلة في أمن وسلام بل طفقوا يدبرون المسكائد من جديد ضد محمد علي وشرعوا يتفاوضون على يد « حسن جوهر » أحد البكوات مع حاكم الوهابيين سعود الثاني بمكة المكرمة لعقد محالفة ضد محمد علي (٤٣) وحاول الباشا أن يستميلهم حتى يخيثوا إلى مصر للعيش بها معززين مكرمين حتى يأمن شرهم ولسكن محاولاته لم يحالفها التوفيق وعلى ذلك فقد اعتزم الباشا مطاردتهم وبات لزاماً عليه أن يستأصل شأفتهم لأنهم فروا بعد هزيمتهم إلى الصعيد ورفعوا لواء الشقاوة به وضيقوا على الأهالي بالقرى وظلهم واعتدوا عليهم بقسوة بالغة حتى اضطروهم إلى الفرار إلى شواحق الجبال وترك قراهم خالية خاوية (٤٤) وعلاوة على ذلك فإن البكوات الممالك لم يستطيعوا التغلب على الشائقية إلا بعد مواقع دامية ولم يكن النصر في بعض هذه المعارك من نصيبهم فاضطر جماعة منهم إلى الهروب صوب الغرب بينما توجه آخرون برياسة محمود بك المنفوخ وعبد الرحمن بك ومعهم أربعون من الفرسان البيض صوب كردفان (٤٥) وكان أكبر الخوف أن يلقى هؤلاء

(٤٢) Waddington 54, 226 ; Tousson 194, 197 ; Burckhardt 13

(٤٣) Burchkardt 452 ; Tousson 97

(٤٤) عابدين - المعية ٠ دفتر نمرة ١ تركي مكتوبة ١٠٧ (بدون تاريخ) إلى الكتبخدا بالباب العالي

(٤٥) عابدين محفظة ١٩ . رزم ١٤ في ١٤ صفر ١٢٣٦ (١١٠٢١ - ١٨٢٠) من

اسماعيل إلى محمد علي : المعية ٠ دفتر ٧ تركي رقم ٢٠ في ٢٥ محرم ١٢٣٦ : ثم رقم ١٦٧ في

٢٨ جمادى الثانية ١٢٣٦ من محمد علي إلى اسماعيل باشا .

الماليك مؤازرة من جانب سلاطين الدولة الزرقاء بسنار أو من جانب أمراء الحبشة . ولم يكن الباشا مطمئناً إليهم (٤٦) وهم الذين ظلوا يرددون منذ فرارهم من الجيزة « أنهم لا يقنعون بخبز الدخن ولا يرضون بالبقاء محكومين تحت السلطان العثماني » ويدبّتون النية على اتخاذ كل وسيلة « لدفع العثمانيين وطردهم من مصر أو يهلكون جميعاً » (٤٧) وكان هذا من الأسباب التي جعلت محمد علي يرسل إلى سنار في عام ١٨١٣ ذلك الوفد الذي سبقت الإشارة إليه كما أنه أرسل بعد عامين (١٨١٥) إلى ملك غندار من رؤساء الحبشة يطلب إليه الامتناع عن مساعدة أعدائه كما شدد في منع رعاياه أنفسهم أو النبائل العربية النازلة بالصعيد من إنشاء أية صلات معهم . وكانت آمال البكوات مازال واسعة فيما يتعلق بعودتهم إلى القاهرة عودة الظافرين (٤٨) « فأكثرُوا من شراء العبيد وصنعوا البارود والمدافع » (٤٩) وصارت لهم قوة مقاتلة كبيرة (٥٠) ولذلك رأى محمد علي أن ينقض عليهم قبل أن يشتد ساعدهم ويصلب عودهم .

وليس أدل على أن الرغبة في مطاردة الماليك واستئصال شأفتهم كانت من أهم أغراض الحملة من أنه وقت إعداد حملة الدفتردار محمد بك صهر الباشا أخذت الأخبار ترد على مصر تباعاً بأن البكوات قد غادروا مظاعنهم إلى كردفان فزود الباشا قائده بالتعليمات الصريحة من أجل القضاء عليهم ولما كان هؤلاء الماليك يعملون على استمالة محمد الفضل سلطان دارفور لمساعدة المقدوم مسلم في كردفان فقد توقع المعاصرون أن تزحف جيوش الباشا على دارفور

(٤٦) عابدين — المعية . دفتر تركي رقم ٣٤ في ٢٧ جمادى الثانية ١٢٢٥ صورة القائمة المحررة بأن الوالي (يهم بأعدام الماليك) .

(٤٧) عابدين — المعية . دفتر تركي رقم ٣١ في ١٩ ربيع آخر ١٢٢٥ : ثم راجع أيضاً القائمة المحررة إلى الباب العالي في ٥ شعبان ١٢٢٥ .

(٤٨) Legh 168 .

(٤٩) الجبرتي ج ٤ : ص ٢٠٥ .

(٥٠) Driault (Formation) 15 .

ذاتها لإخضاعها حتى لا يبقى | حيثئذ أمام المالك^(٥١) طريق للنجاة سوى الهرب من كردفان إلى شواطئ نهر النيجر وهكذا يجتازون في أثناء فرارهم جهات مألوفة بالمخاطر إذ أنهم بما جبالوا عليه من صلف وكبرياء خلطاء أن يثيروا على أنفسهم أمراء تلك الجهات وفي ذلك ما فيه من خطر عليهم .

تلك كانت الأسباب الجوهرية التي دفعت محمد علي إلى إرسال حملة الفتح إلى السودان فلم يكن مقصده إذا استعباد أهله واسترقاقهم ولم يدخل في نطاق تفكيره استغلال موارد السودان لفائدة مصر بل إن المصلحة السياسية العليا وأكرم الدوافع الإنسانية هي التي أملت على الباشا ضرورة العمل على ضم شطرى الوادى فى نطاق واحد فى ظل حكومة رشيدة موحدة تعمل على رفاهية السودانيين والمصريين معاً . هذا إلى أن أمراء السودان ومكوكه أنفسهم التمسوا من العاهل العظيم أن يخفف لمعاونتهم على استرداد سلطانهم الضائع كما أظهروا استعدادهم لقبول السيادة المصرية عن طيب خاطر لقاء هذه المعاونة . بل إن هناك ما يدل بصورة قاطعة على أن الباشا منذ عقد العزم على افتتاح بلاد السودان كان يرنو إلى كشف ربوعه كشفاً علمياً صحيحاً حتى يصل رجاله إلى منابع ذلك النهر الذى يربط بين شطرى الوادى ليميطوا اللثام عن لغز استعصى حله على العلماء والجغرافيين دهوراً وأجيالاً طويلة .

وفى ٢٠ يوليو عام ١٨٢٠ غادر القاهرة الأمير اسماعيل على رأس الحملة الأولى إلى السودان وانتصر على الشائقية فى واقعة كورتى (قرطة) فى نوفمبر ثم تقدم فى زحفه إلى شندي ومن ثم إلى مدينة سنار فسلم ماسكها الشرعى بآدى السادس بن طبل للأمير اسماعيل فى وادى وادى واعترف بسيادة الدولة العثمانية طائعا مختاراً^(٥٢) وفى ١٣ يونيو عام ١٨٢٢ دخل اسماعيل مدينة سنار

٥١) Waddington 231, 312

٥٢) Cailliaud II. 235

وفي ذلك اليوم تنازل بادي رسميا عن مملكة سنار لسلطان تركيا وأقسم بين يدي الأمير المصري يمين الطاعة والإخلاص للسلطان العثماني (٥٣) وعلى أثر ذلك استأنف اسماعيل زحفه صوب الجنوب حتى بلدة سنجة عند الدرجة العاشرة من خطوط العرض الشمالية وفي ديسمبر عام ١٨٢١ سلم حسن ملك فازوغلي طوعا (٥٤) وبينما كان الأمير مشغولا في إخضاع الجهات الواقعة على النيل الأزرق تفشى المرض بين جنده فبادر محمد علي بأرسال التجديدات إليه تحت قيادة إبراهيم باشا فوصل إبراهيم إلى سنار في أكتوبر ١٨٢١ وكانت التعليمات التي أصدرها إليه والده تقضى بضرورة الاهتمام بتنظيم الفتوح الجديدة قبل التفكير في ضم ممتلكات أخرى ولو أن الباشا ترك لابنه إبراهيم حرية العمل في النهاية (٥٥) وكان إبراهيم يريد كشف النيل الأبيض والوصول إلى منابعه ثم اختراق الأقاليم الغربية عن طريق نهر النيجر إلى الشاطئ الأفريقي أو الزحف بطريق السكردفان على دارفور وبرنو واختراق الصحراء الغربية إلى طرابلس ثم العودة منها إلى مصر (٥٦) ولكن إبراهيم لم يكد يصل إلى جبل القريين في وسط الجزيرة حتى أصيب بعللة الباسور فعاد إلى مصر عن طريق سنار (٥٧) أما اسماعيل فقد أقام في إقليم فازوغلي مدة استطاع خلالها بعض المسكوك في شندى والمتممة خاصة أن يحرضوا الأهالي على الثورة

(٥٣) Mengin (Hist. de l'Egypte) II. 213

(٥٤) [Cailliaud II. 332 ; Robinson (Conquest) 171]

(٥٥) عابدين — المعية . دفتر ٧ رقم ٢٩١ في ١٥ ذى الحجة ١٢٣٦ من محمد علي إلى إبراهيم ؛ ثم نفس الدفتر رقم ٢٩٢ في ذى الحجة ١٢٣٦ من محمد علي إلى إبراهيم .

(٥٦) Cailliaud II. 235

(٥٧) عابدين — المعية . دفتر ١٠ (تركى) رقم ١٢٥ في ١٠ جمادى الأول ١٢٣٧

(٤ — ٢ — ١٨٢٢) من المعية السنية إلى إبراهيم باشا في سنار ؛ ثم أنظر Cailliaud II 333

فاضطر الأمير إلى العودة سريعاً إلى سنار وهناك قضى على الثورة وعامل
الاهلين معاملة كريمة فعفا عنهم ولسكنه اقتص من « ود عجىلاوى » أحد كبار
الزعماء المحرضين فأمر بأعدامه أما نمر ملك شندى فنجا من العقاب ولم يلبث
أن دبر للأمر تلك المسكيدة التى أودت بحياته فى يناير ١٨٢٣ وقد استثار هذا
الغدر الدنى غضب الدفتردار فانتقم لمصرع اسماعيل انتقاماً شديداً (٥٨).
وكان محمد على قد أرسل صهره الدفتردار محمد بك على رأس حملة أخرى
لفتح كردفان خرجت من أسوان فى إبريل ١٨٢١ (٥٩) وفى ١٦ أغسطس أنزل
بالمقدوم مسلم هزيمة نكراء عند بارا وكان المقدوم من بين القتلى فى هذه
المعركة وفى ٩ سبتمبر انهزمت فلول العدو أمام الأبيض وخضعت السكردفان
لسلطان المصريين (٦٠) وشرع الدفتردار من فوره يعمل على تنظيم الفتوح
الجديدة واتخاذ الأهمية للبحث عن مناجم الذهب والحديد التى اشتهر بها ذلك
الأقليم كما أخذ فى دراسة موارد البلاد الطبيعية وإرسال الرقيق إلى مصر
لتدريهم على أساليب النظام الجديد فى معسكر أسوان (٦١) وشغل الدفتردار
بعد ذلك بالاختصاص من قتلة الأمير اسماعيل وكان القضاء على الاضطرابات
فى سنار مؤذنا بانتهاء عهد الفتح وبداية عهد الإنشاء والتعمير فى ربوع السودان

(٥٨) Vingttrnier 121 ; Shukry 65 — 66 .

(٥٩) عابدين — المية . دفتر ٦ (تركى) رقم ٣٨ فى ٢٨ رجب ١٢٣٦ من محمد على الى
الدفتردار سر عسكر كردفان .

(٦٠) Driault, op. cit. 231 — 2 ; Lauture (Kordofan) 5 et seq .

(٦١) عابدين — المية . دفتر ١٠ (تركى) رقم ٢٢ ، رقم ٢٤ فى ٣ صفر ١٢٣٦
(٣٠ — ١٠ — ١٨٢١) من محمد على الى الدفتردار بك بكردفان .

محمد علي والحكم المصالح المستنير

كان الأمير اسماعيل أول الحكمدارين المصريين في السودان إذ أصدر محمد علي أمراً بتعيينه حاكماً على سنار في يوليو ١٨٢٢^(٦٢) وبعد موته عين الدفتردار حكمداراً على السودان في ٢٠ فبراير ١٨٢٣ وبقي هناك حتى شهر أكتوبر من السنة التالية ولم يغادر البلاد إلا بعد وصول عثمان بك جر كس ولكن عثمان بك لم يلبث أن مرض وتوفي في أبريل ١٨٢٦ فعين على خورشيد في يونيو من السنة نفسها وفي آخر أغسطس صدر الأمر بتقليده حكمدارية السودان وقد ظل خورشيد باشا في منصبه حتى نهاية عام ١٨٣٨^(٦٣).

وكانت مهمة الحكمدارين الأول - أيام الدفتردار وعثمان جر كس - إتمام الفتح وقمع الفتن والاضطرابات حتى إذا تسلم على خورشيد زمام الأمور بدأ عهد الاستقرار والعمران في السودان فعنى بتوطيد أركان الحكومة الجديدة وإزالة ما كان عالقا بالأذهان عن حوادث انتقام الدفتردار لمقتل الأمير اسماعيل كما تعاون مع حكومة القاهرة في العمل على إنعاش الزراعة وإحياء بعض الصناعات واختار لعاصمة البلاد موقعا صالحا فأسس مدينة الخرطوم وتقدمت في عهده وعمرت أسواقها حتى صار يقصدها التجار من جميع الجهات^(٦٤) وكان من أثر قيام الحكومة المستقرة في الخرطوم وانبساط رواق الأمن والطمانينة في ربوع السودان أن استطاع عدد من الرحالة

. Driault (Formation) 274 (٦٢)

. Budge II. 213 ; Robinson (Rulers) 40 (٦٣)

. Combès II. 124 - 127 (٦٤)

الأجانب القدوم إليه والتجوال في أنحائه في سلام وأمان وكان من بين هؤلاء القادمين «هاى» Hay و«هوشت» Hoscht فقد زارا السودان في عام ١٨٢٤ وبلغا موصعا قريباً من موقع مدينة الخرطوم الحالية (٦٥) وفي عام ١٨٢٧ قام البلجيكي «أدولف لينان دى بلفون» برحلته المشهورة إلى النيل «أو البحر» الأبيض على نفقة الجمعية الإفريقية البريطانية فكان أول أوروبي استطاع اعتلاء هذا النهر منذ العصور القديمة حين تمكن الكاشف الأغريقى داليون Dalion من السير في النيل إلى ما بعد موقع الخرطوم (٦٦) وقد بلغ لينان إقليم الشلك ووصل إلى جزيرة آبا ونقطة اللبس (٦٧) وفيما بين عامى ١٨٢٨ و ١٨٣١ استطاع الكاشف ابراهيم أن يجتاز بلاد الشلك على جانبي النيل الأبيض ثم بلاد الدنكا في جنوبها حتى بلغ خط عرض ١٠° شمالاً بل لقد تقدم مسافة أخرى قصيرة بعد ذلك (٦٨) وما إن مضت ثلاث سنوات حتى وصل اللورد پرودهو Prudhoe إلى موقع الخرطوم قبل أن ينشئ خورشيد باشا عاصمة السودان ووصف هذه الجهة في عام ١٨٢٩ بأنها كانت تشبه خلايا النحل في منظرها إذ كانت تتألف من مجموعة من البيوت المبنية من اللبن والأكواخ المصنوعة من القش (٢٩) وحوالى هذا التاريخ أيضا قام العالم الطبيعى الالماني إدوارد رويپل Rüppell برحلة علمية إلى السودان وكان رويپل رغم عدائه الشديد لمحمد على يشيد بفضل العاهل العظيم الذى سهل على العلماء والكاشفين ارتياد تلك الربوع نظرا لاستقرار أحوالها واستتباب الأمن في أنحائها مما ساعده على أن يعبر الصحراء من دبة الى الأبيض وكان بذلك أول أوروبي

(٦٥) Déhérain 230 .

(٦٦) Jonhston 19 — 20, 24 ; Bonola sommaire 22 .

(٦٧) Bellefonds. 171 — 190 .

(٦٨) Martin Lake 26 et seq. See Déhérain 230 — 231 .

(٦٩) Journal of the Royal Geog. Soc. London 1835. vol .1 .

زار كردفان (١٨٢٥) (٧٠) وهكذا استمر الكاشفون ورجال الأعمال من الأجانب يزورون السودان وكان من بينهم كادالفين Cadalvene الفرنسي وصديقه بروفييرى Breuvery وقد نشر الإثنان كتاب رحلتهما الى السودان وتحدثا عما شاهداه في أسهاب وذكر شيئا عن تاريخ البلاد القديم وحوادث الفتح المصرى (٧١) .

وخلال عامى ١٨٢٣ ، ١٨٢٤ قام فرنسى آخر هو آدمون كومب Combes برحلة إلى بلاد النوبة ودارفور ودنقلة الجديدة والخرطوم وسنار وبربر والمتممة واجتاز صحراء البشارية التى لم يكن فى مكنة أجنبى — على حد قوله — أو غريب عن هذه البلاد أن يجتازها دون موافقة رؤساء البشارية قبل أن يستولى محمد على على كل من بربر وسواكن (٧٢) .

وقد عنى كومب ببيان ذلك المركز الهام الذى تبوأته الخرطوم تحت إدارة خورشيد باشا حتى انتقلت من قرية حقيرة فى عام ١٨٢٧ إلى بلد زاد سكانه حتى بلغ عددهم فى عام ١٨٢٤ حوالى خمسة عشر ألف نسمة وظلت مساحته فى اتساع مطرد حتى صارت الخرطوم أعظم المراكز الكبرى فى السودان ويقيم بها تجار من القاهرة والقسطنطينية (٧٣) وفضلا عن ذلك فقد تحدث كومب عن مبلغ ما بذله محمد على من عناية حتى يطمئن التجار والرحالة وهم يرتادون ربوع السودان حتى صار فى استطاعة هؤلاء الرحالة الوصول فى تجوالهم إلى سفوح جبال دارفور وأصبح تعرض القوافل التى تحمل التجارة من الكردفان لحوادث السلب والنهب أقل كثيرا عما كان عليه الحال قبل الغزو المصرى (٧٤) .

(٧٠) Rüppell. (Reisen); Johnston 111; Déhérain 148, 215

(٧١) Cadalvene II. 181 — 191, 197 — 274; 446 — 50; Carré I. 28 — 9

(٧٢) Combes II. 153, 173

(٧٣) Combes II. 110 — 111, 124, 127, 336 — 9

(٧٤) Combes II. 50

وهكذا كان من الواضح بعد مضي نحو عشرة أعوام فحسب من انتهاء
الفتح أن الحكومة التي أقامها محمد علي في السودان كانت تؤدي رسالتها على
خير وجه كما نجحت في نشر ألوية الأمن والسلام في أنحاء الجهات التي
خضعت لسلطانها وهو أمر استرعى أنظار جميع من زاروا السودان من
الأجانب فأخذوا يوازنون بين تأمين التجارة في العهد المصري وتعرض
القوافل للنهب والسلب في العهد السالف وبين روح التسامح التي مكنت هؤلاء
الأجانب من التجوال في غير خوف أو وجل في جميع الأقاليم التي دانت
لحكم مصر وشدة التعصب التي أغلقت دونهم أبواب دارفور وهي السلطنة
التي ظلت محتفظة باستقلالها في ذلك الحين (٧٥)

على أن أكثر هؤلاء الأجانب الذين وفدوا إلى السودان عقب الفتح أو
ظلوا يقدون إليه حتى نهاية عصر محمد علي إنما كان مجيئهم في عهد حكمدارية
خورشيد باشا التي استمرت نحو اثني عشر عاماً (١٨٢٦ — ١٨٣٨) وهي مدة
طويلة كانت كافية لأن تستقر في أثناءها قواعد الحكومة الجديدة وفي هذه
الفترة كذلك وضعت أسس الإصلاح الزراعي ونظمت حياة البلاد الاقتصادية
بصورة كفلت الربح للأهلين وللحكومة معاً بما زاد في عمران البلاد إلى حد
استرعى انتباه الرحالة الذين زاروا السودان بين عامي ١٨٢٣ و ١٨٣٨ بنوع
خاص فانطلقوا يتحدثون عن مظاهر ذلك العمران وآثاره وقد أطلال الحديث
عن منشآت الباشا العمرانية في الأقطار السودانية هوسكنس Hoskins
وهولرويد Holroyd وبالم Pallme من الانجليز وبوكر مسككو
Puckler-Muskau من الألمان .

أما هوسكنس الذي وصل إلى شندى والمتممة في عام ١٨٣٣ فيقول إن
سلطان محمد علي في السودان إنما يقوم على أساس من المتعذر هدمه إذ ترتكز

دعائمه على سياسة ملؤها الحياة والنشاط ويشد من أزرها جيش منظم وسلاح حديث، (٧٦).

وقد وصف هوسكنس ما شاهده في بربر فتحدث عن مصنع النيل الذي أنشأه الباشا هناك وكيف أدخل محمد على زراعة العظم في تلك الأصقاع منذ خمس سنوات وكيف ازدهرت زراعته حتى صار من المستطاع الحصول على أربعة عشر ألف أقة من النيل سنويا ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل توسعت الحكومة في زراعة القطن والقمح والشوفان عدا الذرة والشعير مما زاد في مساحة الأراضي المزروعة بأقليم بربر حتى بلغت ستمائة فدان ترويه خمسائة ساقية ولو أن عدد هذه السواقي كما قال كان ينقص حوالى ثلاثمائة عما كان عليه قبل زيارته لأن أكثر الأراضي الزراعية تروى بمياه الفيضان ولا يستخدم المزارعون الآلات على الإطلاق في رى بعض الأراضي بل يعتمدون في ذلك على جهـودهم الخاصة لسهولة وصول المياه إلى الأرض ، ولم يفت هوسكنس أن يتحدث عن عناية الباشا بزراعة قصب السكر (٧٧) في تلك الجهات كما وصف ازدهار زراعة العظم في إقليم دنقلة ومصانع النيل التي أقامها محمد على في مروي وحنك والحفير ودنقلة العجوز ودنقلة الجديدة وأما عدد السواقي التي أقامها الباشا في هذا الإقليم فقد بلغت خمسة آلاف تروى من الأراضي ما ينتج حوالى عشرة آلاف أقة من النيل سنويا وقد أدخلت في بلاد دنقلة زراعة قصب السكر وقد كانت هذه الزراعة مزدهرة في الجزر أيما ازدهار (٧٨) أما « هولرويد » فزار السودان في عام ١٨٣٦ وأقام فيه نحو ثمانية شهور استطاع خلالها أن يحول في إقليمى دنقلة وكردفان دون أن يصيبه مكروه

. Hoskins 57 — 58 (٧٦)

. Hoskins 51 — 54 (٧٧)

. Hoskins 162 — 3, 177 — 8 (٧٨)

على الرغم من أنه ظل محتفظاً بزيه الأوربي وهو امر عده السكولونيل كامبل
القنصل الإنجليزى فى مصر إذ ذاك « برهانا ساطعا على أن محمد على قد غرس
بذور المدنية والحضرة فى السودان »^(٧٩) وفى عام ١٨٣٧ قصد پالم إلى
السكردفان حيث قابل « كوتشى » Kotschy العالم الطبيعى كما قابل فى الأبيض
أوريا آخر هو الدكتور « إيكين » Iken^(٨٠) وفى عام ١٨٤٤ نشر پالم، أسفاره،
فى هذه البلاد فتحدث عن الحكم المصرى فى كرددان وأظهر مقدار ما كان
يبيده الباشا من عناية بالغة بشئون الحكم فى هذه المديرية رغم وجوده بعيداً
فى القاهرة وذلك حرصاً منه على حسن سير الأمور وصونا لاعدالة ورغبة
فى الضرب على أيدي أولئك النفر من الحكام الذين ظنوا أنفسهم بعيدين عن
رقابة الباشا فسولت لهم نفوسهم أن يستبدوا بالأهلين كيفما شاءوا وشاءت
لهم أهواءهم فذكر كيف استدعى الباشا جماعة من الموظفين الذين عظمت
الشكاية منهم للتحقيق معهم على يد لجنة شكلت لهذا الغرض وانتهر الباشا
فرصة وجوده بالخرطوم خلال رحلته المشهورة فى ديسمبر ١٨٣٨ فأمر
بإحضار مشايخ السكردفان حتى يستمع لشكايتهم بنفسه ثم عزل حاكم السكردفان
فى ذلك الحين وهيئة أركان حربه وعدداً آخر من الضباط ومن السكتبة الذين
كانوا يعملون « سكرتيرين » للحكام فى الأقاليم وقد قدموا جميعاً للمحاكمة
وصودرت أملاك من ثبتت إدانتهم لحساب الحكومة^(٨١).

وفى عام ١٨٣٧ قصد بوكار مسكاو إلى السودان للسياحة ووصل فى
رحلته إلى الخرطوم وقد أعجب أيما إعجاب بما شاهده من مظاهر العمران فى

F. O. 78/381. (Turkey). Report on Egypt and Candia by John (٧٩)
Bowring. March 1839

. Pallme. 249, 275 — 276 ; Déhérain 215 (٨٠)

. Pallme 30 — 42 (٨١)

إقليم دنقلة بنوع خاص وكان مما قاله إن وجود عدد عظيم من القرى المشيدة باللبن والمنتشرة على مدى فرسخ في دنقلة تحف بها حقول خصبة ينتظر أن تأتي بمحصول آخر في ظرف شهرين أو ثلاثة لينهض دليلاً على أن هناك قدراً معقولاً من الثروة إلى جانب ما هنالك من اطمئنان الأهالي على حقوق الملكية اطمئناناً تاماً ومرد ذلك إلى تلك الحكومة الرشيدة التي أوجدها محمد على متذات ربوع السودان لسلطانته^(٨٢) ثم طفق السائح الألماني يتحدث عن عمران السودان فوصف مصنع النيلة الذي أقامه محمد على في دنقلة دون أن يستخدم لإدارته أوريباً واحداً وكما استرعى النشاط الزراعي في دنقلة نظر هو سكنس من قبل فإن بوككر مسكاو لم يفته هو الآخر أن يذكر عدد السواقي بهذا الإقليم فقدرها وقت زيارته بحوالى أربعة آلاف أو خمسة كان منها في جهة مروي وحدها مائتا ساقية وألف بما جعلها تنعم برخاء ظاهرة آثاره للعيان فكثرت الحقول ذات المحصولات الوفيرة والقرى ذات الأبنية المناسبة^(٨٣) وقد عني مسكاو إلى جانب ذلك بإظهار حقيقة العلاقات بين أهل السودان والحكام سواء من وجد منهم في الخرطوم أم في المديرية كما تحدث عن تلك الجهود الجبارة التي بذلها محمد على في اختيار أصلح الرجال للحكم والإدارة في القطر السوداني^(٨٤).

تلك أقوال طائفة من المعاصرين الأجانب الذين زاروا السودان خلال السنوات القليلة التي تلت الفتح مباشرة تشهد بأن العاهل الكبير كان ينظر إلى السودان نظرتة إلى مصر نفسها ولم يكن يعنيه غير أمر واحد هو إقامة الحكومة المستقرة التي تستطيع نشر ألوية الحضارة والعمران في ربوع السودان

. Puckler-Muskau. II. 147 (٨٢)

. Puckler-Muskau II. 164, 172, 181 (٨٣)

. Puckler-Muskau II. 166 — 167 (٨٤)

ولا شك في أن مظاهر العمران التي وصفها أولئك الرحالة كانت نتيجة لسياسة ثابتة واضحة المعالم رسم محمد علي دقائقها وأخذ رجاله بضرورة تنفيذها في غير هوادة أو إبطاء . وقد ذكر الباشا نفسه أنه ذهب إلى السودان « مريياً » أخذ على عاتقه إدخال أساليب الحضارة والعمران إلى تلك البلاد التي كان يعيش أهلها عيشة بدائية يجهلون العلوم والفنون إذ قال بعد سنوات قلائل من الفتح « ولعمري إن الناس القاطنين في أراضي السودان الواسعة المعروفة عند من رآها خالون من العلم وعارون عن معرفة النفع والضرر فضايعوا الوحوش حالة ومع هذا فإنه لم يتفق لهم في كل الزمان الذي عاشوا فيه حتى الآن أن يحظوا بمرب ما ولا أدركوا أسباب المعيشة اللازمة والصنایع والحرف ... فمن ثم لاح في ضمير (محمد علي) أن يريهم طريق حكمة يكون سبباً لنيرتهم »^(٨٥) وقال بعد سنوات في أثناء زيارته التاريخية لغازي غلي مخاطباً المشايخ والعلماء الذين حضروا لمقابلته « لاجدال في أن كل شعب من الشعوب يمر في دور الطفولة الذي تمررون به الآن ولكن عناية المولى جل شأنه تبعث إلى كل أمة مصلحاً يسير بها قدماً في طريق الرقي والحضارة ولقد كان من حظي أن يقع عليّ الاختيار لأداء هذا الواجب النبيل نحوكم ... »^(٨٦) .

وقد ظل الباشا طوال سني حكمه يعنى بأمر هذه الشعوب التي اختارها الله لأرشادها وتسديد خطاها على الجادة فأقيمت الحكومة الموطدة واستتب الأمن واشتركت العناصر الوطنية في شئون الحكم والإدارة وامتعتت الزراعة وأدخلت الصناعة في بلد لم يعرف معنى الزراعة ولم يسبق لأهله الاشتغال بالصناعة وارتفع ذكر بعض المدن القديمة وأنشئت أخرى جديدة وانتظمت المواصلات وأنشئت ترسانة لصنع السفن ونشطت التجارة واستثمرت الموارد.

(٨٥) الوقائع المصرية — عدد ١٢ في ٦ رمضان ١٢٤٤ (١٢ مارس ١٨٢٩) .

(٨٦) شكرى — صفحة من تاريخ السودان الحديث . صفحات ٢٨ ، ٢٩ .

الطبيعية وجرى التنقيب عن المعادن في سنار وكردفان وغيرها من الجهات وقضى على بعض العادات الهمجية إذ اعتمد أهل فازو على التخلص من الطاعنين في السن والعجزة والمرضى والضعاف بدفنهم أحياء (٨٧) .

ورسمت للتعليم خطة واضحة وأعيد ماتهدم من المساجد وهى إذ ذاك دور التعليم وموائل الثقافة الإسلامية بل لقد شيدت أخرى جديدة كما وزعت الأرزاق على أهل العلم وعلى الفقهاء ومن إليهم ونظم القضاء وزاد الاهتمام بالدين الحنيف وفضلا عن هذا كله فقد بذلت الحكومة الجديدة خير جهودها لتأمين الحدود ورد غارات المغيرين عليها وبخاصة من ناحية الحبشة وقد ألقى المصريون دروسا قاسية على قبائل العربان الجامحة وجعلوهم يالفون الخضوع للقسانون ويسلسون القياد لأولياء الأمور وفتحت البلاد السودانية للرواد والسائحين الأجانب يحوسون خلالها ويرتادون أنحاءها وساهم المصريون بنصيب وافر في خدمة العلم والمعرفة ومحاولة الكشف عن منابع النيل فقد خرجت من الخرطوم تجريدات سليم قبودان الثلاث (١٨٣٩ — ١٨٤١) ووصلت إلى غندكورو وفتحت الطريق أمام الرواد والمغامرين الأجانب أمثال « بران روليه » Brun-Rollet وأعضاء البعثة التبشيرية الكاثوليكية بوسط إفريقيا (٨٨) وهذه جميعها أعمال جليلة يجد القارىء بيانا مفصلا عنها في مؤلفينا السابقين عن « الخديوى اسماعيل والرق في السودان » (٨٩) و« مصر والسيادة على السودان » (٩٠) .

وجدير بالذكر في هذا المقام أن الباشا استطاع أن ينجز جميع هذه

(٨٧) . Lepsius. 202

(٨٨) . Shukry 88 — 92

(٨٩) Shukry, M. F. The Khedive Ismail and Slavery in the Sudan.

. Cairo 1938.

(٩٠) محمد فؤاد شكرى . مصر والسيادة على السودان — الوضع التاريخي للمسألة القاهرة ١٩٤٧ .

الإصلاحات إلى جانب السهر على سلامة الحدود وإقرار الأمن ولم يكن لمصر في السودان سوى قوة نظامية صغيرة إلى جانب الشائقية والمغاربة غير النظاميين وكان عدد هذه القوات يقل أو يزيد على حسب الحاجة فقد كانت تتراوح في الأحوال العادية بين خمسة آلاف وسبعة آلاف (٩١) على ما يقول القناصل أمثال « أنطوان پيزوني » Pezzoni « وهو در » Huder و « ميمو » Mimuat و « لسبس » Lesaeps و « دو هاميل » Duhamel و « وكوشيليه » Cochelet و « دى بورفيل » Bourville وإذا كان لهذه الحقيقة ما تدل عليه فإنما تدل على أن العاهل العظيم كان يعتمد على ولاء السودانيين الذين أشرك رؤسائهم وزعماءهم في الحكم واستمال مشايخهم وفقهائهم إلى تأييد الحكم المصرى في السودان (٩٢).

على أن هذه السياسة المستنيرة التى رسم محمد على خطوطها الأساسية لم يكن ثم مناص من أن يتبعها رجاله فى القطر السودانى الشقيق فقد جرى على سنتها واستفاد هديها خورشيد باشا وكان من أثر ذلك أنه استطاع أن يظفر بمحبة أهل البلاد وشيوخهم (٩٣).

وقد تقلد منصب الحكمدارية من بعده أحمد باشا چركس المشهور باسم « أبو ودان » وظل يحكم السودان حتى أكتوبر ١٨٤٣ وقد أجمع المعاصرون أمثال الألمانى فرن Werne والفرنسى « دارنو » D'Arnaud على أنه كان يتمتع بنشاط خارق للعادة مما ساعده على الإحاطة بكل صغيرة وكبيرة من شئون الحكم والإدارة ومن الثابت أنه أحسن معاملة الأمراء السودانيين

Douin (Alger) No. 81. Note de Huder. Alex 13. 8. 1830. ; Aff. Etr. (٩١)

Egypte (3) No. 121. Alex 23. 3. 1833 ; ibid (5) No. 4. Alex 30. 9. 1836 ; ibid (6) No. 20 Alex 26.2. 1838 ; Cattani II. No. 124 bis Tableau Statistique de l'Egypte pp. 3984-00; ibid I No. 80. Alex 31. 7. 1827. p. 81

(٩٢) شكرى — (مصر والسيادة على السودان) صفحات ٩ — ١٢.

(٩٣) تاريخ ملوك الفرنج بالسودان . ص ١٣٢

جريا على سياسة التعاون مع العناصر الوطنية تلك السياسة التي وضع محمد علي أساسها وقد ساعده ذلك في إدارة شئون البلاد وإصلاح أحوالها وتنظيم مدينة الخرطوم . كما قسم مقاطعات السودان إلى أخطاط وجعل للأخطاط أقساما قسمها مديريات وعين لكل مديرية حدودا وضم إليها العرب الرحل الضاربين في وديانها وبذلك انتظمت إدارتها ونقل إليها من مصر كثيرا من صنوف الحيوان الأليفة والبذور النادرة مما أدى إلى تحسين الزراعة هذا إلى أنه نشر فيها أصول الصناعة فتقدمت التجارة وقد استخدم عنقائه في دار الصناعة وجعل منهم ملاحين في السفن الأميرية التي أخذ عددها يزداد يوما بعد يوم حتى نسبت إليه تجارة الخرطوم وقصد هذه المدينة في أيامه بعض الأوربيين لتعاطي التجارة (٩٤) .

وإلى جانب هذا كله اهتم أحمد باشا أبو ودان بتوطيد السلطة في أرجاء السودان والقضاء على فوضى الإضطرابات التي نشبت في كردفان وعند حدود الحبشة فضلا عن أنه افتتح إقليم التاكة وأسس مدينة ككسلا في السودان الشرقي (٩٥) وبعد وفاة أحمد باشا في الخرطوم في شهر سبتمبر ١٨٤٣ خلفه منكلي أحمد باشا وعلى الرغم من أن عهده لم يطل فقد قام بكثير من المشروعات الزراعية فتوسع في زراعة قصب السكر (٩٦) وعنى بتنظيم مالية السودان واهتم بضبط شئون الحكم والإدارة (٩٧) وثبت دعائم الحكم الجديد في إقليم التاكة (٩٨)

(٩٤) سر هنك ج ٢ : ص ٢٣٣ — ٢٣٤ .

(٩٥) عابدين — المعية . محفظة ١٩ رقم ٤١ في ١٨ رمضان ١٢٥٩ هـ ؛ ثم انظر :
Werne (Feldzug von Sennar) 28, 239—248; Junker (1875 — 78) pp. 99 101;—
Staat — Archiv. Rapp. de Const. Vol. 64, No. 595. Const. 13. 4. 1843. Enclos.
Kairo 1. 3. 1834.; ibid. Cons. Rap. Alex. 1838—1847. No. 490. Alex 15. 4. 43.
. Laurin z Metternich

(٩٦) ابراهيم فوزي ج ١ : ص ٦٥ .

(٩٧) عابدين . المعية . محفظة ١٩ رقم ٥٠ الارادة نمرة ٣٥٥ في ١٨ شعبان ١٢٦٠ هـ

(٩٨) عابدين . المعية . محفظة ١٩ رقم ٣٤ في ٥ ربيع أول ١٢٦٠ هـ (٢٥ — ٣ — ١٨٤٤

من أحمد المنكلي إلى محمد علي .

وكان في أثناء حكمدارية أحمد المنكلى أن زار السودان « رتشارد لبسيوس » Lepsius أحد علماء الألمان المتخصصين في دراسة علم الآثار المصرية قدم إلى الإسكندرية في سبتمبر ١٨٤٢ ثم رحل إلى السودان لزيارة الأهرام والآثار القديمة في مروي وشندى وغيرهما فبلغ الخرطوم في فبراير ١٨٤٤ وزار سوبه وسنار وسار بعد ذلك في النيل إلى دنقلة ومنها إلى وادى حلفا واسوان وقد أسهب لبسيوس في رسائله من السودان في وصف تلك الحكومة الناجحة التى أوجدها محمد على فى القطر السودانى (٩٩) كما استرعى نظره ذلك العمران العظيم الذى شهد آثاره فى كل مكان زاره على امتداد نهر النيل أو على ضفاف النيل الأزرق وكان مما أثار إعجابه ذلك النشاط الظاهر فى بلدة « الكاملين » المنشأة حديثا فقال فى إحدى رسائله (١٠٠) « يقع المكان القديم الذى يحمل هذا الاسم على مسافة نصف ساعة من النهر ويتألف من أكواخ قليلة أما المساكن التى نزلنا إلى الأرض بالقرب منها فتتبع عددا من المصانع التى بناها منذ مدة تزيد على خمسة أعوام نور الدين أفندى أحد المصريين من الأقباط الكاثوليك وقد اعتنق الإسلام بعد ذلك واشترك معه فى بنائها أحمد باشا الحكمدار السابق وفضلا عن ذلك فقد أسس رجل ألماني يدعى باور Bauer مصنعا للصابون والكونياك وكان يدير أحد أبناء العرب مصنعا للسكر والنيلة ومات باور بعد عام (١٠١) وكان قد استطاع استخراج الكونياك من قصب السكر والبلح والظاهر أن هذه الأعمال كانت إدارتها على أحسن ما يكون من النظام أما النظافة وهى أمر غير مألوف فى هذا البلد فيمكن مشاهدتها فى حجرات المصنع وأوانيه وأدواته وإنها لدليل على أن إدارة هذه المصانع تقوم على أسس متينة. وفى ديسمبر ١٨٤٥ عين خالد خسرو باشا حكمدارا على السودان فوصل

Lepsius. 24 (٩٩)

Lepsius. 165 (١٠٠).

Lepsius 163—164 (١٠١).

إلى الخرطوم في يناير من العام التالي واستمر يشغل هذا المنصب إلى بداية عهد عباس الأول. ولعل أهم ما يجدر ذكره أن تلك السياسة التي وضعت أصولها منذ أيام الفتح الأولى قد أصبحت الآن خطة حكومية ثابتة تقوم على تكريم شيوخ السودان ورؤسائه بتقليدهم الأوسمة وإلباسهم كساوى التشريف وتقريدهم من مجالس الحاكم العام والاستماع إلى آرائهم وطلب النصيح منهم فقد كتب خالد خسرو بعد وصوله إلى الخرطوم يقول (١٠٢) : إلتى بوصولى الخرطوم ١١ محرم ١٢٦٢ - (٩ يناير ١٨٤٦) - دعوت من تلزم دعوتهم حسب الأصول وقرأت عليهم الفرمان العالى الذى أنيت به بتوليتى على الخرطوم وأخذت منهم موثيق الانقياد والطاعة وأرسلت البيانات اللازمة لمن يلزم إرسالها لهم عن هم فى الأماكن البعيدة لتسكون معلومة لهم وقد أجريت ما اعتاد المشايخ والعمد إجراؤه عندما يحضرون للخرطوم لحضور حفلة تنصيب الحكمدار الجديد وكان من بينهم الشيخ إدريس عدلان المدعو ملك جبل الفونج وقيل لى عنه إن له موقعا ممتازا ومنزلة رفيعة بين الأقران والعربان وحيث أنه قام من محل إقامته وجاء لديوان الحكمدارية والتقى بي فقد خصصت له غرفة فى الديوان وأمرت بأجراء ما يلزم له من واجبات الضيافة والأكرام حسب ما يليق بكرم أفندينا الخديوى وبذلت الوسع فى تطيب خاطره وإدخال السرور عليه فحصل له الأانس وقويت بيننا روابط الألفة

وإنه بالنظر لما تبين من أطوار الشيخ إدريس وحركاته الدالة على صدق نواياه فى خدمة الحكومة وحصول المنافع لها رأيت أن من الحكمة أن يكون له الموقع الممتاز عندنا رغبة فى تزييد نشاطه وتوفير اهتمامه فكتبت لصاحب الدولة سليم باشا مدير فازوغلى كتاب توصية به طبقاً للأصول

(١٠٢) عابدين . المعية . محفظة ١٩ رقم ٨٢ فى ٢٩ ربيع الثانى ١٢٦٢ من خالد خسرو إلى الجنب العالى .

المرعية وأعطيته للشيخ إدريس ليعطيه لسليم باشا يداً بيد وتوجه من طرفنا مشيعاً بالاحترام والاكرام وأنه لا بد أن يزداد علاقة بالحكومة وإخلاصاً لها نظراً لما رآه من الاحترام الذي عاملناه به ورآه محسوساً جلياً بظل الحضرة الخديوية» وكان من المشايخ والرؤساء الذين سألهم خالد خسرو الرأى وانتفع بإرشاداتهم بشأن الأماكن التي يوجد بها الذهب والحديد في سنار وكردفان وتأمين الحدود الشرقية المتاخمة للحبشة والغربية المتاخمة لدارفور الشيخ عبد القادر ود الزين والأرباب محمد دفع الله والشيخ أحمد أبو سن كبير الشكرية وقد أسدى كل هؤلاء خدمات جليلة للحكماء السابق أحمد المنكلى وعاونوه معاونة صادقة في تأمين الحدود والقضاء على الفتن في الناكه خاصة وهى الإقليم الذى ضمته حكومة الخرطوم حديثاً^(١٠٣) وقد اصطحب معه أحمد المنكلى حين عودته إلى مصر كلا من الأرباب دفع الله والشيخ عبد القادر ود الزين فأكرمهما محمد على إكراماً عظيماً وعندما حضر خالد خسرو إلى الخرطوم حضر معه^(١٠٤) وكان الشيخ عبد القادر صاحب حظوة كبيرة عند محو بك وخورشيد باشا أما الشيخ إدريس عدلان الذى ذكره خالد خسرو فى رسالته فقد ظل عضد الحكومة فى إقليم فازوغلى مدة طويلة^(١٠٥).

(١٠٣) عابدين . العبة . محفظة ١٩ رقم ٦٠ معروض من ميرمران أحمد المنكلى الى الجناب العالي محررة من جبل دول فى ٧ محرم ١٢٦١ (٦ — ١ — ١٨٤٥) ثم انظر وثائق رقم ٣٢ ، ٣٦ ، ٤٠ ، ٤٩ ، ٥٤ فى نفس المحفظة .

(١٠٤) شفير ج ٣ — ٢٧ .

(١٠٥) تاريخ مدينة سنار ص ٣٣ .

عهد عباس الأول ومحمد سعيد

تلك كانت آثار السياسة الرشيدة التي رسم محمد علي خطوطها الأساسية والتي كان مدارها المحافظة على وحدة وادى النيل وإشراك العناصر الوطنية في شئون الحكم والإدارة تحت إشراف حكومة أبوية بارة بأبنائها في مصر والسودان معاً وقد حرص محمد علي طوال حياته على أن يحتفظ بهذه الوحدة قوية الدعائم سليمة البنيان واستطاع بفضل ما أوتيته من حكمة وأصالة رأى أن يجتاز بسلام الأزمات السياسية الكبرى في عامي ١٨٤٠ و ١٨٤١ فصدر له فرمان السودان في فبراير من العام الأخير بإعطائه السودان طول حياته . غير أن وحدة الوادى سرعان ما تعرضت لخطر التصدع والانحلال عقب وفاة محمد علي إذ خيل إلى الباب العالي أن في وسعه الانتقاص من تلك النسوية فرأى أن يعود بمصر إلى ما كانت عليه في العهود التي سبقت إصدار فرمانات الوراثة بحيث تصبح ولاية لا امتياز لها على سائر ولايات الامبراطورية العثمانية^(١٠٦).

ومنذ اعتلى عباس الأول أريكة الولاية في عام ١٨٤٩ أخذت تركيا تسلك لتحقيق غايتها طريقين أولهما بذل كل ما في وسعها من حيلة لإضعاف حكومة الباشا الداخلية وامتثالها في نظر الدول الأوروبية^(١٠٧) وثانيهما محاولة الاعتداء على تلك الحقوق والامتيازات التي حصل عليها محمد علي^(١٠٨) وكانت مصر مرغمة بمقتضى فرمانات الصادرة في عام ١٨٤١ على قبول جميع المعاهدات

(١٠٦) Mouriez, P. Des Intérêts Européens en Orient. Paris 1852

(١٠٧) Anon. 118—119

(١٠٨) Abdin—American. vol. 1. No. 38. Alex. 13.8. 1851. D. S. Mc Cauley

. to Dep. of State. pp. 118—119

والاتفاقات التي تعقدتها تركيا مع الدول الأجنبية وتنفيذ القوانين والتنظيمات المعمول بها في تركيا وممتلكاتها^(١٠٩) فقد وجد الباب العالي في ذلك منفذاً لتحقيق مآربه كما أن سريان المعاهدات والاتفاقات المبرمة بينه وبين الدول ومن بينها الامتيازات الأجنبية في مصر والسودان كان له في السنوات التالية أسوأ الأثر لا في مصر وحدها بل وفي شطر الوادي الجنوبي على وجه الخصوص لذلك طلب الباب العالي إلى عباس الأول أن يطبق في مصر «التنظيمات الخيرية العثمانية» التي صدر بها خط شريف جايخانة في ٣ نوفمبر ١٨٣٩^(١١٠) والتنظيمات^(١١١) عبارة عن تلك القوانين والأنظمة التي تكفل أمن رعايا الدولة العثمانية على أموالهم وأعراضهم وأرواحهم وتفرض رقابة دقيقة تحت إشراف حكومة الآستانة على كل شئون الحكم والإدارة في أنحاء الإمبراطورية وحصر مظاهر السلطة في يد الحكومة المركزية وعلى رأسها السلطان العثماني^(١١٢).

وكان معنى قبول التنظيمات على علاتها إلغاء ذلك الوضع الممتاز الذي كفلته فرمانات الوراثة لمصر مما يعرض مسند الولاية للخطر ويؤدي إلى ضياع السودان وزاد من متاعب عباس في هذه الظروف الدقيقة أن الباب العالي وجد من بين أقارب عباس نفسه جماعة يناصبونه العداء الشديد ويبذلون غاية وسعهم في الآستانة لعزله وإقصائه عن دست الحكم^(١١٣) وفضلاً عن ذلك فقد انبرى لتأييد العثمانيين في موقفهم فريق من الدول من بينها فرنسا إذ كان

. La Politique d'Ismail Pacha . . . pp. 20—25 (١٠٩)

. Jonquière. 585 et seq (١١٠)

. Nahoum. 219—224 (١١١)

. Engelhardt. I. Caps XIX ,XX. (١١٢)

F. O. 78/875 Turkey (Egypt) No. 2 Cairo 17. 2. 1851. Murray to Palmerston. (١١٣)

Enclos. Cairo 14. 2. 51. Marray to Canning (copy); also. F. O. 78/856.

Turkey. No. 190. Therapia. 4. 6. 1851 Canning to Palmerston.

يسوءها امتناع عباس عن تأييد نفوذها في مصر (١١٤) والروسيا والنمسا
 المائتين لتركيا لأن هذه الدول الثلاث كانت على حد قول القنصل الأمريكي
 تحسد إنجلترا على ما نالته من حظوة ومكانة لدى عباس باشا (١١٥) وعلى
 ذلك وجد عباس محافظة منه على مسند الولاية من ناحية وعلى إبقاء حقوق
 البلاد كاملة غير منتقصة من ناحية أخرى أن يبذل قصاراه في استمالة إنجلترا
 إلى تأييده في منع تطبيق التنظيمات العثمانية على النحو الذي تريده تركيا وكان
 يعقد آمالا واسعة على انحياز إنجلترا إلى جانبه لما كان يستمتع به سفيرها
 السير سترافورد كاتنج من نفوذ عظيم في الاستانة (١١٦) ونظراً لما كان ينتظره
 من معاونة هذه الدولة له في بسط قضية مصر لدى الدول الأخرى وقدرتها
 على إقناع هذه الدول بضرورة تأييد عباس في موقفه إزاء تركيا فقد أبدى
 عباس استعداداً لتنفيذ ما كانت تريده إنجلترا من إنشاء سكة حديدية بين
 القاهرة والسويس لتسهيل مواصلاتها مع امبراطوريتها في الهند وأخذت
 إنجلترا على عاتقها لقاء ذلك أن تؤيد عباس في الاستانة (١١٧) ولهذا جد
 السفراء والممثلون الانجليز لدى حكومات روسيا والنمسا للكف عن مقاومة
 الباشا في القسطنطينية (١١٨).

أما فرنسا فظلت وحدها تنعى على عباس تجاهله ما سماه قنصلها في مصر

(١١٤) F. O. 78/804. Turkey (Egypt) No. 28 (Confid) Cairo 7, 5. 1849. Murray to Palmerston.

(١١٥) Abdin — American. vol. I. No. 30. Alex. 13. 8. 1851. Mc Cauley to Dep. of State. p. 117.

(١١٦) F. O. 78/375 Turkey (Egypt) No. 2. Cairo 17. 2. 1851. Murray to Palmerston.

(١١٧) F. O. 78/875. Draft No. 2 (Mr Murray) F. O. March 7, 1851. (from Palmerston).

(١١٨) F. O. 65/922. (Russia) No. 76. St. Petersburg. 15. 4. 1857. Bloomfield to Palmerston; also F. O. 224/112 (Germany) Draft No. 133. Berlin 1. 5. 1851. Westmoorland to Palmerston.

« حقوق صاحب السيادة على تابعه » (١١٩) وقد أثرت مساعي إنجلترا فزال كل خطر عن مسند الولاية المصرية وساعد على انفراج الأزمة بين مصر وتركيا أن لويس نابليون منذ وصوله إلى الحكم في فرنسا صار يظهر الود والصداقة لإنجلترا لذلك وافق السلطان على إنشاء السكة الحديدية (١٢٠) وفي أبريل ١٨٥٢ تم الاتفاق على تطبيق التنظيمات العثمانية في مصر مع تعديلها بما يكفل للوالي الاحتفاظ بسيادته الداخلية السكاملة (١٢١) ويمكنه من دعم قوته تدريجياً في قابل الأيام حتى أصبح وليس هناك ما يربطه بالباب العالي سوى سيادة اسمية (١٢٢)

وتتضح أهمية هذا الانتصار السياسي الخطير إذا ذكرنا أن بتراركي Petrarki قنصل أسبانيا العام في مصر كتب في مارس ١٨٥٢ إلى حكومته يقول « لم يعد خافياً على ما يظهر أن الوزير العثماني رشيد باشا والوزير المصري أرتين بك (وكان من المناوئين لعباس واللاجئين إلى الأستانة) يريدان إثارة الاضطرابات الشديدة في مصر حتى يصبح من المستطاع لا عزل عباس فحسب بل وحرمان أسرة محمد على الحكم حرماناً تاماً حتى تتاح الفرصة لاسناد منصب الولاية إلى أحد صنائع الوزير العثماني وإيجاد وسيلة لاستثمار مورد

Aff, Etr. Fgypte (23) No. 154. Alex. 18. 7. 1851. Le Moyne à M le (١١٩) Ministre. Copie d'un dépêche adressé par M. le Moyne à M. le ministre de France à Constple. Alex 14. 7. 1851
F. O. 78/859 (Turkey) No. 324 Therapia 4. 11. 1851. Canning to (١٢٠) Palmerston. Enclos. 1. Copie de Firman Suprême émané pour la Construct- ion du Chemin de Fer ; also Nahoum. 255
Staat — Archiv. Turkei fasz XII. 44. Instruction de ministère (1) et (١٢١) Rapp. des Aff. Etr. à Mr. V. Kelzi ; (2) Mr. le Consul Général Huber au Caire. Wien, 4 mai 1852 ; also Aff. Etr. Egypte (24). No. 224. Alex. 8. 9, 1852
Abdin — American. vol II. No. 8. Alex 2. 3. 1854. Edwin de Leon to (١٢٢) Dep. of State. p 30, also. Aff. Etr. Egypte (24). No. 19. Caire 31. 3. 1853 de . Mr. Sabatier

جديد يعين على إجراء الإصلاحات اللازمة لانتشال الامبراطورية العثمانية من الارتباك المالى ، (١٢٣) وهكذا تأيد بفضل هذا الانتصار ذلك الوضع الذى كفلته الفرمانات لمصر والسودان معاً

ومع أن كثيرين إبان اشتداد الأزمة العثمانية المصرية كانوا يرون أن من المتعذر على عباس أن يولى شئون السودان عنايته الكاملة (١٢٤) فالثابت أن هذه الأزمة على الرغم من خطرهما لم تشغله عن الاهتمام بشطر الوادى الجنوبى فقد ظل عباس منذ تبوأ أريكة الولاية يسير فى سياسته السودانية وفق تلك المبادئ التى وضع أصولها جده العظيم محمد على وقوامها استمالة السودانيين إلى تأييد الحكومة فى الخطوط وإشراك زعمائهم ورؤسائهم فى تدبير شئون الحكم والإدارة والعمل على تحقيق رفاهية أهل السودان بكل ما يستطيع من وسائل وذلك بأن يمضى الحكمدارون فى استثمار موارد البلاد الطبيعية والعمل على تنشيط التجارة المشروعة والمحافظة على ثقافة البلاد الإسلامية وإتاحة الفرصة لتعليم أبناء السودان ولما كانت أزمة التنظيمات تنذر بضياح شطرى الوادى شماله وجنوبه فقد بات دعم الحكومة فى السودان وتأمين حدوده ضد غارات المغيرين من أهم المسائل التى عنى بها عباس أبلغ عناية

لهذا كان المشايخ والزعماء الوطنيون يلقون كل حظوة لدى الحكمدارين فاستأثر الشيخ عبدالقادر ود الزين بمكانة ظاهرة ملحوظة إذ قلد وظيفة معاون الحكمدارية ومشيخة مشايخ عموم الجزيرة وقلد الشيخ عدلان محمد مشيخة

Staat—Archiv. Turkei 1852. Fasz. XII 44. Vienne 19.3. 1852 à Kelzl. (١٢٣)
Adj. von Herren Petrarki, Handelsman und Spanischen Consul in Egypten...
Staat—Archiv. Gen-Cons. Zu Alexandrien 1848—1860. No 436. Cairo (١٢٤)
16. 4. 1851. Huber to Minister.

أنظر أيضاً : عابدين - المعية (عربى) دفتر ١٤٤ رقم ٢٠٦ فى ١٨ شعبان ١٢٧٠ (١٦)
مايو ١٨٥٤) من مجلس الأحكام إلى المعية السفية .

جبال الفونج وعهد إلى حسين خليفه بمشيخة العتمور (أوسكة عتمور أني حمد)
وعومل شيخ الشكرية أحمد أبوسن خير معاملة (١٢٥) وكان من مظاهر اشراك
العناصر الوطنية في شئون الحكم والادارة أن عين عباس الشيخ على جلابي
والشيخ محمد نور ضيف الله بمجلس الدعاوى وهو بمثابة محكمة عليا كما عين
الشيخ ابراهيم عبد الدافع مفتياً للحكمة وبلغ من اهتمام عباس باختيار الأ كفاء
لملء مناصب الحكم في السودان أن أصدر أمراً غداة توليته بأن يعين حكام
السودان « ممن لا يقولون عن رتبة أميرالاي » إذ أنه « مستغن عن التفصيل
واليان — كما جاء في هذه الارادة — أن المملحات السودانية قد صرف
عليها إلى الآن أموال وافرة ومساع جمّة وكان أفندينا ساكن الجنان محمد علي
باشا يعنى بها ويهتم بأحوالها ولذلك كان يعين حكامها من رتبة ميرالواء » (١٢٦)
وفضلاً عن ذلك فقد طلب الباشا في سبتمبر ١٨٤٩ بياناً بأسماء « المديرين
والحكمدارين الموجودين (بالسودان وقتذاك) وجهات مأموريتهم
بالتوضيح » واختار في نوفمبر من العام نفسه حكمدارا للسودان هو چركس
لطيف باشا شهد الأ جانب ممن زاروا الخرطوم في هذه الفترة بانه كان كفتاً
قديراً (١٢٧) واكتسب عبد اللطيف شهرة واسعة كرجل حزم وإدارة بين
معاصريه (١٢٨) قال صاحب (تاريخ مملكة الفونج والعهد العثماني حتى
عام ١٨٧١) (١٢٩) « وما زال عبد اللطيف باشا مقبلاً بالخرطوم شاغل فكره
بسماع الدعاوى والعرضحالات التي لاحصر لها ولم أشتغل بسواها إلا إن كان

(١٢٥) شقير ج ٣ : ص ٢٨ .

(١٢٦) أمين سامي : المجلد الأول من الجزء الثالث ص ٢٤ . لإرادة لاكتنخدا في ٢٤ شوال

١٢٦٥ (٢—٩—١٨٤٩) .

(١٢٧) . Melly. 155

(١٢٨) سرهنك : ج ٢ : ص ٢٦١ .

(١٢٩) British Museum. Ms. Or. No. 2345. (Arabic)

ما كان من تجديد بناء الحكمادارية وتزويقه ، وكان من مظاهر نشاطه تحميل مدينة الخرطوم وإنشاء ديوان جديد للحكمادارية (١٣٠) بيد أن عبد اللطيف مالبث حتى أغضب عباسا إذ أصر على إغلاق النيل الأبيض في وجه الملاحة الحرة ومنع التجار الأوربيين من ارتياد جهات النهر العليا كما احتكر التجارة لحسابه الخاص لهذا كثرت الشكاوى ضده واضطر عباس إلى استدعائه وعين بدلا منه چركس رستم باشا في فبراير ١٨٥٢ وكان الحكمدار الجديد مزودا بالتعليمات اللازمة لحسن « إدارة الأمور والمصالح ورؤيتها وإجرائها في محورها اللائق طبقا للعدل والحق ووفقا للقوانين واللوائح (وذلك كله من أجل) استحصال أسباب الراحة ووسائل العمران والرفاهية ، وأمر بإرسال نشرة عامة إلى مديريات الأقاليم السودانية ، لمدير دنقلة خورشيد بك ومدير بربر قائمقام على حسيب بك ومدير الخرطوم الميرالاي أحمد بك ومدير سنار وفيزاوغلي الميرالاي ابراهيم بك ومدير التاكة خسرو بك ولرئيس مجلس الخرطوم الميرالاي عبد القادر بك ولسر سوارى محمد أغا ولسر سوارى ابراهيم أغا ، يحضهم فيها على أن يكونوا « جسما واحدا وقلبا واحدا في خدمة وسعادة الرعايا الموجودين تحت (إدارتهم) وفصل دعاويهم وتسوية أمورهم كما يوجبه العدل والقانون وكما يرضى الضمير » (١٣١) ثم أوفد الباشا لجنة للنظر في أحوال السودان عهد برياستها إلى ميرى بك (١٣٢) ومع أن رستم باشا لم يلبث أن توفي في الخرطوم بعد قليل فقد أرسلت القنصلية النمساوية في العاصمة السودانية تقريراً ضافياً إلى هوبر Huber قنصل النمسا في مصر جاء فيه أن رستم باشا كسب محبة الأهالي وأدار شئون الحكم على نحو استحق من أجله

(١٣٠) سرهنك ج ٢ : ص ٢٦١ ؛ شقير ج ٣ : ص ٢٨٠ .

(١٣١) أمين سامى : المجلد الأول من الجزء الثالث : ص ٤٥ - ٤٦ . لإرادة في ١١ ربيع

الأول ١٢٦٨ (٤ يناير ١٨٥٢) .

(١٣٢) شقير ج ٣ : ص ٣٠ .

كل ثناء وتقدير وكان يخرج لزيارة الرؤساء والزعماء الوطنيين في سنار والرصيرص وغيرها من الجهات (١٣٣) ومع أن عباس باشا عين بعد ذلك اثنين من الحكمدارين هما اسماعيل حقي باشا (أبو جبل) وجزائري سليم باشا فقد كان السبب في استدعاء حقي باشا بعد أقل من عام أن الباشا أراد أن يعهد إليه بقيادة اللواء الأول من الألوية الثلاثة المرسلّة لنجدة الدولة العثمانية في حرب القرم والتي أبحرت في يولية ١٨٥٣ (١٣٤) أما سليم باشا فقد حُكِّمَ حكامه في السودان في أواخر إبريل من العام نفسه ولكن صحته اعتلت حتى صار مهتماً (١٣٥) ويذكر صاحب تاريخ مملكة الفونج أنه ظل مريضاً إلى أن صار رفته في آخر جماد الأول سنة ١٢٧٠ « الموافق آخر فبراير ١٨٥٤ (١٣٦) ويؤيد ذلك كله ما جاء في رسالة القنصل النمساوي في الخرطوم الدكتور هوجلين Heuglin الذي كتب في يناير من العام نفسه أن سليم باشا كان مريضاً وأنه بسبب مرضه طلب إلى الحكومة المصرية أن تعفيه من منصب الحكمدارية وأضاف هوجلين إلى ذلك أن سليم باشا كان رجلاً أميناً (١٣٧) وقد خلفه في منصب الحكمدارية على باشا سري .

فاذا كانت هذه هي الأسباب التي أدت إلى كثرة تغيير الحكمدارين في السنوات القليلة التي قضاها عباس في الحكم وكان هذا التغيير الكثير من الأمور التي أخذت عليه فأن الوقوف على تلك الظروف التي أحاطت بتعيين الحكمدارين وعزلهم على النحو الذي سبق بيانه لا يدع سبيلاً إلى الشك في

Staat—Archiv. Gen. Cons. zu Alex. 1848—1860. No. 904. Alex 17. 8. (١٣٣)

.1852. Huber à von Buol—Schauenstein. Enclos. Report of Khartoum 25.5.1852

(١٣٤) طوسون . صفحات ٧٩ ، ٨٠ ، ٩٢ . أيضا 43 . Robinson. (Rulers).

. Robinson (Rulers). 43 (١٣٥)

. British—Museum. Ms. Or. No. 2345. p. 49 (١٣٦)

Staat — Archiv. Gen — Cons. Egypt 1854. No. 124. Cairo 12. 2. 1854. (١٣٧)

. Enclos. Report of Dr. Heuglin No. 2. Chartoum, 5. 1. 1854

أن عباساً ما كان يعتمد إلى تغييرهم دون مسوغ كما أنه ما كان يختار لماء هذا المنصب سوى الأكفاء الذين اشتهروا بالأمانة وواسع الدراية بأحوال البلاد التي عهدت إليهم إدارتها هذا إلى أن هؤلاء الحكمدارين استطاعوا على الرغم من قصر المدة التي قضوها كل منهم في منصبه أن يدفعوا غارات قبائل الدنكا على الحدود وعلى أطراف سنار الجنوبية (١٣٨) ويخضعوا السود في جبال تقلى بالسكردفان وقبائل البشاريين في السودان الشرقي ويردوا اعتداء الأحباش على الحدود الشرقية ويدعموا سلطان الحكومة وينشروا الأمن في ربوع السودان (١٣٩).

وتتبع عباس خطوات جده العظيم فأقبل على تشجيع معاهد التعليم الديني بالسودان فتعهد المساجد بالأصلاح والتعمير وهي إذ ذاك دور العلم والدرس وبيوت العبادة وأداء الفريضة الدينية وأجرى على القائمين بشئونها الرواتب (١٤٠) وأكرم فقهاء السودانين وعلماءهم وشجع منهم من أراد منهم الدراسة بالأزهر الشريف ثم أوصى بهم الحكمدارين عند عودتهم إلى بلادهم ومن هؤلاء الشيخ محمد السنوسي والشيخ أبو بكر محمد (١٤١) ولم يقف الأمر عند هذا الحد

(١٣٨) Brun—Rollet. 91—92.

(١٣٩) Staat—Archiv—Gen. Cons. Zu Alex. 1848—1860. No. 430. Cairo 16. 4. 1851. Enclos. Report No. 7. El Mucheref in Berber. 10. 3. 1851. Reitz to Huber, ibid Gen—Cons. Egypt 1854. No. 142. Cairo 12. 2. 1854. Enclos. Report of Dr. Heuglin. No. 2 Chartoum. 5. 1. 1854 ; also Budge II. 218.

ثم انظر: سر هنك: ج ٢: ص ٢٦١.

(١٤٠) عابدين . المعية (تركي) محفظة ١ رقم ١١٩ في ١٠ صفر ١٢٧٠ (١٢/١١/١٨٥٣) من عبد القادر وكيل الحكمدارية ومدير السكردفان إلى الباشماون .

(١٤١) عابدين . المعية (عربي) دفتر ٨٤ صادر رقم ٥٠ في ٦ ذي القعدة ١٢٦٨ (٢٢/٨/١٨٥٢) . من سعادة كئخدا باشا إلى حكمدار السودان ؛ أيضا دفتر ١٠١ صادر معية . رقم ١١٠٧ عرض في ٢٧ شوال ١٢٦٩ (٣/٨/١٨٥٣) من سعادة السكرتار إلى حكمدار السودان .

فقد أنشأ عباس في الخرطوم أول مدرسة نظامية في السودان ليكون نظامها موافقا لأصول المدارس المصرية (لإخراج أبناء السودان) من ظلمات الجهل وتنويرهم بأنوار المعارف، على أن تنسج المدرسة لنحو خمسين ومائتين من التلاميذ من أبناء « المشايخ والأهلين القاطنين بمديريات دنقلة والخرطوم وسنار والتاكة وملحقاتها وكذلك من (أبناء المصريين) الذين توطنوا بتلك الديار وأحفادهم، (١٤٢) واختار عباس لهذه المدرسة نخبة من الأساتذة الأكفاء أمثال محمد بيومي وأحمد طائل وخليفة محمود وعلى رأسهم ناظرهم رفاعه رافع الطهطاوى وكان هؤلاء من أعضاء البعث العلمية في عهد محمد علي أو درسوا بالمدارس المصرية وقد ساهموا جميعا في ترجمة عدد لا يستهان به من كتب العلوم والفنون (١٤٣) وقد ضم إليهم عباس بعض علماء الأزهر الشريف (١٤٤) وافتتحت هذه المدرسة في يولية ١٨٥٣ (١٤٥).

بيد أن تأسيس مدرسة الخرطوم ما يزال يعزوه الكثيرون إلى رغبة عباس باشا في إقصاء بعض من فقدوا عطفه ورضاه لذلك حق علينا أن نقرر الآن أن إنشاء مدرسة حكومية واحدة في عاصمة السودان كان جزءا من البرنامج التعليمي الذي اتبعه في مصر ذاتها والذي انبرى بعض كبار الباحثين من علماء الأفرنج لتوضيح أغراضه بصورة لاتدع مجالا للشك في أن الباشا لم يكن

(١٤٢) عابدين . المعية (تركي) دفتر ١٩٥٨ (قرارات المجلس الخصوصي) رقم ٤ في ١٧ رجب ١٢٦٦ (١٨٥٠/٥/٢٨) من المعية السنوية إلى حكمدار السودان وإلى رفاعه بك . (١٤٣) Heyworth - Dunne. 171, 269, 297.

(١٤٤) عابدين . المعية . دفتر ١٥٨ (مدارس عربي) رقم ١٨٦٥ في ٢٠ رجب ١٢٦٦ (١٨٥٠/٥/٣١) من ديوان المدارس إلى شيخ الجامع الأزهر؛ ثم رقم ١٩٦٢ في ٢٨ رجب ١٢٦٦ (١٨٥٠/٦/٨) من الديوان إلى مدرسة الخرطوم .

(١٤٥) عابدين . المعية . دفتر ١١٧ وارد معية (عربي) رقم ٣٥ في ٧ شوال ١٢٦٩ (١٨٥٣/٧/١٤) من حكمدار السودان إلى المعية .

ذلك الرجل الذي يعتمد إلى إلغاء معاهد العلم بحجة قلم دون تقدير للعواقب (١٤٦) ومهما يكن من الأمر فإنه منذ صدر القرار بتأسيس المدرسة سافر رفاعة وصحبه إلى الخرطوم في غضون شهر بونية ١٨٥٠ وظل عباس يصدر الأوامر بضرورة بدء العمل . ومن ذلك ما جاء في كتاب ديوان المدارس إلى رفاعة في ابريل ١٨٥١ للاستفسار عن سبب تعطيل الدراسة مع أن رفاعة إنما عين « على نظارة هذه المدرسة كي بذلك يصير الحصول على مامو مأمول (في حضرته) وتلاميذ هذه المدرسة تمكسب العلوم والمعارف » (١٤٧) وقد حدث هذا مرة ثانية في يوليو ١٨٥٢ ومرة ثالثة في ديسمبر من العام نفسه (١٤٨) إلى أن افتتحت المدرسة أخير أيام حكمدارية سليم باشا .

ولاشك في أن رفاعة كان المسئول الأول عن ذبوع الاعتقاد بأن عباس باشا إنما اتخذ إنشاء المدرسة ذريعة لإبعاد رفاعة وزملائه المغضوب عليهم إلى « المنفى » في السودان (١٤٩) فقد ظل رفاعة يشكو مر الشكوى من وجوده هناك « بوسيلة نظارة مدرسة الخرطوم » ونقل شكواه هذه وشكوى زملائه وفي طليعتهم بيومي افندي اثنان من الأجانب الذين قابلوا رفاعة في عاصمة السودان أحدهما بيار تيلور Bayard Taylor والآخر جورج مللي Melly ومع ذلك فقد وجد « مللي » مسوغا قويا لإبعاد رفاعة وزملائه ومن نحا منحاهم إذ يقول « ويبدو أن هؤلاء قد أسخطوا الباشا عليهم لأنهم كانوا يحاولون إملاء إرادتهم عليه كما كانوا يتبرعون بأسداء النصيح من تلقاء أنفسهم

(١٤٦) Heyworth—Dunne. 292 et seq .

(١٤٧) عابدين . المعية . دفتر ٢٠٩ (مدارس عربي) رقم ١٦٩٥ في غاية جمادى الثانية ١٢٦٥ (١٨٥١/٤/٥) من ديوان المدارس إلى ناظر مدرسة الخرطوم .

(١٤٨) عابدين . المعية . دفتر ٢١ (مدارس عربي) رقم ٣٣٥٦ في ٥ شوال ١٢٦٨ (٢٣/

٧/١٨٥٢) من ديوان المدارس إلى ناظر الخرطوم؛ ثم دفتر ٢٤٩ (مدارس عربي) رقم ٦٠٠ في ٩ ربيع أول ١٢٦٩ إلى ناظر الخرطوم .

(١٤٩) رفاعة : ٢٦٥ .

ولأن الباب العالي كان يدفع لهم مالا لقاء تعهدهم بخدمته إذ كانوا يميلون إلى تأييد مصالحه وهذا هو الرأي الراجح — وسواء أفعّلوا ذلك حقيقة أم كان الأمر لا يخرج عن حد الحسد والتخمين فأن اعتداء السلطان على حقوق مصر أمر معروف مشهور على أن ترحيب السلطان بأولئك الموظفين، من رجال حكومة القاهرة لا يدع مجالاً للشك في سوء نواياهم ونحو عباس باشا وقال «مالي» أيضاً عن حكومة عباس إنها «أعظم ميلاً إلى تأييد حرية التجارة وأشد رغبة في العمل لصالح هذه البلاد من أية (حكومة) سابقة» أضف إلى ذلك «أنه نجم عن (إرسال أمثال هؤلاء الرجال) إلى المنفى أن صارت مديريات السودان تستمتع بحكومة حسنة ذلك بأن مقاليد الأمور في الخرطوم وبربر ودنقلة وفازو غلي وغيرها قد تسلمها الآن رجال ذوو فطنة وذكاء تعددت أسفارهم وأفادوا من ملاحظاتهم الدقيقة» (١٥٠).

ولم تقف جهود عباس عند هذا الحد فقد ألغى منذ عام ١٨٤٩ احتكار تجارة الصمغ في مصر والسودان كما ألغى نظام العهد (١٥١) وفي يناير من العام التالي كتب شارلس مري Murray القنصل الانجليزي في مصر إلى حكومته بأنه نجم عن إلغاء احتكار الصمغ والسنامكي ومنتجات سنار الأخرى أن استظاع كثير من الأوربيين أن يشتغلوا بالتجارة وقد نصيح مري حكومته بأن تعين لخدمة مصالحها قنصلاً في الخرطوم أسوة بما فعلته الحكومة النمساوية (١٥٢) إذ عينت البارون ملر Muller أول قنصل لها في الخرطوم في بداية عام ١٨٥٠ (١٥٣) وعينت الحكومة الإنجليزية جون بتريك Petherick نائب القنصل في الخرطوم (١٥٤)

(١٥٠) . Melly. II. 101—102

(١٥١) أمين سامي : المجلد الأول من الجزء الثالث ص ٣٣ : ثم أنظر : Arminjon. 37.

(١٥٢) F. O. 78/840. Turkey (Egypt) No. 2. Gairo 3. 1. 1850. Murray to Palmerston .

(١٥٣) . Abdin—Amer. vol. I. No. 10 Alex. 8. 1. 1850 Mc. Cauley to Dep. of State

(١٥٤) . Petherick. II. 156

وكان لافتتاح النيل الأبيض للملاحة منذ رحلات سليم بمباشى أثر عظيم في التجارة ومع أن عبد اللطيف باشا حكمدار السودان أراد المساهمة في هذه التجارة إلى حد احتكار الملاحة في النيل الأبيض لحسابه فأن عباسا لم تكذب تلغته شكاوى التجار والقناصل من لطيف باشا حتى أرسل يستوضحه الأمر (١٥٥) ثم أظهر استياء شديدا من مسلكه . جاء في رسالة له إلى استيفان بك وكيل الشئون الخارجية « إنه إذا كان الحكمدار المومى إليه في الحقيقة يتعمد وضع تجارة صنف الصمغ تحت يد واحدة (أى احتكارها) ويتدخل في معاملات الأجانب التجارية ويقصد إيذاءهم فلا شك أنه قد ارتكب خطأ وأن مثل هذه الحركات لا توافق رضانا من كل الوجوه ولا تحوز قبولنا ولا يمكن إغماض العين والسكوت على حركات الباشا المومى إليه غير المرضية حيث أنها مغيرة لإرادتنا ورغبتنا ، بناء عليه قد رأيت من الواجب أن أبدى النصيح اليه وأرجعه إلى دائرة التربية والأدب » (١٥٦) وعلى ذلك كتب عباس إلى عبد اللطيف يحذره مغبة المضى في خطته قال « إن جرأتكم وميلكم إلى ارتكاب هذه الأفعال غير المرضية خلاف المأمول أوجبت استغرابي وأثارت غضبي فيا عبد اللطيف هل نسيت بسرعة نعمة الالتفات والتوجه المبذولين في حقك أثناء تعيينك حكمداراً للسودان وسفرك من هذا الطرف : هل هذه هي الخدمة الحسنة والشكر الواجب على رغم عليك يقينا بأن إرادتي موجهة لحرية التجارة واعدم الظلم والتعدي على أى أحد كان بدون حق . . . » وهدده عباس بحرماته « من الرتبة والنياشين والمرتب

(١٥٥) عابدين . المعية . محفظة ١٩ رقم ١٠٢ في ٨ صفر ١٢٦٧ (١٢/١٣/١٨٥٠)

من المير وكيل الأمور الخارجية اصطفاى إلى (السكراتير الخاص)

(١٥٦) عابدين . المعية . (تركي) . دفتر ٤٧٥ رقم ٣٠٤ في ١٧ صفر ١٢٦٧ من الجناب

العالى إلى استيفان بك وكيل الأمور الخارجية .

السنوى ، إذا مضى فى سياسته (١٥٧) وقد انتهى الأمر بإعلان حرية الملاحة فى النيل الأبيض واستدعائه من السودان فى بداية عام ١٨٥٢ (١٥٨) وقد كان لإعلان حرية الملاحة فى النيل الأبيض خلال العامين التاليين ١٨٥٣ و ١٨٥٤ نتائج لها خطرهما إذ سرعان ما أصبحت أقاليم النيل العليا حول غندكورو بنوع خاص ميداناً لنشاط تجارة الرقيق هذا إلى أن نظام الضرائب الذى وضع منذ أيام الفتح الأولى صار فى حاجة ظاهرة إلى التعديل من حيث توزيعها وتحديد فئاتها والغاء بعضها وتخفيف البعض الآخر وإعادة النظر فى طرق جبايتها وعند وفاة عباس فى يولييه ١٨٥٤ كان المجال ما يزال متسعاً لإدخال ضروب الإصلاح المختلفة فى السودان ووقع عبء هذه المهمة الجديدة على كاهل خليفته سعيد .

وقد احتل السودان مكاناً ظاهراً من تفكير سعيد وكان له حظ كبير من عنايته فعمل على تنمية موارد البلاد واستثمار ثروتها الطبيعية لفائدة السودانيين وعنى بتنشيط التجارة المشروعة وتوثيق العلاقة التجارية القائمة بين مصر والسودان وتوطيد نفوذ الحكومة فى الخرطوم وفى الأقاليم الخاضعة لسلطانها وتأمين الحدود من ناحية الحبشة فى الشرق ودارفور فى الغرب والنيل الأبيض فى الجنوب ومكافحة الرق والنخاسة والتوسع فى إشراك العناصر الوطنية السودانية فى الحكم والإدارة توسعاً كبيراً

وانتظر أهل السودان الخير كل الخير على يد الوالى الجديد لما عرف عن حبه للإصلاح (١٥٩) ولذلك كان لاعتلائه أريكة الولاية رنة فرح فى

(١٥٧) عابدين . المعبة . (نركى) دقتر ٤٧٥ رقم ٤٣٩ فى ١٧ صفر ١٢٦٧ من الجانب العالى إلى حكمدار السودان .

(١٥٨) Staat — Archiv. Gen. Cons. 1848 — 1860. No. 1479. Cairo b. I. 1852. C. W. Huber to von Schwarzenberg .

(١٥٩) . Abdin — Amer., vol. II, No. 8 Alex. 23. 1854. Edwin de Leon to Marcy .

السودان فأقيمت الحفول الكبيرة وعمت مظاهر السرور . كتب هوجلين القنصل النمساوى بالخرطوم يقول « ويعقد كبار الشيوخ (من السودانيين) واسع الآمال ويتوسمون الخير العميم على يد سعيد باشا وهم على ثقة من أن رغباتهم سوف تلقى على الدوام آذانا واعية في القاهرة » (١٦٠) وقد حقق سعيد آمال السودانيين فاتاح لهم فرصة الاتجار مع مصر في حرية وأمان إذ ألغى الضرائب الجمركية على التجارة الداخلية بين أقاليم الوادى وخفض ما يحصل من رسوم على المتاجر المرسلة من السودان لتصديرها إلى الخارج (١٦١) قال هوبر Huber القنصل النمساوى في مصر « إن البضائع الواردة من النوبة ودنقلة والخرطوم وسنار وكردفان وفازو على أصبحت تعتبر بضائع مصرية فلا تدفع رسوما قط ولا يفرض عليها أى شىء طالما كانت تستهلك في داخل البلاد » (١٦٢) .

وفضلا عن ذلك فقد أمر سعيد بحماية «رسوم إمرارية» طفيفة على البضائع الواردة من دارفور والبحر الأبيض — وهى البلاد التى ظلت خارجة عن سلطان الحكومة «على ذمة التصدير إلى جهات خارج الحكومة» (١٦٣) وكان من أثر ذلك «أن توثقت العلاقات بين السودان ومصر إلى حد كبير» كما قال هوبر .

ويظهر مدى اهتمام سعيد بالسودان من الطريقة التى حاول بها معالجة الرق والنخاسة في شطر الوادى الجنوبى وتعيين أخيه الأمير عبد الحليم باشا حاكما رآ على السودان هذا إلى قيامه بزيارة القطر الشقيق وبما هو جدير

(١٦٠) . Staat, Archiv. Gen. Cons. 1848—1860. No. 1664. Constple. 28.10.1854

. Enclos. No. 282. Chartoum, 23 August 1854 Heuglin to Huber

(١٦١) أمين سامى : المجلد الأول من الجزء الثالث . صفحات ٩٠ ، ١٠٧ .

(١٦٢) . Staat — Archiv. Gen. Cons. Zu Alex. 1848 — 1860. No. 1473. Alex.

. 16. 10. 1855. Huber to Minister

(١٦٣) أمين سامى : نفس المرجع . صفحة ١٥٠ .

بالذكر أن كتابا كثيرين ظلوا يعتقدون أن الغرض من تعيين الأمير حلیم في منصب الحكمдар إنما هو رغبة سعيد في إقصائه وإرساله إلى « المنفى » حتى يطمئن في القاهرة لأنه كان لحليم حقوق في وراثه الولاية (١٦٤) ولكن هذا القول لا نصيب له من الصحة لأن ثقة سعيد في أخيه كانت عظيمة كما أن اختيار الأمير لهذا المنصب كان بناء على رغبته هو (١٦٥) وعلاوة على ذلك فقد كانت هناك دوافع ملحة لهذا التعيين منها ما كان متصلا بمشروعات سعيد السياسية وأهمها توسيع تلك الحقوق والامتيازات التي كفلتها فرمانات لمصر والرغبة في تعديل الوراثة حتى تصبح وراثة صليبية في أسرة محمد على لتأييد مسند الولاية ومنع أى تدخل من جانب الأتراك في شئون البلاد وتعطيل الإصلاحات اللازمة للنهوض بها (١٦٦) ، ثم الاستقلال بمصر إذا سنحت الفرصة (١٦٧) على أن سعيداً كان يريد أن يوفد إلى السودان حاكماً يثق به كل الثقة يعمل على توفير أسباب الراحة للسودانيين ويصغى إلى كل ما قد يكون موضع شكواهم ويوطد سلطان الحكومة ويتخذ الأهبة لاستقبال سعيد نفسه إذا دعت الظروف إلى الانتقال إلى السودان واتخاذ الخروطوم مقراً لحكومته . قال ساباتيه Sabatier القنصل الفرنسى في مصر عام ١٨٥٥ (١٦٨) « لقد عين حلیم باشا حكمداراً على السودان وفي استطاعته إذا أحسن تصريف الأمور أن يبرر تلك الثقة التي حباه بها الجناب العالى وأن يدخل تحسينا

. Robinson. (Rulers). 44 (١٦٤)

. Halim Pacha. 742 (١٦٥)

. Mariette. 45 (١٦٦)

. Shukry. 18—21 (١٦٧)

Aff. Etr. Egypte (26). No. 122. Caire 30. 11. 1855. Sabatier à M. le (١٦٨)

. Comte Colouna Walewski

كبيراً على أحوال السودانيين . . . هذا إلى أن حليها (الذى قلد منصب
الحكمدارية فى ٢٤ نوفمبر)^(١٦٩) سوف يصطحب جماعة من الأوربيين الذين
يريد الانتفاع بهم فى دراسة مختلف المسائل الجغرافية الخاصة بمجرى النيل
الأعلى الذى تعذر حلها إلى الآن ، وبعد شهور قلائل من سفر الأمير كتب
« إدوين دى ليون ، Edwin de Leon الأمريكى إلى حكومته فى مايو
١٨٥٦ »^(١٧٠) « إنه لا مجال للشك فى أن سعيد باشا سيكون متأهباً عند سنوح
الفرصة ليقوم بنفس الدور الذى قام به محمد على من قبل إذ نصب سعيد
أخاه عبد الحليم باشا حكمداراً على الأقاليم السودانية تلك الأقاليم التى تعتبر
المدخل إلى قلب إفريقية الوسطى والطريق الموصل إلى بلاد العرب على أن
سعيدا يقف موقف الملاحظ الدقيق الذى يرقب فى حذر وانتباه نتائج ما ألم
بتركيا من ضعف يتزايد على الأيام كما يرقب آثار تلك المنافسة الظاهرة بين
الدول الأوربية » أما ما كان ينتظر من إصلاح على يد الحكمدار فقد تحدث
عنه الأمير نفسه بعد حوالى ثلاثين عاماً فقال « إن ما أوصانى به أخى (من
ضروب الإصلاح ووسائله) التى يجب على اتخاذها . . . أنه كان يهدف إلى
ضرورة دعم أركان الأمن وإدخال الطمأنينة ، على نفوس الأهلىين ولما كان
أساس المساوىء التى يشكو منها السودانيون راجعاً إلى طغيان تجار الرقيق
فى أقاليم النيل العليا وتعطيل التجارة المشروعة فى النيل الأبيض فقد بات
القضاء على تلك المساوىء يتطلب إنشاء المحطات أو المراكز العسكرية على
طول النيل الأبيض وفرض رقابة فعالة على الملاحة فى هذا الجزء من
النهر »^(١٧١)

(١٦٩) أمين سامى : نفس المرجع . ص ١٦١ — ١٦٢ : 44 Robinson (Rulers)

(١٧٠) Abdin. Amer. vol II. Alex. 1. 5. 1856. Edwin de Leon to Marcy

(١٧١) Halim. 742

لهذا لم يكفد الأمير يصل إلى الخرطوم حتى « فحص الشؤون والأحوال ونظر في كافة الأعمال لإصلاح المعوج منها بقدر الإمكان (١٧٢) » كما أنه أدخل بعض التغييرات الإدارية لتسهيل مهمة الحكومة وتأمين الحدود ونشر ألوية الأمن في أقاليم البحر الأبيض (١٧٣) وقد استحق الأمير الحكمдар ثناء سعيد باشا فكتب إليه يقول « حصل لنا غاية السرور من ذلك واقتضى إصدار هذا لحضرتكم كي بحسن تدابير اتكم يصير الحصول على المقصود من إدخال كمال الأمن والأمان على ما كان بالديار المذكورة وإعلان البشر ولين الجانب وما تطمئن به قلوبهم » (١٧٤) غير أن عبد الحليم لم يعمر طويلا في تلك البلاد فقد انتشر فيها الوباء الأصفر وأشار عليه الأطباء بالرحيل عن الخرطوم فعاد إلى مصر وبعد زوال هذا الوباء زار سعيد السودان (١٧٥).

وكان الغرض من هذه الزيارة أن يقف الباشا بنفسه على حقيقة الأحوال في الأقاليم السودانية وإجراء الإصلاحات التي ظهرت ضرورتها بعد انقضاء نيف وثلاثين عاما على وضع الترتيبات المالية والإدارية التي ظلت سارية في السودان منذ أيام الفتح الأولى فقد أمر محمد علي حاكم السودان على خورشيد « بتنظيم أمور سنار عند وصوله إليها » فبادر خورشيد « بالاجتماع مع مأموري المصالح وعقد معهم مجلسا وتداولوا في المصالح أو الشؤون المجدية وغير المجدية لذات المصلحة » ليحيوا الترتيبات المالية التي وضعها المعلم حنا الطويل أيام الأمير اسماعيل ثم أعد على خورشيد تقريرا مطولا عن نتيجة ما وصل إليه الرأي في ترتيب « الميرى » وجباية الضرائب وتوزيع الفردة

(١٧٢) سر هنك — ج ٢ : ص ٢٦٨ .

(١٧٣) Bolognesi. 386 ; D'Aumont. 195—196 .

(١٧٤) أمين سامي : نفس المرجع ص ١٥٥ .

(١٧٥) شقير : ج ٣ : ص ٣١ : تاريخ ملوك السودان وأقاليمه . ص ١٤٠ .

وما إلى ذلك وعند وصول هذا التقرير إلى القاهرة انعقد مجلس المشورة في أغسطس ١٨٢٦ بحضور البك الدفتر دار والمعلم حنا الطويل وبعض كبار رؤساء المصالح « للبحث في التقرير الذي قدمه حكمدار السودان »^(١٧٦) وأسفر البحث عن وضع القواعد المالية التي أخذت بها حكومة السودان من ذلك الحين إلى وقت زيارة سعيد باشادون أن يعثورها أي تغيير غير أن النهضة العمرانية العظيمة التي بذر بذورها محمد علي ثم تعهدا برعايته حتى نمت في عهده وفي عهد خلفائه سرعان ما أحدثت آثارا عميقة في حياة البلاد الاقتصادية فظهرت مدن جديدة واختفت أخرى أو فقدت أهميتها وانتعشت الزراعة في بعض الجهات وانصرف الناس في جهات أخرى إلى الاشتغال في مصانع النيلة وغيرها كما ازدهمت بالسكان بلدان وكادت تقفر أخرى من ساكنيها وفضلا عن ذلك فقد اختلفت قوة النقود الشرائية تبعا لزيادة النشاط التجاري كما حدث بسبب ازدهار تجارة العاج وانتشار تجارة الرقيق أن غادر كثيرون الحقول وذهبوا إلى أقاليم النيل العليا يبعثون الربح السريع وقد استلزم ذلك كله إعادة النظر في تقدير الضرائب وتوزيعها وطرق جبايتها وتخفيف العبء عن كاهل الأهالي الذين ظلوا يفلحون الأرض ويزرعونها على جانبي النيل وفي أرض سنار الخصيبة وفي جهات السكردفان وقد تحدث عن هذه المسائل جميعها في كثير من التفصيل والإسهاب قنصل النمسا العام في الخرطوم الدكتور هوجلين إذ أرسل إلى حكومته في عام ١٨٥٢^(١٧٧) عدة تقارير في

(١٧٦) عابدين . المعية . محفظة ١٩ بحر ٠١ رقم ٢٢ . صورة محضر مجلس المشورة الذي انعقد في يوم السبت الثامن من محرم ١٢٤٢ (١٨٢٦/٨/١٢) .

(١٧٧) Staat—Archiv. Consul. Rep. No. 1055. Alex 30. 6. 1854, Enclo. Kart-
oum 25. 4, 1854. Report of Dr. Heuglin; ibid. Gen—Cons. Egypt 1854. No.
142. Cairo 12. 2. 1854. Enclos. Chartoum 5. 11. 1854. (Rep. of Dr. Heuglin);
ibid. Gen. Cons. 1848—1860. No. 1664. Constple. 28. 10. 1854. Enclos. Chart.
23. 8. 1854. Heuglin to Huber

هذا الشأن وحذا حذوه وكيل القنصل الانجليزى هناك جون بتريك^(١٧٨) وكثيرون غيرهما وهكذا أصبحت هذه الترتيبات المالية القديمة مثار الشكوى لدى الأهاليين ولم يكن فى استطاعة الحكمدارين أن يفعلوا شيئا دون أن يدخل تغيير جوهرى شامل على التنظيم المالى والإدارى فى هذه البلاد ورأى سعيد أن يذهب بنفسه إلى السودان حتى يدرس الأحوال عن كسب وبما قاله سعيد للقنصل الفرنسى ساباتييه^(١٧٩) إن غرضه الوحيد من السفر إلى سنار أن يتمكن من زيارة الأقاليم السودانية التى فتحتها والده حتى ينظر فى عناية بالغة فى اتخاذ كل ما يقتضيه الحال من إصلاح لتحسين شئون السودان وأهله وبعث هو بر القنصل النمساوى فى مصر إلى حكومته فى أول نوفمبر ١٨٥٦ برسالة يبين فيها سبب هذه الرحلة فيقول إن سعيدا ذكر له فى أحد أحاديثه معه أنه يرجو من وراء تفتيشه هذه الأقاليم السودانية الداخلة تحت إدارته أن يصيب نجاحا فى ميدانى الإدارة والسياسة بالعمل على إزالة كل أسباب الشكوى واستمالة رؤساء القبائل وتأمين الحدود بالوسائل السلمية من ناحيتى الحبشة ودارفور^(١٨٠) وفى اليوم السابق لسفره جمع سعيد القناصل لمقابلته وتحدث اليهم عن الغرض من رحلته إلى السودان فقال إنه يريد أن « يفحص إدارة السودان فحصا دقيقا لأن البلاد مضى عليها حوالى ثمانية وثلاثين عاما دون إعادة النظر فى شئونها المالية وتوفير الأسباب التى تمكن من تنمية مواردها » وبما يجدر ذكره أن سعيدا قال فى أثناء هذه المقابلة إنه يعتزم إرجاع

(١٧٨) عابدين . المية (تركى) دفتر ٤٧٥ رقم ٤٣٩ فى ١٧ صفر ١٢٦٧ من الجناح العالى إلى حكمدار السودان مرفق حرف (ج) ترجمة الكتاب المؤرخ ٢١ حزيران (يونيه ١٨٥٠) الوارد من جون بتريك المقيم فى كردفان إلى جناب الميسو جلبرت وكيل قنصل الانجليز العام . ثم انظر : Petherick. 105, 128, 130 et seq .

(١٧٩) Aff. Etr. Egypte (27). No. Alex. 30. 11. 1856. Sabatier à Walewski

(١٨٠) . Staat—Archiv. Gen — Coas. Zu Alex. 1856. No. 31/2007. Alex. 1. 11.

1856 Huber to Buol—Schauenstein

هذه البلاد الى المشايخ والملوك من زعمائها الوطنيين إذا اتضح أنه بات من المتعذر إجراء الإصلاح المطلوب على أن هو بر عندما نقل خبر هذه المقابلة وهذا الحديث إلى حكومته^(١٨١) وجد من واجبه أن يسجل ملاحظة دامة على قول سعيد باشا الأخير فسكتب يقول : إن ما ذكره سعيد باشا عن إرجاع البلاد إلى المشايخ والملوك لا يتفق مع ما يعرفه الجميع عن آرائه التي صرح بها مرارا طوال المدة السابقة تلك الآراء التي يتضح منها أنه ينظر إلى امتلاك السودان باعتباره مسألة على جانب كبير من الخطر والأهمية ، ولا جدال في أن موضوع إخلاء السودان وانسحاب الحكومة المصرية منه على النحو الذي يصوره بعض المؤرخين من الموضوعات التي يجب ألا تترك دون تمحيصها والفحص عن حقيقتها لأن التفكير في إخلاء السودان ما كان يدور بخلد سعيد وربما كان خاطرا عابرا فإن الباشا ما كان يتخيل قط أنه عاجز عن إصلاح السودان أو أن السودانيين قد يفيدون شيئا من انسحاب الحكومة المصرية من بلادهم أو أنهم يستطيعون ملء الوظائف الإدارية والعسكرية الكبيرة في وقت كان يتطلب المحافظة على حدود البلاد وإنعاش حياتها الاقتصادية رجالا كسبوا مرانا وخبرة في شئون الحكم والأدارة وفنون الحرب والقتال . وكان السبب في ذبوع أسطورة إخلاء السودان تلك الرواية التي اختلقها فردنند دلسبس Lesseps « صديق » سعيد فقد أثبت في « ذكريات رحلته إلى السودان » تفاصيل حديث دار بينه وبين الباشا جاء فيه أن الوالى المصرى شكاه إليه من حرج الموقف الذى وجد نفسه فيه واستحالة إصلاح شىء وإزالة ما كان يشكو منه السودانيون ثم قال إنه لا يجد سبيلا للخروج من هذا المأزق سوى ترك السودان^(١٨٢) وقد نقل الكتاب عن دلسبس هذه الأقصوصة واعتقد

(١٨١) Staat— Archiv. Gen— Cons. Zu Alex. 1856, No. 32, Cairo 28.11.1856

. Huber to Buol-Schauenstein

. Lesseps. Souvenirs d'un Voyage au Soudan. Paris 1848 (١٨٢)

صحتها كثيرون ومع هذا فالأدلة موفورة على أن هذه الرواية لا نصيب لها من الصحة على الإطلاق إذ أن دلسبس لم يشر إلى هذا الحادث لأول مرة إلا بعد ثمانية عشر عاما (١٨٣) أما تفاصيله فلم ينشرها إلا بعد سبع وعشرين سنة من وقوعه ولعله مما يشكك في صحة الرواية قوله إن سعيدا أبدى هذه الرغبة وهما يتناولان الطعام على مائدة واحدة « منفردين » ولم يحضر هذا الحديث غيرهما (١٨٤) وقد حرص دلسبس على إعادة ذكر هذا الحادث في مناسبات تالية (١٨٥) وهذا الاحتراس الذي أبداه دلسبس حين ذكر أن أحدا غيره لم يستمع إلى حديث سعيد باشا فيه ما يكفي للتشكيك في صحة هذه الرواية وبخاصة إذا عرفنا أن سعيدا كان يصحبه في رحلته إلى السودان عدد من الأجانب غير دلسبس منهم موجيل بك Mougel الذي رافقه حتى كورسكو (١٨٦) وپوپولاني Popolani قنصل البرتغال العام وباولينو بك Paolino اليوناني الأصل الذي سبق له أن صحب محمد علي إلى فازوغلي (١٨٧) هذا عدا هوجلين القنصل النمساوي والدكتور إجناز كنوبلخر Knoblechter رئيس البعثة الكاثوليكية (التبشيرية) في الخرطوم وقد لازم كلاهما سعيدا خلال وجوده في السودان وأطلعاه على كثير من الحقائق ووثق بهما الباشا وكان لآرائهما أثر ظاهر في مختلف ضروب الإصلاح التي صدرت بها مرسومات الخرطوم الأربعة في يناير ١٨٥٧ (١٨٨) وإنه لما يدعو إلى

. Lesseps. op. cit. 495 (١٨٣)

. Lesseps. op. cit. 496 (١٨٤)

. Lesseps. (Souvenirs de quarante ans) vol II. 47—48 (١٨٥)

Staat—Archiv. Gen. Cons (1856). No. 32. Cairo 28. 11. 4856; also (١٨٦)

. Abbate. 5

. Abbate. 52 (١٨٧)

Staat—Archiv. Gen — Cons. Zer Alex und Cairo. 1857. No 5 Cairo (١٨٨)

. 1. 3. 1857; ibid No. 6/323 Cairo 11. 4. 1857

الخيرة والريبة ألا يطلع الباشا أحدا من هؤلاء على نيته وثقته بهم عظيمة ويختص دلسبس فينضى اليه بمكتون سره مع أن أقل ما يمكن أن يقال عن دلسبس في ذلك الحين أنه لم يكن مقربا من سعيد ولم يكن الباشا راضيا عن سفره إلى السودان (١٨٩) لأن دلسبس على ما رواه المعاصرون ما كان يهنيه شيء خلال هذه الرحلة سوى الإلحاح على سعيد حتى يظفر منه بالموافقة على كل ما كان لديه من مسائل خاصة بامتياز قناة السويس وقد نشر طيبب سعيد الدكتور أباته Abbate أخبار هذه الرحلة عقب عودته منها ولم يشر بتاتا إلى رغبة سعيد في إخلاء السودان (١٩٠) هذا إلى أن هوجاين ظل يبعث إلى حكومته بأنباء تلك الرحلة تباعا وبالتفصيل منذ بدئها حتى نهايتها ومع ذلك فإنه لم يشر إلى مسألة الإخلاء على الإطلاق ولما كان إرجاع السودان إلى المشايخ والمسكوك الوطنيين من المسائل التي لا شك في أنها تثير اهتمام السودانين ولما كان اتخاذ مثل هذه الخطوة لا يمكن أن يظل الحديث عنه سرا مكتوما فقد كان من المعقول — لو كان الأمر صحيحا — أن يذكر السودانيون عنه شيئا في توارخهم ولكن صاحب (تاريخ ملوك السودان وأقاليمه) لم يتناول هذه المسألة على خطرها (١٩١) كما أن ناسخ هذا المخطوط الذي وصل بحوادثه فيما بعد إلى عام ١٨٧١ اكتفى بإثبات رواية (تاريخ ملوك السودان) دون تغيير (١٩٢).

والواقع أنه لم يكن ثم ما يدعو سعيدا إلى التفكير في إخلاء السودان إذ أن الإصلاح لم يكن بالأمر الذي يصعب عليه إجراؤه بل إن سعيد باشا منذ وطئت قدماه أرض السودان لم يتوان في تنفيذ الإصلاحات التي

(١٨٩) أمين سامي: نفس المرجع هامش ١ صفحة ٢١٠.

(١٩٠) Abbate. 26-29; 47-54.

(١٩١) تاريخ ملوك السودان. ص ٤١.

(١٩٢) British Museum. Ms. Or. 2345; Macmichael. II. 40. (CCCXIV).

ارتأها ضرورية لتنظيم شؤون الحكم والإدارة وإزالة أسباب الشكوى فأعلن عند وصوله بربر في أوائل يناير ١٨٥٧ ابطال تجارة الرقيق (١٩٣) ثم جمع المشايخ وكل أولئك الذين جاءوا لاستقباله على اختلاف مراتبهم (وسأطهم) أن يؤمروا عليهم أميراً يختارونه من بينهم ممن يستبشرون بإمارته ويتوسمون فيه الخير للبلاد وتحصل على يده السكينة والخلود إلى الطاعة وأن يقدروا مبلغ الخراج الذى يسهل عليهم القيام به بلا كلفة ولا مشقة ففرح الحاضرون بذلك « وطلبوا أن يربط على كل ساقية خراجا قدره مائتان وخمسون قرشا في كل سنة ، فلم يرتج سعيد إلى ذلك ، لسكنته مع حاجة البلاد إلى التخفيف (وأمر) بالألا يزيد خراج كل ساقية عن مائة وخمسين قرشا وخراج كل فدان من أرض الجزائر خمسة وعشرون قرشا وأما أراضى العلو فعشرون قرشا لا غير فكان لهذا العمل أحسن وقع في قلوب سائر الرعية وفرحوا فرحا لا يوصف وأخلدوا إلى السكون والطاعة وهنا بعضهم بعضا وأرسلوا يستقدمون من هاجر منهم وترك الأوطان ، (١٩٤) .

ولم يكد يصل إلى شندى حتى أعلن في حضور الرؤساء والمشايخ الذين هرعوا لمقابلته « إنه سوف يعيد إلى مصر كل الموظفين الترك ويترك إلى الأهلين وسكان البلاد أمر العناية بشئونهم بأنفسهم وأنه يريد أن ينشئ بينهم المجالس (المحلية) التى هى فى الحقيقة العامل الرئيسى الذى لاغنى عنه فى وجود كل الجماعات المنظمة ، ثم يقول « لسبب ، إن الباشا كلفه البقاء فى شندى بضعة أيام حتى يتعاون مع رجاله فى تأليف هذه المجالس على أن يكون تكوينها من بين رؤساء الأسر بطريق الانتخاب (١٩٥) ، عنده صوله إلى طلميم

(١٩٣) شقير : ج ٣ : ص ٣١ — ٣٢ .

(١٩٤) . Abbate. 4 .

(١٩٥) . Lesseps, (Souvenirs d'un Voyage) 496 .

أمر سعيد بطرد الموظفين الذين ثبت إهمالهم وكان بين المعزولين على چركس باشا الحكمدار ثم رئيس مجلس الخرطوم وهو المجلس الذى ينظر فى قضايا السودان وعين فى مختلف الوظائف عدداً كبيراً من أهل البلاد (١٩٦) وأخذ بعد ذلك ينظر فى الترتيبات « الموجبة لاستراحة الأهالى ورفاهيتهم فى مديريات التاكة وكردفان وفازوغلى وسنار بعد أن سبق له النظر فى الترتيبات اللازمة لمديرتى بروجاعلين، (١٩٧) وفى ٢٦ يناير عام ١٨٥٧ أصدر المرسومات الاربعة التى تضمنت القواعد الادارية والمالية الجديدة (١٩٨) أهمها تقرير الضرائب بالاتفاق مع أعيان البلاد على هيئة جمعية وجعل الفصل فى المنازعات والقضايا المحلية من اختصاص المشايخ والمسكوك وتشكيل مجلس لبحث القضايا التى يتعذر على هؤلاء الفصل فيها وتخفيض ضرائب الأتليان والسواقى وإنشطة جمعها بمشايخ البلاد إلى غير ذلك من الإصلاحات التى كانت تهدف إلى الترفيه عن السودانيين وإشراكهم فى حكومة بلادهم إشرافاً فعلياً وقد أجمل هو بر هذه الإصلاحات المتعددة فى تقرير مطول بعث به إلى حكومته فى ١١ مارس ١٨٥٧ أوجز فيه طائفة من البيانات التى بعث بها إليه هوجلين من الخرطوم فقال (١٩٩) « إنه قد أزيلت الآن جميع المساوىء بفضل القواعد والأنظمة التى وضعها سعيد باشا فقد ألغيت الحكمدارية العامة وأنقص عدد المديريات من ست إلى خمس وتسلم الإدارة فى هذه المديريات مديرون مسئولون عن عملهم مباشرة أمام حكومة القاهرة وفضلاً عن ذلك فقد ملئت الوظائف برجال جدد أكثرهم من المشايخ الوطنيين والمسكوك ثم استبدل بنظام الضرائب القديم

Staat — Archiv. Gen — Cons. Zu Alex. und Cairo 1857. No. 6/323 (١٩٦)
. Cairo 11. 3. 1857

(١٩٧) أمين سامى : نفس المرجع ص ٢٠٨ .

(١٩٨) . Merruau. 318—334 ; Abbate. 29—46 ; Lesseps, op. cit. 512—515

(١٩٩) . Staat — Archiv. Gen. Cons. Zu Alex. und Cairo 1857. No 6/323
. Cairo. 11. 3. 1857

نظام جديد أقل منه صرامة هذا إلى إلغاء ما كان متأخرا من الضرائب المستحقة التي ظلت عشرات السنين مدونة في سجلات المديرين كما ألغيت جميع الضرائب التي كانت تحصل على الحرف والصناعات وكذا جميع ضروب الاحتكار ... وقد خفض ما كان يطالب الفلاحون بدفعه إلى أقل حد مستطاع « ويقول لسبس « في وسع أى إنسان أن يذكر دون أن يتهم بالمغالاة أنه منذ صدرت هذه الأوامر والمرسومات بدأت البلاد تخطو خطواتها الأولى في طريق الحضارة والعمران » (٢٠٠) وقال « پول مريو » Merruau « لقد سن محمد سعيد خلال الايام القليلة التي أقامها بالسودان طائفة من القوانين تؤدي إلى استئصال المساوىء من جذورها ... وليس هناك ما يعيب تلك القوانين سوى أنها تنسم بطابع الحرية الواسعة التي لا تدرك قيمتها شعوب قبلية تكاد تعيش على الفطرة وما تزال راسفة في قيود الجهالة » (٢٠١)

وقد وعد سعيد باشا عزمه على أن ينهض بتلك « الشعوب القبلية » إلى مصاف الأمم المدينة وأدرك أن تحقيق ذلك متعذر إلا إذا سهل الاتصال بين السودان والعالم الخارجى لذلك عنى بإنشاء الطرق وتجهيزها في دنقلة والخرطوم وبناء سكة حديدية بين بربر وسواكن حتى تجد المنتوجات والمصنوعات الهندية والأوروبية طريقها إلى السودان فتزدهر تجارتها ويسهل تصدير محصولاتها إلى أسواق اليمن والحجاز وغيرها من الأسواق ولم يحل دون إنشاء السكة الحديدية بعد إعداد المشروع سوى ما يتكلفه بناؤها من فادح النفقات (٢٠٢)

ولعل أهم ما أسفرت عنه رحلة سعيد باشا إلى السودان توسعه في إشراك السودانيين في شئون الحكم والإدارة على نحو لم يسبق له مثيل فقد شكل المجلس والنادى واشترك المشايخ والمسكوك في تقدير الضرائب وعهد إليهم بتحصيلها

. Lesseps. (Memoire) .15 (٢٠)

. Merruau. 184 (٢٠١)

. Bonola 40 ; Abbate 54 (٢٠٢)

في المديرية وأقبل السكبايش وغيرهم على معاونة الحكومة في شئون الضبط والربط وتنصيب الشيخ رجب إدريس عدلان شيخاً على جبال الفونج (٢٠٣) وعين سعيد باشا على مديرية الخرطوم أراكيل بك الأرمني وهو شقيق نوبار وقريب بوغوص يوسف وزير محمد علي وقد اختاره سعيد لاعتقاده أنه الرجل الذي يدرك أهمية ما يريده الباشا من إصلاحات ومن ثم يعمل على تنفيذها في إخلاص وأمانة (٢٠٤) قال هوجلين « إن أراكيل علي ما يبدو هو في الحقيقة الرجل الذي خلق ملء هذا المنصب بسبب تربيته الإدارية وما يتحلى به من واسع المعرفة فضلاً عما كسبه من خبرة بفضل ما كان يشغله من المناصب » قبل مجيئه إلى السودان (٢٠٥) وقد نفذ أراكيل فعلاً الأصـلاح المنشود فألغى السخرة والعقوبات البدنية القاسية (٢٠٦) وعمل على استجلاب محبة الوطنيين وقرب منه الشيخ الزبير بن الشيخ عبد القادر الزين وظل الشيخ الزبير مدة « معه متولى أمور المشايخ ومتوسط بينه وبينهم » (٢٠٧) ومع أنه حدث في بادئ الأمر شيء من التذمر من جانب المشايخ والرؤساء السودانيين لتنصيب مسيحي عليهم فقد استطاع أراكيل بلين عريكته وحسن كياسته أن يجتذب قلوبهم إليه . قال عنه صاحب تاريخ ملوك السودان « كانت له مفهومية ودراية بالأحكام السياسية وكان لين العريكة للرعية » (٢٠٨) ومن أعماله أنه أنشأ مجلس تجار بالمديرية وطلب قانوناً من قوانين مجلس التجار الجاري بالمحروسة لفك الدعاوى بموجبه » (٢٠٩) وقام خير قيام بتنفيذ تلك

(٢٠٣) أمين سامي . ص ٢١٠ — ٢١١ ؛ تحقيق ج ٣ : ص ٣١ — ٣٢ .

(٢٠٤) أمين سامي . ص ٢١١ ؛ ثم 48 Abbate .

(٢٠٥) Staat—Archiv. Gen. Cons! Zu. Alex. und Cairo 1857

No/323 Cairo 1131854

• Lejean. (Voyage) 46 (٢٠٦)

• British Museum. Ms. Or. 2345. p. 50 ; Macmichael II. 402 (٢٠٧)

(٢٠٨) تاريخ ملوك السودان . ص ٤١ .

(٢٠٩) أمين سامي . ص ٢٣٠ .

المرسومات التي أصدرها سعيد وسمّاها أحد المعاصرين « دستور السودان الجديد » (٢١٠) وتوفي أراكيل بالخرطوم وعين سعيد مكانه حسن بك سلامة أو « سلامي » الشركسي ، وكان عفيفا ولم يمد يده إلى تناول شيء من الرعية كما هي عادته وسجيته » (٢١١) ثم خلفه محمد راسخ بك وقد أعيدت الحكمدارية بعد انقضاء مدته وعين موسى حمدي حكمدارا على عموم السودان في مايو ١٨٦٣ (٢١٢) فخادر القاهرة في آخر مايو ووصل الخرطوم في بداية أغسطس من العام نفسه ولم تسكد تمضي بعد ذلك ستة شهور أو نحوها حتى ذاع نبأ وفاة محمد سعيد باشا في ١٨ يناير ١٨٦٣ . وباعتلاء اسماعيل أريكة الولاية بدأت صفحة جديدة في تاريخ السودان .

(٢١٠) Lejean (Voyage) 36 .

(٢١١) تاريخ ملوك السودان . ص ٤١ .

(٢١٢) عابدين . المعية (تركي) دفتر ٥٢٧ أمر كريم رقم ١ في ٨ ذي القعدة ١٢٧٨ من اسماعيل باشا القائم الغديوي إلى موسى حمدي . ثم رقم ٣ في نفس التاريخ من دولة الباشا القائم إلى مديرية كردفان .

الخديو إسماعيل والعصر الذهبي في السودان

كانت السنوات الأربع عشرة التي سبقت اعتلاء إسماعيل أريكة الولاية بمثابة فترة انتقال في حياة السودان تأيدت في أثناءها وحدة الوادي بعد أن استهدفت الأقاليم السودانية للضياع بسبب أزمة التنظيمات الخيرية العثمانية ووضحت الحاجة إلى الإصلاح الإداري والاقتصادي بعد مضي حوالى نصف وثلاثين عاما على ذلك الترتيب الذى وضعه محمد على لحكومة البلاد وإنعاش حياتها الاقتصادية وأصدر سعيد مرسومات الخراطوم الأربعة (١٨٥٢) لسد هذه الحاجة ثم هدد كيان البلاد الاقتصادية والاجتماعى والسياسى ظهور مشكلة الرق والنخاسة في أواخر عهد سعيد بصورة بلغت من الخطورة حداً اقتضى علاجاً سريعاً حاسماً ولذلك فقد بات واضحاً أنه لا معدى عن اتباع سياسة حازمة على أيدي حكومة رشيدة مصلحة إذا أريد النهوض بهذه البلاد وقد شادت عناية المولى جل شأنه أن يقع الاختيار على محمد على لأداء هذا « الواجب النبيل » نحو السودان وأهله عند ما كان السودانيون ما يزالون في دور الطفولة (٢١٣) ثم شادت عنايته جل شأنه أن يكون من نصيب حفيده إسماعيل معالجة كل تلك المشكلات التي تمخضت عنها فترة الانتقال السابقة ويأتى من شتى ضروب الإصلاح ما يجعل هذه الأقاليم السودانية تستمتع بنهضة اجتماعية اقتصادية عظيمة .

وقد استرشد العاهل الكبير في خطته العمرانية المستنيرة بتلك القواعد التي استنها محمد على من قبل وسار عليها عباس الأول ومحمد سعيد وأساسها

إنشاء حكومة أبوية ذات برنامج إصلاحى واضح يكفل السير بالاقاليم السودانية فى طريق الحضارة والرقى فلم يكن ثم معدى عن توطيد السلام فى ربوع السودان وقطع دابر المفسدين وتأمين الأهلين على أرواحهم وأموالهم وتمهيد السبيل لمعاونتهم على الاستقرار والعيش المنتظم الهادى حتى يقبلوا على الزراعة والصناعة والتجارة فتنتعش الحياة الاقتصادية ويعم الرخاء ويكثر العمران ولا تذهب سدى تلك الجهود التى بذلها العاهل العظيم لنشر التعليم وتعزيز الثقافة الإسلامية بالبلاد . ولم تختلف وسائل اسماعيل فى تحقيق ذلك كله عن وسائل جده محمد على ووسائل أسلافه فتخير أكفاء الرجال لملاء مناصب الحكم فى الخرطوم وفى سائر الأقاليم وزودهم بتعليمات وإرشادات يستبين منها مدى ما كان يؤمله من إصلاح على أيديهم وأشرك العناصر الوطنية فى شئون الحكم والإدارة إلى حد لم يسبق له مثيل فقطعت سودنة الوظائف فى عهده شوطا بعيدا على أن العمل بهذا المبدأ سرعان ما شمل مناطق الزنوج أنفسهم فى مناطق النيل العليا .

وكان موسى حمدى عند وصول العاهل العظيم إلى الولاية حكامارا على السودان منذ عهد سعيد باشا إذ أن « سعيداً » عينه فى هذا المنصب فى عام ١٨٦٢ حتى يمضى فى إجراء الإصلاحات التى تضمنتها المرسومات الأربعة بكل همة وحتى يؤيد سلطان الحكومة المركزية فى الخرطوم ويقضى على الرق والنخاسة (٢١٤) وقد حرص موسى حمدى على تنفيذ أوامر حكومة القاهرة (٢١٥) فيقول صاحب تاريخ ملوك السودان أنه « أرسل إلى كل مدير من المديرىات أن يحضر بنفسه وصحبته مشايخ مديريته وأعيانها ، فحضروا جميعا ثم عقد منهم مجلسا يبحث فى وسائل الإصلاح المنشود واستطاع

Abdin. Corresp. franç. 72/1. f. 3728. Observations sur le Commerce (٢١٤)

. Européen en Soudan. 1865

.F. O. 84/1247 (Slave Trade) No. 7. Alex. 10. 7. 1865 (٢١٥).

الحكماء أن يرتب الحكومة ترتيباً حسناً ووضع الأموال على حسب ما اقتضاه رأيه السيد بطريقة تدفع حصول الضرر على الرعية وجعل لكل فلاح سركياً بما جعل عليه وأمر أن كل ما أورده الفلاح من التقسيط يورد لدى صراف ناحيته المعين لقبض الأموال ويوضع القدر الذى أورده على السركى الذى بيده ويقيد فى يومية الصراف وجعل من الأهالى نظاراً لأجل أن يثمنوا ويدخلوا فى الإنسانية» (٢١٦) . وقد نجحت حكومة موسى حمدى فى جذب قلوب السودانيين وامتدحه صاحب تاريخ ملوك السودان وكافاه سعيد باشا على غيرته ونشاطه فأنعم عليه برتبة المير ميران الرفيعة فى يوليو ١٨٦٢ (٢١٧) ولذلك لم يشأ اسماعيل أن يستبدل به غيره إذ توسم فيه القدرة على الذود عن البلاد التى عهدت إليه إدارتها ودعم سلطان الحكومة فى أرجائها والنهوض بها نهضة عظيمة فكتب اليه فى مارس ١٨٦٣ «وحيث أن هذا القطر الجسم قد الحق بالمملكة المصرية من قديم الزمن واصبح حقاً مكتسباً لها فالواجب يقضى بعدم إضاعة شئ فى من حدوده المعينة وبما أن تعمير وإصلاح الاقليم المذكور وإدخاله فى عداد المديريات المصرية التى هى أكثر عمراناً وازدهاراً وكذلك توسيع نطاق تجارته من أقصى آمالى وأفكارى فبناء عليه يلزم أن تعاملوا سكانه وقاطنيه بالعدل والحقانية وأن تبدلوا أقصى جهدكم فى سبيل زيادة العمارة وتوسيع نطاق تجارته وإيصاله إلى غاية الكمال من ناحية استتباب الأمن واستقرار السلام» (٢١٨) وقام موسى حمدى بتنفيذ هذه التعليمات الصادرة إليه خير قيام إلى حد أكسبه ثناء السودانيين ومديحهم فارتأى اسماعيل أن يكافئه برتبة روم

(٢١٦) تاريخ ملوك السودان وأقاليمه . صفحات ٤١ — ٤١ : ١٤١ . شقير ج ٣ : ص ٣٣ .

(٢١٧) عابدين . المعية تركى . دفتر ٥٢٧ رقم ٧ فى ١٢ محرم ١٢٧٩ من دولة القائم إلى موسى حمدى باشا حاكم السودان .

(٢١٨) عابدين . المعية (تركى) دفتر ٥٢٦ رقم ١٦ فى ٦ شوال ١٢٧٩ إرادة سنية إلى موسى حمدى .

إلى بكربك والوسام المجيدى من الطبقة الثانية نتيجة « لرضا الأهالى عنه
وسرورهم به حسبا وصل إلى علم » اسماعيل (٢١٩) وهكذا ظل موسى حمدى
يشغل منصب الحكمدارية بنجاح حتى وفاته بالخرطوم فى مارس ١٨٦٥ (٢٢٠)
وخلف موسى حمدى فى منصبه جعفر صادق باشا وقد طلب إليه اسماعيل
أن يعنى « بتنظيم أشغال تلك الأقاليم (السودانية) كما هو مأمول منه وينظر
فى القضايا والدعوى على الوجه الموافق ويديرها فى المحسور اللائق ويحق
حقوق عباد الله ويهتم بعمران الأقاليم السودانية وتمدينها لاسيما جهات البحر
الابيض ويعنى بالتسهيل فى شئون تجارتها مع النظر فى توسيعها وعليه أيضا
(أن يقوم) بقمع الأحوال المخالفة وأن يتوسل بالأسباب الحسنة والوسائل
الممكنة فى تقرير الأمن العام وتأسيس الرفاه واستمراره على الدوام » (٢٢١)
ومع أن الحكمدار الجديد لم يقض فى السودان سوى ستة شهور فقد استطاع
أن يقضى على الفتن التى أثارها بعض الجنود فى مديرية التاكة وكانوا خليطا
من الدنكا والفور والنوبة والمولدين وكانت الحكومة قد أرسلتهم لتحصيل
الضرائب من قبائل العربان فى تلك الجهات فتذرعوا بما أشيع وقتذاك عن
رغبة الحكومة فى إبعادهم عن السودان فانقضوا على كسلا يهبونها ويقتلون
الأهلين الوادعين (٢٢٢) وقد عاون الحكمدار فى إعادة الأمن إلى نصابه كل
من آدم بك وهو أحد كبار الضباط السودانين وجعفر مظهر باشا الذى أوفد
خصيصا من مصر مع قوة كبيرة لهذه الغاية (٢٢٣) وكان سبب استدعاء جعفر

(٢١٩) عابدين . المية (تركى) دفتر ٥٣٠ رقم ٢٣ فى ٢ ذى القعدة ١٢٧٩ من المية
إلى الجهادية .

(٢٢٠) شقير — ٣ : ٣٩ .

(٢٢١) عابدين . المية (تركى) دفتر ٥٣٧ رقم ١ فى ٢٤ محرم ١٢٨٢ (١٩ يونيو ١٨٦٥) .

(٢٢٢) Aff. Etr, Egypte (36) No. 33. Alex. 9, 9, 1865 Garnier à Outrey.
Annexée. Mission du Soudan. Khart. 5. 5. 1865 ; ibid No. 32 Annexée.
Khart. 24. 7. 1895. Thibaut a Outrey .

(٢٢٣) شقير — ٣ : ٤٥ — ٤٧ ؛ ٤٦ Robinson (Rulers) 46

صادق إلى مصر أنه مرض مرضاً خطيراً جعل من المتعذر بقاءه في السودان (٢٢٤) فتولى بدله جعفر مظهر باشا .

وكان الحكمدار الجديد رجل همة واقتدار وصاحب مشروعات إصلاحية متعددة اكتسب خبرة إدارية واسعة بسبب نقله في مناصب الحكم . الإدارة في مصر ولا سيما عندما كان مديراً في الصعيد (٢٢٥) . وقد طلب إليه اسماعيل عند تعيينه في يناير ١٨٦٦ « أن يسادر بتحري الأسباب والوسائل الممكنة واللازمة لتنظيم وإصلاح هذه البلاد كما هو مطلوب وملزم لديه وأن يتم بتكثير وتوسيع التجارة والزراعة التي هي الأساس الوحيد للعمران والترف وأن يعنى بمزيد الاهتمام والدقة بخصوص صيانة ووقاية الأهالي الذين هم وديعة الباري تعالى في عهدتنا من الغدر والأضرار ومعاملتهم بالعدل والإنصاف وتأمين رفاهيتهم وسعادتهم من كل جهة » (٢٢٦) فقام جعفر مظهر بمهام منصبه الجديد خير قيام حتى شهد بذلك معاصروه من الأجانب في الخرطوم (٢٢٧) ولم يكن نجاح جعفر مظهر أمراً مستغرباً ذلك بأنه كان حاكماً مستنيراً يحرص على إجراء الإصلاحات العمرانية المفيدة ويسعى إلى نفع السودانين ويعمل على تنوير أذهانهم وليس أدل على ذلك من أنه طلب إلى حكومة القاهرة أن تعهد إلى رفاعة رافع الطهطاوى بإتمام ترجمة كتاب الجغرافية العمومية للمطربون Molte-Brun وإرسال الترجمة الكاملة إلى السودان كي يفيد أهل البلاد من قراءته والإطلاع على ما يحويه

(٢٢٤) شقير — ٣ : ٤٨ .

(٢٢٥) Schweinfurth I. 37—38 .

(٢٢٦) أمين سامي . المجلد الثاني من الجزء الثالث . ص ٦٣٣ — ٦٣٤ . إرادة لجعفر

باشا (مظهر) في ١٦ شعبان ١٢٨٢ (ترجمة صفحة ٣٤ دفتر ٥٥٨ قسم أول) .

(٢٢٧) A'f. Etr. Egypte (43). No. 16. Alex. 27. 7. 1868. Annexée Khart. 26.

. 6. 1868. ;

من معلومات نافعة وكان رفاة قد ترجم أجزاء من هذا الكتاب أيام محمد علي .

وفضلاً عن ذلك فقد وصلت إلى يد جعفر مظهر باشا نسخة بالفرنسية من كتاب الرحالة سيبيك Speke الإنجليزى (٢٢٨) « يحتوى على مباحث ومواضع جمة تعود بالنفع العميم على سكان وأهالى الأقاليم السودانية والمصرية من منبع النيل إلى مصبه » فبعث بها إلى القاهرة ليقوم رفاة بترجمتها وطلب أن ترسل إليه خمسون نسخة (من الترجمة) ليوزعها على المدارس السودانية والضباط العسكريين والموظفين المدنيين « وقد أجابه إسماعيل إلى ما طلب (٢٢٩) وكان جعفر باشا شغوفاً بالوقوف على جميع ما كتب عن القطر السودانى فطلب فى أواسط عام ١٨٦٧ أن ترسل إليه حكومة القاهرة نسخة من رحلة محمد بن عمر التونسى إلى دارفور إذا وجد الأصل أو يقوم رفاة بترجمة هذه الرحلة عن اللغة الفرنسية التى نقلها إليها الدكتور برون (٢٣٠) كما طلب أن يعهد إلى رفاة بترجمة رحلة أخرى للشيخ التونسى فى الحبشة وتقع هذه الرحلة فى مجلدين « وهما مختصران ومكتوبان باللغة الفرنسية وبحليان بالصورة والتمس إرسال الترجمة إليه بعد الفراغ منها (٢٣١) وقد أجاب إسماعيل هذه الرغبة وكان من أثر الحكومة الأتوية الرشيدة التى أقامها مظهر باشا فى السودان أن انجذبت

Speke. Journal of the Discovery of the Source of the Nile (etc). (٢٢٨)
London 1863; ibid. Les Sources du Nil. Tr. E. D. Forgues Paris 1864
(٢٢٩) عابدين . المعية (تركى) دفتر ٥٥٧ رقم ٥ فى ١٩ ربيع أول ١٢٨٣ إرادة إلى ديوان المدارس .

(٢٣٠) محمد بن عمر بن سليمان التونسى — تشييد الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان ، طبعها مع ملاحظات اللغات الفرنسية الأستاذ برون (باريس ١٨٥٠)؛ Tounsy. Voyage Au
Darfour. tr.de l'Arabe par. M. le Dr. Perron. Paris 1845.

(٢٣١) عابدين . المعية (تركى) دفتر ٥٦٠ رقم ٤ فى ٢ صفر ١٢٨٤ من المعية إلى ديوان المدارس . هذا ولم يعثر على رحلة الحبشة . وللشيخ التونسى رحلة معروفة إلى واد آي فقام بترجمتها الدكتور برون فى عام ١٨٥١ ولم يغير الأصل العربى ، أنظر المصادر .

إليه قلوب السودانيين فامتدحه كبير علمائهم الشيخ الأمين بقصيدة عامرة كما تحدث الكثيرون عن مناقبه وحزن الجميع لفراقه حزنا شديدا عند ما انتهت مدة حكمه داريته (٢٢٢).

وعندما عين أحمد ممتاز باشا مديرا على عموم قبلي السودان تشرف بمقابلة إسماعيل لتلقى إرشاداته قبل سفره إلى الخرطوم (٢٢٣) وكان ممتاز قد عين محافظا لسواكن منذ شهر أغسطس من عام ١٨٦٥ وأبدى كفاية عظيمة ونشاطا ملحوظا فقدم إلى الخديو تقارير ضافية تتناول وجوه الإصلاح المنشود وقد تمت على يديه أعمال عمرانية كثيرة (٢٢٤) وعند ما استدعاه إسماعيل إلى القاهرة في إبريل ١٨٧٠ استطاع أحمد ممتاز أن يعد تقريرا تحدث فيه عن وسائل تنمية زراعة القطن بنوع خاص ونال إعجاب الخديو (٢٢٥) فصدر أمر كريم في مايو ١٨٧٠ بتعيينه محافظا على سواحل البحر الأحمر (٢٢٦) وفي ٣٠ سبتمبر ١٨٧١ صدر الأمر بتعيينه مديرا على عموم جهات قبلي السودان (٢٢٧) ومع أن ممتاز باشا كان يسترشد في إدارته بمبادئ سامية تهدف إلى تحقيق الخير للسودان وأهله فقد جانبه التوفيق على ما يبدو في إجراءاته فلم يصادف اختياره «على أفندي أبو خمسمية» مديرا لفاشودة أي نجاح (٢٢٨) وزاد ما كان متأخرا من الضرائب على الأهالي في الخرطوم وسنار وفضلا عن ذلك فقد

(٢٢٢) British Museum. Ms. Or. 2345; also see Macmichal II. 404.

(٢٢٣) عابدين . المعية (عربي) دفتر ١٥٤٨ صفحة ٣ في ١٥ رجب ١٢٨٨ في المعية السنوية الى مدير عموم قبلي السودان .

(٢٢٤) Douin III. 1 re Partie. pp. 423-429.

(٢٢٥) Douin III. 2 e Partie pp. 436-437.

(٢٢٦) أمين سامي — المجلد الثاني من الجزء الثالث ص ٨٦٢ أمر كريم صادر لمحافظة سواحل البحر الأحمر الى أحمد ممتاز باشا في ٢٣ صفر ١٢٨٧ .

(٢٢٧) عابدين . المعية . دفتر ١٩٤٢ (أوامر عربي) رقم ١ في ١٥ رجب ١٢٨٨ أمر كريم الى مدير عموم جهات قبلي السودان .

(٢٢٨) Marno. (Reisen) 328-331.

أساء الجنود عند تحصيل الضرائب معاملة الأهاليين وصاروا يستخرونهم في مختلف الأعمال وارتكب بعض الجنود من الألاي الأول السودانى المكلف بحراسة «خزينة» المديرية فى الخرطوم سرقات كثيرة قدموا بسببها إلى المحاكمة أمام المجلس العسكرى (٢٣٩) فشكا الأهليون من إدارته وعظمت كراهية السودانين لحكومته (٢٤٠) واتهم ممتاز باشا بالرشوة فأوقف عن العمل ١٨٧٢ وبدأ التحقيق فى الشكايات التى قدمت ضده ولكن «ممتاز» توفى بعد ثلاثة أعوام ولم تكن هذه التحقيقات قد انتهت (٢٤١) ولذلك فإن أحدا لا يعرف مدى صحة هذه الاتهامات على وجه الدقة ويغلب على الظن أنها كانت تحمل طابع المغالاة .

أما الخديو فقد عين فى منصب المدير المعزول اسماعيل أيوب باشا وكان المدير الجديد بشهادة كثير من الأوروبيين الذين زاروا السودان فى عهده رجلا نشيطا على جانب كبير من الذكاء يجيد الفرنسية ويعرف الألمانية ويتقن آداب المعاشرة ويتصف بالسكياسة (٢٤٢) وقد وجه إليه الخديو (رتبة اللواء الرفيعة) فى ٨ أغسطس ١٨٧٢ وجاء فى قرار تعيينه مديرا عاما لأقاليم قبلى السودان . «وحيث أن تلك المديرىات المحالة إليكم صالحة مستعدة للتمدين والعمران من كل الوجوه فبناء عليه يجب أن تبادروا بتعليم وتلقين أهاليها أصول الزراعة والفلاحة وتأهيلهم بالتدريج للتمدين والعمران . وحيث أن رؤية وتسوية أمور ومصالح العباد فى دائرة الحق والعدالة ورفاهيتهم وحضارتهم وراحتهم من مقتضى إدارتنا فبناء عليه يجب أن تبذلوا أقصى

Douin III. 2 o Partie. pp 56—567. (٢٣٩)

British Museum. Ms. Or. 2345 ; Macmichael II. 404—405. (٢٤٠)

(٢٤١) شقير — ٣ : ٥٩

Baker (Ismailia) II. 488; Junker (1875—78) I. 172; Cosson II 223. (٢٤٢)

Marno (Reisen) 307.

الجهـد في هذه المهمة لتحقيقوا آمالنا المعهودة فيكم » (٢٤٣) وعند إعادة منصب الحكمـدارية في أوائل ديسمبر من العام التالي عين إسماعيل أيوب حكمـدارا على السودان فطلب إليه الخديوى أن « يضاعف همته وبغيرته المشهورة لغاية الآن ، وأن يبذل المساعى المؤدية لعمران هذه البلاد وإخراج الأمور النافعة والمستلزمة لرفاهية وراحة سكانها إلى حيز الفعل » (٢٤٤) وقد ظل إسماعيل أيوب يشغل منصب الحكمـدارية بنجاح حوالى خمس سنوات حتى عين الخديوى غردون باشا حكمـدارا على السودان في فبراير ١٨٧٧ .

ولما كان إشراك العناصر الوطنية من القواعد المقررة في الحكم فقد خـطت السودان على أيدي هؤلاء الحكمـدارين خطوات واسعة ذلك بأن الأخذ بهذا المبدأ الحكيم في العهود الماضية أثبت أن الرؤساء والزعماء الوطنيين كانوا من أكبر مؤيدى الحكومة فأسدوا لها خدمات جليلة وعاونوها معاونة صادقة فى استتباب الأمن ونشر السلام فى طرق القوافل وتحصيل الأموال الأميرية أو الضرائب من القبائل والعشائر وتشجيع الأهلى على الاستقرار فى الحلال والمدن والأقبال على الزراعة والأخذ بأسباب المدنية الحديثة التى شئت رغبة عاهل مصر العظيم أن ينعم بها السودان وأهله وعلى ذلك درج هؤلاء الحكمـداريون على تعيين السودانين فى الوظائف الهامة فكان منهم مديرون ونظار أقسام ومشايخ قبائل وأعضاء فى المجالس المحلية التى عمت فى أنحاء السودان كما كان منهم القضاة ورؤساء التجار ووصل جماعة منهم إلى أعلى الرتب العسكرية وحرص الحكام المصريون على التماس الرتب

(٢٤٣) أمين سامى — المجلد الثانى من الجزء الثالث ص ١٠١٠ ارادة لاسماعيل أيوب باشا فى ٣ جمادى الآخرة ١٢٨٩ .

(٢٤٤) عابدين - المعية (تركى) دفتر ٢ رقم ١ فى ١١ شوال ١٢٩٠ ارادة لاسماعيل أيوب باشا ؛ ثم انظر أمين سامى المجلد الثانى من الجزء الثالث ص ١١٠٦ أمر كريم العالية فى نفس التاريخ .

والنياشين لهؤلاء جميعا تقديرا لخدماتهم ومكافأة لهم على جدهم ونشاطهم وأجرى الخديو عليهم الرواتب المستحقة تشجيعا لهم فكان عصر الخديو اسماعيل لهذا كله عصر ازدهار السودان فقد عين موسى حمدي الشيخ « أحمد أبو سن » من كبار الشكرية مديرا للخرطوم وأثبت الشيخ كفاية ومقدرة في « إدارة الجزيرة إدارة حسنة » فبادر اسماعيل بالإنعام عليه بالرتبة الثانية « نظرا لاجتهاده ونشاطه في تمشية أمورها ومصالحها » (٢٤٥) وعندما قصد موسى حمدي إلى القاهرة في يولية ١٨٦٣ لمقابلة اسماعيل اصطحب معه « أحمد بك أبو سن » وعددا من كبار السودانيين فأكرم اسماعيل وفادتهم وأنعم عليهم بالرتب وأجاب موسى حمدي باشا إلى ماطلبه من الانعام على طائفة أخرى (٢٤٦) وكان نصيب أحمد بك أبو سن من هذه الانعامات سيفاً ذهبياً وخمائل ذات قيمة إظهارا لرضاء اسماعيل عنه وذلك بناء على ماشهد به موسى حمدي نفسه عن مبالغ نشاطه . (٢٤٧) وفضلا عن ذلك فقد جعل الحكمदार « من الالهالى نظار أقسام ومعاونين » وعين الشيخ زبير عبد القادر شيخا للشايف أى رئيسا لهم (٢٤٨) والزبير عبد القادر هو ابن الشيخ عبد القادر ود الزين صديق خورشيد باشا « وأحمد باشا أبو ودان » وكان صاحب مقام رفيع وعضو في مجلس الخرطوم نال تقدير جعفر مظهر باشا بعد ذلك فالتمس الانعام عليه بالرتبة الرابعة وأجابه اسماعيل إلى ذلك (٢٤٩) وكثر في السنوات

(٢٤٥) عابدين المعية (تركى) دفتر ٥٢٦ قسم ثانى رقم ١٠ فى ٨ شعبان ١٢٧٩ من الجنب العالى الى حكمدار السودان .

(٢٤٦) تاريخ ملوك السودان وأقاليمه . صفحة ٤٢ .

(٢٤٧) عابدين المعية (تركى) دفتر ٥٣٧ رقم ٧ قسم ثانى فى ٢ رجب ١٢٨١ من الجنب العالى الى حكمدار السودان ؛ ثم دفتر ٥٥٣ رقم ٢٤ (بند الموكب العالى) فى ٢٩ جمادى الثانية ١٢٨١ من رياض باشا الى ناظر الخارجية .

(٢٤٨) شقير — ٣ : ٣٣ ؛ ثم Donin III. 1 re Partie. p 134.

(٢٤٩) عابدين . المعية (تركى) دفتر ٥٨٣ رقم ٦ فى آخر شوال ١٢٨٦ من الجنب العالى الى حكمدار السودان .

الأخيرة عدد من ولى الأحكام من الوطنيين ونالوا الرتب الرفيعة فأنعم على آدم باشا من كبار الضباط السودانيين برتبة اللواء (٢٥٠) كما رقى حسين بك خليفة شيخ العباددة ومدير بربر إلى الرتبة الثانية (٢٥١)

وكان الحكمدار جعفر مظهر من أكبر العاملين على نجاح سياسة السودان واستمالة الرؤساء والزعماء الوطنيين إلى تأييد الحكومة فقد سحب عند زيارته مصر في ابريل ١٨٦٧ عدداً من كبار السودانيين كان منهم الشيخ ابراهيم موسى شيخ قبائل الهدندوة فأنعم عليه اسماعيل بالنيشان المجيدى من الرتبة الرابعة واتهن جعفر مظهر فرصة وجوده بالقاهرة فطلب لطائفة من مشايخ القبائل الرتب والنياشين المختلفة وأجابه اسماعيل إلى طلبه فنال حامد موسى شيخ قبائل بني عامر التابعة لمديرية التاكة الرتبة الرابعة وكل من محمود ولد زايد شيخ قبائل الضباينة التابعة لمديرية سنار وعوض عبد الكريم أبو سن شيخ الشكرية التابعة لمديرية الخرطوم والشيخ جمعة شيخ جهة القلابات النيشان المجيدى من الرتبة الثالثة (٢٥٢) وكان من بين الذين حصلوا على النيشان المجيدى من الرتبة الرابعة محمد الشناوى و سرتجار و سواكن تقديراً لما قدمه من خدمات جليلة للحكومة (٢٥٣) كما نال في مصوع أحد مشائخها محمود أحمد راتباً شهرياً من الحكومة (٢٥٤).

-
- (٢٥٠) عابدين . المعية (تركى) دفتر ٥٧٣ رقم ٣ ثم رقم ١٣ فى ١٢ جمادى الثانية ١٢٨٤ من الجناوب العالى إلى السردار شاهين باشا ثم إلى آدم باشا .
- (٢٥١) عابدين . المعية . دفتر ١٩٣٤ (أوامر عربى) رقم ١١٣ فى ٧ جمادى الآخر ١٢٨٧ من الجناوب العالى إلى حسين بك خليفة مدير بربر .
- (٢٥٢) عابدين . المعية (تركى) دفتر ٥٧٣ رقم ٤ فى ١٧ ذى القعدة ١٢٨٤ من الجناوب العالى ؛ محفظة ٤٣ رقم ١١٤ فى ٢٧ شوال ١٢٨٤ التماس من جعفر مظهر ؛ دفتر ٣٠١ رقم ٨٣٧ فى ٢٧ شوال ١٢٨٤ . من المهردار إلى حاكم السويس .
- (٢٥٣) عابدين . المعية (تركى) دفتر ٥٧٣ رقم ٤٣ فى ٢١ صفر ١٢٨٤ أمر كريم إلى عبد القادر باشا .
- (٢٥٤) عابدين . المعية (تركى) . دفتر ٥٦٠ رقم ١٢ فى ٥ ربيع الثانى ١٢٨٤ من شريف باشا إلى حكمدار السودان .

وفي عهد أحمد ممتاز باشا خطت السودنة خطوات واسعة عندما اعترم مدير عموم قبلى السودان تنظيم المجالس المحلية وتعميمها إذ أراد أن يجعل من مكتب العرضحالات فى مديرية التاكة « مجلسا خصوصيا » يعهد برياسته إلى الشيخ حامد موسى ناظر قسم بنى عامر السابق كما أجرى تعديلا فى مجالس مصوع وسواكن وكسلا المحلية بحيث أصبح من اختصاصها بحث المنازعات التجارية إلى جانب النظر فى « العرضحالات » المقدمة إليها وعلى أن يكون أعضاؤها من أعيان البلاد وتجارها ينتخبهم الأهالى والأعيان والعمد واختار ممتاز باشا لرياسة مجلس كسلا كبير تجارها حلیم أفندى هندی ولرياسة مجلس سواكن سر تجارها محمد أفندى الشناوى ولرياسة مجلس مصوع عبد الله أفندى خليل من كبار التجار (٢٥٥) وزيادة على ذلك عمل ممتاز باشا على تنظيم مجلس الخرطوم عند تحويله من « مجلس بلدى مختصر إلى مجلس استئناف لرؤية قضايا السودان » واقترح تعيين أحد الذوات من أرباب الرتب « رئيسا له هو محمد مفتى بك كما عين لوكالة المجلس قاسم أفندى من أهالى السودان » وقد ظل فى خدمة الحكومة بديوان الخرطوم مدة ثلاثين عاما والتمس ترقيته إلى الرتبة الرابعة (٢٥٦) وفى عهد ممتاز باشا كذلك تسكونت أربعة بلوكات من العساكر السودانية لاستخدامها فى « مأمورية النيل الأبيض » ورقى ضباطها السودانيون الثلاثة عشر إلى مختلف الرتب العسكرية (٢٥٧) وقد ظل الرؤساء الوطنيون والعلماء موضع عطف ورعاية

(٢٥٥) عابدين . المعية دفتر ١٩٣٥ (أوامر عربى) رقم ٦ فى ٩ محرم سنة ١٢٨٨ ، رقم ١٤ فى ١١ ربيع ثانى ١٢٨٨ أمر كريم الى أحمد ممتاز باشا .

(٢٥٦) عابدين . المعية دفتر ١٨٦٤ (عربى) رقم ٣٦ فى ١١ جادى الثانية ١٢٨٩ من مدير عموم قبلى السودان الى المعية السنية .

(٢٥٧) عابدين . المعية . دفتر ١٩٤٢ (أوامر عربى) رقم ٥٦ فى ٥ ذى الحجة ١٢٨٨ أمر كريم صادر الى مدير عموم قبلى السودان .

فعهد إلى محمد أفندى أبو حجل ناظر قسم الرباطاب بمديرية بربر (وهو من مكوك السودان السابقين) بأدارة مأمورية دنقلة (٢٥٨) وعندما توفي الشيخ يوسف درويش من فقهاء بربر وافقت القاهرة على الاستمرار في صرف ما كانت تجريه على الشيخ من أرزاق ورواتب إلى ولده الشيخ صالح وأسرته للإيفاق منها كذلك على من يترددون عليه من الطلاب (٢٥٩) .

وقد شهد عهد اسماعيل أيوب باشا (١٨٧٢ — ١٨٧٧) تطبيق مبدأ السوڤنة على نطاق واسع سواء أكان ذلك في السودان الأوسط ودارفور أم في محافظة سواحل البحر الأحمر (وكانت ذات إدارة منفصلة) أم في هرر أم في زيلع وبربرة . وبدأ اسماعيل أيوب عهداء بأن التمس تعيين الشيخ محمد حسين سرتجار الخرطوم رئيسا لمجلس الخرطوم « المعد للفصل في القضايا التجارية والسياسية » كما اقترح تعيين أحد كبار الوطنيين من التجار والعمد المعروفين بالكفاية والنزاهة وكيلا لهذا المجلس وقد وافق الخديو على ذلك (٢٦٠) وفي سبتمبر ١٨٧٢ اقترح اسماعيل أيوب تعيين الشيخ على وثاني أولاد المرحوم أحمد بك أبو سن « شيخا لعربان الشكرية لما هو معروف عنه من الأمانة والاستقامة واقترح كذلك تعيين أخيه الشيخ عوض الكريم « معاونا في عموم المديرية » بالخرطوم فأجيب إلى رغبته وأنعم على الشيخ « على أبو سن » بالرتبة الرابعة تشريفا له (٢٦١) .

-
- (٢٥٨) عابدين . المعية . دفتر ١٨٥٩ (عربي) رقم ٢ مرور في ٨ شعبان ١٢٨٨ من مدير دنقلة وبربر إلى المعية السنية .
(٢٥٩) عابدين . المعية . دفتر ١٨٥٣ (عربي) رقم ٨ في ٢٥ ذي الحجة ١٢٨٨ المعية إلى ممتاز باشا مدير عموم قبلى السودان .
(٢٦٠) عابدين . المعية . دفتر ١٩٤٢ (أوامر عربي) رقم ١٤ في ٢٧ جادى الثانية ١٢٨٩ أمر كريم صادر إلى مدير عموم قبلى السودان .
(٢٦١) عابدين . المعية . دفتر ١٩٤٢ (أوامر عربي) رقم ٣١٢ في ٢٧ جادى الثانية ١٢٨٩ فرمان صادر إلى الشيخ على أبو سن الخ .

وكان من بين السودانين الذين نالوا حظوة لدى أيوب باشا بسبب ما أظهره من همة وكفاية محمد التهامي والشيخ حسن ابراهيم وكان محمد التهامي أفندي من موظفي ديوان الخرطوم مدة الحكمدارين السابقين عينه اسماعيل أيوب « معاوناً وكاتب مرور » وعهد إليه بمراجعة جرائيل العسكرية وتحرير المكاتبات الجارية عرضها للجمعية السنوية بالتغراف والبوسطة ، وشهد الحكمدار بأنه ظل طوال هذه المدة « محافظاً على أسرار الحكومة » كما أبدى نشاطاً ملحوظاً « في مأمورية فتح سد البحر الأبيض » وقد صحب التهامي أفندي أيوب باشا في حملته على دارفور « وأحسن الخدمة » في أثناءها . ولهذا التمس الحكمدار الأنعام عليه بالرتبة الرابعة « لكونه شاب ومن أهل الوطن واكتسب هذه المعرفة في ساحة ولي النعم بالسودان (وبعد الأنعام عليه بالرتبة) مكافأة له وتشريفاً لأهل السودان أمثاله رعية ولي النعم » فأجيب الحكمدار إلى ملتزمه (٢٦٢) أما الشيخ حسن ابراهيم « من أهالي الخرطوم (فكان رجل) أمانة وفيه ثقة » إنتدب لا يصال بعض الهدايا لأحد رؤساء الاحباش وهو حاكم غندار في عام ١٨٧٢ فقام بمهمته على خير وجه وقربه اسماعيل أيوب منه (٢٦٣) وفضلاً عن ذلك فقد التمس الحكمدار الانعام بالرتب على الشيخ صالح شيخ القلايات ومحمود ولد زايد شيخ الضباينة وجرى الحكم على تدريب السودانين على الاضطلاع بشئون الحكم في السودان الشرقي وحرصت الحكومة على استمالة العربان المنتشرين حول سواكن ومصوع وفي إقليم التاكة وغير ذلك من الجهات فشكل في مصوع منذ عام ١٨٦٥ مجلس للنظر

(٢٦٢) عابدين . المعية . دفتر ٥ معية سنوية وارد الافادات رقم ٩ مرور في ٢٦ ذي القعدة ١٢٩١ من حكمدارية السودان الى المعية . وصدر أمر عال في ٧ صفر ١٢٩٢
مرة ٢ وحفظ .

(٢٦٣) عابدين . المعية دفتر ١٨٦٤ (عربي) رقم ١٩ في ٢٦ رمضان ١٢٨٩ من مدير عموم قبلي السودان .

فى القضايا والمدعاوى التجارية ، كان رئيسه على نحو ما تقدم ذكره الشيخ عبد الله خليل وأعضاؤه من عماد البندر ، (٢٦٤) وعندما وجد أن عدد القضايا التى ينظرها هذا المجلس قليلة بحيث يكفى الشيخ عبد الله خليل والأعضاء للفصل فيما قد يحدث من منازعات تجارية رؤى الاكتفاء بهذا الترتيب عام ١٨٧٢ (٢٦٥) وكان من رأى منزجر الاكتفاء بتشكيل مجالس محلية فى كل من مصوع وسواكن وكسلا على أن يكون أعضاؤها من التجار الوطنيين ورؤساء القبائل ومع أن منزجر عاد فألقى مجلس سواكن فى ابريل ١٨٧٢ فقد قرر المجلس الخصوصى فى القاهرة إنشاء هذا المجلس ثم صارت قضايا مجلس كسلا تستأنف أمام مجلس سواكن وقضايا سواكن أمام مجلس مصوع وقضايا مصوع أمام مجلس كسلا (٢٦٦) وفى طوكر كان المأمور يعهد بملاحظة عربانها إلى أحد الرؤساء الوطنيين وهو الشيخ عبد القادر على وقد قام بواجبه خير قيام فأنعم عليه الخديوى بالرتبة الرابعة (٢٦٧) وطلب مدير التاكة زيادة مرتبات الشيخ أحمد حجاج بقسم الخلائقة والشيخين محمد محمد الفيل والبخيت على الفيل من مشايخ قسم بنى عامر فأجيب إلى طلبه نظراً للحصول اجتهادهم فى ضبط وربط الأهالى شياختهم وخصوصاً أن مشايخ قسم بنى عامر المحكى عنهم

(٢٦٤) عابدين . المعية . دفتر ١٨٥٩ وارد المعية (عربى) رقم ٥ فى ٦ رجب ١٢٨٢ من محافظة مصوع الى المعية السنية .

(٢٦٥) عابدين . المعية . دفتر ١٨٥٢ (معية عربى) رقم ٤ فى ١٨ رجب ١٢٨٨ من المعية السنية الى محافظة مصوع ؛ ثم دفتر ١٨٦٠ (معية عربى) رقم ٢ فى ١٨ رجب ١٢٨٩ من المعية الى المجلس الخصوصى .

(٢٦٦) عابدين . المعية . دفتر ٢٩ (المجلس الخصوصى) رقم ١ فى ٢١ ربيع أول ١٢٩٠ من منزجر الى المجلس ؛ ثم دفتر ٨٢ (المجلس الخصوصى) فى ٩ رجب ١٢٩٠ . قرار المجلس .

(٢٦٧) عابدين . المعية . دفتر ١٨٥٢ (المعية عربى) رقم ٥٣ فى ٢٥ ذى الحجة ١٢٨٨ المعية السنية الى ديوان المالية ، ثم دفتر ١٨٤٧ معية عربى رقم ٣ مرور فى ٥ جمادى الثانية ١٢٨٨ من محافظة سواحل البحر الأحمر الى المعية السنية .

مجتهدين في إصلاح الأهالي ورفاهيتهم وتشويقهم في زراعة الأقطان، (٢٦٨) وحرصت الحكومة على منح الهدايا والعطايا لمشايخ العربان تشجيعا لهم على المضى في ولائهم لها وبذل المهمة في خدمتها بأمانة وإخلاص فكان ذلك من عوامل استتباب الأمن في تلك الجهات وعمارها (٢٦٩)

ومنذ صدر فرمان الباب العالي بأحالة مرسى زيلع إلى الخديوية المصرية في يوليو ١٨٧٥ حرص الخديو اسماعيل على إشراك العناصر الوطنية في الحكم على نحو أفضى إلى نتائج باهرة من حيث زيادة العمران في هذا الثغر والنشاط التجارى به وأدى إلى إقبال الأهاليين على تأييد سياسة الحكومة في مكافحة تجارة الرقيق وفي إرسال حملات الفتح على إمارة هرر المستقلة تنفيذا لهذه السياسة ذاتها ذلك بأن اسماعيل لم يكذب يتم له احتلال زيلع حتى حفظ لأمرها الشيخ «أبو بكر شحيم» مكاتته بين قومه فعينه وكيلا لمحافظة زيلع الجديدة وأنعم عليه بالرتبة الثالثة وما لبث أن عينه محافظا لزيلع في نوفمبر ١٨٧٥ (٢٧٠) هذا إلى مبادرة الخديو بأرسال كساوى التشریف الى عشرين شيخا من العلماء والتجار في زيلع كما أنعم بالنيشان المجيدى من الرتبة الخامسة على السيد البار سر تجارها وقد ظل السيد البار ملحوظا بعين الرعاية والعناية وعند وفاته أمر الخديو بتقليد الشيخ محمد عمر من أهل زيلع منصب سرتجارها (٢٧١) وأولى

(٢٦٨) عابدين . المعية . دفتر ١٩٤٢ (أوامر عربى) رقم ٢٢٩ فى ٢٢ صفر ١٢٨٩ أمر كريم الى مدير التناكة .

(٢٦٩) عابدين . المعية . سجل ٥٥٨ معية رقم ١ (قسم ثانى) فى ٧ جمادى الأولى ١٢٨٣ من الجنب العالي الى محافظ مصوع .

(٢٧٠) عابدين . المعية . دفتر ١٠ (أوامر عربى) رقم ٢٢ فى ١٦ رمضان ١٢٩٢ أمر كريم الى محافظ زيلع وملحقاتها محمد رؤوف باشا : ثم رقم ٢٤ فى نفس التاريخ الى أبو بكر افندى شحيم وكيل محافظة زيلع وملحقاتها : ثم رقم ٥٢ فى ١٢ شوال ١٢٩٢ أمر كريم الى أبو بكر افندى شحيم .

(٢٧١) عابدين . المعية . دفتر ١٠ (أوامر عربى) رقم ٢٢ فى ١٦ رمضان ١٢٩٢ : ثم رقم ٢٤٥ فى ١٢ رجب ١٢٩٣ أمر كريم الى أبو بكر باشا محافظ زيلع .

الخديو محافظ زيلع ثقته فأشركه في تنفيذ المشروعات العمرانية المتعددة (٢٧٢) وعند ما طلب أبو بكر شحيم تعيين وكيل للمحافظة والاستحصال على تمدن الأهالي وعماريتهم ونجاز الأشغال والمساعدة في كل ما يلزم « أجابه الخديو إلى ما طلب (٢٧٣) وكان من أثر هذه السياسة الحكيمة أن أقبل أبو بكر شحيم على تأييد الحكومة وبذل كل مساعدة لاستمالة الأهالي إليها في جهات تاجورة وهرر فكتب إلى الأمير محمد بن عبد الشكور أمير هرر يحضنه على الدخول تحت الطاعة ، وأرسل ابنه برهان أفندي أبو بكر في معية محمد رموف باشا عند خروجه من زيلع في حملة لافتتاح هرر في سبتمبر ١٨٧٥ ثم كتب إلى أهل تاجورة عند قيام منزجر للتفتيش على هذه الجهات يحثهم على «قبول الطاعة» وعدم الإخلال بالأمن والنظام وأوفد ابنا آخر له هو موسى أبو بكر إلى تاجورة للغرض نفسه . وعلاوة على ذلك أرسل أبو بكر شحيم ابنا ثالثا هو الشيخ إيهيم إلى جهات الحبشة المتاخمة لزيلع لاستجلاب مودة القبائل الضاربة قرب الحدود كما عهد إلى ابنه الرابع « محمد أبو بكر » بالإشراف على المنشآت العمرانية الهامة في زيلع نفسها (٢٧٤) وقدر الخديو هذه الخدمات حق قدرها فأنعم على أبي بكر بك شحيم بالرتبة الثانية في إبريل ١٨٧٦ ثم برتبة الميرميران في يوليو من السنة نفسها وأعفى أبو بكر باشا من «رسوم التشريفات الخاصة بالرتبة» زيادة في إكرامه (٢٧٥).

(٢٧٢) عابدين . المعية . دفتر ١٠ (أوامر عربي) رقم ٧٩ في ٢٥ ذي القعدة ١٢٩٢ . أمر كريم إلى محافظ زيلع أبو بكر شحيم .

(٢٧٣) عابدين . المعية . دفتر ١٧ معية عربي رقم ١٧٥ سايرة في ٢٥ ذي القعدة ١٢٩٢ من محافظة زيلع إلى المعية السنية .

(٢٧٤) عابدين . المعية . دفتر ١٧ معية عربي الخ . رقم ٨٧ سايرة في ٧ شوال ١٢٩٢ . ثم رقم ١٦٢ سايرة في ١٨ ذي القعدة ١٢٩٢ من محافظ زيلع إلى المعية السنية .

(٢٧٥) عابدين . المعية . دفتر ١١ (معية صادر) رقم ١١٧ في ١٦ ربيع أول ١٢٩٣ من المعية إلى المالية ؛ ثم دفتر ٧ (بدون نمرة) تركي رقم ٢١ في رجب ١٢٩٣ من المعية إلى ديوان المالية ؛ ثم دفتر ٢ بدون نمرة معية رقم ٢٣ في ٢٤ ذي القعدة ١٢٩٣ من الباب العالي إلى المالية .

وكان للمساعي التي بذلها أبو بكر شحيم في هرر أثر ظاهر في اقناع أميرها عبد الشكور بقبول التسليم طوعا لرؤوف باشا في أكتوبر ١٨٧٥ وفعل الخديو في أول الأمر مع عبد الشكور ما فعله مع أبي بكر فعينه محافظا على هرر^(٢٧٦) « اعتبارا له وإظهارا لشأنه ». وجاء في جواب الخديو إلى الأمير السابق « وبما أنه في كل معلوم أن العمارة تعيش على الحقانية والحقانية ناجمة عن المعاملة بالعدالة وهذه نهاية أفكارنا وجل مقاصدنا فأمول فيكم مراعاة ذلك ومعاملة الأهالي بالمدينة بالرفق والرعاية والعدالة المترتب عليهم زيادة عماريتهم وثروتهم وتقديم الوطن »^(٢٧٧) وشرع رؤوف ينشئ مجلسا محليا على غرار مجالس مصوع وسواكن وكسلا للفصل في قضايا الأهالي على أن يتولى عبد الشكور رئاسة هذا المجلس^(٢٧٨) ولكن عبد الشكور سرعان ما ركب رأسه فتآمر ضد رؤوف وأخذ يحرض القبائل للاعتداء على الجنود وانتهى الأمر بأن انتقم أحدهم لنفسه من عبد الشكور فقتله^(٢٧٩) وعلى الرغم من ذلك فقد ظل أبناؤه موضع عطف الخديو ورعايته فأكرم أكبر أبناؤه الحاج عبد الله وأغدق عليه العطايا والهبات^(٢٨٠) ورغب الحاج عبد الله في التشرف بمقابلة الخديو فأذن له فجاء في صحبة أبي بكر باشا شحيم محافظ زيلع إلى القاهرة^(٢٨١) وقوبل « بالرعاية والاحترام ... وبما أنه من الأشخاص

(٢٧٦) عابدين . المعية . دفتر عربي بدون نمرة صفحة ٣٠ في ١٢ شوال ١٢٩٢ من المعية السنية إلى رؤوف باشا حكمدار هرر وملحقاتها .
(٢٧٧) عابدين . المعية . دفتر ١٠ (أوامر عوبي) رقم ٥٤ في ١٢ شوال ١٢٩٢ أمر كريم إلى محمد بن عبد الشكور .

Abdin-Amer. vol. XI. No 378 Cairo 26. II, 1875 Beardsley to Fish. (٢٧٨)

Shukry 256; Sabry 419. (٢٧٩)

(٢٨٠) عابدين . المعية . دفتر ١٧ معية عربي الخ رقم ٢٩٩ سايرة في ٢ ربيع أول ١٢٩٣ من محافظة زيلع إلى المعية السنية .

(٢٨١) عابدين . المعية . دفتر ١٧ معية عربي الخ رقم ٣٢٣ في ١٩ ربيع أول ١٢٩٣ من محافظة زيلع إلى المعية السنية .

الطائعين للحكومة الخديوية ولأوامرها وأصولها المرعية ، فقد أمر الخديو رؤوف باشا حكمدار هرر بعدم التعرض « لما له من تعلقات وإرسالها له إذا أراد حضورها لطرفه » واتخذ الحاج عبد الله زيلع مقرا له (٢٨٢) .

وكان من أثر هذه السياسة الحكيمية أن استطاع رؤوف المضى في إصلاحاته العمرانية المتعددة التي شملت موانئ خليج عدن بعد أن ضمها الخديو إلى ممتلكاته وكان مما ساعد على ذلك أيضا حرص الخديو على إشراك شيوخ القبائل في تحمل شيء من مسئوليات الحكم من بربرة وبلهار بصفة خاصة كما استمال الأهلين بإرسال « الملبوسات الصوف » إلى « العقال والمشايخ » و « الكساوى والسيوف » لاهدائها الأهلين (٢٨٣) على نحو ما جرت به العادة في سائر الأقاليم السودانية .

وقد اجتذبت سياسة السودان وإشراك العناصر الوطنية في الحكم والإدارة قلوب زعماء السودانيين ورؤسائهم فاطمأنوا إلى حكومة المصريين وعمدوا إلى الانضواء تحت رايتها وآية ذلك أن الزبير رحمت الجميعابى على الرغم من ذلك الملك العتيد الذى شيده فى بحر الغزال (٢٨٤) مالبث حتى قدم فتوحه وهدية لحكومة الخرطوم بمجرد أن تخرجت علاقاته مع عربان الرزيقات المنتشرين على حدود « مملكته الشمالية » كما تخرجت مع ابراهيم سلطان دارفور الذى انحاز إلى جانب العربان فى معاداة الزبير ولم تمنعه انتصاراته على أعدائه من محاولة استمالة حكمدار السودان اسماعيل أيوب باشا وكسب عطف الخديو فى القاهرة (٢٨٥) وقد وثق اسماعيل أيوب بالزبير وعرض على القاهرة

(٢٨٢) عابدين . المعية . دفتر ١٤٨ رقم ٦ فى ١٦ رجب ١٢٩٣ من المعية الى حكمدار هرر وملفاتها .

(٢٨٣) عابدين . المعية . دفتر ٦ معية عربى رقم ٩٤ فى ١٠ محرم ١٢٩٢ نظارة المالية الى المعية السنية ، ثم دفتر ١١ معية صادر رقم ٢٣ فى ٢ صفر ١٢٩٣ المعية السنية الى الخاصة الخديوية .

(٢٨٤) Jackson 30—33; Vizetelly 10; Junker (1875—78) 372.

Shukry 225—227. (See Notes). (٢٨٥)

أن يعهد إليه بحكومة شكا وبحز الغزال بناء على رغبته (٢٨٦) فصدر الامر بتعيينه مديراً لبحر الغزال في ٢٢ ديسمبر ١٨٧٣ (٢٨٧) ومهد انضواء الزبير تحت لواء الحكومة المصرية لافتتاح دارفور وأسهم الرجل بنصيب وافر في حملات الفتح وقد وجد بدارفور في ذلك الحين كثيرون كانوا يؤثرون حكومة المصريين على حكومتها الوطنية الغاشمة إذ كانوا يؤملون أن يعمل المصريون على تعمير البلاد ومن هؤلاء الكثرين الشيخ فضل المولى محمد سر تيجار أم شنقة وأخوه الشيخ ابراهيم محمد وقد أرسلوا إلى حكامدار السودان « شخصين من طرفهما سراً أخبراه بالاحوال » ثم قابلاه عند سير الحملة إلى دارفور خارج أم شنقة و « فاهماه بالحاصل وساراه معه إل أن دخلوا البلد وصارا يسعيان في تأمين الأهالي والعربان والتجار في أم شنقة وغيرها وأحضرا الايقار والغلال اللازمة للعساكر ولولاهما — على حد قول الحكمدار — لكان يجد البلاد خراباً ويتعسر تعيش العساكر لكونهما أغنياء وأصحاب ثروة ونافذى الكلمة » (٢٨٨) وكان ممن ثبت ولاؤهم كذلك لحكومة الخرطوم الحبير محمد إمام سر تيجار دارفور وكان زوجاً لشقيقة السلطان ابراهيم وصفه الحكمدار بأنه كان « نافذ الكلمة وله معرفة بكافة جهات دارفور » ومع ذلك فإنه كان « أول من قابل (اسماعيل أيوب) بالفاشر بالامثال والطاعة واجتهد في استحضار الغلال وغيرها للعساكر ، كما أسدى خدمات جليلة لجيوش الخديو في أثناء الفتح واحتذى مثاله أخواه الحاج حمزة إمام ومحمود إمام

(٢٨٦) طلعت — ١ : ٥٦ ، شقير — ٣ : ٧٤

(٢٨٧) عابدين . المعية دفتر ١٩٤٨ (أوامر عربي) رقم ٤ في ١٧ ذى القعدة ١٢٩٠ أمر كريم إلى اسماعيل ايوب باشا ، ثم دفتر ١٨٧٥ رقم ٦٤ في غرة رجب ١٢٩٠ من عموم قبلى السودان إلى المعية السنية .

(٢٨٨) عابدين . المعية . دفتر ٥ عربي وازد الافادات رقم ٢ مرور في ١٥ شعبان ١٢٩١ من اسماعيل ايوب إلى المعية السنية .

« من وجوه تجار دارفور » (٢٨٩) ولم يكد الامر يستتب للمصريين في دارفور حتى أنعم الخديو على الشيخ فضل المولى محمد وأخيه ابراهيم محمد بالنيشان المجيدى من الرتبة الرابعة للاول ومن الخامسة للثاني (٢٩٠) كما أنعم بالنيشان نفسه من الرتبة الرابعة على الحاج حمزة إمام « الذى هو أخى الخير محمد بك إمام سرتجار دارفور ورئيس مجلسها » وكان الحاج حمزة إمام وأخوه محمود قد التما مقابلة الخديو بالقاهرة فأكرم الخديو وفادتهما وأوصى بهما خيراً عند عودتهما إلى دارفور (١٩١) أما الزبير باشا رحمت فقد كافأه الخديو على ما بذله من جهود فى فتح دارفور بالانعام عليه بالنيشان المجيدى من الرتبة الثالثة (٢٩٢) وكان ممن كوفتوا كذلك من السودانيين على ما قدموا من مساعدات فى أثناء الفتح إلياس بك محمد سرتجار ككردفان ورئيس مجلسها فقد نال النيشان المجيدى من الرتبة الثالثة (٢٩٣) والشيخ احمد محمد دفع الله « من معتبرين أهالى كدفان » وقد أنعم عليه بالرتبة الرابعة والنيشان المجيدى من الدرجة الخامسة ذلك بأنه « مع كونه ليس صاحب ثروة جسيمة فإنه لحبه فى الوطن قد جهز ٢٥٠ نفر من جماعته ... وأرسلهم فى هذه الدفعة لدارفور ولمساعدة

(٢٨٩) عابدين . المعية دفتر ٥ عربى وارد الافادات . رقم ١٠ مرور فى ١٣ ذى الحجة ١٢٩١ . من حاكم دار السودان إلى المعية .

(٢٩٠) عابدين المعية . دفتر ٦ معية عربى رقم ٢٧ فى ٢٠ شوال ١٢٩١ من نظارة المالية إلى المعية السنية .

(٢٩١) عابدين . المعية . دفتر ٧ بدون نمرة معية ٢ . ترجمة الوثيقة التركية رقم ٤ صفحة ٧٢ فى ٨ ربيع الثانى ١٢٩٢ من المعية إلى ديوان المالية : ثم دفتر ٥ بدون نمرة بختم سعادة مهردار خديوى فى ٢٥ ربيع الثانى ١٢٩٢ ؛ ثم دفتر ١٤٧ . معية عربى رقم ٢٢ فى ٢ رمضان ١٢٩٢ من المعية السنية إلى مديرية دنقلة

(٢٩٢) عابدين . المعية . محظظة ٥٢ (ترى) رقم ١٢٦ فى ٢٥ ربيع الآخر ١٢٩٢ (وافادة صادرة المالية رقم ٢٩ فى ٣ محرم ١٢٩٢) .

(٢٩٣) عابدين . المعية . دفتر ١٧ (عربى) رقم ٢ مرور فى ١٤ رمضان ١٢٩٢ من حاكم دارية السودان إلى المعية السنية .

العساكر، (٢٩٤) وقد استتبع ضم دارفور إلى ممتلكات الحكومة الانعام على كبار الاهلين الذين أظهروا الولاء للحكومة الجديدة تأمينا لهم على مراكرهم فنال الحاج على فضل الله النعيمة سرتجار كبكسية والحاج عمر إمام سرتجار مديرية داره الرتبة الرابعة (٢٩٥) واستقبلت أسرة السلطان ابراهيم بعد أن لقي حتفه في معركة منواشي (٢٤ أكتوبر ١٨٧٤) بكل حفاوة وتكريم عندما أرسلت إلى مصر وفي طليعة أفرادها الامراء محمد خليفة وعبدالرحمن ومحمد جامع (٢٩٦).

تلك كانت معالم السياسة الوطنية الرشيدة التي اتبعها الخديو في الأقاليم السودانية وهي سياسة كانت قائمة على احترام الشيوخ والزعماء والرؤساء الوطنيين وملء الوظائف بالسودانيين وإشراكهم في الحكم والأدارة وكان لهذه السياسة أكبر الأثر في تشييد صرح الحكومة الأبوية في جزء الوادي الجنوبي وإتاحة الفرصة لهذه الحكومة حتى تعمل على بسط رواق الأمن والسلام في ربوع السودان ونشر ألوية الثقافة والعرفان والقيام بالأصلاحات العمرانية الواسعة في أرجاء البلاد وكان تأسيس الحكومة الموطدة في الخرطوم من أولى المسائل التي عني بها حكامدارو السودان ومديروه عناية عظيمة لما يترتب على ذلك من تأمين الأهلين على أرواحهم وأموالهم ثم استمالتهم إلى الاستقرار في قراهم ودساكرهم حتى يقبلوا على الزراعة ويزاولوا مختلف الحرف والصناعات ويرسلوا أبناءهم إلى معاهد التعليم فيتذوقوا بفضل ذلك

(٢٩٤) عابدين . المعية . دفتر ٥ (عربي) وارد الافادات رقم ١٢ مرور في ١٣ ذي الحجة ١٢٩١ من حكممدارية السودان إلى المعية السنية .

(٢٩٥) عابدين . المعية . دفتر ١٧ (عربي) رقم ١٢ مرور في أول رمضان ١٢٩٣ من حكممدارية السودان إلى المعية السنية .

(٢٩٦) عابدين . المعية . دفتر ١٧ (عربي) رقم ٥ عموم في ٢١ محرم ١٢٩٣ من حكممدارية السودان إلى المعية السنية ؛ ثم دفتر بدون نمرة عربي صفحة ٤٧ في نمرة صغير ١٢٩٢ في المعية السنية إلى محافظة مصر ، ثم في ١٧ ربيع أول ١٢٩٣ من المعية إلى محافظة مصر .

كله طعم الحياة الهادئة المفيدة وعلى ذلك فقد اهتم موسى حمدى أول الحكمدارين فى العهد الجديد بشئون الأمن اهتماما كبيرا فأخذ على عاتقه تطهير البلاد من العابثين بالأمن وخاصة فى الجهات المتاخمة للحبشة حيث كان من السهل على العصاة والمفسدين أن يجدوا فى بلاد الأحباش معاقل يغيرون منها على الأهلىين الوادعين فينهبون القرى ويسفكون الدماء ثم يلجئون إليها بعد ذلك فرارا من بطش الحكومة وكانت أكثر الأقاليم تعرضا لأذى هؤلاء الاشرار التامة والقلابات والجهات الواقعة على طول الحدود فى الشرق والشمال الشرقى (٢٩٧) فاتخذ موسى حمدى عدة تدابير حكيمه ساعدت على قطع دابر هؤلاء الاشقياء (٢٩٨) فاستأن كثير من فضاوا الالتجاء إلى حماية الرءوس الاحباش على البقاء فى أما كنهم عرضة لاغارات هؤلاء المعتدين وكان من بين العائدين الشيخ أحمد ميره شيخ القلابات والشيخ أحمد أبو جن شيخ عربان رفاة الشرق وعاد معهم جمع غفير من أتباعهم فكافأتهم الحكومة بتخصيص راتب شهرى للشيخ أحمد ميره وتقليد « أحمد أبو جن » المشيخة على عربان رفاة الشرق ثم تجاوزت عن « أموال أطيانهم » وأمر اسماعيل حكمدار السودان « ألا يضمن عليهم بالمساعدة بأعطائهم التقاوى والحيوانات » تشجيعا لهم على الاستقرار والاشتغال بالزراعة واستصلاح الارض (٢٩٩) .

وكان من الذين استأمنوا كذلك الملك ناصر من كردفان وذلك بعد أن ظل يناوئ سلطان الحكومة سنين طويلة واعتصم بجبل تقلى فتعذر عليها

(٢٩٧) عابدين . المعية (تركى) دفتر ٥٣٠ رقم ٤ فى ٢٨ شعبان ١٢٧٩ من القائم إلى حكمدار السودان ، ثم دفتر ٥٢٦ (تركى) رقم ٨ (جزء ثانى) فى ٨ شعبان ١٢٧٩ بإرادة إلى موسى باشا حمدى حكمدار السودان .

(٢٩٨) عابدين . المعية . (تركى) دفتر ٥٢٦ رقم ٢٠ فى ١٠ ذى القعدة ١٢٧٩ إرادة سنية إلى موسى حمدى ، ثم جزء ثانى رقم ٢٣ من ٨٣ فى ١٧ ذى القعدة ١٢٧٩ .

(٢٩٩) عابدين . المعية . دفتر ٥٢٦ (تركى) رقم ١٦ فى ٦ شوال ١٢٧٩ ثم رقم ٩٩ من ٧٠ قسم ثانى فى ٤ ذى القعدة ١٢٧٩ إرادة سنية إلى موسى حمدى .

إخضاعه ولسكنه سلم الآن إلى موسى حمدي طوعا (٣٠٠) فأرسله الحكمدار إلى القاهرة وعفا الخديو عنه وأنزله بالمسافر خانة وعند عودته إلى السودان أعطى أرضا يعيش من ريعها وأوصى به اسماعيل حكمدار السودان خيرا (٣٠١) وأنزل جعفر صادق باشا العقاب الصارم بعربان البشارية الذين كثرا اعتداؤهم على «التجار وسواهم من أبناء السبيل الذين يمرون في جهاتهم» بين ساحل البحر الأحمر ونهر العظيرة (٣٠٢) وأصدر اسماعيل من القاهرة الأوامر المشددة لرعاية أهل القبائل السود بمديرية البحر الأبيض ومنع الأشقياء «الذين يسلبون أموال الرعايا والبرايا ويقلقون راحتهم» من الاعتداء عليهم وسلب مواشيهم ومحمولاتهم وكان أشد هؤلاء الأشقياء خطرا موسى ولد علوان البقاري وهو من قبيلة البقارة التي اشتهرت من قديم الزمن بتعكير صفو الأمن وصيد الزنوج للاتجار بهم في أسواق الرقيق (٣٠٣) وإلى جانب ذلك فقد ظل اسماعيل يعنى بتأمين طرق القوافل بين مصر والسودان وبخاصة طريق عتمور أبي حمد (إقليم الرباطاب) من اعتداء العربان السكبابيش وغيرهم عليها فشدد على الشيخ حسن خليفة مدير دنقلة ومتعهد طريق العتمور بضرورة السهر على سلامة الطرق كما أمر بأن يوضع تحت تصرف الشيخ قوة

Lejean (Voyage) 47—48; Petherick II. 7—8; Douin III. 1 re Partie (٣٠٠)
تم عابدين المعية • محفظة ١٩ رقم ١٤ في ١٨ رمضان ١٢٥٩ أحمد باشا أبو ودان. 33—34
إلى محمد علي .

(٣٠١) عابدين • المعية • دفتر ٥٤٩ (تركي) رقم ٣١ في ٢٩ جمادى الثانية ١٢٨١ من
المعية السنوية إلى محافظة مصر ثم دفتر ٥٢٩ (تركي) رقم ٥ في ١٥ رجب ١٢٨١ من الجانب
العالي إلى حكمدار السودان .

(٣٠٢) عابدين • المعية • دفتر ٥٥٢ (تركي) رقم ٣٩ في ١٩ ذي الحجة ١٢٨١ من
الباشا الباشمعاون إلى حكمدار السودان .

(٣٠٣) عابدين • المعية • دفتر ٥٥٨ (تركي) رقم ١٣ في ٢١ رجب ١٢٨٢ ارادة إلى
حكمدار السودان .

من الجنود تكفى لحراسة الطريق على أنه لم يكتف بذلك بل طلب إلى جميع المديرين أن يبذلوا قصاراهم لتأمين الطرق والمحافظة على الارواح والاموال وإنزال العقوبة الرادعة بالمعتدين (٣٠٤).

وفي فبراير ١٨٧٣ زار القاهرة الشيخ فضل الله واد سالم شيخ السكبايش والتقى من الخديو عند مقابلته أن يعيد إليه «تمهيد» الطرق من دبة وكورتى إلى مديرية الخرطوم وبين أبو قس والابيض فى كردفان فأجاب الخديو رغبته ضيانا لاستتباب الامن والسلام فى هذه الطرق (٣٠٥) وفضلا عن ذلك فقد عنى الخديو بشئون الامن فى جهات فازوغلى وأقاليم النيل الابيض فطلب من الحكمدارين أن يبذلوا النصيح لشيوخ تلك الجهات وفى طليعتهم الشيخ رجب إدريس فى جبال الفونج ومحمد خير «شيخ عربان دنكا ووكيل ملك القبيلة المسماة شلك» (٣٠٦).

وكان من أثر هذه التدابير جميعها أن توطدت دعائم الأمن مما ساعد الحكمدارين والمديرين على أن ينفذوا فى السودان إصلاحات كثيرة أهمها تحسين العاصمة وإنشاء المباني الحديثة فى الخرطوم وغيرها من المدن واحتفار الآبار ومد أنابيب المياه العذبة إلى المدن وتنشيط الزراعة والتجارة وبناء السكك الحديدية وتعميد الطرق لربط أقاليم السودان المختلفة بعضها ببعض

(٣٠٤) عابدين . المعية . دفتر ٥٥٨ (تركى) رقم ٣٢ فى ٩ ربيع الثانى ١٢٨٣ لارادة الى حكمدار السودان ؛ ثم دفتر ٥٦٠ رقم ٧ قسم ثانى فى ٣ ذى الحجة ١٢٨٣ ؛ ثم محفظة ٣٩ رقم ١٤٨ فى ٩ ربيع الثانى ١٢٨٣ من الجنب العالى الى الشيخ حسين خليفة . (٣٠٥) عابدين . المعية . محفظة ٤٩ رقم ٤٣٨ فى ٢٠ ذى الحجة ١٢٨٩ من جعفر مظهر باشا الى مهردار خديوى ؛ ثم دفتر ١٩٤٦ (أوامر عربى) رقم ١١٢ فى ١٧ ربيع أول ١٢٩٠ أمر كريم الى مدير كردفان ؛ ثم دفتر ١٩٤٥ رقم ١٣ فى ١٧ ربيع أول ١٢٩٠ الى مدير عموم قبل السودان .

(٣٠٦) عابدين . المعية . دفتر ٥٢٦ (تركى) رقم ٢١ (قسم ثانى) فى ١٠ ذى القعدة ١٢٧٩ ارادة الى موسى باشا حمدى ؛ ثم رقم ٢٢ (قسم ثانى) فى نفس التاريخ .

الآخر وربط شطرى الوادى جنوبية وشمالية وكذلك تنظيم البريد وخدمة «التلغراف» وذلك كله إلى جانب العناية بصحة الأهلىن والسهر على نشر الثقافة الإسلامية فى البلاد وإنشاء المدارس الحكومية لتعميم التعليم وفق الأساليب المتبعة فى مصر ذاتها هذا فضلا عن تشجيع الرواد والكاشفین الأجانب على ارتیاد الأقالیم السودانية وقيام حكومة الخدیو ذاتها بأعمال الكشف الجغرافى وقدرتها على مكافحة النخاسة وإبطال تجارة الرقيق .

ولما كانت الخرطوم قد غدت أكبر المدن السودانية على الإطلاق وأكثرها أهمية مع أنه لم ينقض على إنشاءها سوى نيف وثلاثین عاماً فحسب فقد اكتظت أسواقها بالمتاجر وازدحمت أحيائها بالمباني وضائق شوارعها عن أن تتسع لجموع التجار والصناع والزائرين ومن إلیهم كما اكتظت دواوین الحكومة بالموظفین حتى باتت الحاجة ماسة إلى إقامة المنشآت والمباني وقد بذل الحكمدارون قصاراهم لترغيب الأهلىن والسكان فى بناء المنازل الجديدة بالآجر وفق أصول التنظيم فأقبل الناس على شراء الأرض الفضاء ليشيدوا علیها مبانيهم (٣٠٧) .

ونشط البناء فى الخرطوم وبخاصة فى عهد جعفر مظهر باشا وأحمد ممتاز باشا فرتب الأول « بلوكات عمارة من العساكر السودانية المتقدمین فى السن بالخرطوم والتاكة وكردفان ومصروع » وجلب من مصر البنائین والنجارين والحدادين حتى يقوموا بتعليم السودانین العارة ويشتركوا فى إنجاز الأعمال اللازمة (٣٠٨) وشمر جعفر مظهر عن ساعد الجد والنشاط عندما هطلت الأمطار بغزارة فى السودان فى صیف ١٨٦٦ وعظم فیضان النيل فطغت المياه على الخرطوم

(٢٠٧) عابدين . المعية . دفتر ١٧ (عربى قيد وارد الإفادات) رقم ٧ عموم فى ١٠ ربیع

أول ١٢٩٣ حکمدارية السودان إلى المعية السنية .

(٣٠٨) عابدين . المعية (ترکى) دفتر ١٨٣٦ رقم ٤ فى ٤ محرم ١٢٨٧ من حکمدارية

السودان إلى المعية السنية .

وأُتلفت كثيرا من مبانيها وتسكونت المستنقعات^(٣٠٩) واستمر العمران أيام أحمد ممتاز باشا فأسس سراي الحكومة وشملت عنايته ترسانة الخرطوم فاستكمل ما كان ينقصها من حاجات^(٣١٠) وقد استرعى هذا التعمير وذلك العدد العظيم من المباني الجديدة انتباه الرحالة والعالم الألماني — الروسي شوينفرت Schweinfurth عندما زار الخرطوم في يولية ١٨٧١^(٣١١) وفي عهد اسماعيل أيوب تم بناء سراي الحكومة ونظم بندر الخرطوم ووسعت شوارعه ثم اهتم الحكمدار بتقوية « صدر النيل » لمنع أخطار الفيضان واحتفار « القنابات لتصريف مياه الأمطار ووقاية البندر »^(٣١٢).

وقد سارت حركة التعمير في سائر المدن الكبرى بالسودان على غرار ما حدث في الخرطوم فشمل التنظيم بربر ودنقلة والأبيض وكسلا وسواكن ومصوع وغيرها وكانت الحاجة ماسة في مصوع وسواكن على وجه الخصوص إلى إنشاء دور جديدة لدواوين الحكومة والمستشفيات والمدارس وتوصيل المياه العذبة إلى كليهما لما كان لهما من أهمية بوصفهما مراكز كبيرة لتجارة السودان الشرقي ومنافذ لتصريف متاجر السودان^(٣١٣). وعنى أحمد ممتاز وهو حاكم لسواكن ببحث مسألة إيصال المياه العذبة إليها وزراعة الأشجار

(٣٠٩) عابدين . المعية (تركي) دفتر ٥٥٨ رقم ٩ (جزء ثاني) في ٢٨ شوال ١٢٨٣ لإرادة الى حكمدار السودان .

(٣١٠) عابدين المعية . دفتر ١٨٥٢ معية عربي رقم ٦٠ في ٢٦ ذى الحجة ١٢٨٨ المعية السنوية الى ديوان المالية ؟ شقير ج ١ ص ٩٠ .

(٣١١) Schweinfurthll. 399.

(٣١٢) عابدين . المعية . دفتر ١٠ (أوامر عربي) رقم ١٣ في ٢ شعبان ١٢٩٣ أمر كريم الى حكمدار السودان .

(٣١٣) عابدين . (تركي) دفتر ٥٧٣ رقم ١٩ في ٢٧ شعبان ١٢٨٤ من الجنب العالي الى ناظر الداخلية . تم دفتر ٥٥٨ رقم ٣ (جزء ثاني) في ٣ شوال ١٢٨٣ . الجنب العالي الى محافظ مصوع .

وإنشاء دار للمحافظة وأخرى للجمر ك ثم مستشفى ومدرسة في سواكن (٣١٤) وهكذا لم تنقضى سنوات قلائل على بدء الحكم المصري في سواكن حتى بلغت درجة من العمران أثارت إعجاب الأجانب الذين زاروا السودان ومروا بها (٣١٥) وسر الخديو بهذه النتيجة الطيبة فأثنى على جهود أحمد ممتاز وسجل هذا التقدم بقوله في ٢٩ سبتمبر ١٨٦٩ « إنه على ما اتصل بسمعنا عن شاهدوا سواكن وعادوا إلى هنا أن المهمة مبدولة لتوسيع العمران وإراحة الأهالي وتوطيد الأمن في تلك الجهة الأمر الذي سرنا كثيرا » ثم وعد الخديو بأن يزور سواكن بمجرد أن يتم افتتاح قناة السويس للملاحة « في هذه السنة وتتمكن الباخرة المخصصة (لركوب سموه) من الدخول إلى البحر الأحمر » (٣١٦) ولما كثرت وفود أحباش الجهات المجاورة إلى سواكن وكان أكثرهم « على المذهب القبطي ومن المناسب إنشاء كنيسة للأقباط أسوة بالمسلمين الذين لهم جامع في جزيرة سواكن » فقد أمر سموه بإنشاء كنيسة لهم (٣١٧) .

وفي مصوع أظهر حاكمها حسن رفعت بك نشاطا كبيرا في الآكثار من زراعة الأشجار والخضروات وتشديد المباني واقتراح تشييد مدرسة يدرس بها علماء من مصر أو من اليمن والحجاز حتى يدرس بها الطلاب

(٣١٤) عابدين . المعية . محفظة ٤٠ رقم ٤١٠ في شوال ١٢٨٣ ؛ ثم رقم ٤٠٧ ، ورقم ٤٥٥ في ذي القعدة ١٢٨٣ ، ورقم ٥٠٨ في محرم ١٢٨٤ من أحمد ممتاز بك إلى المعية ؛ ثم دفتر ٥٦٠ (تركي) رقم ٤ في ١٥ شعبان ١٢٨٢ من المعية إلى محافظ سواكن

ثم انظر Douin III. 1 re Partie p. 312.

Schweinfurth I. 15. (٣١٥)

(٣١٦) عابدين . المعية (تركي) . دفتر ٥٨٣ رقم ١ في ٢٢ جمادى الثانية ١٢٨٦ من الجنب العالي إلى محافظ سواكن .

(٣١٧) عابدين . المعية (تركي) . دفتر ٥٨٣ رقم ٢٠ في ٢٨ شوال ١٢٨٦ من الجنب العالي إلى ناظر الداخلية .

المسلمون الأحباش بدلا من ذهابهم إلى الحجاز أو اليمن لتلقى العلم هناك (٣١٨)
واتسع نطاق التعمير في مصبوع عندما عين منزجر محافظا لها في إبريل ١٨٧١
وزوده الخديو بتعليمات مفصلة عن ضروب الإصلاح والتعمير لافي مصبوع
وحدها بل وفي طوكر والترنكتات والعقيق وغيرها من البلدان المجاورة (٣١٩)
وقد شمل التعمير زيلع وتاجورة (تجرة) وبياول وبربرة وزلا (زولا)
وهرر فكثرت المباني وزرعت الأرض وأقيمت الجوامع وافتتحت المدارس
وشيدت دور الحكومة وبنيت المستشفيات وكان من أثر اتساع حركة التعمير
في زيلع أن أقبل التجار الأوروبيون والسودانيون على سكنها وشراء
الأرض من الحكومة لبناء محالهم التجارية عليها وشجعت الحكومة التجار
والأهلين عموما على العمارة بأن صارت تعطيهم الأرض بأثمان « تتناسب مع
حالة » كل فرد منهم (٣٢٠) ومع أن زلة (زولا) كانت ذات سوق كبيرة ومد
الانجليز بها سكة حديدية إبان حملتهم التأديبية على الحبشة (١٨٦٧-١٨٦٨)
وأنشئوا بها عدة مبان وجلبوا « المواسير والبناج » لايصال المياه العذبة اليها
فقد ظلت أعمال جلب المياه معطلة بسبب انسحابهم منها عند انتهاء حملة
الحبشة ووقع على عاتق الحكومة الخديوية انجاز مشروع المياه العذبة . هذا
إلى أن الحكومة بنت مستشفى بها وعهدت بالاشراف عليه إلى أحد الاطباء
الأكفاء (٣٢١) كما رغب الخديو في تحسين مينائها واتخاذها عاصمة للحفاظة
بدلا من زيلع وكلف عبد القادر باشا ببحث هذه المسألة ولم يثنه عن عزمه

(٣١٨) عابدين . المعية . محفظة ٤٠ رقم ٢٢٤ في ١٤ رمضان ١٢٨٣ حسن رفعت بك
إلى المعية .

(٣١٩) Douin III. 11 o Partie. pp 511-529.

(٣٢٠) عابدين . المعية . دفتر ١٠ (أوامر عربي) رقم ١٢٠ في ١١ محرم ١٢٩٣ من
المعية إلى محافظ زيلع .

(٣٢١) عابدين . المعية . (عربي) دفتر ٢٤ رقم ١٢٩ :سائرة في ١٦ جمادى الأولى
١٢٩٤ محافظ زيلع إلى المعية السنية .

سوى أن عبد القادر باشا جزم بأن زولا لا تصلح بحال من الأحوال لأن تكون مركزا للمحافظة،^(٣٢٢) وارتفع ذكر بربرة باعتبارها مركزا هاما لتجارة خليج عدن والبحر الأحمر عندما دخل هذا الثغر في حوزة المصريين. فأنشئت به المباني الأميرية وبنى جامع للصلاة وجلبت المعدات اللازمة لإيصال المياه العذبة إليه واستتب النظام وتوطد الأمن فأقبل التجار من كل كل حذب وصوب يبغون الإستقرار في بربرة ورغب التجار الأوربيون والهنود في إنشاء المحال التجارية بها^(٣٢٣) واهتم الخديوى « بتركيب اسكلة » بالميناء وأرسل المهمات والادوات اللازمة لذلك^(٣٢٤) وأظهر تبحر وأهل بربرة تقديرهم لهذا النشاط العمراني العظيم فتوجهوا إلى الخديوى بالشكر والممنونية من الإحسانات العلية التي عملت في هذا البلد واستقامة الأحكام الشرعية والسياسية ورفع المظالم عنها وانتشار الأمان فيها^(٣٢٥) أما هرر فقد أبدى حكامها محمد رؤوف باشا هممة عظيمة في إنشاء الدور والمباني اللازمة لدواوين الحكومة وثكنات الجنود وإصلاح مسجدها الكبير^(٣٢٦) وفضلا عن ذلك فقد أنشئ طريق معبد بين زيلع وهرر وأقيم مركز للشرطة في جلديسة.

(٣٢٢) عابدين . المعية . (تركى) دفتر ٥٧٣ رقم ٤٢ فى ٢٥ محرم ١٢٨٥ من الجنب العالى إلى عبد القادر باشا : ثم رقم ٥٦ فى ٨ ربيع الثانى ١٢٨٥ من الجنب العالى إلى ناظر الداخلية .

(٣٢٣) عابدين . المعية . دفتر ١٤٨ (معية) رقم ١٩٧ فى غرة جمادى الأولى ١٢٩٣ المعية السنية إلى سعادة رضوان باشا .

(٣٢٤) عابدين . المعية . دفتر ١٧ (عربى) قيد وارد الإفادات رقم ١٠ فى ١٧ شعبان ١٢٩٢ من وكيل عموم الفئارات والليانات إلى المعية السنية ثم رقم ٢ سايرة فى شعبان ١٢٩٢ (٣٢٥) عابدين . المعية . دفتر ٢٧١٥ (عربى صادر بربرة) رقم ٤٥ فى ١٤ شوال ١٢٩٣ من محافظة بربرة إلى المعية السنية .

(٣٢٦) عابدين . المعية . دفتر ١٧ (عربى) رقم ١٥ مكتبة سايرة فى ١٨ رمضان ١٢٩٢ من سعادة رؤوف باشا إلى المعية السنية .

عند تقاطع طرق القوافل بين هرر وشوى فكان ذلك بدء عمار جلاليسية
وارتفاع شأنها (٣٢٧)

واستتبع اتساع حركة العمران وازدحام المدن الكبرى بسكانها زيادة
العناية بشئون الصحة العامة لمنع الأوبئة من الانتشار وكانت الخرطوم على
وجه الخصوص — قبل تنظيمها الجديد — أكثر المدن تعرضا لفتك الأوبئة
بسبب موقعها عند ملتقى النيلين الأبيض والأزرق وكذلك بسبب رطوبة
جوها وفكر جعفر مظهر في نقلها إلى الجزيرة تفاديا من تارك الأمراض
المهلكة ووافق اسماعيل على ذلك إذا كان ذلك ممكنا وكانت الجزيرة ذات جو
صحي ملائم (٣٢٨). بيد أنه لما كان نقل العاصمة متعذرا فقد عظمت عناية
الحكمدار بإجراء الإصلاحات والتنظيمات الصحية اللازمة في غير إبطاء وعلى
نطاق واسع. هذا إلى أن جعفر أعد مشروعاً لتعليم عشرين من السودانيين
الطب والصيدلة في مدرسة الخرطوم الابتدائية تحت إشراف طبيب مستشفى
الخرطوم الصاغ محمد سكري أفندي الذي درس الطب في فرنسا غير أن قيام
أستاذ واحد بتعليم هذا العدد الكبير تعليمًا نافعاً مشمرا كان أمراً متعذراً
لصعوبة علوم الطب والصيدلة ولعدم وجود الوسائل اللازمة لتدريسها على خير
وجه في العاصمة فرأى اسماعيل أن يبعث إلى السودان بالعدد الكافي من الأطباء
المهرة والصيدالة المدربين (٣٢٩) وكانت مهمة هؤلاء تطعيم الأهليين ضد الجدري
والأمراض الوبائية والإشراف على المستشفيات التي أنشئت في دنقلة والتاكة

(٣٢٧) Paulitschke p. 57.

(٣٢٨) عابدين . المعية (تركي) دفتر ٥٥٨ رقم ٤ (قسم ثاني) في ٢٣ جادى الأولى
١٢٨٣ من الجنب الدالى إلى حكمدار السودان .

(٣٢٩) عابدين . المعية . دفتر ٥٨٤ (تركي) رقم ٢ في ٢٣ شوال ١٢٨٧ من المعية
السنية إلى حكمدار السودان . ثم محفظة ٤٧ رقم ٦٥٨ في ١٩ شعبان ١٢٨٧ من حكمدار
السودان إلى المعية السنية .

وبربر وكردفان وسنار والخرطوم وزيلع وغيرها (٣٣٠) ثم ملاحظة ما يتخذ من اجراءات الحجر الصحي لمنع تفشى وباء الكوليرا في البلاد وكانت الكوليرا من الأوبئة التي يكثر حدوثها في مواسم الحج عادة عند عودة الحجاج إلى بلادهم من الحجاز وكانت أكثر الجهات عرضة لهذا الوباء مصوع وسواكن وخور بركة (بين مصوع وسواكن) والتاكة والكردفان (٣٣١) وكان من أقسى هذه الأوبئة وأشدّها فتكا بالاهلين ما حدث في عامي ١٨٦٦ و ١٨٧٢ ف ضرب الحجر الصحي على مصوع وسواكن وبربر وأبي حمد والخرطوم لعزل التاكة ومنع انتشار الوباء في السودان (٣٣٢).

وكان من أثر جميع تلك الجهود التي بذلتها الحكومة في سبيل المحافظة على الأمن وإدخال الطمأنينة على نفوس الأهلين واستمالتهم إلى البقاء في قراهم ودساكرهم وتوسيع المدن الهامة والإكثار من المنشآت العمرانية بها وإزالة أسباب الوباء منها وصون الصحة العامة ومكافحة الأمراض والأوبئة كان من أثر ذلك كله أن بدأ عهد استقرار ساعد على المضي فيما اعتزمته الحكومة من إصلاحات واسعة في جميع مرافق الحياة في شطر الوادي الجنوبي وكان من أهم عوامل ذلك الاستقرار أيضاً ذلك التغيير الذي طرأ على ملكية الأرض على نحو جعل أصحابها ملاك الأرض الحقيقيين بعد أن ظلت الحكومة القائمة بالبلاد هي المالك الوحيد للأرض منذ أجيال متطاولة فقد اعتبر الملوك من الفونج وغيرهم جميع الأراضي ملكا لهم يمنحون من يشاءون

(٣٣٠) Statistique de l'Egypte (1873). p 234; Myres 46-54.

(٣٣١) عابدين . المعية (تركي) دفتر ٥٥٧ رقم ٣٦ في ٢١ رجب ١٢٨٢ من الجناز العالي إلى ناظر الداخلية ، ثم دفتر ٥٦٤ رقم ٩ في أول محرم ١٢٨٣ من حكمदार السودان الى المعية السنية .

(٣٣٢) عابدين . المعية (تركي) . دفتر ٥٦٠ رقم ٥٠ في صفر ١٢٨٣ من المعية الى

نظاره الداخلية ؛ ثم F. O. 78/2231. Alex. 5. 9. 1872. Clavert to Stanton

من رعاياهم أقطاعات من الأرض هبة يتوارثها الأبناء عن الآباء ما دام في استطاعتهم أن يقدموا ما لديهم من أوراق تحمل خاتم الأمير وتثبت إقطاع الأرض لهم ولما كان من المتعذر بسبب تقادم العهد القاطع بصحة هذه الأختام فقد سهل على الحكام بعد ذلك انتزاع هذه الهبات ، من أصحابها وعند ما كثرت الحروب الأهلية في سنار بسبب تنافس المaulk والوزراء وانقسام البلاد شيعة وأحزاباً تتنازع فيما بينها للاستحواز على السلطة تعرضت ملكية الأرض لأخطار جسيمة وزال كل اطمئنان لدى الأهاليين على ما كان في حوزتهم من أرض ظل يزرعها أجدادهم منذ أزمنة بعيدة (٣٣٣) غير أن المصريين ما كادوا يفتحون هذه البلاد حتى تغير ذلك بأجمعه . صحيح أن الحكومة ظلت من حيث المبدأ صاحبة الأرض بحق الفتح ولسكن المصريين تركوها في حوزة أصحابها ولم يتعرضوا لها بشيء وفضلاً عن ذلك فقد أخذت الحكومة تشجع الملاك بعد تأسيس الخرطوم على أن يحصلوا من محكمتها على حجج شرعية تثبت ملكيتهم الأرض ومع أن ذلك تعذر على كثيرين فقد تركتهم الحكومة يفلحون الأرض بسلام دون أن تناقش ملكيتهم إياها (٣٣٤) وصار كل ما يعنى الحكومة أن يظل أصحاب الأرض يزرعونها بانتظام فلا يتركونها بوراً وظلت الحكومة تحصل الفرضة (فرضة الروموس) من الأهاليين على حسب مقدرة كل منهم فلم تفرض ضريبة على الأرض ذاتها واستمر

(٣٣٣) راجع تاريخ ملوك الفونج بالسودان وأقاليمها ، نسخة المكتبة الأهلية بباريس ؛ وتاريخ مدينة سنار نسخة دار الكتب المصرية ومكتبة فينا ؛ وتاريخ مملكة الفونج والعهد العثماني حتى عام ١٨٧١ نسخة المتحف البريطاني . وهذه التواريخ الثلاثة كتبها سودانيون ، وتنتهى حوادث المخطوطة الأولى عند حكمدارية خورشيد باشا ، والثانية عند حكمدارية موسى حمدى باشا والثالثة عند حكمدارية أحمد ممتاز باشا . ثم راجع كذلك كتاب الطبقات في خصوص الأولياء ٠٠٠ الخ لصاحبه محمد ضيف الله ، وكان فراغ المؤلف من تدوينه في ١٦ ربيع الأول ١١٦٦ (٢١ يناير ١٧٥٣) .

الحال على ذلك حتى أيام سعيد باشا إذ ارتأى ربط المال على عدد ما كان في حوزة كل شخص من أفدنة ومع ذلك فإن هذا النظام الجديد لم يستمر طويلا فبادر موسى حمدي باشا إلى إلغاء ضريبة الأفدنة وأعاد الفرضة كما كانت وصارت تحصل من الأفراد الذين كانت الأراضي في حوزتهم فعلا وقد أدى ذلك إلى زيادة الاستقرار وانتعاش الزراعة ولم تتدخل الحكومة إلا إذا توفي صاحب الأرض من غير وارث فكانت تنقل ملكيتها حينئذ إلى آخرين في استطاعتهم أن يعنوا بالأرض ويستثمروها ويدفعوا الفرضة للحكومة (٣٣٥) وفي عهد اسماعيل زاد اطمئنان الأهالي عند ما مكنت حكومة الخرطوم أصحاب الأرض من الحصول على الحجج الشرعية التي تؤيد ملكيتهم الأرض تأييداً حاسماً (٣٣٦).

وقد نجم عن تثبيت حقوق الملكية واستقرار الأهالي في الأرض والاقبال على زراعتها أن نشطت الزراعة نشاطاً كبيراً واستطاعت الحكومة أن تنفذ برنامجاً زراعياً واسعاً كان الأكثر من زراعة القطن من أهم دعائمه وسلسكت الحكومة طرقاً شتى لتشجيع الزراعة فانقصت ما كان يحصل من أصحاب الأراضي المزروعة وخففت ضريبة النخيل والسواقي وأعفت الأراضي المزروعة أشجاراً وحدائق من الضرائب كما أعفت منها السواقي التي تروىها وتجاوزت عن متأخرات الضرائب في بربر ودنقله وقبلت أن يدفع الأهاليون ضرائبهم من محصول القطن عينا ووزعت التقاوى على الأهالي وبذور القطن والمواشي بأثمانها دون أى ربح وأكثر من حفر القنوات و (السيالات)

(٣٣٥) عابدين . المعية . دفتر ٢٨٣ المجلس الخصوصي رقم ٣ في ٩ ربيع الثاني ١٢٩٠

من اسماعيل أيوب باشا إلى المجلس الخصوصي .

(٣٣٦) عابدين . المعية . دفتر ١٨٦٤ معية سنوية رقم ٢٤ في ١٧ شوال ١٢٨٩ من

(اسماعيل أيوب باشا) إلى المعية السنوية .

في ناحية بربر وشندى^(٣٣٧) فأقبل الناس على زراعة القطن خصوصا في بربر والخرطوم وسنار والتاكة (وكسلا) والقضارف وغيرها من الجهات حتى بلغ مقدار ما زرع منه في التاكة في عام ١٨٧٢ وحده ٣٦٦٠٠ فدان^(٣٣٨) وبلغت في عام ١٨٧٣ مساحة الأراضي المزروعة في مديرية بربر ودنقلة ٩٨٨٨ فداناً كانت تروىها ٦٥٩٠ ساقية وبلغ محصول القطن وحده (عدا الحبوب والدخان وغيره) ١٢٣٥٦ قنطارا^(٣٣٩) أما في مديرية الخرطوم وسنار فكان محصول القطن في السنة نفسها ثلاثة آلاف قنطار^(٣٤٠) وأرسلت الحكومة من القاهرة عدداً عظيماً من ابورات الخليج ودواليب اليد والمسكابس إلى توكر وسواكن ودنقلة وبربر والتاكة والخرطوم وغيرها^(٣٤١) وفضلاً عن ذلك

(٣٣٧) عابدين . المعية . دفتر ١٨٤٩ معية سنوية رقم ١٥ في ٢٦ ذى القعدة ١٢٧٨ من مدير بربر إلى المعية السنوية ، دفتر ١٩٣٨ رقم ٤ في ١٦ شوال ١٢٨٧ ، رقم ٨ في أول محرم ١٢٨٨ أمر كريم إلى مدير بربر ، ثم دفتر ١٨٥٩ معية سنوية رقم ١٥ في ٢٧ ذى القعدة ١٢٨٨ من مدير بربر إلى المعية السنوية ، ثم دفتر ١٨٧٥ معية سنوية رقم ٣ في ١٤ شعبان ١٢٨٩ ، ثم دفتر ٣٩١٢ معية عربي جزء رابع صادر محافظة سواحل البحر الأحمر رقم ٣٢ في ١٢ محرم ١٢٨٨ من محافظة سواحل البحر الأحمر إلى ديوان الجهادية ، ثم دفتر ١٨٥٣ معية عربي رقم ٤٧ في ٢٣ شوال ١٢٨٨ المعية السنوية إلى السنية إلى محافظة سواكن ، ورقم ٤٨ في نفس التاريخ إلى مدير التاكة ، ثم دفتر ٥٢٩ رقم ٤ في ٦ رجب ١٢٨١ من الجباب العالي إلى حكمدار السودان ، ثم دفتر ١٩٣٩ أوامر عربي رقم ٥ في ١٥ محرم ١٢٨٩ أمر كريم صادر إلى محافظ مصروع . الخ الخ الخ

(٣٣٨) عابدين . المعية . دفتر ١٥٨٩ معية عربي رقم ٨ في ١٤ محرم ١٢٨٩ من مدير التاكة إلى المعية ؛ ثم دفتر ١٩٤٢ أوامر عربي رقم ٢٢١ في ١٥ صفر ١٢٨٩ أمر كريم إلى مدير التاكة .

(٣٣٩) Statistique de l'Egypte (année 1873). pp 292 - 3.

(٣٤٠) عابدين . المعية . دفتر ١٨٧٥ معية عربي (رقم ١ في ٥ ذى القعدة ١٢٩٠ من حكمدارية السودان إلى المعية .

(٣٤١) عابدين . المعية . دفتر ١٨٥٢ معية عربي (رقم ٩ في ٧ شعبان ١٢٨٨ سعادة مهردار خديوى إلى ديوان الداخلية ؛ ورقم ٢٥ في ٨ شوال ١٢٨٨ من المعية السنوية إلى نظارة المالية ، ودفتر ١٨٥٩ معية عربي (رقم ٢ في ٨ شوال ١٢٨٨ من محافظة سواكن إلى المعية السنوية ، ودفتر ١٩٤٢ (أوامر عربي) رقم ٤ في ٥ ذى الحجة ١٢٨٨ أمر كريم

فقد شجعت الحكومة زراعة الدخان في سنهيت وكسلا (٣٤٢) وأطلقت زراعة البن في هرر وكان أمراء هرر يحسكرون زراعته قبل افتتاح إمارتهم فرخصت الحكومة بزراعة البن ولم ير الخديو بأسا من الاستعانة بذوى الخبرة في زراعة البن من الانجليز الذين أجادوا زراعته في الهند حتى يرشدوا الأهالي إلى أفضل الطريق لتنمية زراعة البن في هرر (٣٤٣).

واستتبع ازدهار الزراعة في السودان ووفرة المحصولات الزراعية أن نشطت التجارة نشاطاً عظيماً فتعددت أسواق القطن وكان أهمها في القلابات والقضارف (٣٤٣) وراجت تجارته بسبب الحرب الأهلية الأمريكية وانقطاع تصديره من أمريكا فترة ارتفعت خلالها أثمان القطن في مصر والسودان وعند انتهاء هذه الحرب انصرف المشترون عن أقطان السودان وأقبلوا بدلا من ذلك على ابتياع المحصولات الأخرى كالشمع والصمغ فازدهرت أسواق هذين الصنفين في كركوج والقضارف والقلابات وفضلا عن ذلك فقد نجم عن نشوب حرب القرم قبل ذلك بأعوام أن ارتفعت أثمان الجلود في كل الأسواق الأفريقية وراجت تجارتها وبخاصة في أسواق مصوع والقضارف وكسلا وسواكن (٣٤٥) وبلغت تجارة السودان على حسب تقدير شيلاو Chélou

صادر إلى مديرية بربر ودنقله ، ودفتر ١٨٧٥ (معية عربى) رقم ١٦ صفر ١٢٩١ من شرقى السودان ومحافظة سواحل البحر الأحمر إلى المعية ؛ ثم دفتر ١٨٧٠ معية عربى رقم ١٣٤ فى ١٩ ربيع آخر ١٢٩١ من المعية إلى المالية ٠٠ الخ .

(٣٤٢) عابدين . المعية دفتر ٥ عربى وارد الافادات رقم ١٨ فى ٣ ذى القعدة ٢٩١ ؛ ثم انظر 131. Chélou

(٣٤٣) عابدين . المعية دفتر ١٠ (أوامر عربى) رقم ٤ فى ١٢ شوال ١٢٩٢ الأمر السكرى الصادر إلى حكمدارية هرر وملحقاتها . ثم أنظر دفتر ١٠ (أوامر عربى) رقم ٣٠ فى ١٢ شوال ١٢٩٢ أمر كريم إلى حكمدارية هرر وملحقاتها .

(٣٤٤) Rassam. I. 167.

(٣٤٥) Douin. III. 1re Partie. pp. 155-166.

المهندس الفرنسي الذي أوفد إلى السودان للأشراف على تركيب طلبات الري اللازمة لزراعة القطن حوالي مليون جنيه مصري منها نصف مليون لتجارة الصادر وأربعمائة ألف لتجارة الوارد^(٣٤٦) ومع ذلك فقد قدر الخديو نفسه تجارة السودان الواردة إلى بولاق في عام ١٨٧٣ بحوالي مليون ونصف من الجنيهات^(٣٤٧) ومهما يكن من شأن هذه التقديرات المتفاوتة فقد أفادت موافق سواكن ومصوع وبربرة من انتعاش التجارة في الأقاليم السودانية فائدة عظيمة وزادت رغبة التجار الأجانب على نحو ما شهدنا في تأسيس البيوت التجارية بها وآية ذلك أنه بينما بلغ عدد السفن التي دخلت ميناء سواكن في عام ١٨٦٩ (١٤٦ سفينة) منها ثلاثون سفينة مصرية فقط زاد عددها حتى بلغ بعد عامين (٢٠١) منها تسع وستون سفينة مصرية وفي عام ١٨٧٧ كان عددها (٢٣٠) بلغت حمولتها ٨٠٥٢٣ طناً بينما بلغ عدد السفن الداخلة إلى ميناء مصوع في عام ١٨٧٧ (١٢٨٥) سفينة حمولتها ٨٦١٨٣ طناً^(٣٤٨).

أما بربرة فقد نشطت تجارتها وعمد سرتجارها الشيخ عوض باخشوان تحت إشراف محافظ بربرة إلى عقد اجتماعات يحضرها التجار والاعيان للبحث في أجدى الوسائل «لانتظام شئون التجارة وعدم الخروج في معاملاتهم ولعدم تسكير الحكومة في مشاكلهم وتوصيل الحقوق لأهلها» (وتيسير) الاخذ والعطاء «وقد أثمرت هذه الاجتماعات ثمرتها المرجوة فتقدمت التجارة في بربرة وشكر تجارها حكومة الخديو على اهتمامها «برفع المظالم» وتوطيد الأمن ونشر العمران في بلدهم^(٣٤٩) وشملت عناية الخديو كذلك السودان الغربي

Chélu. 105—106. (٣٤٦)

Douin III, 3me Partie, p 1173. (٣٤٧)

Amici. I. 59 et seq. (٣٤٨)

(٣٤٩) عابدين . العية . دفتر ٣٧١٥ صادر بربرة عربي رقم ٤٠ في ١٤ شوال ١٢٩٣ .
ثم رقم ٤٤ ، ورقم ٤٥ في نفس التاريخ من محافظة بربر إلى المنية السنية .

إلى جانب السودانين الأوسط والشرقي وموانئ البحر الأحمر وخليج عدن
فنشطت التجارة في كردفان ثم في دارفور بعد الفتح وازدهرت مراكرها في
الأبيض وكبسكيه وداره والفاشر وأم شنقة وغيرها وكان من بين الذين
رغبوا في تأسيس الشركات التجارية في دارفور الشيخ عبد الغنى التازى «وكيل
دولة المغرب الأقصى بمصر» والشريف العمرانى وأصدر الخديو أمره إلى
اسماعيل أيوب باشا بتسهيل مهمتها وفعل مثل ذلك أيضا مع الحاج الحبابى
المغربى «من تجار المحروسة» (وكان يريد إرسال بضائع كثيرة إلى السودان)
مع مندوبين من طرفه «فكتب الخديو إلى حاكم دار السودان حتى ييذل
قصاره في مساعدة هؤلاء المندوبين» حيث أن جل مقاصدنا — كما قال
الخديو — توسيع دائرة التجارة وتسهيل شئونها»^(٣٥٠) وكان من أجل «توسيع
دائرة التجارة وتسهيل شئونها» في السودان أن عاون اسماعيل بعد شهر
قليلة من اعتلائه أريكة الولاية على تأسيس شركة تجارية في يونية ١٨٦٣
سميت شركة السودان رأس مالها خمسون مليوناً من الفرنكات غرضها تنمية
موارد السودان وإدخال التجارة المشروعة في الأقاليم التي لم تكشف بعد
وكانت شركة مصرية أسهمت في تأسيسها خمسة بيوت تجارية بالاسكندرية
بمبلغ ثمانية وثلاثين مليوناً من الفرنكات واكتتب بالباقي مصرف الكريدى
انترناسيونال ثم اتخذت الشركة اسماً آخر فعرفت بالشركة المصرية التجارية
The Egyptian Commercial Trading Co. وفتحت أبوابها للممولين من
لندن وباريس وفرنكفورت ومن شركة أوبنهايم وبيت درقيو بالاسكندرية
وصار لها برنامج واسع وأراد اسماعيل أن يجلب من السودان سلعا تجارية

(٣٥٠) عابدين - المية ٠ دفتر ١ (أوامر عربى) رقم ٢ في ١١ محرم ١٢٩٢ أمر كريم
إلى حاكم دار السودان ، ثم دفتر ٢ (أوامر عربى) رقم ٢٠ في ٧ شوال ١٢٩١ من المية
إلى حكمة دار السودان .

جديدة كالحبوب والبن والسكر والاختشاب إلى جانب السلع القديمة كالعاج والصمغ وریش النعام (٣٥١) .

على أنه لم يكن هناك معدى عن العناية بتيسير سبل المواصلات إذا أريد الرواج لتجارة الأقاليم السودانية ولذلك كان فى مقدمة ما عنى به اسماعيل تعبيد الطرق وإنشاء السكك الحديدية وترتيب البريد (البوستة) وخدمة البرق (التلغراف) فأصلح الطريق بين سواكن والتاكة ثم أصلح الطريق من التاكة إلى بربر وتم تعبيده حتى أصبح من المستطاع أن تسير فيه العربات المصنوعة من الخشب والى تجرها الثيران لنقل البضائع ثم حفرت الآبار وأقيمت المحطات على طول الطريق من سواكن إلى بربر (٣٥٢) وعبدت كذلك الطريق بين توكر ومصوع ثم « الدرب » الموصل من زيلع إلى هرر (٣٥٣) ولما كان الطريق بين بربر وكورسكو هو طريق المواصلات الرئيسى فى السودان فقد اهتم الخديو بضرورة تأمين طريق العتمور (بين أبى حمد وكورسكو) وهو أكثر أجزاء هذا الطريق وعورة ثم اصلاحه وتعبيده حتى يسهل السفر فى طريق العتمور ونقل المتاجر (٣٥٤) .

وقد استخدمت هذه الطريق لنقل البريد ومد خطوط التلغراف وكانت الخرطوم مركز خدمة البريد فينتقل منها البريد الى القاهرة والى مختلف جهات

(٣٥١) Douln. I. 247-249.

(٣٥٢) عابدين . المعية (تركى) دفتر ٥٥٨ رقم ٦ فى غرة جمادى الأولى ١٢٨٢ إرادة السنية إلى جعفر باشا (مظهر) وكيل حكمدارية السودان ، ثم رقم ٢٧ فى ٢٨ صفر ١٢٨٣ إرادة سنية الى حكمدارية السودان .

(٣٥٣) عابدين . المعية . دفتر ١٩٣٩ (أوامر عربى) رقم ٦ فى ١٥ رجب ١٢٨٩ إرادة الى محافظة مصوع ، ثم دفتر عربى بدون نمرة صفحه ٣٢ فى ١٢ شوال ١٢٩٢ الى حكمدارية هرر وملحقاتها .

(٣٥٤) عابدين المعية محافظة ٤٩ رقم ٣٤٨ فى آخر شوال ١٢٨٩ من وكيل مجلس الأحكام الى مهردار خديوى ، ثم دفتر ١٧ (عربى) رقم ٨٤ فى ٢٧ ذى القعدة ١٢٩٠ من خيرى باشا الى حكمدار السودان .

السودان ولما كان الاشراف على هذه الخدمة الهامة ضرورياً لحكام الروابط بين شطرى الوادى من جهة وبين الخرطوم وسائر الأقاليم السودانية فقد أنشأ جعفر صادق باشا «وظيفة مفتش عام للبوسطة السودانية» على أن تكون مهمة المفتش «التنقل باستمرار في جميع الانحاء ليشراف على سرعة العمل» (٣٥٥) ثم صار البريد ينقل من الخرطوم الى سواكن مرة كل أسبوع وخصصت باخرة لنقله من سواكن الى مصر مرة في كل اسبوع كذلك (٣٥٦) وأنشئت عدة مكاتب للبوسطة في سواكن ومصوع والخرطوم والتاكة وغيرها واعدت الجداول الخاصة بقيام البواخر التي تنقل البريد بين السويس وبربرة وبين بربرة وزيلع وعدن (٣٥٧) وإلى جانب خدمة «البوسطة» أقيمت شبكة من خطوط «التلغراف» الغرض منها ربط السودان بمصر من جهة وربط أقاليمه بعضها ببعض من جهة أخرى وكان الخط من القاهرة الى الخرطوم أهم خطوط «التلغراف» بدأ انشاؤه في عام ١٨٦٣ ثم وصل الى الخرطوم في بداية عام ١٨٧٠ ويليه في الأهمية الخط بين سواكن وكسلا وفي عام ١٨٧٣ قرر الخديو أن يمد أسلاك البرق من بربر الى كسلا ومن مصوع الى كسلا ومن الخرطوم الى سنار وفازو غلى ومن الخرطوم (أم درمان) الى كردفان ومن مصوع الى بربرة وقد تم انشاء هذه الخطوط حوالى عام ١٨٧٥ هذا عدا خط

(٣٥٥) عابدين . المعية . محفظة ٣٦ رقم ٧٨ في ١٦ رجب ١٢٨٢ من جعفر صادق باشا إلى المعية .

(٣٥٦) عابدين . المعية (تركي) دفتر ٥٥٨ رقم ١٩ في ٩ ذى القعدة ١٢٨٢ من المعية إلى حاكم دار السودان .

(٣٥٧) عابدين . المعية (عربي) دفتر ٥ وارد الإفادات في ١٨ رمضان ١٢٩١ من شرقى السودان إلى المعية السفية ؛ ثم محفظة ٥٢ معية تركى رقم ٢٩٢ نمرة ١ جديدة في ٢٢ شعبان ١٢٩٢ من مصطفى باشا العرب وفردريجو باشا مديرا وابورات البوستة (راجع المرفق أيضا) ؛ ثم دفتر ١٥ معية عربي وارد الإفادات رقم ٢ في ٢٩ شعبان ١٢٩٢ .

دارفور من أم درمان وفوجه في بداية عام ١٨٧٧ (٣٥٨)

وعلاوة على ذلك عقد الخديو آمالا عظيمة على إمكان انشاء شبكة من السكك الحديدية تربط بين أطراف الأقاليم السودانية كما تربط بين مصر والسودان . قال اسماعيل في حديث له مع المسيو جارنيه Garnier من رجال القنصلية الفرنسية في مصر في اكتوبر ١٨٦٤ « كل أمنيقي أن أربط السودان بمصر بسكة حديدية تخترق تلك الصحراء الممتدة من كورسكو إلى أبي حمد من الدرجة الثالثة والعشرين الى التاسعة عشرة من خطوط العرض الشمالية ويلزمني ست سنوات لإنجاز هذا العمل » ثم استمر يقول « والى أن يتم إنشاء هذه السكة تربط البواخر بين آخر محطات السكة التي يفرغ من بنائها والخرطوم وقد أرسلت ثلاث بواخر بالفعل لهذه الغاية وإنى منتظر الآن وصول ثلاث أخرى من أوروبا سوف أرسلها بمجرد وصولها إلى مصر » (٣٥٩) وكان لتنفيذ مشروع السكة الحديدية بين القاهرة والخرطوم أن قامت في عامى ١٨٦٤ ، ١٨٦٥ بعثتان لاختبار الطريق من كورسكو الى أبي حمد ثم الى الخرطوم ولدراسة جنادل أسوان والبحث في إمكان شق قناة تخترق هذه الجنادل وكانت البعثة الأولى برئاسة المهندسين الانجليزيين «براى» Bray و« ووكر» Walker

(٣٥٨) عابدين . المعية (عربي) دفتر ١٨٧٠ رقم ٣٣ في ١٤ محرم ١٢٩١ من المعية السنوية إلى السكة الحديد ورقم ٤٨ في ٢٤ ربيع الثانى ١٢٩١ ؛ ثم دفتر ١٤٨ معية عربى رقم ٨ في ٤ شعبان ١٢٩٣ من المعية السنوية إلى حكمدارية السودان ، ثم دفتر ١٥ معية وارد الإفادات عربى رقم ٣٩ في غاية ذى الحجة ١٢٩٢ ثم رقم ١١٠ في ٢٦ شعبان ١٢٩٣ من السكة الحديد إلى المعية ، ثم دفتر ١٨٤٩ وارد معية رقم ١٤ في ٣ ربيع الثانى ١٢٨٨ من حكمدارية السودان إلى المعية السنوية الخ الخ الخ . ثم أنظر

Douin III, 1re et 3me Parties.

Aff. Etr, Egypte (Carton Alex. 1863—1866). Assouan 12. 10. 1864. (٣٥٩)
Garnier à Tastu.

وقد تمت تقريرها الى اسماعيل في مارس ١٨٤٥ (٣٦٠) وأما البعثة الثانية فكانت برئاسة المهندس الانجليزى هو كشو Hawkshaw وقد قدمت تقريرها الى الحكومة في مايو من العام نفسه (٣٦١)

وفي فبراير ١٨٧١ أبرم الخديو عقداً مع المهندس الانجليزى «جون فولر» Fowler لمدة خمس سنوات وكانت مهمة فولر وضع التصميمات اللازمة لسكة حديدية تربط السودان بالوجه البحرى ثم دراسة الوسائل الناجعة لتحسين الملاحة فى النيل وتمكين البواخر والسفن الكبيرة من اجتياز الجنادل فى أموان (٣٦٢) وفرغ فولر من دراسة المشروع بعد عامين فقدم تقريراً بنتائج دراسته فى فبراير ١٨٧٣ . ولم يحل دون تنفيذ مشروع فولر بخلافه سوى استحكام الأزيمة المالية فى مصر وقتذاك فأدخل الخديو تعديلات هامة على المشروع لتقليل نفقاته وأمكن فى السنوات التالية أن يتم بناء السكة الحديدية من وادى حلفا إلى سرس شمالي أمبوكل (٣٦٣) ولما كان مشروع فولر يشمل إلى جانب مد السكة الحديدية من وادى حلفا إلى الخرطوم مد خطوط أخرى من دبة إلى الفاشر ثم من سواكن إلى الخرطوم ماراً بسنكات والعطبرة، فقد فحست

F. O. 78/1871, Turkey (Egypt), Colquhoun to Russell. 11. 3. 1865, (٣٦٠)
ثم انظر عابدين المعية (تركى) دفتر ٥٤٥ رقم ٤ فى ١٦ جمادى الثانية ١٢٨١ من المعية الى حكمدار السودان . ورقم ٢٧ فى ١٩ جمادى الثانية ١٢٨١ الى مديرية قنا وإسنا ثم دفتر ٥٤٩ رقم ٤٩ فى ١٦ جمادى الثانية ١٢٨١ من المعية الى اسماعيل باشا ناظر الجهادية .

Douin III. 1re Partie pp 145—148. (٣٦١)

F. O. 78/2186. Turkey, (Egypt), Cairo 3.3. 1871, Stanton to Granville (٣٦٢)

Gleichen (The Anglo-Egyptian Sudan), I. 213; Douin III, 11 e Partie (٣٦٣)

p. 641 et seq,

الطرق في السودان الشرقى ودارفور (٣٦٤) ولم يحل دون تنفيذ هذا المشروع العظيم سوى شدة الأزمة المالية وجسامة التكاليف .

والواقع أن الإصلاحات الإنشائية المتعددة التي تمت في هذا العهد والتي زاد ظهور آثارها في تعمير المدن وانتعاش الزراعة ونشاط التجارة كانت تقتضى نفقات جسيمة لم يكن هناك معدى عن اتباع سياسة مالية ذات أغراض محددة واضحة حتى يمكن إنجازها بصورة تكفل النهوض بأهل البلاد والسير بالسودان في طريق الحضارة والعمران بخطا ثابتة سريعة واعتبر اسماعيل الأقاليم السودانية جزءا من البلاد المصرية ذاتها وعدها من مديريات الوادى جميعا لا فرق بين تلك الواقعة في شماله والأخرى الواقعة في جنوبه ينفق عليها جميعا من خزانة واحدة ويسهر على راحة أهل الجنوب سهره على راحة أهل الشمال. على أنهما كانت الأقاليم السوانية «أقطاراً جسيمة» وكان من قواعد الحياة الاقتصادية المنظمة أن يتكفل كل قطر بقدر الأمان بسداد ما يحتاج إليه من نفقات من موارده الخاصة فقد هدفت سياسة الخديو المالية إلى إنشاء ميزانية خاصة بالسودان حتى تتحدد الإيرادات والنفقات بصورة معينة واضحة وتسعى الأقاليم السودانية في سد حاجاتها من مواردها الخاصة وتتدخل مصر عند ظهور العجز في مالية هذه الأقاليم فقط يحدوه إلى ذلك الاعتقاد بأن استقلال السودان بشؤونه المالية دليل قاطع على مقدار ما بلغه شطر الوادى الجنوبي من تقدم وعمران .

(٣٦٤) عابدين المعية (تركى) سجل ٥٦٠ بدون مرة صفحة ٨٩ قسم ثانى فى ٢٤ صفر ١٢٨٤ من شريف باشا إلى الباشا المهردار ، ثم دفتر ٥ معية سنبة (عربى) واردة الإفادات رقم ١٤ فى ١٥ رجب ١٢٩٢ مدير بربر إلى المعية ، ثم دفتر ١١ معية صادر رقم ٢٣٣ فى ٢٣ رمضان ١٢٩٣ من المعية السنبة إلى المسالية ، ثم دفتر ١٩٤٦ (أوامر عربى) رقم ٤ فى ١٢ محرم ١٢٩٠ إلى مدير دنقلة وبربر . ثم أنظر .

وعلى ضوء هذه الاعتبارات اتبعت حكومة الخديو في السودان سياسة مالية رشيدة قائمة على العناية بتوفير أسباب الرفاهية للسودانيين ليس فقط عن طريق إدخال الإصلاحات المتعددة التي سبق ذكرها بل والمبادرة كذلك بتقديم كل وسائل المساعدة للسودانيين لانتشالهم من أى ضيق قد ينزل بهم نتيجة احتباس الأمطار أو زيادة الفيضانات وغير ذلك من الأسباب وعلاوة على ذلك فقد بذل الخديو جهدا كبيرا في تنظيم استثمار موارد السودان استثمارا يعود بالربح والفائدة على أهله بيد أن هذه المساعدات المتعددة وتنفيذ برنامج الإصلاحات العمرانية الواسعة كان يقتضى نفقات جسيمة لم تستطع ميزانية السودان أن تواجهها بحال من الأحوال وظل الخديو طوال مدة حكمه يسدد ما كان يحدث من عجز ظاهر في هذه الميزانية عاما بعد آخر .

فقد التمس موسى حمدى حاكم السودان في أوائل عام ١٨٦٤ إرسال ثلاثة آلاف أو أربعة آلاف كيس نقدا إلى مديرية التاكة بسبب ضائقها المالية نتيجة « للقطر الحادث في حاصلاتها » كما التمس إرسال « كمية من النقود إلى الحكمدارية لتساعد في نفقاتها الضرورية » فأمر اسماعيل نظارة المالية بإرسال الأموال اللازمة ثم كتب إلى الحكمدار الجديد جعفر صادق باشا حتى يبحث إيرادات الحكمدارية ومصروفاتها بحثا دقيقا مجرد وصوله إلى الخرطوم « وتنظيم ميزانيتها نظاما موافقا » وقال « وبعد أن تفحصوا عما إذا كان السودان في حاجة إلى نقود بطريق المساعدة علاوة على إيراداته السنوية لانفاقها في وجوه الإصلاحات الضرورية والتحسينات المهمة عليكم أن تحرروا بذلك بياننا مفصلا واعرضوه علينا » (٣٦٥) بل إن اسماعيل لم يلبث أن صرف النظر

(٣٦٥) عابدين . المعية (تركي) دفتر ٥٣٧ رقم ٢ في ٢٨ محرم ١٢٨٢ ارادة سنيه الى جعفر باشا حاكم السودان ، ودفتر ٥٣٩ رقم ١٦١ ص ٨٦ قسم ثانى فى نفس التاريخ من الجناح العالى الى ناظر المالية .

عن « ابتياع سفينتين من نوع القرويت وسفينتين مدفعتين (كانونير) كان قد أوصى بصنعهما في إنجلترا » وأمر بإرسال مائة ألف ليرة كان في النية دفعها من أصل الثمن إلى السودان لتفريج الضائقة المالية به (٣٦٦) وفضلا عن ذلك فقد أرسلت المقادير الكبيرة من الغلال « لبيعها بأثمانها الأصلية للأهالي والسكان وموظفي الحكومة في سواكن وكسلا وبربر والخرطوم لتوزيعها على الجهات المذكورة » (٣٦٧) وتكرر إرسال الإعانات المالية وإرسال الغلال وغيرها إلى السودان في الأعوام التالية وكانت الضائقة التي حلت بدارفور في غضون عام ١٨٧٥ بسبب احتباس الأمطار « واشتغال أهلها بالحروب » منذ العام السابق — أي قبل الفتح — من أخطر هذه الضائقات وأقساها على الأهالي وبادر الخديو على عادته بإرسال النجدة فبلغ ما أنفقه في هذا السبيل حوالي عشرين ألف كيس خلال عامين فقط (٣٦٨). بلغ ما أرسله الخديو اسماعيل حتى شهر نوفمبر من عام ١٨٦٦ حوالي ستة وعشرين ألف كيس . « وما دما قد أرسلنا من المال ٢٦٠٠٠ كيسا فسنرسل عشرة آلاف كيسه أيضا وقد اتضح لنا من كشف نظارة المالية أن هناك نحو ١٦٣٠٠٠ كيسه من الأموال المتبقية على السودان ، هذا ما كتبه الخديو إلى جعفر صادق باشا ثم استطرد يقول « وبديهي أن النقود التي أرسلت وسوف ترسل والمبالغ التي ستحصلونها من الأموال المتبقية تفي بالحاجة على قدر الأمكان وعلى ذلك فأنكم بعد وصولكم إلى

(٣٦٦) عابدين . المعية (تركي) دفتر ٥٥٣ بدون رقم صفحته ٥٣ في ١٧ صفر ١٢٨٢ من شريف باشا الى رياض باشا ، ثم دفتر ٥٣٨ رقم ١٤٧ قسم ثاني صفحة ٧٥ في ٢٦ صفر ١٢٨٢ من الجناب العالي الى شريف باشا .

(٣٦٧) عابدين . المعية (تركي) دفتر ٥٥٨ رقم ١٢ في ٧ رجب ١٢٨٢ ارادة الى حكامدار السودان .

(٣٦٨) عابدين . المعية (عربي) دفتر ١٧ قيد الوارد الخ . رقم ٣ مرور في ٢٨ رمضان ١٢٩٢ من حكمدارية السودان الى المعية .

مركز الحكمدارية واطلاعكم على المصروفات والإيرادات إذا بعثتم الينا بميزانية صحيحة لها فسوف لا نضن عليكم بأجابة المطالب التي نرى لزوما لها وكما أننا عندما نطلع على هذه الميزانية نوافيكم حالا بالمال الذي تدعو الضرورة له ثم تؤكد لكم بأننا نرسل ما تدعو الحاجة لأرساله من المال لتغطية بعض المصروفات علاوة على إيرادات السودان فنخطركم بذلك من الآن» (٣٦٩) وحتى نهاية الحكم لم يكف السودان عن طلب المساعدة المالية من مصر ويتضح من الوثائق المتعددة أن متأخرات الضرائب على الأهالي ظلت كثيرة كما أن العجز في ميزانية السودان كان مزمن استمر سنوات طويلة وقد بلغت متأخرات الضرائب في عام ١٢٨٧ هجرية (ابريل ١٨٧٠ - مارس ١٨٧١) على مديرية بربر ثمانية آلاف كيس (٣٧٠) وعلى التاكة حوالى نيف وألف ومائتى كيس وعلى محافظة مصوع ٣٦٩٣ كيس كما زادت نفقات محافظة سواكن على إيراداتها (٣٧١) وفي عام ١٢٨٨ هجرية (مارس ١٨٧١ - مارس ١٨٧٢) بلغ المتأخر على عربان بنى عامر فى مديرية التاكة ما يربو على ٩٥٢ كيس (٣٧٢) وعلى جهة (فيزوغلى) ١٤٥٨٦ كيسا تقريبا وعلى مديرية الخرطوم حوالى ٢٧٥٩١ كيس (٣٧٣) وقدرت حكومة الخرطوم ما كان متأخرا على أهل السودان من الضرائب

-
- (٣٦٩) عابدين . المعية (تركى) دفتر ٥٥٨ رقم ١١ فى ٢٩ جمادى الآخرة ١٢٨٢ لإرادة الى حكمدار السودان .
- (٣٧٠) عابدين . المعية . دفتر ١٩٣٤ (أوامر عربى) رقم ١٠ فى ٧ جمادى الآخرة ١٢٨٧ فى الجنب العالى الى حكمدار السودان .
- (٣٧١) عابدين . دفتر ١٨٤٧ (معية عربى) رقم ٣ فى ٨ رجب ١٢٨٧ من محافظة سواحل البحر الأحمر الى المعية السنية .
- (٣٧٢) عابدين . المعية (تركى) دفتر ٦ رقم ٢ فى ١٠ شعبان ١٢٩١ من قرار المجلس الخصوصى الى المعية السنية .
- (٣٧٣) عابدين . المعية (عربى) دفتر ١٨٦٤ رقم ١٧ فى ١٥ رمضان ١٢٨٩ ، ورقم ٨ فى ٢٩ شعبان ١٢٨٩ من مدير عموم قبلى السودان الى المعية السنية .

حتى سنة ١٢٨٨ هجرية بمبلغ ٣١٠٠٠ كيس تقريبا أى نحو ١٥٥٠٠٠ جنيهها
مصريا فى مديرية عموم قبلى السودان فقط^(٣٧٤) وفى هذه السنة نفسها بلغ عجز
ميزانية مصوع ٤٥٧٨٥٢ قرشا^(٣٧٥) وفى عام ١٢٩١ هجرية (فبراير ١٨٧٤ —
فبراير ١٨٧٥) كان العجز فى ميزانية القلابات ٣٣٧٩ كيسا و ٣٨٦ قرشا
و ٣٦ بارة^(٣٧٦).

تلك بعض الأمثلة التى اتسع المقام لذكرها عن مقدار ما كان يتأخر من
ضرائب على الأهلىن تجاوزت الحكومة عن معظمها ولم تشدد فى تحصيلها
وعن مقدار ما كان يحدث من عجز فى ميزانية المديريات المختلفة والمحافظات
السودانية بادرت حكومة الخديو دائما بارسال الأموال اللازمة لسدها وكان
من الطبيعى أن يعنى الخديو باستثمار كل ما يمكن استثماره من موارد السودان
و ثروته المعدنية على أن يغطى الايراد المتحصل من ذلك بعض هذه النفقات
الجسيمة ولما كان السودان مشهوراً من قديم الزمان بوجود بعض المعادن به
فقد كاف الخديو أحد المهندسين الانجليز بورمان Bowerman بالكشف عن
المعادن فى ساحل البحر الأحمر وصحبه فى هذه المهمة اسماعيل يسرى بك من
معاونى المعية السنية وبعض «العساكر اللغمجية» برئاسة مصطفى درويش
أفندى ونقلتهم الباخرة الطور إلى سواكن ١٨٦٩^(٣٧٧) وجرت الأعمال فى

(٣٧٤) عابدين . المعية (عربى) دفتر ٨٥٩ رقم ٢٦ فى ٢٠ ذى القعدة ١٢٨٨ من مدير
عموم قبلى السودان الى المعية السنية .

(٣٧٥) عابدين المعية (عربى) . دفتر ١٨٥٩ رقم ٦١ فى ٦ رجب ١٢٨٨ من محافظه
مصوع الى المعية السنية .

(٣٧٦) عابدين . المعية (عربى) . دفتر ١٨٧٥ رقم ٦١ فى ٢٧ جمادى الثانية ١٢٩١
من شرق السودان وسواحل البحر الأحمر الى المعية السنية .

(٣٧٧) عابدين . المعية . (تركى) دفتر ٥٧٣ رقم ١ ص ١٦٩ فى ١٢ شوال ١٢٨٥
ارادة سنية الى محافظ سواكن . ثم رقم ١ ص ١٧٠ فى نفس التاريخ من الجانب العالى الى
محافظ مصوع .

جهات أخرى من السودان للكشف عن المعادن كان أهمها ما حدث في دارفور للتنقيب عن معدن الرصاص في جهة جبل السكتشم وفحص المياه المعدنية الموجودة في عينين بجهة جبل مرة يقال لها بركة الذكر وبركة الأنثى (٣٧٨) وأرسل الزبير رحمت بك مدير بحر الغزال « عينه » من النحاس الموجود في حفرة النحاس لفحصها بالقاهرة ووجد بعد الفحص أن النحاس بهذه الحفرة « يكاد يكون نقياً ويلزم استعماله في الأحوال التي يستعمل فيها النحاس لأنه كالنحاس الجيد الذي يجلب من أوربا (٣٧٩) » وعند ما عرف وجود معدن الفحم وغيره بجهة زيلع وجبال بني عامر بين سواكن وعقيق ووجود الفحم كذلك في حدود هرر المتاخمة لشوى الحبشية كلف محافظ سواكن ووكيل محافظة زيلع (أبو بكر شحيم) وحكماد هرر رؤوف باشا بفحص هذا المعدن للوقوف على مقدار صلاحيته كوقود نافع (٣٨٠) وفضلاً عن ذلك فقد أبدت القاهرة اهتمامها بمعرفة خصائص نبات السكينا الذي يكثر وجوده في السودان وتجربة هذا النبات للوقوف على فوائده (٣٨١) كما اهتم الخديو بصناعة قوالب النيلة من

(٣٧٨) عابدين . المعية . (عربي) دفتر ١٤٨ رقم ٥٢ في ٢٧ ربيع الأول ١٢٩٣ من المعية الى حكمادارية السودان .

(٣٧٩) عابدين . المعية . (عربي) دفتر ١٨٧٥ رقم ١٩ في ٢٥ صفر ١٢٩١ من حكمادارية السودان الى المعية السنية ، ثم دفتر ١٨٧١ رقم ١٠ في ٢٤ جمادى الأولى ١٢٩١ من المعية الى حكمادارية السودان .

(٣٨٠) عابدين . المعية . (عربي) دفتر ١٨٣٥ رقم ١٠ في ١٦ صفر ١٢٨٧ من محافظ سواكن الى المعية السنية ، ثم دفتر ١٧ رقم ٢٠ سايرة في رمضان ١٢٩٢ من رؤوف باشا الى المعية ، ثم دفتر عربي بدون تمرة معية . صفحة ٣٢ في ١٢ شوال ١٢٩٢ من المعية السنية الى حكمادارية هرر وملحقاتها .

(٣٨١) عابدين . المعية . دفتر ١٨٣٦ (عربي) رقم ٧ في ١٠ صفر ١٢٨٧ من حكمادارية السودان الى المعية السنية ، دفتر ٥٥٨ (تركي) ٢٠ في ٢٥ ذى القعدة ١٢٨٢ من المعية الى حكمادارية السودان .

هكذا النبات الذي تكثر زراعته بمديرية التناكة بنوع خاص (٣٨٢) وأوصى بال العناية بأمر الملاحات الموجودة بسواحل البحر الأحمر حتى يمكن استثمارها استثماراً طيباً وكانت أهم هذه الملاحات ثلاثاً أحداها بحمة سواكن (ملاحه رواية) والثانية بين سواكن ومصوع والثالثة بين سواكن وتجرة (تاجورة) (٣٨٣) غير أن هذه الأعمال جميعها كانت ما تزال في دور التجربة ولذلك ظلت خزائن الحديد تتحمل شطراً عظيماً من نفقات الحكم والإدارة في السودان وكان من أسباب زيادة هذه النفقات ولا شك رغبة الحديد في نشر العلم وتشجيع السكشوف الجغرافية ومكافحة الرق والنخاسة .

ولقى التعليم على أيدي اسماعيل كل عناية وكان العاهل العظيم صاحب سياسة تعليمية واضحة المعالم ترجع أصولها إلى ذلك البرناج الذي وضعه محمد علي الكبير وعباس باشا الأول من حيث تعزيز ثقافة البلاد الدينية الإسلامية من ناحية وإدخال نوع من التعليم الحكومي المدني إما بإرسال أبناء السودان إلى مصر حتى يتعلموا بمدارسها الحكومية على نحو ما فعل محمد علي وإما بإنشاء المدرسة الحكومية في السودان نفسه على «حسب الأصول المصرية» على نحو ما فعل عباس الأول عند إنشاء مدرسة الخرطوم . حقيقة لم تعمر مدرسة الخرطوم بعد وفاة عباس ولكن التعليم الديني أو الأهلي — إذا جاز استعمال هذا التعبير — كان عند اعتلاء اسماعيل أريكة الولاية قد ازداد قدرة على تأدية رسالته بفضل تمسك محمد سعيد بالخطة التي سار عليها أسلافه فقد ظل سعيد

(٣٨٢) عابدين . المعية . دفتر ٥ (معية سنه عربي وارد الإفادات) رقم ٢٤ في ٦ ذي الحجة ١٢٩١ هـ ، ثم رقم ٢٨ في ٢١ محرم ١٢٩٢ من شرق السودان وسواحل البحر الأحمر إلى المعية السنية .

(٣٨٣) عابدين . المعية . محفظة ١١ جهادية (عربي) رقم ٤٨ في ٢٠ شعبان ١٢٩٢ من الجنب العالي إلى ناظر الجهادية ، ودفتر ٥ (معية عربي الخ) رقم ٢٦ في ٢٨ ذي الحجة ١٢٩١ من شرق السودان وسواحل البحر الأحمر إلى المعية السنية .

يعمر المساجد وهي دور العلم بالسودان ويرتب لأئمتها الأرزاق والمهايا وبعض الفقهاء والعلماء من الأموال المربوطة على الأتيان والسواقي مادام ريعها مخصصا للاتفاق منه على المساجد وطلاب العلم وحفظ القرآن الكريم بل ويهب هؤلاء الفقهاء والعلماء قدراً كبيراً من الأقدنة مساعدة لهم على المضى في تعليم أبناء السودانيين . فمن المساجد التي وصلتنا أخبارها وأمر سعيد بتعميرها « من طرف الميرى » مسجد الخرطوم وفضلاً عن ذلك فقد أمر سعيد بإجابة ملتصق إمام هذا الجامع الشيخ أحمد مكى بشأن « ترتيب مشونة (أرزاق) له ، علاوة على مرتبة أسوة بأمثاله من أئمة المساجد الأخرى فوافق سعيد « لسكون أحمد مكى المذكور رجل فقير وصاحب تدريس وقائم بشعائر الدين وأذان الصلوات بالجامع ويعلم أولاد المسلمين ومشهور له في ذلك » (٣٨٤)

وعند ما التمس الشيخ أحمد الإمام إمام الجامع الشريف « الكائن بأوردى دنقلة » زيادة مرتبه بادر سعيد بإجابة ملتصقه (٣٨٥) وفي أوائل عام ١٨٦٢ توسط محمد حسين سلطان دارفور لدى سعيد في أمر الشيخ محمد على قرانى النقشبندى وكان الشيخ يقوم بتعليم أبناء السودانيين في مديرية دنقلة وبربر ويلتمس ترتيب معاش له من جانب الحكومة فأجاب سعيد وساطة سلطان دارفور وأصدر أمره إلى مدير دنقلة وبربر « بترتيب المعاش الكافى للشيخ » (٣٨٦)

(٣٨٤) عابدين . المعية . دفتر ١٨٩٣ صادر الأوامر رقم ٢ فى ١٩ ربيع أول ١٢٦٧
أمر كريم إلى مدير سنار والخرطوم ، دفتر ١٨٩٧ صادر أوامر رقم ١ فى ٦ ذى الحجة ١٢٧٧
أمر كريم إلى مدير سنار والخرطوم .

(٣٨٥) عابدين . المعية . دفتر ١٩٦١ صادر قرارات المجلس الخصوصى رقم ١٥ فى ٢٣ رجب ١٢٧٦ ؛ دفتر ١٨٩٣ صادر الأوامر رقم ٢ فى ٣٦ رجب أمر كريم إلى مدير دنقلة وبربر .

(٣٨٦) عابدين . المعية . دفتر ١٨٩٩ أوامر عربى رقم ١٦٠ فى ١٣ شعبان ١٢٧٨
أمر كريم إلى حضرة سلطان دارفور ، ثم دفتر ١٨٩٨ أوامر عربى رقم ٧ فى ١٦ شعبان ١٢٧٨ أمر إلى مدير دنقلة وبربر .

وبلغ من اهتمام سعيد بتعزيز الثقافة الإسلامية بالسودان أن أمر بتوزيع الأرزاق على الفقهاء والعلماء المقررين لتعليم القرآن والعلوم، في جهات الخرطوم وسنار والتاكة وغيرها وإعفاثهم من أموال الأتليان التي يزرعونها ومعافاتهم أيضاً من الأشغال والمطالب، ما داموا منقطعين للعلم وما دامت مساجدهم مفتوحة لتلاوة القرآن والعلم الشريف» (٣٨٧).

وفي عهد اسماعيل كثر تعمير المساجد وصرف المرتبات لأئمة هذه المساجد وتوزيع الأرزاق عليهم وتشجيع الفقهاء بكل الوسائل على المضى في نشر الثقافة الإسلامية في أرجاء السودان فكان من بين المساجد التي أمر إسماعيل بتعميرها وترتيب المساييا لأئمتها ومؤذنيها وخدمتها، وربط ما يوافق ربطه من الأشياء سواء أكان أطيان أو عقارات مما يقتضى ترتيب إيقافه عليها، الجامع العتيق بالأبيض والجامع الكائن بحلة أبو صفيه ومسجد الأرباب ببندر الخرطوم والمسجد الكائن بحلة الهلالية بمديرية جزيرة سنار والخرطوم ومسجد قرية عبود ومسجد مدينة سنار ومسجد المسلية ومسجد مروي ومسجد توكر وغيرها من المساجد الكثيرة. ذلك بأنه «لما كان طبيعتنا — كما قال اسماعيل — جبلت على عمارة المساجد وإقامة الشعائر الإسلامية، فقد أمر بتعمير هذه المساجد جميعها» (٣٨٨) وما تجدر ملاحظته أن إسماعيل

(٣٨٧) عابدين . المعية دفتر ١٨٨٦ (أوامر عربي) رقم ٨ في ١٣ شوال ١٢٧٣ أمر كريم إلى مدير كردفان : سجل ١٨٨٩ (عربي) جزء أول — الأوامر العالية الصادرة للدواوين رقم ١٣ في ٢٤ محرم ١٢٨٤ ، دفتر ١٨٩٣ (صادر الأوامر) رقم ٤ في ٢٤ شعبان ١٢٧٦ أمر كريم إلى مدير التاكة ، ثم رقم ٨ في ١٧ شوال ١٢٧٦ أمر كريم إلى مديرية سنار والخرطوم .

(٣٨٨) عابدين . المعية . دفتر ١٢٥ (وارد معاونة) رقم ١١ في ٢٣ شعبان ١٢٧٩ ، ودفتر ١٦٩٤ وارد العرض محالات دواوين ومديريات رقم ٥ في ٦ محرم ١٢٨٠ ، دفتر ٥٢٩ (تركي) رقم ٢ في ١٣ ربيع أول ١٢٨٠ ، دفتر ١٢٦ وارد الأقاليم رقم ٢٦ في ٢٠ محرم ١٢٨٠ ، دفتر ١٩٠٤ أوامر عربي رقم ٢١ في ٥ ربيع الأول ١٢٨٠ ، ثم سجل

كان يأمر ببناء الجوامع في مصوع وسواكن وبربرة وهرر وغيرها على نحو ما سبقت الإشارة إليه . وفضلا عن ذلك فقد أجرى اسماعيل الرواتب والأرزاق على الفقهاء والعلماء وأئمة المساجد وأصحاب « الخلاوى » والزوايا القائمين بتعليم القرآن والدين الحنيف ومنهم الشيخ مصطفى بن ابراهيم الأسوانلى صاحب زاوية بربر والشيخ خلف الله فقيه خلوة السكتياب بمديرية بربر أيضا والولى الصالح أبو صفية والسيد المكي بن الشيخ اسماعيل الولى بمديرية كردفان والشيخ محمد توم بمأمورية سنار وفازو على .

وكان الثلاثة الآخرون « منقطعين للعبادة وتدريس العلم وتعليم أولاد المسلمين القرآن العظيم ومعتكفين بمساجدهم ولا يطلعون منها » والشيخ أحمد الريح إمام مسجد المئمة والشيخ الأمين محمد الخوجلى والشيخ عبد الله الخوجلى وكانا صاحبي مدرستين بحلة الغبش والشيخ أبو صالح بن الشيخ أحمد أبى الطيب بالخلفاية والشيخ الحاج ابراهيم الأمين إمام مسجد الخندق بمديرية دنقلة والشيخ الأمين محمد من فقهاء الخرطوم والفقهاء أو سيد بن الفقيه ابراهيم حمدتو بخط مروى والشيخ يوسف الدرويش بناحية بربر ثم بعد وفاته الشيخ صالح الدرويش وغير هؤلاء كثيرون (٣٨٩) وفى أثناء افتتاح دارفور التمس الفقيه سراج الدين

== ١٧٠١ معيه عربى رقم ١٣ فى غرة ذى الحجة ١٢٨٠ ، ثم دفتر ٥٢٩ (تركى) رقم ٣ فى ١٨ جمادى الأولى ١٢٨١ ، ثم دفتر ١٨٠٢ وارد معيه عرضحالات الخ رقم ٢ فى غاية جمادى الآخرة ، ٢١ معيه عربى رقم ٥ فى ٢٣ شوال ١٢٩٤ المعية السنية الى محافظة مصوع وسواكن .

(٣٨٩) عابدين . المعية دفتر ١٧٠١ وارد معية عرضحالات الخ رقم ٧ فى ١٨ رجب ١٢٨٠ دفتر ١٩١٠ أوامر عربى رقم ١٤ فى ٢ ذى الحجة ١٢٨٠ ، دفتر ١٩٤٦ أوامر عربى رقم ٦ فى ٦ ذى الحجة ١٢٨٩ أمر كريم الى مدير عموم قبلى السودان ، دفتر ١٢٥٤ وارد عرضحالات الداخلية رقم ١ (تركى) فى ١١ ربيع الأول ١٢٨٢ ، دفتر ٥٢٩ (تركى) رقم ٨ فى ٦ ذى القعدة ١٢٨١ رقم ٣ فى ٢٢ جمادى الأولى ١٢٨٢ ورقم ٢ فى ٢٢ جمادى الأول ١٢٨٢ ورقم ٦ فى ١٣ ربيع الأول ١٢٨٢ الى حكمدار السودان ثم دفتر ١٩٤١ أوامر كريمه رقم ١ فى ١٣ ربيع الأول ١٢٨٩ ، دفتر ١٨٥٣ معية عربى رقم ٨ فى ٢٥ ذى الحجة ١٢٨٨ المعية الى ممتاز باشا مدير عموم قبلى السودان .

ابن يعقوب إمام مسجد أم شنقة أن تعفى حالات خمس من الخراج للأنفاق من ريعها على المسجد والتلاميذ فأجيب إلى طلبه (٣٩٠) وزيادة على ذلك فقد درج الخديو على تشجيع السودانين على تلقي العلم في الأزهر الشريف (٣٩١).

وفي عهد الخديو اسماعيل استأنف التعليم نشاطه بعد أن ألغى سعيد مدرسة الخرطوم وكان السبب في إلغاء هذه المدرسة أن السودانين لم يكونوا حتى ذلك الحين قد شعروا بحاجتهم إلى هذا النوع من التعليم الحكومي وآية ذلك أن السلطات الحكومية في الخرطوم كانت تجد صعوبة كبيرة في جمع التلاميذ لهذه المدرسة لأن هؤلاء كانوا على حد قول رفاة يهربون في « الجبال البعيدة وغير ممكن الحصول على حضورهم » (٣٩٢) ويؤيد قول رفاة ما ذكره الانجليزى « ملى » Melly الذى شهد المحاولات التى بذلت لافتتاح المدرسة ثم كتب تعليقا على ذلك « من المستحيل أن يتم تأسيس مدرسة بهذا المكان لأن الآباء يفضلون على إرسال أبنائهم (إلى المدرسة) ليتعلموا الفرار إلى الصحراء حيث يتسنى لهم أن يعيشوا بها مستقلين » (٣٩٣) ومع ذلك فإن الحال لم يلبث أن تبدل بعد ذلك حتى أن حكمدار السودان فى آخر عهد سعيد استطاع أن يقترح على الباشا فى مصر ادخال أبناء العمدة والأعيان والأهالى فى دواوين الحكومة بالخرطوم وسائر الأقاليم ليتعلموا بها « فن التحريرات

(٢٩٠) عابدين . المعية . دفتر ٢ أوامر عربى رقم ٦ فى ٢٢ شوال ١٢٩١ أمر كريم إلى حكمدارية السودان .

(٣٩١) عابدين . المعية . محفظة ٤٢ (تركى) رقم ٢٩٨ فى ٢٧ رجب ١٢٨٤ من حكمدار السودان الى سكرتير الجناح العالى .

(٣٩٢) عابدين . المعية . دفتر ٢٣٢ مدارس عربى رقم ١ فى غرة شعبان ١٢٦٨ من ناظر الخرطوم إلى مدير المدارس .

(٣٩٣) Melly II. 99.

والحسابات، تمهيدا لاستخدامهم في هذه الدواوين وذلك لما بدا له من أن « أهالي (هذه) الديار لهم قابلية للعلم » (٣٩٤).

وقد كان هذا الاقتراح أو « الاستئذان » كافيا لأحياء الأمل لدى اسماعيل في إمكان « تنظيم مكتب على طرف المدير بالخرطوم بحيث يترتب به خوجات تركي وعربي ومن يشبت مهارتهم في ذلك ليعلموا قدر خمسمائة نفر تلامذة من أهالي تلك البلاد » ثم عاد فكتب في نفس الأمر الذي أصدره إلى موسى حمدي حكمدار السودان بإنشاء المكتب « وإذا كان بحسب أحوال السودان تجدوا أن يعمل مكتبين بدل المكتب المذكور . فلا بأس وإذا كان يوجد أشخاص من أولاد الترك المتوطنين بالسودان يرغبون إلحاقهم بالمسكاتب من ضمن التلامذة السالف الذكر عن تعدادهم فلا مانع من ذلك » (٣٩٥) واقترح موسى حمدي الاستعاضة عن هاتين المدرستين المزمع إنشاؤهما بخمس مدارس صغيرة في مديريات الخرطوم وبربر ودنقلة وكردفان والتاكة حيث أنه « من المعلوم أن بلاد السودان عبارة عن ديار متسعة وأن المديريات بعيد بعضها عن بعض وأن قصر التلاميذ الخمسمائة السالف ذكرهم على مدرسة أو مدرستين يوجب تمتع أهل المديرية التي بها تلك المدرسة بحب ثمرات التمدن وحرمان أهل غيرها عن تلك الثمرات النافعة » وبادر اسماعيل بدوره يؤيد اقتراح موسى باشا لما ينجم عن تأسيس هذه المدارس من « نشر وتعميم العلوم والمعارف والحضارة » وأمره بافتتاح المدارس الخمس والسعى « في تعليم سكان الجهات المذكورة وتقديمهم بأحسن وجه » (٣٩٦) فكان في ذلك نشأة التعليم الحكومي والمدني

(٣٩٤) عابدين . دفتر ١٩٠٤ أوامر كرام عربي صادرة إلى الأقاليم رقم ٢ في ٦ شعبان ١٢٧٩ .

(٣٩٥) عابدين . دفتر ١٩٠٤ أوامر كرام عربي الخ . رقم ٢ في ٦ شعبان ١٢٧٩ .

(٣٩٦) عابدين . العية . محفظة ٢٩ (تركي) رقم ٥٠٨ في ٢٠ رمضان ١٢٨٩ من موسى حمدي حكمدار السودان إلى باشا ماون الخديو ، ثم دفتر ٥٢٦ (تركي) رقم ٢٢ في ١٠ ذي القعدة ١٢٧٩ .

في السودان . وفي يولية ١٨٦٣ افتتحت المدارس الخمس (٣٩٧) وانشئت مدرسة أخرى بمدينة سنار ثم تلا ذلك افتتاح مدرسة في مصوع واثنين في سواكن وانشئت كذلك مدرستان لتعليم فن التلغراف إحداهما في الخرطوم والأخرى في كسلا (٣٩٨) وأنشأ رموف باشا مدرسة صغيرة في مدينة هرر يتعلم تلاميذها « النحو والحساب وحسن الخط » في أثناء النهار بينما يقصدها « المراهقون » في الليل ليقرأوا القرآن الكريم (٣٩٩) ولما كان الخديو يرغب في تنوير أذهان السودانيين جميعا فقد شملت عنايته كذلك أهل النيل الأبيض من قبائل الدنكا والشاوك في مناطق النهر العليا وأعد مشروعا للإصلاحات الواسعة في تلك الجهات كان أهم ما يسترعى النظر فيها حرص العاهل العظيم على « تشويق أهل هذه القبائل في دخول من يرغبون دخولهم من أولاد الأهالي للتعليم وتعاطي مشغولات (الصنائع المختلفة) وإرشادهم إليها بالرفق والترغيب » (٤٠٠) .

تلك كانت سياسة اسماعيل التعليمية في السودان وهي سياسة إن دلت على شيء إلى جانب رغبة الخديو الكبير في تنوير أذهان رعاياه السودانيين فأنها تدل كذلك على شغف اسماعيل العظيم بالعلم وحرصه على نشر ألويته

(٣٩٧) عابدين . . المعية . دفتر ١٢٦ وارد معية (عربى) رقم ٢٩ في ٢٣ محرم ١٢٨٠
ثم سجل ١١٦ صادر المعاونة (عربى) رقم ١٦ في ١٦ صفر ١٢٨٠
(٣٩٨) عابدين . المعية . دفتر ١٨٧٥ معية عربى رقم ٦٥ في رجب ١٢٩٠ ، ثم دفتر ١٥٤٩ (أوامر شفاهية عربى) رقم ٤٢ في ٢٩ شعبان ١٢٩٠ . دفتر ١٨٦٤ (عربى)
رقم ٣٥ في ١١ جمادى الثانية ١٢٩٠ ، ثم دفتر ١٨٧١ معية عربى صفحة ٦٩ في ٢ ربيع الثانى ١٢٩١ ، دفتر ١٨٧٠ رقم ٤٢ في ٢٨ صفر ١٢٩١ .

(٣٩٩) عابدين - محفظة ٣ . شميز ١ نمرة الحفظ ٤ . في ٢ ربيع الثانى ١٢٩٣ من تقرير رؤوف باشا إلى الخديوى (٢٧ ابريل ١٨٧٦) .
(٤٠٠) عابدين . المعية . دفتر ١٩١٠ (أوامر عربى) رقم ١٧ في ١٨ صفر ١٢٨١
لأتحه مرسلة إلى حكمدار السودان .

خفاقة دائما في كل مكان بل إن هذا الشغف ليبدو جليا عند بحث قائمة أخرى
أضافها الخديوى إلى مآثره المتعددة على السودان وأهله وخدمة للعلم وتخفيفا
لولايات الانسانية جميعا هي كشف هذه الأقاليم المتسعة كشفا عليا صحيحا
كان من فوائده ولا شك فتح شطر الوادى الجنوبي للتجارة المشروعة
ومعاونة رجال الحكومة فى تلك الجهود الشاقة التى بذلوها فى مكافحة الرق
والنخاسة فى السودان .

المصريون والكشوف الجغرافية

بدأت الكشوف الجغرافية في السودان بمجيء المصريين من أيام محمد علي وبلغت حركة هذه الكشوف ذروتها في عهد الخديو اسماعيل فقد ظل السودان على نحو ما سبقت الإشارة إليه مغلقا في وجه العالم الخارجي أجيالا متطاولة قبل الفتح المصرى فكان ما يعرفه العالم عن أرضه وشعوبه وحيوانه ونباته وما إلى ذلك كله شيئا يسيرا وبحاجة ظاهرة إلى التحيص العلمي الدقيق وفضلا عن ذلك فقد ظلت منابع نهر النيل في قلب القارة المجهولة لغزا استعصى على العلماء حله منذ عهد سحقيق ذلك بأن أحدا لم يستطع السير في النيل (أو البحر) الأبيض جنوبى ملتقى هذا النهر بالنيل الأزرق أو جنوبى قرية اللبس إلى منابع هذا النهر في الأزمان التى سبقت مجيئ المصريين وإرسال حملات الكشف إلى تلك الأصقاع النائية .

ومنذ سير محمد علي جيوشه لافتح السودان كان كشف الأقاليم السودانية من المسائل التى أولاها الباشا بالغ عنايته ذلك بأن معرفة هذه البلاد معرفة صحيحة والوقوف على أحوال الشعوب القاطنة بها : من حيث أجناسهم وطرق معيشتهم وعاداتهم وطبيعة الأرض التى يعيشون عليها ومناخها وثروتها المعدنية والحيوانية والنهر الكبير الذى يخترقها وروافده التى تروىها وآثار الحضارات القديمة الموجودة بها . كانت معرفة ذلك كله أمرا ضروريا لإزاحة تلك الأستار الكثيفة التى حجبت الأقطار السودانية عن أعين العالم مئات السنين فحسب بل ولأن هذه المعرفة من شأنها أن تمكن الباشا من إقامة الحكومة الموطدة فى كل ركن من أركان تلك الأقطار الجسيمة ،

ووضع أسس الإصلاح الضرورى للنهوض بشعوبها وآية ذلك أن الحملة التي ذهبت إلى السودان بقيادة إسماعيل بن محمد على في يونية ١٨٢٠ كانت تضم كثيرين من العلماء الأجانب مهمتهم التنقيب عن الآثار ودراسة شعوب هذه البلاد وثروتها المعدنية والحيوانية والنباتية نذكر منهم فردريك كايو Cailliaud والطبيب الرسام ريشى Ricci وليتورزك Litorezc وقد اشترك مع كايو في عمل بعض الأرصاء الفلسكية وإعداد البحوث الجغرافية ، وكورنر الانجليزى وزميله كونستانت Constant وزوكولى Zuccoli وسيجاتو Segato من الطليان وانجليش English وبراديش Bradish من الأمريكان وغيرهم (٤٠١) وقد وصف أكثر هؤلاء جغرافية البلاد التي زاروها وشعوبها وحيوانها وطيورها وآثارها . وعند ما أرسل محمد على ولده ابراهيم بالإمدادات إلى الأمير إسماعيل في سنار في اكتوبر ١٨٢١ (٤٠٢) لم يقنع ابراهيم بمجرد بذل المعونة لأخيه بل كان يريد القيام بمشروعات عظيمة أهمها الكشف عن منابع النيل الأبيض وقد صرح ابراهيم بأغراضه « العلمية » لارحالة الفرنسى كايو وأفضى إليه بما كان يحشى في صدره من آمال كبيرة هي اعتلاء النيل الأبيض في عدة سفن مسلحة وزوارق خفيفة يمكن نقلها بسهولة إذا اعترضت الجنادل سيرها فيسير ابراهيم بهذه العبارة النيلية في النهر وروافده الكبرى حتى يصل إلى منابعه فاذا تحقق لديه أن هناك اتصالا بين النيل الأبيض ونهر النيجر سار ابراهيم بعمارته في النيجر حتى يصل إلى شواطئ أفريقية الغربية وأما إذا ثبت عكس ذلك فإنه كان ينتوى الذهاب إلى كردفان ثم يتوغل في دارفور وبرنو بعد افتتاحها ويضرب في الصحراء الكبرى حتى يصل بحيشه عن طريق طرابلس الغرب إلى مصر (٤٠٣) ولم يمنع ابراهيم من تنفيذ هذا المشروع الضخم سوى

(٤٠١) بنولا — (مصر والجغرافية) ص ١٥ ثم — English. p I; Cailliaud I, 277.

(٤٠٢) Cailliaud. II. 319—320; Driault (Formation). 225.

(٤٠٣) Cailliaud. II. 235.

مرضه « بعلة الباسور » واشتداد وطأة المرض عليه اشتداداً اضطره إلى
النكوص على أعقابهِ والعودة إلى القاهرة (٤٠٤) ومع ذلك فقد استطاع محمد
بك الدفتردار الذى قاد جيش الحملة الثانى لافتتاح كردفان أن يسهم بنصيب
ملحوظ فى الكشفوف الجغرافية إبان وجوده فى السودان فقد كتب أسرى
Acerbi القنصل النمساوى فى مصر إلى وزيره مترنيخ (٤٠٥) « أن الدفتردار
بك يحتل بين ضباط محمد على نفس المكانة التى يحتلها القائد مسينا Massena
بين قواد نابليون الفرنسيين ... بل إن فى استطاعة الدفتردار بفضل ما يستمتع
به من مواهب عظيمة وبفضل غناه الطائل وطموحه الكبير أن يكون رجلاً
ذا شأن خطير فى العالم الشرقى ، ويقول أسرى إن الدفتردار فى أثناء حملته
المعروفة عنى برسم خريطة « تحفظ قصة هذه الحملة على طريقته الخاصة ومع
أن هذه الخريطة لا تبلغ حد الكمال فأنها تظهر برغم ذلك مواهب هذا القائد
جلية واضحة وأما هذه الخريطة فهى عبارة عن قطعة من السكتان رسم عليها
الدفتردار مجرى النهر وعين عليها مواضع المحطات المختلفة التى مر بها والمسافة
بين كل محطة وأخرى مقدراً تلك المسافات بالزمن الذى كان يقطعه فى أثناء
سيره وقد حرص الدفتردار على بيان انحناءات النهر واستعان فى ذلك كله
باستخدام البوصلة » .

وكان من أثر نجاح المصريين فى إقامة الحكومة الموطدة فى الخرطوم أن
استطاع فى السنوات التالية نفر من الرحالة والكاشفين الأجانب زيارة الأقاليم
السودانية والجولان فى إنحاءها بأمان يدرسون جغرافية البلاد وينشرون نتائج
بحوثهم على العالم أجمع فاستطاع الرحالتان «هاى» Hay و «هوشت» Hoscht

(٤٠٤) عابدين . المعية ٠ دفتر ١٠ (تركى) رقم ١٢٥ فى ١٠ جمادى الأولى ١٢٣٧ من
المعية السنية إلى ابراهيم باشا بسنار ؛ ثم — Cailliaud II. 351—352.

(٤٠٥) Staat-Archiv. Consular-Reports. Alexand. 1825, 1826—1834. (Acerbi). (٤٠٥)

Alex. 26. 12. 1827. Acerbi à Metternich.

الوصول قريبا من موضع الخرطوم في عام ١٨٢٤^(٤٠٦) وقام البالجيكي أدولف لينان الذى سمي فيما بعد باسم لينان دى بلفون Linant de Bellefonds برحلة إلى النيل الأبيض فكان أول أوروبي استطاع الصعود في هذا النهر منذ تمكن الكاشف الأغريقى داليون Dalion في العصور القديمة من السيرفية إلى ماوراء الخرطوم الحالية^(٤٠٧) فوصل لينان إلى إقليم الشلوك عند خط عرض ١١° و ٣٠ دقيقة من خطوط العرض الشمالية عند جزيرة آبا ونقطة اللبس^(٤٠٨) وقوى الأمل نتيجة رحلة لينان في امكان القيام بأعمال الكشف في إقليم منابع النيل الغربى الذى كان حتى ذلك الوقت مايزال أعقد مشكلة في جغرافية قلب افريقية ، وكان بين عامى ١٨٢٨ و ١٨٣١ أن استطاع الكاشف ابراهيم الرحلة في بلاد الشلوك على جانبي النيل الأبيض وتوغل في بلاد الدنكا جنوبا حتى وصل في سيره إلى ماوراء الخط العاشر من خطوط العرض الشمالية^(٤٠٩). وفي الوقت الذى كانت تبذل فيه المحاولات لمعرفة مجرى النيل الأبيض والكشف عن منابعه كثرت رحلات الأوربيين في أقاليم السودان الأخرى فزار لورد بردهو Prudhoe سنار والخرطوم في عام ١٨٢٩ واستطاع العالم الطبيعى الألمانى ادورد رويپل Rüppel أن يقطع الصحراء بين دبة والأبيض قبل ذلك بأربعة أعوام فكان أول أوروبي دخل عاصمة كردفان^(٤١٠) وبين عامى ١٨٢٩ و ١٨٣٤ كشف كادلفين Cadalvene وبروفيرى Bruevery

Déhérain. 230. (٤٠٦)

Bonola (Somm. Histor.) 22; Johnston. 19—20, 94. (٤٠٧)

Linant de Bellefonds. Journal of a Voyage on the Bahr el Abiad. (٤٠٨)
pp. 171—190.

F. O. 78/381. Turkey. (Report of Dr John Bowring) March 1839. (٤٠٩)
f 282; Martin Lake (Journ. of Roy. Geog. Soc. of London 1832.)
p. 26 et seq.

Rüppell (Reisen in Nubien etc). 1829; Johnston p III; Déhérain. (٤١٠)
148, 215.

وادمون كومب Combes جهات النوبة وصحراوات بيضوية والبشارية وبعض أقاليم السودان الشرقي إلى شاطئ البحر الأحمر وشيد كومب بفضل ما كان يبذله محمد علي ورجاله من عناية حتى يطمئنون التجار والرحالين الذين يقصدون السودان للتجارة أو الكشف والسياحة فقال إنه كان من أثر هذه العناية « أن أصبح في استطاعة الرحالين الذين أولاهم الباشا كل عناية أن يصلوا في جولاتهم بسلام حتى سفوح جبال دارفور،^(٤١١) وكان من بين الذين أفادوا من هذا التشجيع في الفترة التالية الرحالة الانجليزى هوسكنس Hoskins والبرنس بوكر مسكاو Puckler-Muskau الألماني وآرثر هولرويد Holroyd وإيغناتيوس پالم Ignatius Pallme من الانجليز .

أما الباشا الكبير فقد أرسل إلى السودان للبحث عن ثروة البلاد المعدنية والتنقيب عن معدن الذهب بنوع خاص في سنار وفاز وغلى وكردفان^(٤١٢) كلا من النمساوى رسيجير Russegger والأيطالى بوريانى Boreani على أن أهم ما حدث من كشوف جغرافية أيام العاهل الكبير كان ولا شك خروج تجريدات سليم قبودان ، المشهورة إلى البحر (النيل) الأبيض عقب رحلة الباشا التاريخية إلى الأقاليم السودانية في أواخر عام ١٨٣٨ وبداية العام التالى فقد اعتزم الباشا عند خروجه إلى السودان إعداد حملة لكشف منابع النيل الأبيض وذلك على حد قول رفاعة الطمطاوى « اقتداء بمشاهير قدماء ملوك مصر وملوك العجم واسكندر والبطالسة وقياصرة الروم وعقلاء خلفاء مصر ونبلاء سلاطينها وملوكها^(٤١٣) » ولم يحول الباشا عن عزمه جسامة ما كان منتظرا أن يتكلفه أعداد هذه الحملة من نفقات أو تصادفه من مشقات

Combes. II. 50. (٤١١)

Hamont II. 538—540; Russegger. 9,13—29; Yates II, 630; Shukry (٤١٢)

81—82. Sammarco (see Introduction).

(٤١٣) رفاعة : ص ٢٤٢ .

وصعوبات^(٤١٤) فقر رأى قبل أن يغادر محمد على القاهرة على أن يكون عدد السفن التي تخرج بها هذه الحملة المزمعة للكشف عن منابع النيل الأبيض خمسة وثلاثين مركبا منها ثلاث سفن مسلحة^(٤١٥) وفي أثناء وجوده بالسودان مهد محمد على لنجاح هذه الحملة العلمية بإرسال الرسل لاستمالة رؤوس السود على ضفتي النيل الأبيض وقد رحب الرؤساء بهؤلاء الرسل ترحيبا طيبا حتى أن الباشا — على حد قول لاورين القنصل النمساوى — أصبح عظيم الاطمئنان على نجاح الحملة التي يعتزم إرسالها من الخرطوم للكشف عن منابع البحر الأبيض^(٤١٦) ولم يقنع الباشا وهو بالخرطوم بضرورة تأجيل الحملة إلى الصيف المقبل سوى تأخر وصول الذهبيات وانخفاض المياه في النيل الأبيض بصورة لا تساعد على سير الحملة في النهر بأمان والاهتمام بتزويد الحملة المزمعة بما يكفيها من مؤن وذخائر وانتظار مجيء شيخ قبائل الشلوك إلى الخرطوم لتقديم فروض الطاعة والولاء لمحمد على^(٤١٧).

ومع ذلك فقد غادرت الخرطوم « حملة تجريبية » بقيادة بومجارتن Baumgarten وهو سويسرى مغامر تسمى باسم احمد قبودان وكان يصحبه الفرنسى تيبو Thibaut والدكتور سليمان افندى وذلك لتجربة السير في النيل الأبيض قبل خروج تجريدة سليم قبودان ففحصت هذه الحملة النهر حتى بلدة

(٤١٤) Staat-Archiv. Rapp. de Constple. Turquie (49). No 319 Lit. Enclos.

Report of Laurin to Stürmer. Alex. 7. 1. 1839.

(٤١٥) Sammarco. Doc. 30 Aless. 9 oct. 1838. Ricardo Fantozzi A. S. E. II

Sig. Principe Di Cassara, pp 35—36.

(٤١٦) Staat-Archiv. Rapp. de Constple. Turquie (49) — 1838 — No 315

Const. 19. 12. 1838. Stürmer Zu Metternich. Adj. Laurin Zu Stürmer

Alex 6. 12. 1838.

(٤١٧) Staat-Archiv. Rapp. de Constple. Turquie (50). No. 324. Const. 20. 2. (٤١٧)

1839. Adj. Trad. Lettre de Cartoum 15. 12. 1838. also. F.O. 195/51,

Cairo 25. 12. 1838 ; ibid Cairo 41. 2. 1839. Campbell to Palmerston.

الليس وعادت إلى الخرطوم بسلام^(٤١٨) وبعد عودة محمد علي إلى مصر تمت الاستعدادات اللازمة لخروج الحملة الكبيرة برياسة سليم قبودان يصحبه فيض الله قبودان لمعاونته في شئون الملاحة ويتولى قيادة الجند سليمان كاشف كما صاحب الرحلة أوربي واحد هو الفرنسي تيبو الذي تسمى باسم ابراهيم افندي^(٤١٩) وقد غادرت هذه الحملة الخرطوم في ١٦ نوفمبر ١٨٣٩ وفي يوم ١٦ ديسمبر من العام نفسه وصلت إلى مكان تجري فيه مياه لا تشبه مياه البحر الأبيض لأن لونها كان ضاربا إلى الحمرة وكان عرض مصب هذا النهر نحو ربع ميل ، ويأتي بهذه المياه نهر يصب في البحر الأبيض أخبر سليمان كاشف رجال التجريدة بأنه « يسمى البحر السباط ، وبعد أن استأنفوا السير قليلا دخلوا في منطقة السدود وفي يوم ٢٦ يناير ١٨٤٠ وصلوا إلى خط عرض ٦ درجات ٣٣ دقيقة من خطوط العرض الشمالية ولما كان من المتعذر التوغل في النهر (بحر الجبل) إلى أبعد من ذلك بسبب قلة عمق المياه فقد قر الرأى على العودة في اليوم التالي وكان في أثناء العودة أن توغلت الحملة في نهر السوبات (أو بحر شافيج بلغة الشلك) بغية كشفه ولسكنها لم تستطع السير فيه طويلا بسبب كثرة « المنعطفات والملتويات ، والكردات أو السدود في هذا النهر وسكون الريح وقلة عمق المياه فعادت الحملة أدراجها إلى مصب النهر ثم استأنفت السير في النيل الأبيض وكان رجوعها إلى الخرطوم في ٣٠ مارس ١٨٤٠^(٤٢٠) .

وكانت هذه التجريدة أول محاولة علمية من نوعها قام بها المصريون

Staat. Archiv Rapp. de Constple : Turquie (50) No 339 Lit B. (٤١٨)
Const. 5.6. 1839. Stürmer à Metternich. Adj. No 370. Alex 24.5. 1839.

Laurin à Stürmer.

Thibaut (Expedition) 11; Werne (Wanderings) 62. (٤١٩)

(٤٢٠) سليم بكباشي (الرحلة الأولى) صفحات ٩ ، ٣٠ — ٣١ ، ٣٦ ، ٧٥ ، ٨٨

٩٠ ثم انظر — Déhérain 252; Johnston. 95.

للكشف عن منابع النيل أثارت اهتمام العالم الخارجى بفضل ما نشره قائدها البكباشى سليم فى (جرناله) من جداول « تحتوى ١١ عموداً للبيانات الآتية: الساعات والطريق والتيار والترمو متر أى درجة الحرارة وطول النهر وعمقه ونمر الترتيب المعطاة للجزر وأسماء هذه الجزر والاتجاه والرياح والملحوظات » وقد بعث أرتين بك « المترجم والكاتب الأول لأسرار سمو الوالى » هذا الجورنال إلى المسيو جومار Jomard فنقله إلى الفرنسية وقد قال جورمار فى مقدمة ترجمته إن « رحلة البكباشى سليم قبودان با كورة ثمار الحضارة التى انبعث فى مصر ضوءها منذ خمس وعشرين سنة . . . وتحتوى روايتها بيانات جمة عن مجرى البحر الأبيض وروافده والسكان النازلين بصفتيه والخاصات الطبيعية المشهورة فيهما وهى صالحة ولا بد أن تبقى كذلك لأن تسكون قاعدة للكشوف التالية » (٤٢١) وبادر كوشيليه Cochelet القنصل الفرنسى فى مصر بأرسال أخبار هذه الرحلة والنتائج العلمية التى وصلت إليها إلى حكومته ثم قال فى ختام رسالته « وقد حصلت على وعد قاطع من محمد على بأن يبدأ فى إعداد حملة جديدة خدمة للعلم على أن يصحبها فى هذه المرة رجال فى استطاعتهم القيام بأعمال الكشف وتدوين الملاحظات المفيدة وهذا ما كان يرغب فيه الباشا دائماً » (٤٢٢) .

وبالفعل لم تلبث أن قامت الاستعدادات بعد ذلك فى الخرطوم لأرسال سليم قبودان على رأس تجريدة ثانية للكشف عن منابع النيل الأبيض لأن الباشا كما قال المهندس الفرنسى دارنو D'Arnaud كان يريد الوصول إلى رأى حاسم فى موضوع منابع هذا النهر (٤٢٣) وفى ٢٣ نوفمبر ١٨٤٠ غادرت التجريدة

(٤٢١) سرهتك ٢ : ٢٣٤ - ٢٣٥ ؛ ثم انظر Jo mard (Premier Voyage);

Déhérain 242.

(٤٢٢) Aff. Etr. Egypte (10) No 188. Alex 1. 6. 1840 Cochelet à Thiers.

(٤٢٣) Arnaud. Documents p 1. Lettre de M. d'Arnaud à M. Jomard Du

Kaire le 12 Jaurvier 1842.

الثانية الخرطوم وخرج معها أربعة من الأوربيين هم تيبو الذى رافق الحملة الأولى والفرنسى ساباتييه Sabatier والألماني فردند فرن Werne ثم المهندس الفرنسى دارنو مخطط مدينة محمد علي وقد وصلت هذه الحملة فى ٢٥ يناير ١٨٤١ إلى جزيرة چانسكر Janker عند خط عرض ٤ درجات و ٤٢ دقيقة من خطوط العرض الشمالية وتقع هذه الجزيرة قبالة مرتفع من الأرض عند غندكورو ولما كان يعوق الملاحة فى النهر وجود حاجز صخرى فى هذا الجزء من المجرى وانخفاض المياه فقد قر الرأى على العودة ثم حاول سليم كشف نهر السوبات واسكنه أخفق لنفس الأسباب التى جعلت التوغل فى هذا النهر متعذرا فى أثناء التجربة الأولى . وفى ١٨ مايو ١٨٤١ عادت الحملة إلى الخرطوم (٤٢٤) وبادر بورفيل القنصل الفرنسى فى القاهرة بأرسال أخبار هذه التجربة مفصلة إلى حكومته (٤٢٥) .

ولما كانت التجربة الثانية قد وصلت إلى جزيرة چانسكر فقط ولم تفد المعلومات التى جمعها رؤساؤها عن منابع النيل من أهالى تلك الجهات شيئا فى حل هذا اللغز الجغرافى القديم فإن الباشا ما لبث أن قرر خروج تجربة ثالثة برئاسة سليم قبودان لشدة رغبته « فى معرفة منابع النيل وجهاته » (٤٢٦) فغادرت هذه التجربة الخرطوم فى ٢٧ سبتمبر ١٨٤١ وبعد جهد بلغت المكان الذى بلغته التجربة السابقة ثم عادت إلى الخرطوم فى ٦ مارس من العام التالى دون أن تحاول كشف السوبات وكان السبب فى عدم استطاعة هذه الحملة تحقيق رغبات الباشا أن حكمدار السودان أحمد باشا أبو ودان لم يعن العناية الكافية بأمر الاستعدادات اللازمة لها (٤٢٧) ومع ذلك فقد كتب

(٤٢٤) Jomard (Second Voyage) 11; Sammarco XLII-XLIV; Déherain 257—259;

Bonola 27.

(٤٢٥) .Aff. Etr. Egypte (15) No 31 Caire 3. 2. 1842. Bourville à Guizot

(٤٢٦) سر هنك ٢ : ٢٣٥ ؛ ثم Jomard (Second Voyage) p 11.

(٤٢٧) Sammarco, XLV. Déherain 263—265.

(جوتيه دارك) Gautier d'Arc القنصل الفرنسي في مصر « أنه في الوقت الذي تبدى فيه الحكومة الفرنسية اهتماما كبيرا بالعلوم الجغرافية تتحمل الحكومة المصرية كذلك نفقات حملة أرسلت في بلاد بعيدة . . . لتتبع مجرى النيل الأعلى حتى منابعه . . . بلغت خط عرض ٤٢° ٤٣° شمالا . . . وقد كشفت هذه الحملة في أثناء سيرها عن عدد عظيم من الشعوب التي ظل العالم يحمل أمرها حتى يومنا هذا . . . وبما يجعل فائدة هذه الرحلة محققة أن هناك أملا كبيرا في إمكان استخدام هذا الطريق لإنشاء صلات مع الأمم المسيحية العظيمة التي تقطن أقاليم أفريقية الوسطى وذلك بالسير في جزء النهر الذي تصلح الملاحة فيه من فرع النيل الرئيسي ويعود الفضل في ذلك إلى محمد علي الذي يعد الآن حملة جديدة لأرسالها إلى أقاليم النيل العليا وفضلا عن ذلك فإن الفوائد العظيمة التي تجنيها التجارة من فتح هذا الجزء من العالم لا يمكن تقدير قيمتها بحال من الأحوال » (٤٢٨) .

والواقع أن هذه التجريدات الثلاث إلى جانب ما جمعه رجالها من معلومات جغرافية جديدة لم تلبث أن مهدت لارتداد مناطق النيل العليا بفضل ما صار يتحدث به رجالها عن وجود القبيلة والعاج بكثرة عظيمة وذلك عدا الأبقار والماشية والطيور كما أن هؤلاء أفاضوا في ذكر محصولات الأرض الوفيرة خصوصا النرة فكان من المنتظر أن تسفر هذه التجريدات التي فتحت النيل الأبيض للملاحة عن نتيجة هامة مباشرة هي تأليف الشركات التي بدأت منذ عام ١٨٤٣ ترسل حملاتها بانتظام لصيد القبيلة أولانم لاقتناص الرقيق في أقاليم النيل العليا بعد ذلك وقد استطاع التجار والمغامرون الذين قصدوا هذه الجهات أن يجمعوا المعلومات الجغرافية الهامة من هؤلاء الفرنسي

« بران روليه » Brun Rollet في أواخر عهد محمد علي فقد وصف جغرافية المناطق التي زارها في النيل الأبيض حول غندكورو وفي بحر الغزال واستطاع أن يكشف مسافات بعيدة من هذا النهر وكان بران روليه يعتقد أنه يجري النيل الرئيسي (٤٢٩) وفي أواسط عام ١٨٤٧ وصل إلى مصر أعضاء (البعثة الكاثوليكية) في طريقها إلى الخرطوم لتأسيس مراكز للتبشير بين الزوج في جهات النيل العليا واستطاعت هذه البعثة برياسة الدكتور أجناز كنوبلخر Knoblecher أن تنشئ بعض المراكز التبشيرية في جهات النيل الأبيض (بحر الجبل) حول غندكورو وفي السوبات والنيل الأزرق (٤٣٠) وأسدى أعضاؤها خدمات جليلة للعلم فقال الرحالة الانجليزي سيك Speke « وقد احتفظ المبشران النمساويان كنوبلخر ودويك Dooyak بجداول تبين درجات الرطوبة في هذه البقاع على مدار السنة كما أنهما أعدا سجلات وافية بالارصاد الجوية وكل ذلك بدقة عظيمة وبأسلوب علمي منظم (٤٣١) وقال جلبرت Gilbert « إن ما قام به هؤلاء من أسفار بين الشعوب الهمجية (في مناطق النيل العليا) وإنشاء مركز للتبشير جديد في سان كروا St Croix عند قبائل السكيك تحت خط عرض سبع درجات شمالا ساعد مساعدة قيمة في جمع المعلومات المفيدة عن القارة الأفريقية (٤٣٢) وقد ظل أعضاء البعثة يقومون بأعمالهم بنشاط حتى أوائل عام ١٨٦٠ عندما اضطرت البعثة إلى الانسحاب من مراكزها في هذه الجهات بسبب ما أثارتته بين عامي ١٨٥٢ و ١٨٥٧ فعال تجار العاج

(٤٢٩) Brun-Rollet. 93, 96, 151, 200—204; Mott, 14.

(٤٣٠) Berlioux 246; Dabon 350. Junker, 197, 198; Brun-Rollet 193—194.

(٤٣١) Speke. (The Discovery of the Victoria Nyanza) p. 61.

(٤٣٢) Gilbert. 167.

والرقيق الأجانب من سخط قبائل البارى والبلنميان على كل أوربي في مناطق النيل العليا (٤٣٣) .

ومع ذلك فإن انسحاب البعثة الكاثوليكية من جهات بحر الجبل لم يكن معناه أن هذه المناطق قد أغلقت في وجه الرواد والمغامرين الذين استمروا يقصدونها في السنوات التالية لصيد الرقيق خصوصا وجمع الحقائق الجغرافية التي تعين على معرفة منابع النيل ويرجع الفضل في ذلك إلى سعيد باشا الذي زار السودان في عام ١٨٥٦ و ١٨٥٧ فقد كان لهذه الزيارة نتائج جغرافية مفيدة ذلك أن الدكتور أباته Abbate عند ما نشر أخبار هذه الرحلة تحدث عن جغرافية الأقاليم الممتدة من كورسكو إلى الخرطوم (٤٣٤) وفضلا عن ذلك فقد أراد سعيد إعداد حملة جديدة للكشف عن منابع النيل على غرار الحملات التي قادها سليم بكباشي أيام محمد علي (٤٣٥) واعتمد سعيد في ذلك على أحد المغامرين الفرنسيين إسكيراك دي لوتير . Escayrac de Lauture . واسكن لوتير بدلا من مغادرة القاهرة وجد في سخاء الباشا ما أطمعه في إطالة المسكن بها بدعوى انتظار الآلات العلمية التي أوصى بشرائها خصيصا لهذه الرحلة فلما وصلت الآلات إلى القاهرة وجد أن أكثرها أصيب بالعطب . زد على ذلك أن سعيدا لم يشأ أن تكون الرحلة المزمعة فرنسية لهما ودما ، كما أن رئيسها لوتير ما لبث أن أثار سخط الكثيرين ممن اتصلوا به وانتهى الأمر بعدم مغادرة

Staat-Archiv. Consular Repor — Alex. 1838—1847. No. 987/1 (٤٣٣)
Alex. 20.7.1846. Laurin Zu Metternich ; ibid Gen. Cons. Egypt 1854.
No. 142. Cairo 12.2.1854 Enclos. Rep. of Dr. Heuglin No. 2
Khartoum 5.1.1854 , ibid No. 1055. Alex. 30.6.1854. Enclos. No. 79
Khart. 25.4.1854. Heuglin to Huber, also Enclos. II. Khart. 17.5.1854.
Report. Dr. Knoblecher to Huber.

Abbate. pp. 5—26. (٤٣٤)

Vivian de Saint-Martin. pp. 355—356. (٤٣٥)

الرحلة القاهرة أصلاً (٤٣٦) ومع ذلك فإن زيارة سعيد للسودان ثم ما نشر عن رحلة إسكيراك دي لوتير لم يلبث أن استرعى أنظار كثيرين من الأوربيين وغيرهم وتنبههم إلى ضرورة الرحلة إلى السودان لا لمجرد السياحة أو الصيد والقنص بل ولمعرفة جغرافية هذه البلاد والوقوف على حقيقة الشعوب القاطنة بها ومحاولة الوصول إلى منابع النيل الأبيض فنشطت رحلات الرواد والكاشفين إلى مناطق النهر العليا واعتبر المعاصرون « أن عهداً جديداً قد بدأ في تاريخ النيل الأبيض » (٤٣٧).

وكان من بين الذين شجعهم سعيد على القيام برحلة لاستكشف منابع النيل الفرنسي ألفريد بيني Peney فقد أعد بيني مشروعاً للرحلة المزمعة ونال موافقة الحكومة عليه كما تكفل الباشا بنفقات الرحلة وكان بيني يرجو الوصول إلى بحيرة فيسكتوريا فاعتلى بيني النيل الأبيض يصحبه التاجر المالطي أندريا ديونو Debono وبلغ غندكورو في ديسمبر ١٨٦٠ وعندما بلغته الأخبار عن وجود أنهار عظيمة في جهة الغرب صمم على زيارة بلاد النيامبارا للوقوف على حقيقة هذه الأنهار فتم له ما أراد وكشف جزءاً من إقليم بحر الغزال وبعث بنتيجة كشوفه الجغرافية في تلك الجهات إلى الخرطوم كما أرسل إليها مجموعة من نباتات هذا الإقليم ومعادنه وكتب عند عودته إلى غندكورو في فبراير ١٨٦١ رسالة مسببة إلى رئيس الجمع العلمي المصري كوينج بك Koenig تحدث فيها عن رحلاته من الخرطوم إلى غندكورو ثم زيارته لبلاد النيامباري (٤٣٨) ثم اعتزم بيني بعد ذلك السير في بحر الجبل إلى ما وراء غندكورو وغادرت الحملة

Staat-Archiv. Rapp. de Constple. vol. XII 59. No. 396. Buyukdere (٤٣٦)
26.6.1857. Enclos. I. Alex. April 1857; Johnston 106; Shukry 123-124.

Berlioux, 87. (٤٣٧)

Malté-Brun (Les Dernières Explorations) 8, 17, 24—25; also. Lettre (٤٣٨)
de M. Peney à M. Koeing Bey. Gondokoro. 20.2.1861. [Bull. de
l'Institut Egyptien-Année 1861 No. 5 Alex. 1861] pp. 111—112.

فعلا هذا المكان الأخير في فبراير ١٨٦١ ولسكن صعوبات كثيرة حالت دون تقدمها فاضطر بينى إلى العودة ووجد عزاءه عن هذا الفشل في إخفاق رحالة بندقي هو ميانى Miani كان يعتزم السير في النهر في العام السابق وفي أبريل ١٨٦١ زار بينى بلاد اللوتوكا Lotuka والبارى Bari وجمع معلومات جغرافية عن هذه الأقاليم وشعوبها ثم توفي بعد عودته في غندكورو في يوليه من العام نفسه وكان في عهد سعيد أن قصد عديدون بلاد السودان للسياحة والكشف الجغرافي نذكر منهم ليجيان Lejean الذى زار السودان الشرقى وكردفان واعتلى النيل الأبيض حتى غندكورو ووصف شعوب النيام نيام في بحر الغزال (٤٤٠) ثم من الألمان روبرت هارتمان Hartman وزميله أدلبرت Adelbert والبارون هارنييه Harnier وقد زار هارنييه غندكورو عام ١٨٦٠ ووصف الحملات التى كانت تقوم منها وقتذاك بغية صيد الرقيق أو الكشف عن منابع النيل (٤٤١) ثم البلجيكي برسنير Pryssenaere والماركي أنثوري Antinori الذى اعتلى النيل الأزرق وبحر الغزال (٤٤٢) ثم الكاشف الإيطالى كارلو بيادچيا Piaggia ومواطنه ميانى Miani والسيدات الهولنديات من اسرة تينى Tinné والكاشفون الانجليز سييك Speke وجرانت Grant وصمويل بيكر Baker وچون بتريك Petherick وغيرهم أما بيادچيا فقد قام بأول رحلاته في النيل الأبيض في عام ١٨٥٣ ثم استطاع بعد محاولات ثلاث في الأعوام ١٨٦٣ و ١٨٦٤ و ١٨٦٥ الدخول في نهر السوبات وزيارة بلاد النيام نيام في إقليم بحر الغزال (٤٤٣) وأما السيدات

Lejean. Voyage dans l'Afrique Orientale (1860) ; Lejean, L'Afrique (٤٤٠) Inconnue (1862) ; Lejean, Gondokorro (1862) : Tour du Monde. vols II, III, V, VI. ; also. Lejean, Le Haut Nil (Revue des Deux Mondes. vol. XXXVII (1862).
Vivian de Saint-Martin. (Revue Geogr. 1864). Texte Inédite. p. 149 ; (٤٤١) Berlioux 138—140.
Bull. de l'Institut Egyptien No. 6. (1862) p. 90 ; Lejean (Voyage aux (٤٤٢) Deux Nils) 72 ; Petherick II. 13—14 ; Douin III. 1re Partie. 107.
Piaggia 186 ; Antinori (Voyage) ; Schweinfurth (Charles Piaggia) (٤٤٣) 180—181.

تبنى فقد استطعن الوصول إلى غندكورو والجولان في بحر الغزال (١٨٦٢) —
 (١٨٦٥) وأسفرت رحلاتهن عن جمع معلومات كثيرة عن حيوان ونبات
 وطيور النيل الأبيض وتحقيق مجارى بعض الأنهار مثل الجور والكوزنجا
 وغيرهما (٤٤٤) أما سبيك وزميله جرانت فقد غادرا نجرار إلى أوغادة حيث
 قابلا ملكها اميتيسة M'tesa ثم قصدا أونورو فبلغا عاصمتها بعد مشقة في
 سبتمبر ١٨٦٢ وأخيرا وصلا إلى غندكورو في فبراير ١٨٦٣ وهناك قابلا صمويل
 بيكر وزوجه ثم تابعا السير في النهر حتى وصلا الخرطوم وغادرا إلى اسوان
 والقاهرة وكانت عودتهما إلى إنجلترا في ربيع ١٨٦٣ (٤٤٥) وأما صمويل بيكر
 فقد حصل من سعيد باشا وهو ما يزال بالقاهرة على فرمان يطلب من جميع
 موظفي حكومته مساعدته في رحلته ووصل هو وزوجه في مايو ١٨٦١ إلى
 كورسكو ثم زار قبل وصوله إلى الخرطوم الأقاليم التي يحرق فيها العظيرة
 مثل كسلا والقضارف وأرض الهدندوة وغيرها وأخيرا بلغ الخرطوم في
 يونية ١٨٦٢ بعد أن قضى في جهات العظيرة حوالى أربعة عشر شهرا استطاع
 في أثناءها أن يعين بشيء كثير من الدقة علاقة نهري العظيرة والنيل الأزرق
 بمجرى النيل الرئيسى وفي فبراير ١٨٦٣ وصل بيكر وزوجه إلى غندكورو
 وبعد مشقة وصلا إلى مكان يسمى مباكوفيا Mbakovia على شاطئ بحيرة
 البرت الجنوبي الشرقى في مارس ١٨٦٤ ثم سارا في البحيرة بحذاء الشاطئ حتى
 مجانجو ثم اعتليا نيل فيكتوريا وكشفا شلالات مرشيزون ثم غادرا أونورو

Heuglin (Reise in das Gebiet); John Tinné (Geogr. Notes); Heuglin (٤٤٤)
 (Tinnésche Expedition); Berlioux 86—7; Petherick I 323—26;
 Budge II 313—14; Johnston 192; Vivian de Saint-Martin (Revue)
 422—3.

:Staat-Archiv. Cons. in Alex. und Cairo 1863. No. 30 Pol. Ale. 7.5.1863 (٤٤٥)
 Schreiner zu Rechberg-Rothenlowen. Speke (Les Source du Nil)
 (Tour du Monde No. 229) p. 328; M'Queen 79; Murray and White
 62, 64, 67, 70—71.

في نوفمبر وبلغا غندكورو في مارس من العام التالي وفي أوائل مايو كانا في الخرطوم ثم عادا إلى السويس عن طريق بربروسواكن وفي أكتوبر ١٨٦٥ كانا في إنجلترا^(٤٤٦) وقد كتب بيكر في رسالة له من الخرطوم في ٣٠ مايو ١٨٦٥ « وعلى الرغم من أن منابع النيل ظلت منذ أزمان بعيدة سرا يصعب الوقوف عليه فأنا انجليزيا واحدا لم يكلف نفسه عناء البحث عن حقيقة هذا السر حتى نجح بروس في كشف منبع النيل الأزرق . وأثبت سبيلك وجرانت أن للنيل منبعا آخر في بحيرة فسكتوريا ثم تمكنت بدوري من كشف بحيرة البرت العظيمة وهي منبع النيل الثاني »^(٤٤٧) وأعطى بيكر لقب فارس مكافأة له على جهوده العلمية .

وعند ما كان بيكر يحول في مناطق النيل العليا وصل اسماعيل إلى الحكم في يناير ١٨٦٣ فكان ذلك مؤذنا ببدء صفحة جديدة في تاريخ الكشف الجغرافي في حوض وادي النيل والأقاليم السودانية فقد سارت الكشوف الجغرافية والعلمية المتنوعة في السودان جنبا إلى جنب مع اتساع رقعة الممتلكات الأفريقية التي دخلت في حوزة مصر أيام العاهل العظيم وفي هذا العهد الجديد لم يكن غرض اسماعيل مجرد الوصول إلى منابع النيل فحسب بل أراد الخديو كذلك أن يتم كشف تلك الأقطار التي ظلت مغلفة في وجوه العالم الخارجي أجيالا طويلة في السودان الغربي وبحر الغزال والقيام بكشوف علمية دقيقة في أجزاء السودان الشرقي والأقاليم المطلة على ساحل البحر الأحمر الغربي وسواحل الصومال ثم مناطق النيل العليا وأخيرا إعداد خريطة شاملة لجميع الأقاليم السودانية ولم يشأ اسماعيل أن يستأثر الأوروبيون وغيرهم من الأجانب بفضل المساهمة في هذا العمل العلمي الجليل بل أراد أن يشترك

Murray and White. 50, 56, 125, 307—8; Johnston 185—87; Baker (١٤٦)
(Voyage à l'Albert) No. 368. pp. 41—42.

Murray and White. 100. (٤٤٧)

مصريون في وسعهم أن يعيدوا إلى الأذهان سيرة القبودان سليم وكانت الرغبة في تحقيق هذه الغاية أحد الدوافع التي دعت إلى إنشاء مدرسة أركان الحرب في عام ١٨٦٥ تحت إدارة الكولونيل ميرشير Mircher رئيس البعثة العسكرية الفرنسية التي استقدمها اسماعيل إلى البلاد في غضون العام السابق (٤٤٨) وفي عام ١٨٦٧ تأسست هيئة أركان الحرب العامة المصرية وكان من أغراض تأسيسها أن يتلقى الضباط المصريون العلوم التي تعدهم للقيام بأعمال الكشف الجغرافي على وجه يدعو إلى الارتياح (٤٤٩).

وفي الوقت الذي كانت تجرى فيه الاستعدادات لهيئة النخبة الصالحة من الضباط المصريين لأرسالهم في بعوث الكشف الجغرافي إلى السودان أوفد الخديو السير صمويل بيكر في حملة إلى جهات النيل العليا حتى يخضع لسلطان الحكومة الأقاليم الواقعة إلى الجنوب من غندكورو ويقضى على تجارة الرقيق ويستبدل بها تجارة مشروعة يساعد على نجاحها وعلى توطيد سلطان الحكومة إنشاء سلسلة من المراكز العسكرية والتجارية في تلك الأقاليم النائية . على أنه مما تجدر ملاحظته أن فرمان الخديو الذي صدر إلى السير صمويل بيكر في مايو ١٨٦٩ كان ينص كذلك على ضرورة فتح الملاحة في النهر من غندكورو إلى البحيرات الاستوائية العظيمة (٤٥٠) وكان معنى هذا كشف هذه الأقاليم التي يخترقها النهر والوصول إلى منابع النيل لإمطاة اللثام عن حقيقة هذه الجهات المجهولة فحسب بل ولبذر بذور الحضارة والعمران في قلب القارة

(٤٤٨) سر هنك ٢ : ٣٠٧ — ٣٠٨ .

Bull. Soc. Khed. Geog. Ser. II. No. 2 Caire 1883. p. 2. Sabry (Empire (٤٤٩) Egypt. Sous Ismail) 384.

Abdin. Corresp. fran. Doss. 72/1 f. 20922. Trad. Contrat de Sir Samuel (٤٥٠) Baker. Caire 15.4.1869; Baker (Ismailia) I. 6—7; Murray and White. 149.

الأفريقية^(٤٥١) غير أن بيكر لسوء الحظ اعتبر مهمته عسكرية فحسب فطلق
يشنها حرباً شعواء على الأهاليين الوادعين بصورة نفرت هؤلاء من حكومة
المصريين واضطرت الخديو إلى الاستغناء عن خدماته^(٤٥٢) وكان من نتائج
إخفاق بيكر أنه لم يستطع فتح الملاحة النهرية إلى بحيرة البرت بالرغم من أن
وضع السفن على هذه البحيرة وكشف هذه الأقاليم النائية كان على حد
قول القنصل الانجليزي فيفيان Vivian من أهم أغراض حملة السير
صمويل بيكر^(٤٥٣).

وكانت عودة بيكر إلى القاهرة في أغسطس ١٨٧٣ وفي العام نفسه
استخدم الخديو انجليزياً آخر هو شارلس جورج غردون وفي ١٦ فبراير
١٨٧٤ أصدر إليه تعليمات مفصلة كان أهم ما يسترعى النظر فيها إلى جانب
ضرورة القضاء على تجارة الرقيق وعدم الوقوع في الأخطاء التي سببت فشل
السير صمويل فتح النهر جنوبي غندكورو للملاحة والوصول إلى البحيرات
الاستوائية وإدخال التجارة المشروعة في هذه المناطق البعيدة^(٤٥٤) وأدرك
غردون على خلاف ما فعل بيكر مقاصد الخديو على وجهها الصحيح وكان
في مقدمة المسائل التي عني بها فتح النهر والبحيرات الاستوائية للملاحة^(٤٥٥)

Abdin. Corresp. fran. Doss. 72/1 f. 20918 Caire. fevrier 1872 Ismaïl (٤٥١)
à Baker.

Abdin. Amr. vol. VI. No. 19. Alex. 16.10.1872. Hale to the Assistant (٤٥٢)
Secretary of State ibid. vol IX. No. 235. Cairo 12.9.1874. Enclos.
J. M'Williams, Chief Engineer to the Editor of the Mail. pp. 84—5.
Baker. (Ismaïlia) l. 308—9 ; 364—7 ; 397—8 ; etc. etc.

F.O. 85/1371 (Slave Trade 71). Confid. Alex. 6.9.1873. Vivian to (٤٥٣)
Granville.

Abdin. Corresp. fran. Doss 71/3. Palais d'Abdin. 16.2.1874 Ismaïl à (٤٥٤)
Gordon ; ibid. doss. 71/4. f. 8211 Caire 19.9.1875. Ismaïl à Gordon ;
Blunt (Gordon at Khartoum) 96.

Butler 109. (٤٥٥)

دون تفكير في إيذاء الأهليين أو شن الحروب عليهم وضم بلادهم عنوة واقتدارا إلى الأملاك المصرية^(٤٥٦) ولذلك لقيت إدارة غردون نجاحا كبيرا في المدة التي قضاها في مأمورية خط الاستواء بين عامي ١٨٧٤ و ١٨٧٦ وكانت أهم السكشوف الجغرافية التي حدثت في عهده (أولا) تلك التي قام بها الضابط الأمريكي السكولونيل شاييه لونج Chaillé-Long الذي أوفده غردون في عام ١٨٧٤ في مهمة سياسية واقتصادية إلى أوغنده ثم أرسله لإنشاء سلسلة من المحطات في إقليم مكركة نيام نيام في عام ١٨٧٥ ، (ثانيا) تلك التي قام بها البلجيكي أرست لينان دي بلفون في الإقليم الممتد بين لادو عاصمة المأمورية الجديدة ودوباجا عاصمة أوغنده في عام ١٨٧٥ ، (ثالثا) كشوف الإيطالي چسى Gessi في إقليم بحر الخزال في عام ١٨٧٤ ونجاحه في الملاحة حول بحيرة البرت في عام ١٨٧٦ ، (رابعا) هذا عدا السكشوف الأخرى التي قام بها غردون نفسه عند محاولته التقدم في النيل الأعلى صوب بحيرة فكتوريا ثم محاولة الضابطين واطسن وشبنندال Chippendall الوصول إلى بحيرة البرت ونجاحهما في كشف مجرى النهر حتى وادلاي.

أما شاييه لونج فقد غادر غندكورو في مهمته الأولى في ابريل ١٨٧٤ ووصل إلى دوباجا عاصمة ملك أوغنده أمتيصة في يونيو ثم غادرها في الشهر التالي وفي أثناء عودته إلى غندكورو كشف بحيرة ابراهيم (أو بحيرة كيوجا)^(٤٥٧)

Sudan Notes and Records. vol X. (Unpublished Letters of Charles (٤٥٦) George Gordon). No. 28 Dufli and Magungo 16, 17.1.1876. p. 50; Hill. p. Xli.

Abdin. Corresp. fran. Doss 71/1. f. 8001. Trad. d'une dépêche adressée (٤٥٧) par M.M. le Consul Hansal et Giegler. Khartoum 2 Ramadan 1291; also Publications of the Egyptian Staff—Province of the Equator.. p. 68.

وبلغ غندكوروفى ١٨ أكتوبر من العام نفسه (٤٥٨) وقدم تقارير مفصلة عن رحلته إلى غردون بعث بها غردون بدوره إلى القاهرة (٤٥٩) وفى يناير ١٨٧٥ غادر شاييه لونج اللادو إلى مسكركة نيام نيام لفتح الطريق بينها وبين لادو عاصمة المأمورية الجديدة وصحبه فى هذه المرة الرحالة مارنو Marno وعاد من هذه الرحلة إلى اللادو فى مارس من العام نفسه وبعث بتفاصيل رحلته إلى رئيس هيئة أركان الحرب الجنرال ستون Stone (٤٦٠) كما بعث غردون بأخبارها إلى القاهرة (٤٦١) وفى عام ١٨٧٦ نشر لونج فى مجلة الجمعية الجغرافية الخديوية « ملاحظات عن شعوب السود الضاربة فى الإقليم الممتد من النيل الأبيض إلى خط الاستواء ثم إلى القرب من (البحر) الأبيض إلى بلاد المكارا كانيام نيام » (٤٦٢) وفى عام ١٨٧٩ نشر مارنو كذلك تفاصيل هذه الرحلة (٤٦٣) وفى نهاية يناير ١٨٧٥ غادر لبنان الرجاف فى طريقه إلى دوبا جا فبلغ عاصمة اميتيسه (اومتاسى) فى أبريل ثم قفل راجعا وفى أثناء عودته قتله الوطنيون

-
- (٤٥٨) أنظر عن تفاصيل هذه الرحلة — جريدة أركان حرب الجيش المصرى . السنة الثانية الجزء الثانى . الصادر فى ١٥ ذى الحجة ١٢٩١ و ٢٣ يناير ١٨٧٥ ، ثم انظر Abdin. Amer. vol. IX. No. 258. Cairo 28.12.1874. Beardsley to Fish. Enclos. Letter of Chaillé-Long. Khartoum 7.11.1874; also. Douin III. 3e Partie. Fascicule A. p. 89 Note 3.
- Abdin. Corresp. franç. Doss 71/3. Gondokoro 18.10.1874 Gordon à (٤٥٩) Khairy Pacha. App. A. Extrait des Rapports de M. Le Lieut-Colonel Long; App. B. Colonel Chaillé-Long. A.S. Ex (Gordon) Gondokoro. Foweira Sur le Nil. 13.9.1874.
- Abin. Corresp. fran. Doss 71/4. Ministère de la Guerre . . Etat Major- (٤٦٠) Général. Cabinet du Chef (Stone). Caire 5.5.1875. Itinéraire du voyage . . .
- Abdin-Corresp. franç. Doss. 71/4 Rageef 19.3.1875 Gordon à (٤٦١) Khairy Pacha.
- Chaillé-Long. Notes sur Les Nègres etc.. (Bull. Soc. Khed. Geog. (٤٦٢) Ser I. No. 2 Caire 1876). pp. 223—234 .
- Marno. (Reise in der Egypt. Aquat. Provinz... Wien 1879. (٤٦٣)

قريبا من موجي^(٤٦٤) ومع ذلك فقد استطاع لينان في اثناء هذه الرحلة أن يرسل إلى غردون التقارير المفصلة عن جغرافية الأقاليم التي اجتازها في طريقه إلى دوباجا وطبوغرافيتها والارصاد الجوية المختلفة علاوة على ما اشتملت عليه التقارير من معلومات تاريخية هامة عن اونيورو واوغندة ووصف الأحوال السائدة في مملكة اميتيسة^(٤٦٥)

أما الايطالى چسى فقد عهد اليه غردون بمهمة التقدم صوب بحيرة البرت لفتح الملاحة في النهر اليها وكان غردون قد ارسل قبل ذلك الانجليزين واطسن وشبنندال في هذه المهمة ذاتها ولكنهما مرضا وأرغما على العودة^(١٨٧٥) (٤٦٦) وعلى ذلك غادر چسى دفلاى في ٧ مارس ١٨٧٦ وصحبه في هذه الرحلة الايطالى بيادچيا وبلغ چسى ماجنجو في ٣٠ مارس ولكنه لم يستطع البقاء بها بسبب عداة الوطنيين فذهب إلى شلالات مرشيزون وفي ١٢ أبريل بدأ بالملاحة حول شواطئ بحيرة البرت وبمجرد أن فرغ من ذلك عاد إلى دوفيله (الدفلاى) وأعد تقريرا عن رحلاته كما رسم خريطة للبحيرة وبعث غردون بالتقرير والخريطة إلى القاهرة^(٤٦٧) وفضلا عن ذلك فقد أرسل غردون إلى القاهرة اثباتا موقعا عليه من چسى وضباط الحملة الآخرين برفع العلم المصرى على ماجنجو في ١٠ أبريل ١٨٧٦^(٤٦٨)

Abdin. Corresp. fran. Doss. 71/4. Fatiko 9, 13, 20 février 1875 ; (٤٦٤)
Foweira 24, 25 Mars 1875; Doubaga 25 avril, 8 Juin 1875; Foweira
11 Juillet; Fatiko 27 Juillet 1875. Ernest Linant de Bellefonds
à Gordon.

Ernest Linant de Bellefonds. Itinéraire et Notes... (Bull. Soc... (٤٦٥)
Khed. Geog. Ser I. No. 1. Caïre 1876). pp. 7—80.

Abdin. Corresp. fran. Doss. 71/4. Rageef 17, 18—4—1875 Gordon à (٤٦٦)
Khairy Pacha.

Abdin. Corresp. fran. Doss. 71/5. Kerri 1.5.1876 Gordon à Khairy Pacha. (٤٦٧)

Abin. Corresp. fran. Doss. 71/5. Ministère de la Guerre-Etat major- (٤٦٨)
Général. Caïre 6. 5. 1876.

ولما كانت مهمة غردون فتح المواصلات النهرية مع البحيرات فقد بدأ
بعد شهور قليلة من وصوله إلى مقر مأموريته يؤسس محطة في الرجاف على بعد
مئة عشر ميلا جنوبي غندكورو حتى يتخذها قاعدة لنشاطه في المستقبل (٤٦٩).
وشرع يكشف الطريق النهرى إلى بحيرة البرت فبدأ بالجزء من النهر الواقع
بين رجاف ودوفيله ففحص جنادل بدن وأسس محطة في كرى ثم في موجى
وأتم كشف النهرين الرجاف ومكادة والأقليم الواقع بين الرجاف ولا بورة
ورسم خريطة لهذا الإقليم (٤٧٠). واعتزم غردون الذهاب إلى بحيرة فيكتوريا
بدلا من البرت (٤٧١) فتقدم إلى فويرة ثم إلى مرولى وعندما انتهت مأمورية
غردون في خط الاستواء في سبتمبر ١٨٧٦ استطاع الجنرال ستون ورئيس
عموم أركان الحرب، أن يعد تقريرا بالكشوف الجغرافية التى تمت في المدة
بين عامى ١٨٧٤ و ١٨٧٦ (٤٧٢) واشتمل ذلك التقرير على الكشوف التى أتمها
غردون ورجاله في مديرية خط الاستواء وكانت هذه تلخص فيما يلى : (١)
كشف دقيق من النيل الأبيض من غندكورو إلى بحيرة ألبرت (غردون يساعده
كل من واطسن وشبنندال وچسى) (٢) كشف النيل الأبيض من الخرطوم
إلى غندكورو (وهو أكثر الكشوف دقة إلى يومنا هذا) وتعيين خمسة مواقع
بالأرصاد الفلسكية (واطسن وشبنندال تحت أوامر غردون) (٣) كشف بحيرة

أنظر أيضا . عابدين المعية . دفتر ١٧ (عربى) رقم ٢ فى ٧ ربيع الثانى ١٢٩٣ .

(٤٦٩) Abdin. Corresp. fran. Doss. 71/3 Station tout près de mont
Rageef. 1.10.1874. Gordon à Khairy Pacha.

(٤٧٠) Abdin. Corresp. fran. Doss. 71/4. Rageef 27.3.1875, also 6.4.1875 ;
17.4.1875 ; and Bedden 23.4.1875 ; 27.5.1875 ; Près de Laboré sur
le Nil 22.8.1875 ; 24.9.1875. Gordon à Khairy Pacha.

(٤٧١) British Museum. Ms. No. 40665. Mrooli 18.2.1867 Gordon to Richard
Speir Staunder.

(٤٧٢) Abdin. Corresp. fran. Doss. 72/1. Résumé des Résultats geogr. etc. (٤٧٢)
Caire 16.10.1876. (Stone).

البرت في عام ١٨٧٦ قام به جسي بأمر من غردون (٤) فتح الملاحاة في بحيرة
البرت بوضع سفينة بخارية في هذه البحيرة على يد غردون (٥) تحقيق مجرى
نهر النيل بين بحيرة فمكتوريا ومرولى وكشف بحيرة ابراهيم قام بذلك الضابط
شاييه لونج تحت أوامر غردون (٦) تحقيق مجرى نهر النيل بين شلالات
كرومة وبحيرة البرت قام بذلك كل من لينان وجسي وبيادچيا تحت أوامر
غردون (٧) كشف فرع النيل الخارج بالقرب من بحيرة البرت والمتجه صوب
الشمال الغربى فعل ذلك جسي تحت أوامر غردون (٨) كشف فرع النهر الخارج
من بحيرة ابراهيم والمتجه صوب الشمال على أيدي بيادچيا تحت أوامر غردون
(٩) كشف دقيق للنيل بين فويرة ومرولى قام به الجنرال غردون (١٠) كشف
الأقليم الواقع بين النيل الأبيض قريبا من غندكورو بلاد مكركة نيام نيام
قام به السكولونيل لونج بمعاونة مارنو وتحت أوامر غردون .

وفضلا عن ذلك فقد اشتمل تقرير الجنرال ستون على جميع الكشفوف
الجغرافية والعلمية المختلفة التى قام بها الضباط من هيئة أركان الحرب المصرية
منذ تم تنظيم هذه الهيئة حتى منتصف اكتوبر ١٨٧٦ فقد أعيد تنظيم هيئة
أركان الحرب فى الجيش المصرى عندما استخدم الخديو اسماعيل الجنرال
شارلس بومرى ستون ونخبة من مواطنيه الأمريكين فى عام ١٨٧٠ وكان
الخديو قد بدأ يستخدم هؤلاء فى جيشه منذ العام السابق فالتحق عدد منهم
بخدمة الخديو حتى شهر مارس ١٨٧٤ نذكر منهم كولستون Colston وپوردى
Purdy ومازون Mason وپراوت Prout وكامبل Campbell وشاييه لونج
Chaillé-Long ومتشل Mitchell وريد Reed ورهت Rhett^(٤٦٣) وقد اشترك
هؤلاء وغيرهم فى أعمال الكشف الجغرافية وإعداد الخرائط والرسوم الطبوغرافية

في جميع أنحاء الأقاليم السودانية يساونهم نخبة كذلك من الضباط المصريين الذين امتاز من بينهم كثيرون نذكر منهم محمد مختار وعبد الله فوزى وعبد الرزاق نظمي ومحمد عزت وحسن واصف ومحمد رموف وحتى عهد اسماعيل العظيم كان هؤلاء قد أتموا كشوفاً عدة ومسحوا كثيراً من الأقاليم ورسوموا عدة خرائط دقيقة ووضعوا تقارير تحوى معلومات جغرافية مفصلة ثم توج هذا العمل الجليل بوضع خريطة مفصلة لأفريقية .

فقد قام كولستون في عام ١٨٧٣ على رأس بعثة كشفت الطريق بين قنا ورأس بناس على البحر الأحمر ثم تمكن مع بوردي من مسح المنطقة الشمالية الشرقية من السودان حتى بربر وفي عامي ١٨٧٤ و ١٨٧٥ استطاع بمعاونة الضباط المصريين من هيئة أركان الحرب كشف الطريق بين دبة وما طول ثم بين دبة والأبيض ووضع كولستون تقريراً ضافياً عن كشوفه في الجزء الشمالى من إقليم السكردفان ورافقه في هذه المهمة عمر رشدى واحمد حمدى ومحمد ماهر و خليل فوزى ويوسف حلمى ورسم أحمد حمدى خريطة كشفية للأقاليم الواقع بين دبة والأبيض كما رسم يوسف حلمى خريطة الطريق بين دبة وما طول (٤٧٤) وأتم الأمريكى براوت Prout كشف كردفان ووضع تقريراً ضافياً عنها ١٨٧٥ واشترك في هذا الكشف الضباط المصريون ورسم محمد ماهر خريطة للطريق من الخرطوم إلى الأبيض واشترك مع براوت في وضع خريطة لمجرى النيلين الأبيض والأزرق كما رسم أحمد حمدى خريطة كشفية عسكرية لمديرية كردفان وفي عام ١٨٧٦ وضع الضباط المصريون

Colston. Extrait d'un rapport sur le Rordofan (15.11.1875); also (٤٧٤)

Colston, Report on Northern and Central Kordofan (1878); also

Colston, Notes Sur les Tribus de Bedouins... (Bull. Soc. Khed.

Geog. Ser I. No. 3 (1876) pp. 267—274; also. Abdin Archives,

(Cairo). Atlas Contenant 46 Cartes etc. (Soudan)—Planches

V, XIV, XXVI.

خليل فوزى وعمر رشدى ويوسف حلى خريطة لمدينة الأبيض ورسم
پراوت خريطة لسکردفان (٤٧٥) .

وفى أثناء فتح دارفور اهتم حكمدار السودان اسماعيل ايوب باشا بعمل
خريطة لدارفور تبين الجهات التى مرت بها العساكر رسمها بالبوصلة والساعة
وباقى الجهات صار رسمها — على حذوقه — بالاستدلال من أهالى وعمد دارفور
وسكانها بحيث لم يترك شئ من القرى والجبال والقبائل المشهورة ومسافات
الخارطة هى بالنسبة لمشى الحملة بالجمال المعتادين عليه أهالى دارفور « وقد ذكر
صاحب الخريطة أنه لم يسبق « عمل خارطة مثل هذه مستوفية عن جهات
دارفور لعدم تمكن أحد من السير فى جهاتها » ومع أن الآلات لم تستخدم
فى رسم هذه الخريطة فأنها « قريبة من التحقيق وغير خالية من الثمرة » (٤٦٧)
وبمجرد أن تم الفتح كشف پوردى دارفور ثم وضعت خرائط دقيقة
لهذا الاقليم وعاونه مازون Mason وپراوت والضباط المصريون محمود صبرى
ومحمد سامى وسعيد نصر وغيرهم وقد قطعوا ٦٥٠٠ كيلو مترا وعينوا اثنين
وعشرين موقعا بالأرصاد الفلسكية وقد وضع پوردى تقريرا عن كشوفه
فى دارفور ودارفريت حتى حفرة النحاس وشكا جنوبا وجبل الميذوب ورسم
خريطة لدارفور (٤٧٧) ومن الخرائط التى وضعت كذلك خريطة كشفية
للطريق من دنقلة العجوز إلى الفاشر رسمها مازون بك ١٨٧٥ وأخرى للطريق

Prout. General Report on the Province of Rordofan (1877); also Bull. (٤٧٥)
Soc. Khed. Geog. Ser II. No. 4. (1883); Crabités (Americans)
pp. 81—90; Abdin. Archives. Atlas etc. (Soudan) Planches XII,
XXIII, XXIV, XXVI, XXVII, and XXVIII,

(٤٧٦) عابدين . المعية . دفتره معية عربى وارد الأفادات . رقم ١٩ مرور صفحة ٧٦ فى
٧ صفر ١٢٩٢ من حكمدارية السودان إلى المعية السنية .

(٤٧٧) عابدين . المعية . دفتر ١٩٨٤ جهادية . رقم ١١ صفحة ١٢٧ فى ١٠ شعبان ١٢٩٣
من حكمدارية السودان إلى ديوان عموم الجهادية .

بين الأبيض والفاشر رسمها محمد هاجر و خليل فوزى وثالثة كشفية لاقليم دارفور ورابعة كشفية كذلك لجبل مرة وكلاهما من رسم پراوت وخريطة للجهات الواقعة شرقى وادى السكوه من رسم محمد سامى ثم خريطة كشفية بين كبكية وحدود وادى وصوب الجنوب من جبل مرة إلى دارة وشكا وطويشة رسمها مازون وأخرى بين دارة وحفرة النحاس من صنع پوردى وكلها تمت فى عام ١٨٧٦ (٤٧٨) وعلاوة على ذلك فقد صحب بعثتى كردفان ودارفور العالم الطبيعى پفوند Pfund وكشف نباتات كردفان والجزء الأوسط من مديرية دارفور وعاد بمجموعات نباتية طيبة (٤٧٩).

وفى السودان الشرقى وساحل البحر الأحمر وبلاد الصومال وهرر وضع محمد رؤوف باشا تقريراً عن البلدان التى مر بها فى حملته من زيلع إلى هرر (١٧ سبتمبر - ١١ اكتوبر ١٨٧٥) والقبائل القاطنة فى هذه الجهات كما وضع محمد مختار وعبد الله فوزى تقريراً اضافياً عن هذا الاقليم يحوى معلومات جغرافية مفصلة ورسمي خريطتين أحقاها بهذا التقرير إحداها لمسطح مدينة هرر والثانية خريطة للجزء الأعظم من مملكة عادل الملحقه بالحكومة الجليلية الحديوية مشتملة أيضاً على خط السير الذى اتبعناه من بندر زيلع إلى مدينة

Purdy. Le Pays entre Dara et Heufrah En Nahass. (Bull. Soc. Khed. (٤٧٨)
Geog. Ser. I. No. 8. (1880); Abdin. Archives. Atlas. (Soudan)
Planches. XXVIII, XXIX, XXX, XXXI, XXXII, XXXIII.

عن بعثة پوردى (وكولستون) انظر أيضاً :
عابدين . المعية . دفتر ٢ أوامر عربى رقم ٧ فى ٢٩ شوال ١٢٩١ أمر كريم إلى
حكممدار السودان ، ثم أرقام ٥٧ — ٦١ أوامر كريمه فى التاريخ نفسه إلى مديرية
كردفان ودنقلة والزبير رحمة باشا مدير بحر الغزال ، وإلى مديرى وحكام وعمد
ومشاغ الأقاليم السودانية .

Pfund, (Pfunds Reisebriefe) pp. 1—185; Pfund and Zarbe, Rapport (٤٧٩).
sur les spécimens botaniques etc. (Caire 1879).

هرر» (٤٨٠) وقد زار مختار زيلع وأقليم الجهادي بوسى الذي يمتد إلى الجنوب الغربي منها ورافقه في زيارة جاديبوسى محمود خير الله ودون مختار مذكرات وافية عن جغرافية هذا الإقليم وشعوبه ورسم مختار وعبد الله فوزى وعبد الحليم حلمى خريطة لزيلع وما يحاورها ومسطح مدينة زيلع وقام مختار بكشف عسكري في طريق سنكات ووضع رموف تقريراً عن زيلع « وما يليها » (٤٨١) وفي عام ١٨٧٤ قام عبد الرزاق نظمي وعبد الحميد رشدي وغيرهما من الضباط المصريين بكشف المنطقة الواقعة بين بربرة وجبل دوبار ووضعوا خريطة لها وفي منتصف العام رسم أحمد حمدي خريطة عسكرية للأقليم الممتد من جبال البارية إلى بندر التاكة « مبيناً بها خط التلغراف المصمم عمله من كسلا لغاية سنهيت » وفي عام ١٨٧٥ قام بكشف طبوغرافى في الجهات الواقعة على ساحل البحر الأحمر قريباً من مصوع وهضبة الحبشة ورسم خريطة لها كل من لو كيت Lockett وفيلد Field وديريك Derrick ودوليه Dullier ودينسون Dennison وإيجرن Igrens ودرهولتز Durholtz واشترك معهم كثيرون من الضباط المصريين وفي عام ١٨٧٦ رسم لو كيت ومحمد صادق ومصطفى رمزي خريطة

(٤٨٠) عابدين . المعية . (عربى) محطة ٣ شميز ٣ نمرة الحفظ ٢ — من محمد رؤوف إلى مهرداد جناب خديوى من هرر في ١٨ رمضان ١٢٩٢ ، ثم محطة ٣ شميز ٣ نمرة ٤ تقرير موضوع من محمد مختار وعبد الله فوزى إلى حكمدار هرر (بدن تاريخ) ، أنظر أيضاً Mustafa Amer,

Some Unpublished Egyptian Maps of Harrar (1937).

(٤٨١) عابدين . المعية . دفتر ١٧ معية عربى قيد وارد الاقادات الخ . رقم ٢ صفحة ٩٠ في ٧ جادى الثانية ١٢٩٣ من سعادة رؤوف باشا حكمدار هرر إلى المعية السنية ، دفتر ١١ معية عربى رقم ص ١٠ في ٤ رمضان ١٢٩٢ من المعية السنية إلى الجهادية ثم دفتر بدون نمرة معية عربى صفحة ١ في ٥ رمضان ١٢٩٢ من المعية السنية إلى ديوان المالية ثم — أنظر :

Moktar, Notes Sur les Pays de Harrar.

pp.352 — 389 ; Abdin-Archives Atlas (Soudan) Planches XLII, XLIV, XLV, XLVI.

لمصوع وما يحاورها بينما قام وارد Ward بكشف قسمايو ودرنفورد وقياس أعماق المياه وعمل خريطة لهاتين الفرقتين واشترك في ذلك صدقي وغيره من الضباط المصريين وعلاوة على ذلك فقد كشف محمد عزت الأقليم الواقع بين تاجورة وأوسوه (٤٨٢) ورسم لو كيت سهول حباب وقرع وفي نفس العام قام ممثل Mitchell بكشف طبوغرافى و جيولوجى فى الأقليم الواقع إلى الجنوب الغربى من زيلع وبالقرب من تجره (تاجورة) ورسم خريطة وقد عاونه ضباط مصريون إلى جانب الإيطالى اميليانو Emiliano الإخصائى فى المعادن كما قام بكشف جيولوجى للجهات الواقعة بين مصوع وقرع ثم منطقة ايلت Ailet (١٨٧٦-١٨٧٧) (٤٨٣) وفى عام ١٨٧٧ كشف مازون نهر سمليكى ورسم خريطة دقيقة لبحيرة البرت وفى العام التالى رسم خريطة لمجرى النيل من حنك إلى ملك الناصر (٤٨٤) وفى عام ١٨٧٨ ارتاد السكولونيل جريفز Graves شواطئ الصومال لاختيار مكان يصلح لإقامة فئسار ورسم خريطة مفصلة لرأس غردفوى وللأقليم بأجمعه مبينا عليها المكان الملائم لإقامة الفئسار (٤٨٥).

(٤٨٢) Abdin-Archives-Atlas. (Soudan) Planche XLIII; ibid (Soudan-Oriental) Planches VII, VIII, IX, X, XI; XII also Stone. La Topographie du Pays entre la Cote de la Mer Rouge etc. (Bull. Soc. Kh. Geog. Ser 1, Nos 9 and 10. Caire 1881).

(٤٨٣) Abdin-Amer. Vol XIII. No 109. Cairo 27.3.1877. Farman to Fish Enclos. 1. Copy. War Office. Bureau of the General Staff. Cairo 27.3.1877. by C.P. Stone; also No 119 Cairo 11.4. 1877 Farman to William Evarts; also. Mitchell. Publications of the General Staff. Report. of the Seizure by the Abyssinians of the Geoglogical and Miner. Recon. Exped. (1878); also Crabités (Americans) pp. 201-213.

(٤٨٤) Mason. Trad. du Rapport (Albert Nyanza) Bull. Soc. Khed Geog. Serie 1 No. 5 (1878). Crabités. op cit. 214-227.

(٤٨٥) Abdin-Archives. Atlas (Soudan). Planche IV.; Murray and White p. 111; Crabités. op. cit. 230-238.

وفضلا عن ذلك فقد رسم أعضاء القسم الثالث من هيئة أركان الحرب الخرائط التي أعدها «تخطيطيا» أو أدلى ببيانات أمكن بفضائها وضع هذه الخرائط كل من غردون وچسى وشايبه لونج بين عامى ١٨٧٥ و ١٨٧٨ من ذلك خريطة « للطريق الذى سلكه لونج بك من غندكورو إلى خط الاستواء ذهابا وإيابا من ٢٤ ابريل لغاية ١٨ اكتوبر ١٨٧٤ رسمها مصطفى أفندى صدق، ثم خريطة النيل الأبيض من الخرطوم إلى فيكتوريا نيانزا » حسب استكشافات (غردون فى أعوام) ١٨٧٤، ١٨٧٥، ١٨٧٦، وخرائط مجرى النيل بين فويرة ومرولى ونيل فيكتوريا بين ما جنجو وشوامورو (أغسطس ١٨٧٦) لغردون وخريطة البرت نيانزا « حسب تخطيط عمله چسى فى يوليو ١٨٧٦ » (٤٨٦).

وإلى جانب هذه السكشافات التى قام بها ضباط هيئة أركان الحرب قام هاجن ماخر Haggenmaker « أحد المستخدمين بمديرية عموم السودان الشرقى » برحلة فى عام ١٨٧٤ « تتعلق بجهات زيلع وبربرة وتجرا (تاجورة) الملحقة بالخدوية المصرية وما يليها من بلاد عادل والسومال » بأمر من الخديو اسماعيل ثم دون تحقيقاته الكشفية باللغة الفرنسية وأمر الخديو بنقلها إلى العربية فى العام التالى وقام محمد قانى من ضباط أركان الحرب فى عام ١٨٧٦ برسم خريطة لبلاد الصومال « حسب الاستكشافات التى قام بها هاجن ماخر » (٤٨٧) وفى عام ١٨٧٥ قام تيودور ثون هوجلين بكشف أراضي بنى عامر والحباب ورافقه فى هذه الرحلة فايوج Vieweg ورسم خريطة هذا

Gordon. Lettres de. Accompagnant quatre cartes. (Bull. Soc. Khed. (٤٨٦) Ser. I, No 3 (1876) pp- 294—296). Abdin—Archives. Atlas (Soudan)—Planches— XV, XXXIV, XXXV, XXXIII, XXXIX.

(٤٨٧) هاجن ماخر — ترجمة رحلة سياسية تتعلق بجهات زيلع وبربرة وتجرا . . . (القاهرة ١٢٩٢) . ثم انظر

Abdin-Archives. Atlas (Soudan) Planche XLI.

الأقاليم مصطفى رمزي من هيئة أركان الحرب المصرية (٤٨٨).

وقد توجت هذه الأعمال الكشفية برسم خريطين كبيرتين إحداهما عن منابع النيل الأبيض والأنهار التي تصب فيه لأجل المساعدة على توسيع الأعمال التجارية ببلاد السودان الشرقية التي تحت خط الإستواء، (٤٨٩) وقد رسمها في عام ١٨٧٠ عضو المجمع العلمي المصري جون مانويل « حسب أحدث المعلومات والأرشادات التي وصلته وأدلى بها التجار الأوروبيون والعرب في هذه الجهات وأمكن تنسيقها »، (٤٩٠) أما الخريطة الثانية فهي خريطة أفريقية وضعت في عام ١٨٧٧ « حسب الاستكشافات المصرية مع الاستناد إلى أوثق المصادر الجغرافية » وأشرف على صنعها السكولونيل لو كيت رئيس القسم الثالث من هيئة أركان حرب الجيش المصري واشترك في رسمها كل من لو كيت ومحمد مختار وعبدالله فوزي وعبد الرزاق نظمي ومحمود صبري وأحمد فايق وحسن صفوت ويوسف ضياء وإبراهيم حلمي ومحمد جودت ومحمد خير الله وعلي حيدر وأحمد راشد وأما الكشوف المصرية التي اعتمد عليها هؤلاء في رسم هذه الخريطة فكانت تلك التي قام بها هؤلاء الضباط المصريون إلى جانب غردون باشا وشايبه لونج ووارد ولوكيت ومازون والسير صمويل بيسكر وكولستون وپوردی وپراوت وحسي وغيرهم ومن الكشوف الأجنبية التي اعتمدوا عليها رحلات وكشوف لفنجستون وغليوم ليچيان واستانلي

Heuglin, Le Territoire des Beni Amer et Des Hab abs. (Bull. Soc. (٤٨٨)
Khed. Geog. Ser. I. No 1 (1876) pp (105—120); Abdin-Archives-
Atlas (Soudan Oriental) Planches V., VI.

(٤٨٩) عابدين . المعية . دفتر ٦ معية عربي رقم ٢٥٦ ص ١٥٤ في ٥ جمادى الثانية
١٢٩٢ من نظارة المالية إلى المعية السفينة .

Abdin. Archives. Atlas (Soudan) Planches XVII. Carte des Sources (٤٩٠)
du Nil Blanc et de ses Affluents etc. publié sous les auspices de
S. A. Ismaïl Pacha, Khedive, par John Manuel (1878).

وشواينفرت وهو جليين وتحمل هذه الخريطة امضاء رئيس هيئة اركان الحرب استون باشا (في ٣٠ أغسطس ١٨٧٧) (٤٩١) وقد طبعت مصلحة المساحة هذه الخريطة في عام ١٩٣٠ بأمر من المغفور له جلالة الملك فؤاد الاول ثم اعادت طبعتها بعد أربعة أعوام (٤٩٢) وقد تفضل مولانا جلالة الملك فاروق الاول بأهداء الأصل إلى الجمعية الجغرافية الملكية .

على أنه إلى جانب إهتمام الخديو اسماعيل بتلك الكشوف الجغرافية والعلمية في السودان على أيدي الضباط المصريين والأجانب من هيئة أركان حرب الجيش المصري كان الخديو عظيم الحذب على الهيئات العلمية الأجنبية التي تقصد السودان والقارة الإفريقية عموماً للقيام بالكشوف الجغرافية والعلمية بها فكان من بين الذين نالوا معاضدة الكاشف الإيطالي ميانى Miani الذى ربط له مرتب شهري من أجل السياحة بالبحر الأبيض (٤٩٣) والعالمان الألمانيان هو جلين وديسبورج المتوجهين لأعمال مطالعات جغرافية على شاطئ إفريقيا الشرقى وبجبهات بنى عامر بين سواكن ومصوع ، (٤٩٤) ثم الدكتور ولهم يونكر Junker وأعضاء البعثة الإيطالية المتوجهة إلى إفريقيا

Carte Générale de l'Afrique Dressée sous la Direction du Colonel (891)
Lockett etc. Le Caire 1877.

Mustafa Amer. 292. (٤٩٢)

(٤٩٣) عابدين المعية دفتر ١٨٧٠ معية عربي رقم ١٤٧ ص ١٠١ في ١٧ جمادى الأولى ١٢٩١ من المعية السنية الى المالية . دفتر ٥٧٦ معية (تركى) رقم ٣٩ في ٢١ جمادى الأولى ١٢٨٦ أمر كريم الى ناظر الداخلية ؛ ثم دفتر ٥٦٠ معية (تركى) صفحة ٣٤ في ١٠ شعبان ١٢٨٢ من المعية السنية الى الخارجية ، ثم دفتر ١٨٧٥ معية (عربى) رقم ٣ ص ٢٤ في ٦ شوال ١٢٩٠ من مدير عموم قبلى السودان الى المعية السنية .

(٤٩٤) عابدين . المعية . دفتر بدون نمرة معية عربى رقم ٦٨ من ٣٧ فى ٢ ذى الحجة ١٢٩١ من المعية السنية الى وكيل محافظة سواكن . ثم انظر

Junker. Les voyages du Dr Junker Dans l'Afrique Equatoriale (Bull. Soc. Khed. George). Ser. I. No. 7 (1880).

الوسطى » وقد بذل لها الخديو كل مساعدة وصحبها عبد الله فوزى وكان رئيسها المسيو مارتيني ولقيت كل حفاوة من السلطات المصرية في بربرة وزيلع (٤٩٥) وكان من الانجليز الذين لقوا كل معونة اعضاء البعثة التي ذهبت إلى افريقية الوسطى للبحث والاجتماع مع الدكتور لفنجستون ثم رجل الدين ويلسون Wilson عضو البعثة التبشيرية الانجليكانية وعضو شرف الجمعية الجغرافية الخديوية الذى ذهب إلى اوغندة في عام ١٨٧٧ (٤٩٦) وعندما التمت « جمعية المانية تريد السفر إلى افريقية للقيام باستكشافات علمية » المساعدة من الخديو بذل لها اسماعيل المال بسخاء مشروطا فقط « أن تقدم للحكومة المصرية صورا من خرائط البقاع التي سيجرى الكشف عنها » (٤٩٧)

ذلك كان مدى اهتمام العاهل العظيم بالبحوث العلمية ومبلغ سعيه في إمارة اللثام عن أسرار افريقية تلك القارة التي ظلت مجهولة قرونا عدة . وكان من أثر هذا الاهتمام كشف الأقاليم السودانية كشفا علميا خلال المدة التي خضع فيها وادى النيل لحكومة الخديو المستنيرة . ومع ذلك فقد أسدى اسماعيل خدمة جليلة ليس فقط لأهل السودان بل وللإنسانية عموما عندما اعتزم مكافحة الرق والنخاسة والقضاء على تجارة الرقيق الشائنة في شطر الوادى الجنوبي .

(٤٩٥) عابدين . المعية . دفتر ٣٧١٦ رقم ٤٥ في ربيع الثانى ١٢٩٤ من محافظة بربره . إلى المعية للسفينة « تم دفتر ١٤٨ معية عربى رقم ٢٦٩ في ٢٢ شوال ١٢٩٣ من المعية إلى محافظ زيلع (أبو بكر شحيم) .

(٤٩٦) عابدين . المعية . دفتر ١٨٤٦ معية عربى رقم ٥١ في ٢٨ ذى القعدة ١٢٨٩ من الجنب العالى إلى مأمورى الحكومة الخديوية المصرية بالأقاليم السودانية عموما؛ ثم أنظر

Wilson. Uganda et lac Victoria. (Bull. Soc. Khe. Geog.) Ser. I. No. 9

et 10. (1880).

(٤٩٧) عابدين . المعية . دفتر بدون تمرة ترجمة الوثيقة رقم ١٣ ص ١٨ في جمادى الأولى من المعية السفينة إلى شريف باشا .

مكافحة الرق والنخاسة

تغلغل الرق في كيان السودان من أزمان سحيقة بدرجة أثرت في حياة أهله من النواحي الاجتماعية والاقتصادية والسياسية تأثيرا بليغا وبصورة جعلت الفشل المحقق نصيب أى محاولة قد تبذل لإلغاء الرق والنخاسة في الأقطار السودانية عنوة واقتدارا وقد ازدهرت تجارة الرقيق في السودان من أوائل القرن السادس عشر تقريبا وكان من أهم عوامل ذلك تأسيس دولتي الفونج في سنار والفور في دارفور ونشأة المشيخات شبه المستقلة في قرى وشتدى والمتممة وفازوغلى وغيرها ثم انتشار عربان البدو في أرجاء السودان كالبشارين والهدندوه والحلانقة وبنى عامر والحباب والشكرية وغيرهم في السودان الشرقي والديناقلة بين الشلالين الثالث والرابع ثم قبائل الشايقية حول كورتى وحنك ومروى خصوصا والجعليين بين أبى حمد والخراطوم والحسانية في صحراء بيوضة والسكبا بيش والبقارة والهبانية والحر في كردفان والرزيقات والتعايشة والهبانية كذلك في دارفور وغير هؤلاء كثيرين (٤٩٨) ممن ينتمون إلى أصل عربي أو كانوا ثمار ذلك الامتزاج الذى حدث بين العرب وسكان البلاد الأصليين منذ بدأ العرب يفتدون إلى السودان قبل انتشار الاسلام في الجزيرة العربية ثم عظمت هجرتهم اليه في القرن السابع الميلادى عن طريق مراكش ومصر والحجاز خصوصا (٤٩٩) وتغلب العنصر العربى على الرغم من الامتزاج الذى حدث (٥٠٠) ؛ وفى

(٤٩٨) شقير ج ١ : ص ٤٥ — ٦٤

Lauture (Kordofan) 9; Lauture (Soudan) 42-44

(٤٩٩)

Bruce. IV 455;

(٥٠٠) شقير ج ٢ : ٧٢ ؛ ثم —

عهد السيطرة العربية تغلغل الرق في كيان البلاد ذلك بأن السادة العرب كانوا في حاجة إلى الرقيق بوصفهم خدماً وجنداً وعمالاً زراعيين وسلعاً للتجارة^(٥٠١) وعلى ذلك فقد استكثروا من شراء العبيد الذين تأتي بهم قوافل الجلابين من برنو وبرقو وباقرمي والحبشة وغيرها؛ ثم أخذوا يسيرون الغزوة لصيد الرقيق بين الزنوج وبخاصة في الجهات الملاصقة للدول أو الدويلات التي أقاموها في سنار وكردفان ودارفور وغيرها^(٥٠٢) وساعدت كثرة الحروب الأهلية أو تلك التي نشبت بين هذه الإمارات على انتشار النخاسة؛ وبمضي الزمن أصبح الأرقاء يؤلفون جزءاً من «العشور» التي صار يدفعها الحكام أو المسكوك لسكبار الرؤساء والسلاطين وفي مقابل ذلك يترك هؤلاء لهم الحكم في «اقطاعاتهم» أو مشيخاتهم، كما حدث في سنار وكردفان ودارفور^(٥٠٣) وعلاوة على ذلك فإنه لما كان سلاطين سنار ودارفور دائماً في حاجة ظاهرة إلى المال للانفاق منه على شؤون الإدارة والحكم في وقت كانت ما تزال فيه أملاكهم تتسع رويد رويدا فقد باتت أموال الجزية والعشور لا تكفي لسد هذه الحاجة، وعمدوا إلى تحصيل الضرائب من القوافل والجلابين تجار الرقيق، كما صاروا يرسلون «الغزوة» كذلك لصيد الرقيق من بين جيرانهم السود حتى يبيعوهم إلى الجلابين^(٥٠٤) وأضحى صيد الرقيق من الأمور المعترف بها «قانوناً» والمسلم «بشرعيتها» وكان رجال القوافل والجلابون عرضة لإغارات البدو المنتشرين على حدود هذه الممالك والدويلات كالشائقية والسكبايدش والبقارة والتعايشة والرزيقات وغيرهم، وصارت هذه القبائل بدورها تقيس ثروتها

Cailliaud III. 295; Bruce II. 480-481. (٥٠١)

Burchkardt 322; Cailliaud II. 119-120; Pallme 350-352. (٥٠٢)

Browne. 277, Pallme 350-352, Cuny (Dar Four) 118. (٥٠٣)

Cailliaud II. 263, 277, III. 245, Tounsy (Ouaday) p. XIV; (٥٠٤)

بقدر ما كان في حوزتها من رقيق تسلبه من القوافل أو يصيده رجالها من مواطنه كما فعل البقارة والشائقية والسكبابيش ومن إليهم^(٥٠٥) وعلى ذلك فقد أصبحت تجارة الرقيق أهم تجارة في السودان واشتهرت أسواق كثيرة بتجارته قبل الفتح المصري بأجيال عدة كان أهمها في سوبه وبربر وشندى وسواكن ومدينة سنار وكوبي والفاشر^(٥٠٦) وأحضرت قوافل الجلابين العبيد إلى أسواق القاهرة وأسيوط وأسوان وإسنا؛ وصارت مصر تصدر الرقيق إلى الآستانة ومواني الليفانت ثم إلى بعض بلدان أوروبا الجنوبية^(٥٠٧).

وكانت أهم طرق القوافل من السودان إلى مصر طريق المحس إلى أسيوط لقوافل النوبة؛ ثم من شندى وبربر إلى أبي حمد ومنها إلى كورسكو وأسوان لقوافل سنار، ثم من الأبيض إلى دنقلة أو دبه إلى المحس ثم إلى أسيوط لقوافل كردفان؛ ثم درب الأربعين من كوبه (أو كوبي) عبر صحراء ليبيا إلى أسيوط لقوافل دارفور^(٥٠٨) وذاع صيت دارفور باعتبارها مستودعا للعبيد فحدث في أثناء وجود الحملة الفرنسية في مصر أن طلب بونايرت إلى سلطان دارفور عبد الرحمن الرشيد إرسال ألفين من أشداء الرقيق^(٥٠٩). ولم يستنكر العالم في ذلك الوقت — أي في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر — الرق بوصفه إحدى دعائم النظام الاجتماعي والاقتصادي المعترف بها في الدنيا الجديدة من ناحية وفي العالم الشرقي وبعض

Prout (Kordofan) 21, 26, 29, Brun-Rollet. 52, Pensa 235-63. (٥٠٥)

Burchkardt 207, 233, 335 etc, Poncet 24—25, 28, 82—3 etc. (٥٠٦)

Bruce III 1-2, Cailliaud II 277, 294-5, III 62, 115.,

F. O. 78, / 381 (Turkey) Report of Bowring ff. 289-290, Burchkardt (٥٠٧) 326, 329-30.

Slatin. 324-5, Pensa 234, Déhérain, 19, Browne 142, Cailliaud III (٥٠٨) 244, Burchkardt 320-24.

Jomard (Observations) p 7. Lettre du Bonaparte au Sultan du (٥٠٩) Dôrfour, 2 messidor an VII.

الاقطار الأوربية وفي افريقية من ناحية أخرى . وعند مجيء بونابرت إلى مصر كان المماليك أصحاب السلطان في البلاد يستأثرون بحكومتها الفعلية دون الباشا العثماني وكان المماليك من الرقيق البيض وعلاوة على ذلك وجد الرقيق الأسود طريقته إلى الخدمة المنزلية وغيرها في مصر حتى بات الرق جزءا من نظام البلاد الاجتماعي والاقتصادي على نحو ما كان الحال في الأقاليم السودانية ذاتها . وعند وصول محمد علي إلى الولاية في السنوات الأولى من القرن الماضي كادت الحروب الأهلية التي استمرت أزمانا طويلة تؤدي بحياة كثيرين من أهل البلاد بسبب تلك الفوضى التي نجمت عن تنافس البسكوات المماليك على السلطة قبل مجيء الفرنسيين أولا ؛ ثم بعد خروج هؤلاء ثانيا ، وكانت هذه الحروب قد افنت كثيرين من أهل البلاد حتى ظهر أثرها في تعطيل الزراعة بسبب نقص الأيدي اللازمة لفلاحة الأرض وصونها من طغيان النيل وقت الفيضانات العالية ومن اعتداء رمال الصحراء عليها .

ولذلك فإنه ليس من الغريب أن يكون طلب « العبيد » أحد أغراض الحملة التي سيرها محمد علي لافتتاح السودان في عام ١٨٢٠ ، فضلا عن أن طلب العبيد لم يثر دهشة أحد من قناصل الدول وممثلها في مصر في ذلك الوقت . فقد ذكر القنصل الفرنسي دروفتي Drovetti أن الرغبة في زيادة عدد سكان البلاد وعدد جيشها بجانب الأحباش أو العبيد من السودان كانت سببا من أسباب الحملة (٥١٠) ؛ وقال قنصل السويد (بوكتي) Bockty وكان يقوم بالاشراف على مصالح الروس كذلك في ذلك الوقت ، إن محمد علي يريد جلب العبيد حتى يستخدمهم في الزراعة بسبب نقص الأيدي العاملة في الحقول وحتى يدرب جزءا منهم على أساليب الحرب الأوربية الحديثة (٥١١) وتحدث

الباشا نفسه في أوامره المتعددة التي أصدرها إلى قواد جيو شه ورجال حكومته عن الغرض من جلب هؤلاء العبيد وهو تجنيدهم في جيشه النظامي الجديد واستخدامهم في أعمال الزراعة والصناعة وفي « دار الحدادة » و « مصنع البنادق » وغير ذلك من الشؤون . (٥١٢) ومع أن الفشل كان نصيب تلك المحاولة التي أراد بها محمد علي إنشاء جيشه الجديد في مصر من السودانيين فقد ظلت الحاجة ظاهرة طوال مدة الحكم إلى استخدام العبيد في الأعمال العمرانية الكثيرة في مصر والسودان معا إلى جانب تأليف قوة عسكرية من هؤلاء العبيد لاستخدامها في السودان . وخرجت « الغزوة » من الخرطوم كما كانت تخرج في الأزمان السالفة من سنار والفاشر وغيرها لجمع العبيد من مواطن السود (أو الزنوج) الذين ظلوا خارجين عن سلطان الحكومة في جبل نوبة جنوبي كردفان وفي جبال القونج بفازوغلي ومن بين الدنكا والشوك على ضفتي النيل الأبيض . وعمد « الحكمدارون » بعد انتقاء الصالحين من العبيد للخدمة إلى توزيع بقية العبيد على الضباط والجنود بدلا مما كان يستحقه هؤلاء من رواتب نقدية . (٥١٣) وكان مما ساعد على بقاء الرق وانتشار النخاسة

(٥١٢) عابدين . المعية . دفتر ٩ (تركي) رقم ٨١٥ في ٢٥ ذى الحجة ١٢٣٧ أمر كريم من الجانب العالي إلى الكتبخدا بك ؛ دفتر ١٠ (تركي) أرقام ٢٠٠، ٤٩٤، ٣٧٤ في ١٥ رجب ١٩ ربيع أول ١٢٣٧ ، ١٢ محرم ١٢٣٨ من الجانب العالي إلى اسماعيل باشا والدفتر دار بك وسر عسكر السودان ، ثم دفتر ١٦ (تركي) رقم ١٥٤ في ٢٤ جادى الأولى ١٢٣٩ من المعية إلى متصرف جرجا ، ثم دفتر ١٨ (تركي) رقم ٣٧٥ في ٣٠ شوال ١٢٣٩ من المعية إلى البك الكتبخدا .

Aff. Etr. Egypte (16) No.2. Alex 16.10. 1843. Rapport de M. Hamont; (٥١٣)
also ibid. Charles Beke (16. 10. 1843). Récit d'une Chasse aux
esclaves; Staat-Archiv-Rapp. de Consple. Turquie (57) No. 466.
Constple. 10. 2. 1841. Adj. Note de M. Laurin Sur La Chasse aux
Nègres; Paton. 227-231. ثم أنظر

عابدين . المعية - محفظة ١٩ رقم ٨٨ مكانبسة في ١٢ ربيع آخر ١٢٦٣ ، ثم تعليق خالد خسرو في ١٢ رجب ١٢٦٣ .

في السودان أن الآباء أنفسهم على حد قول هولرويد Holroyd كانوا يبيعون أبناءهم في أسواق الرقيق . (٥١٤) وفضلا عن ذلك فقد عمد الفرنجة المقيمون في السودان وفي مصر معا إلى شراء العبيد واستخدامهم في منازلهم خصوصا ويقول القنصل الروسي (بيتزوني) Pezzoni أن حكومة الباشا في مصر كانت متساهلة في مبدأ الأمر مع الأوربيين الذين يتعاونون العبيد ولو أنها كانت تصر دائما على أن يعتنق هؤلاء الدين الاسلامي الخفيف وألا يغادروا مصر اطلاقا ؛ ونظمت حكومة الباشا عملية البيع والشراء بصورة تكفل تحقيق هاتين المسألتين ، ويستمر بيتزوني فيقول إنه كان من المتعذر سريان قرار مؤتمر فيينا الذي صدر في عام ١٨١٥ بإبطال تجارة الرقيق لأن أحدا من القناصل لا يستطيع التدخل في عادات صارت جزءا من التشريع المحلي وكان من نتائجها كذلك أن الأوربيين المقيمين في مصر صاروا يحنون منها فوائد كثيرة هامة في حياتهم الخاصة ، (٥١٥).

على أنه سرعان ما استيقظ ضمير الإنسانية وشمرت انجلازة على وجه الخصوص عن ساعدها لالغاء الرق وابطال النخاسة وتجارة الرقيق الشائنة ، وبدأ قناصلها ورجال الهيئات النيابية بها يبدلون قصارى جهودهم لمكافحة هذا الداء الويل في أعظم مواطنه شأننا ونعني به القارة الافريقية ، ولما كان محمد علي وهو صاحب السلطان المطلق على السودان وهو من أهم مستودعات الرقيق القديمة فقد غدا بلاط الباشا ميدانا لنشاطهم ، ولما هو جدير بالذكر أن محمد علي رحب بهذه الجهود الطيبة ترحيبا كبيرا ثم لم يحجم من أول الأمر عن توضيح شيء من العوامل التي جعلته يجلب الرقيق بنوعيه الأبيض والأسود من السودان ومن البلاد الأخرى . قال الباشا في حديث له مع لافيزون

Lavison أحد رجال قنصلية روسيا العامة بالاسكندرية في عام ١٨٣١ يشرح السبب الذي دعاه لجلب الرقيق الابيض خصوصا ، أنه كان مضطرا إلى ذلك حتى يتيسر له تأليف تلك القوة المحاربة التي استطاع أن يستبدلها إلى جانب جيشه المصرى بأولئك الالبان وغيرهم الذين تألفت منهم حملات فتوحه الاولى ، وعلاوة على ذلك فقد كان الباشا في حاجة إلى هيئة من رجال الادارة والحكم المدربين في وسعها القيام بأعباء الحكومة في ممتلكاته . ومع ذلك فقد نفى الباشا عن نفسه تلك الاتهامات التي كانت توجه ضده وقتئذ وفخواها أن له عملاء زودهم الباشا بالمال مهمتهم التوجه إلى مواطن الرقيق الاصلية لاحتضاره منها (٥١٦) .

وعندما حضر إلى مصر في شتاء عام ١٨٣٧ عضو البرلمان السابق الدكتور جون بورنج Bowring صاحب التقرير المشهور عن مصر وكريت وتحدث إلى محمد علي في موضوع الغاء الرق وتجارته الشائنة في السودان ، أبدى الباشا شكوكه في حقيقة ما بلغه عن توزيع الرقيق على جنوده في السودان بدلا من مرتباتهم ، لأن أحدا لم يذكر عن ذلك شيئا أمامه ، ومع ذلك فإن الباشا على حد قوله لبورنج وللقنصل الانجليزي كامبل Campbell كان يعرف أن «ضباطه يتجرون في الرقيق وهو أمر لا يوافق عليه لأنه يكره هذه التجارة ويعتبر نفسه سعيدا إذا استطاع الغاءها ، ولا جدال في أن الباشا كان يعنى مايقول فما لبث أن اقترح ارسال أحد ضباطه إلى السودان للذهاب بصحبة أي إنسان يختاره بورنج وكامبل » لتقرير مايراه هناك حتى إذا ثبت صحة مايقوله هؤلاء بادر باصدار الاوامر اللازمة للقضاء على هذه المساويء ، وفضلا عن ذلك فقد وعد محمد علي باصدار أمره إلى حكام السودان في مساء نفس اليوم الذي

حصلت فيه المساواة بينه وبين بورنج وكامبل « يطلب إليه أن يمنع منعاً باتاً استخدام الجنود في صيد الزنوج ودفع مرتبات الجند من الرقيق » وأضاف الباشا أنه لم يسمح قط للأجانب المقيمين بالسودان أن يتجروا في الرقيق. ونفذ محمد علي وعده فأصدر أوامره في أول ديسمبر ١٨٣٧ إلى حكامدار السودان خورشيد باشا لا بطل دفع مرتبات الجند من الرقيق مما يتعارض مع رغباته تماماً ومن شأنه أن « يلحق العار بشخصه في نظر جميع الشعوب المتمدينة وبخاصة في نظر الحكومة الانجليزية التي تقوم بينه وبينها علاقات ودية وصداقة » وقال الباشا في رسالته إلى الحكمدار « ويجب عليك أن تعلم أني لا أريد ربها من تجارة لا تشرفني ؛ وإنني لعلى استعداد لبذل كل تضحية إذا تطلب الغاء هذه التجارة تضحيات من جانبي » (٥١٧) وفي أثناء زيارته للسودان أعلن محمد علي وهو بالخرطوم الغاء الرق (في ٤ ديسمبر ١٨٣٨) وأصدر الأوامر المشددة لمنع دفع مرتبات الجند من العبيد ، وإرسال الغزوة لصيد الرقيق ؛ ثم أطلق بعد ذلك سراح حوالي الخمسمائة من العبيد الذين كان أحمد باشا أبوودان قد أسرهم من بين بعض قبائل السود العصاة ، وأمر محمد علي بإنشاء مستعمرة زراعية على النيل الأزرق تضم أولئك الذين يعجزون منهم عن العودة إلى بلادهم أو يريدون الاستقرار في الجبلات التي خضعت لسلطان الباشا (٥١٨) . وعقد الباشا آمالاً عظيمة على إمكان إحياء التجارة المشروعة في السودان باعتبارها خطوة لا بطل تجارة الرقيق . وما هو جدير بالذكر أن نظام الاحتكار الذي طبقه محمد علي في السودان على غرار ما فعل في مصر كان لا يشمل تجارة

F. O. 78/ 381 (Turkey) Report of Bowring. ff. 327-335.

(٥١٧)

F.O. 195/151 Cairo 11. 3. 1839. Campbell to Palmerston. Enclos. "Echo (٥١٨) D'Orient". Smyrna 16.2. 1839; Staat-Archiv. Turquie (50). No. 336. Lit. C. Const. 15.5. 1839 Stürmer à Metternich. Enclos Trad. de la Gazette Turque (Alex. 6 safer 1255, 21 avril 1839) et qui renferme une relation du voyage du Pacha D'Egypte au Sennar.

الرقيق . وعلاوة على ذلك فقد أبطل الباشا احتكار تجارة الصمغ وغيره من السلع وحاول تشجيع تجارة القوافل بين السودان والحبشة كما عمل على تنمية موارد البلاد الطبيعية حتى ينعش التجارة المشروعة ويبطل تجارة الرقيق. (٥١٩) وكانت خطة الباشا أن يتم إلغاء الرق وتجارة الرقيق رويدا رويدا « حيث أن هذا هو الطريق الوحيد الذى يمكن بفضله — كما قال — الوصول إلى هذه الغاية المنشودة » والسبب فى ذلك « أن ما ألفه شعبه من عادات وما درج عليه فى هذه الأمور من شأنه أن يضع عقبات كثيرة فى سبيله من العسير تذليلها إذا هو اعتزم إلغاء تجارة الرقيق دفعة واحدة . » (٥٢٠)

وكان من أثر الاجراءات التى اتخذها الباشا لإبطال الرق وتجارة الرقيق فى السودان أن أوفدت جمعية إلغاء الرق بلندن The Anti Slavey Society ريتشارد ماددن Madden إلى مصر فى عام ١٨٤٠ يحمل إلى محمد على شكر الجمعية وارتياحها لما أصدره من أوامر إبان زيارته للسودان ، فقابل ماددن وبصحبه الفصل الانجليزى هو دچس Hodges عاهل البلاد ، وقال محمد على فى أثناء هذه المقابلة « يعظم سرورى إذ ألغيت الرق إلغاء تاما ، ولكن من الواجب على الانسان أن يهيئ للشعب قبل ذلك وسائل التربية والتعليم لأن مسألة الرق فى هذه البلاد من أشق المسائل وأشدّها صعوبة على خلاف الحال فى بلادكم . . . ذلك أن الناس اعتادوا أن يستخدموا الأرقاء لدرجة أنه إذا امتنع وجود الرقيق بالأسواق ، بادروا بالشكوى على نحو ما فعلوا سابقا عندما منعت جنودى من تسيير الغزوات لصيد الرقيق فى سنار. ومن العسير على الإنسان أن يجعل من هؤلاء السود شعبا متمدنا فى بلاده وأن يعودهم العيش وفق أساليب الحياة التى نأخذ بها . لقد حاولت أن أصنع منهم جنودا

منذ سنوات مضت ولكنهم صاروا يموتون في مصر وفي غيرها من الجهات التي أرسلوا إليها ولم يبق منهم لدى سوى ثلاثمائة أو أربعمائة فحسب ، وفضلا عن ذلك فإنني لا أسمح لشعبي بأن يجهر الحملات لصيد الرقيق وجلب عبيد آخرين وواقع الأمر أن هؤلاء السود لا يعرفون السلام والوثام إذ بينما تعيش إحدى قبائلهم في الجبال تعتدى ثانية على غيرها بغية السلب والنهب وتشن ثالثة الحرب على هاتين القبيلتين كليهما والجميع يعيشون في حرب ونضال يصيدون ويسترقون بعضهم بعضا^(٥٢١) .

تلك كانت حقيقة معضلة الرق والنخاسة في السودان ، وقد زاد من خطرها أنه كان من المتعذر على الباشا وهو بالقاهرة أن يشرف إشرافا دقيقا على نشاط الحكمدارين والحكام في السودان لدرجة أن أحد المعاصرين وهو (بوكرا مسكاو) قال إن هؤلاء يستمتعون في الخرطوم والأبيض بسلطان يفوق كثيرا ما كان لحكومة القاهرة البعيدة من سلطان على تلك الجهات^(٥٢٢) . ولما كان مستعصيا على هؤلاء الحكمدارين والحكام أن يناضلوا ضد نظام كان متغلغلا في كيان البلاد الاقتصادي والاجتماعي بصورة قد تفضي محاولة اقتلاعه من جذوره إلى ثورة جامحة^(٥٢٣) ، فقد وجد هؤلاء من الحكمة ألا يتعرضوا لهذا النظام بشيء ، وعلاوة على ذلك فقد تضافرت عدة عوامل على بقاء الرق وانهاش تجارة الرقيق في السنوات التالية وكان أهم تلك العوامل ولا شك فتح النيل (البحر) الأبيض للملاحة على أثر نجاح تلك الحملات التي قادها سليم بكباشي في هذا النهر بين عامي ١٨٣٩ ، ١٨٤٢ . فقد ازدحمت الخرطوم في ذلك الحين بالتجار العرب والأوربيين ومن أهل اليفسانت

Madden. 110-114. (٥٢١)

Puckler-Muskau. 200 (٥٢٢)

Madden 110-111. (٥٢٣)

الذين صاروا يخرجون «بحملاتهم» في النيل الأبيض لصيد الفيلة وجمع العاج في بادئ الأمر ثم صاروا يصيدون الرقيق^(٥٢٤). ولم تفد محاولات عباس وسعيد شيئاً في كبح جماح تجار العاج والرقيق. حقيقة أعلن عباس إلغاء احتكار الصمغ والسنامكى وغيره من منتجات سنار لتشجيع التجارة المشروعة في عامى ١٨٤٩ ، ١٨٥٠ ثم أطلق الملاحة حرة في النيل الأبيض واستدعى في عام ١٨٥٢ إلى القاهرة حكمدار السودان عبد اللطيف باشا الذى احتكر الملاحة لنفسه في هذا النهر^(٥٢٦). ولسكن هذه الجهود ذهبت سدى. فاستمر ازدهار تجارة الرقيق على حاله وفضلا عن ذلك فقد أخفقت محاولات سعيد لإبطال الرق والنخاسة فقد أعلن في أثناء رحلته المعروفة في الأقاليم السودانية إبطال الرق ثم أصدر وهو ما يزال بالخرطوم مرسومات أربعة في ٢٧ يناير ١٨٥٧ لإعادة تنظيم الحكومة بصورة جعلت كثيرين من المعاصرين يعتقدون أن هذا الإصلاح الجديد سوف يؤدي ولا ريب إلى القضاء على الرق والنخاسة في هذه البلاد^(٥٢٧) ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث بل حدث في عهد عباس وسعيد أن قويت شوكة تجار العاج والرقيق في جهات النيل العليا حتى صاروا خطراً على حكومة الخرطوم ذاتها ، فقد أكثر هؤلاء من إنشاء المحطات المسلحة والزرائب واتخذوا منها قواعد لارسال حملاتهم لصيد الرقيق في أقاليم بحر الغزال وبحر العرب والسوبات وحول غندكورو ولما كانت هذه المناطق حتى ذلك الحين خارجة عن سلطان الحكومة الفعلية في الخرطوم فقد تألفت

Shukry 91-92;

(٥٢٤)

Abdin. Aamer. vol. I. no 10 Alex 8. I. 1850. by Mc Cauley; F.O. 78/840 (٥٢٥)
(Turkey) Egypt. no 2. Cairo 8.1.1850. murray to Palmerston; Arminjon)37.

Staat- Archiv. Gen. Cons. 1848 — 1860. No 1479. Cairo 6.1. 1852 (٥٢٦)
Huber to von Schwarzenberg.

Gilbert 221.

(٥٢٧)

الشركات التي استطاعت أن تستأجر من الحكومة حق التجارة في هذه الجهات النائية أى صيد الفيلة (للحصول على العاج) وصيد الرقيق، وامتدت هذه الحقوق حتى شملت أصقاعا شاسعة جنوب دارفور وفي كردفان وعلى طول النيل الأبيض حتى غندكورو^(٥٢٨). وكان من أكثر تجار الرقيق والعاج شهرة في ذلك الحين المالطى ديبونو Debono وقريبه أمبيلي Ambile ثم الفرنسى ملزاك Melzak الذى انتشرت زرائبه على الرُّهْل وفي إقليم بحر الغزال وأنشأ في (رمبك) محطة كبيرة. ثم بارتلى Barthlemy ولافارج Lafargue من الفرنسيين، هذا عدا جملة من الرعايا النمساويين^(٥٢٩) واحتوى كل هؤلاء على أعلام الدول الأجنبية التى انتموا إليها يرفعونها على مراكزهم حتى لا تحد الحكومة من نشاطهم^(٥٣٠).

وأما تجار الرقيق العرب، فقد اشتهرت منهم طائفة كبيرة كالسيد أحمد العقاد وشريكه موسى العقاد وعلى أبو عمورى ومحجوب البصيلى وغطاس القبطى وكوشك على التركى وادريس أتر الدنقلاوى، وألف البصيلى وأبو عمورى وكوشك على فيما بينهم ما يشبه ديكتاتورية ثلاثية استبدت بكل سلطة في إقليم بحر الغزال^(٥٣١) بينما ألف كل من ديبونو وشنوده القبطى وخورشيد أغا فيما بينهم ديكتاتورية ثلاثية أخرى في غندكورو^(٥٣٢) فتقلص نفوذ الحكومة في الجنوب حتى صار أيام عباس لا يتعدى نقطة الشلك على النيل الأبيض،

F.O.84/1181. Slave Trade No 5. Alex 31.7. 1862. Saunders to Russell; (٥٢٨)
Ibid Hornby to Pussell 12.9. 1862

F. O. 84/1181 (Slave Trade) No 4, Alex 31, 7.1862. Colquhoun to Pussell (٥٢٩)
Enclos Petherick to Colquhoun-24.5.1862.

Staat- Archiv' Gen- Cons. 1855. No 46. Cairo 8.1.1855. Huber to (٥٣٠)
Buol- Scheinstein.

Berlioux 113. (٥٣١)

Berlioux. 138 — 139. (٥٣٢)

والرصيرص على النيل الأزرق وفقدت الحكومة كل سلطان في الأقاليم الجنوبية وأخفقت محاولات سعيد لاستعادة نفوذ الحكومة في هذه الجهات (٥٣٣). وهكذا لم يكن هناك معدى عن إنشاء رقابة فعالة على نشاط النخاسين في هذه الأقاليم إذا أريد إبطال تجارة الرقيق وفتح مناطق النهر العليا للتجارة المشروعة، واتفقت كلمة المعاصرين على أن حكومة مصر وحدها هي التي تستطيع فعل ذلك بل ويقتضيها الواجب أن تدخل في حوزتها جهات النهر العليا وتبسط عليها سلطاتها؛ ووقع عبء ذلك كله على عاتق اسماعيل.

وقد أشار بتريك مرارا بعد تعيينه قنصلا لانجلترا في الخرطوم الى ضرورة انشاء « بوليس نهري » للحراسة في النيل الأبيض كما أشار زميله في الاسكندرية سدن سوندرز Saunders إلى ضرورة اسراع والى مصر في أن يضم إلى ممتلكاته ذلك الجزء من النيل الأبيض حول غندكورو الذي تنتشر فيه تجارة الرقيق (٥٣٤) وفي يوليو ١٨٦٢ شرح سوندرز غرضه فقال « أما إذا أمكن اقناع باشا مصر بضم النيل الأعلى إلى ممتلكاته فإن ذلك بلا شك سوف يعود بالخير العميم على السود التعساء من أهل هذه الجهات فضلا عن أنه يسدد إلى أصل هذا البلاء طعنة نجلاء تقضى على تجارة الرقيق » (٥٣٥) وفي نفس العام أرسلت الحكومة الانجليزية إلى قنصلها في القاهرة (كوهون) Colquhoun تخبره بوصول كتاب قنصلها في الخرطوم جون بتريك وتطلب إليه « أن يبين للجناب العالي بوضوح وجلاء ضرورة اتخاذ خطوات نشيطة لانهاء الاحوال

Staat -Archiv- Gen- Cons. 1854. Enclos. Report of Dr Heuglin; F.O. (٥٣٣)

84/ 1181 Slave Trade No 5 Alex 31.7. 1862.

Saunders to Russell; also Hornby to Russell 12. 9. 1862.

F.O. 84/1181 Slave Trade, Hornby to Russell 12.9. 1862. (٥٣٤)

F.O. 84/ 1181 Slave Trade. ibid, also No 5 Alex 31.7. 1862 Saunders (٥٣٥) to Russell

السيئة (السائدة في مناطق النهر العليا) وإنزال العقوبة الصارمة بكل من يشتركون في تجارة الرقيق الافريقية .

وفي يونية ١٨٦٢ أبلغ (كوهون) الحكومة المصرية مقترحات بتريك بشأن انشاء « البوليس » النهري لمراقبة نشاط النخاسين في النيل الأبيض ومصادرة سفنهم المحملة بالرقيق (٥٣٧) . وفي مايو ١٨٦٤ أعد رئيس الجمعية الملكية الجغرافية ومجلسها بلندن « مذكرة » ضافية عن « موضوع تجهيز حملة إلى أقاليم افريقية الاستوائية الشرقية » قدمها إلى وزير الخارجية البريطانية اللورد رسل Russell لدراستها (٥٣٨) .

وقد اشتملت هذه المذكرة إلى جانب إظهار فضائح تجار الرقيق على مقترحات معينة من شأنها إقامة الحكومة الموطدة في هذه الأقاليم حتى تستطيع نشر الأمن والسلام في هذه الأصقاع النائية ، فقال « المجلس » إن القضاء على التجارة الشائنة وإزالة المساوىء المترتبة على نشاط النخاسين في جهات النيل العليا حول غندكورو ثم في « ممالك » أونيورو وأوغنده وكارجوى Karagwe الاستوائية خصوصاً لا يمكن أن يتم إلا إذا أنشئت محطة رئيسية في غندكورو بصفة مبدئية ، وتلا ذلك إنشاء سلسلة من المحطات على طول النيل الأبيض فيتسنى للدولة التى تستحوذ على النهر بفضل إنشاء هذه المحطات أو المراكز أن تبسط سلطانها على أقاليم النهر العليا والشعوب القاطنة فيها ، وعلاوة على ذلك فإن السود ولا شك سوف يقبلون بسرور عظيم على إنشاء العلاقات التجارية مع هذه المراكز أو « المستودعات » ، ولم يكتف أعضاء المجلس باقتراح إقامة هذه المحطات بل إنهم وجدوا من واجهم أن

F. O. 84/1181 Slave Trade. Draft No3. to Con Gen. Colquhon (٥٣٦)
F O. 3. 5. 1862,

F. O. 84/1181 Slave Trade No 3 Alex 6.6. 1862 Colquhon to Russell, (٥٣٧)
Enclos, Letter to the Egyptian Minister for Foreign Affairs.

F.O.78/1537 Turkey (Egypt) Consuls at Cairo etc. January - Dec.1864 (٥٣٨)

يشيروا إلى الدولة التي كان في استطاعتها في نظرهم أن تقوم بهذه المهمة خير قيام فقالوا « ويحق لنا في هذا المقام أن نشير إلى الفوائد العظيمة المنتظرة من انبساط نفوذ الحكومة المصرية على إقليم يعد الآن من الأراضي التي لا يملكها أحد ، ويقع إلى الشمال من حدود هذه الممالك الاستوائية ، ومن المنتظر أن يسوده شيء من النظام نتيجة لذلك ، هذا إلى أن القضاء على تجارة الرقيق الشائنة سوف يكون أحد الفوائد الهامة التي تنجم عن إنشاء مركز مصرى دائم في غندكورو ولا سيما أن الحكومة المصرية قد أعلنت رغبتها القوية في القضاء على هذه التجارة المزدهرة في جهات النيل العليا ، وأن لدى المجلس ما يحمله على الاعتقاد أن باشامصر ، اسماعيل عظيم الرغبة في اتخاذ الاجراءات التي تسكفل إزالة هذه الفظائع التي يرتكبها النخاسون وتجار الرقيق في البلدان الخارجة عن نفوذ حكومته » ولذلك فإنه من رأى المجلس أن سموه سوف يزداد رغبة في العمل على الأخذ بهذه الآراء لو لقي بعض التشجيع من جانب الحكومة الانجليزية » .

و حق للجمعية الجغرافية الملكية أن تعقد آمالا كبارا على معاونة اسماعيل فقد أصدر العاهل الجديد أوامره الشديدة إلى حكمدار السودان موسى حمدي بمنع الاتجار في الرقيق ، وصدع موسى حمدي بالأمر فصادر مراكب النخاسين في النيل الأبيض وقذفت الحكومة بعلمها الرعب في قلوب تجار الرقيق في غندكورو وأنشأ موسى حمدي المراكز المسلحة في كاكوا وغيرها من الجهات على طول النيل الأبيض واتخذ مدير البحر الأبيض ، مقره في فاشوده وقامت سفينتان بخاريتان بالملاحظة وأعمال البوليس في النهر وأرسلت قوة من الجند إلى غندكورو^(٥٣٩) وأنشأ موسى حمدي (ديوان الويركو) لتحصيل الضرائب

Baker (Voyage de l'Albert Nyanza) 42, Berlioux 97-98, F. O. (٥٣٩)
78/2253. Heuglin to Petherick, Berber 9.8. 1864; ibid No. 43 Cairo
6.4. 1865 Colquhoun to Russell, F. O. 84/1260 Slave Trade Pol
Alex 9. 5. 1866; Stanton to Clarendon.

من التجار ولاصدار (التراخيص) اللازمة للسفن قبل مغادرتها الخرطوم وذلك لإحكام الرقابة على نشاط التجار في جهات النهر العليا (٣٤٠) ، وشدد اسماعيل الرقابة كذلك على سفن شركة العزيزية التي أنشأها حديثاً للملاحة في البحر الأحمر لمنعها من نقل الرقيق من سواكن ومصوع وغيرها من موانئ البحر الأحمر على الشاطئين الأفريقي والعربي (٥٤١)

ولما كانت الحكومة الانجليزية أسبق الحكومات الأجنبية التي اهتمت وقتئذ أشد الاهتمام بضرورة إلغاء الرق والقضاء على تجارة الرقيق في مصر والسودان فقد ظلت من أيام محمد علي تلفت نظر الولاة المصريين إلى ضرورة السكفاح ضد الرق والنخاسة ثم عظم اهتمامها بهذه المسألة على وجه الخصوص في عهد اسماعيل وبادرت منذ اعتلاء العاهل العظيم أريكة الولاية باظهار هذا الاهتمام بصورة واضحة جلية (٥٤٢) . ووجدت مساعيها لدى اسماعيل ترحيبا كبيرا بل إن اسماعيل كان قوى الرغبة في التعاون مع الحكومة الانجليزية . في اتخاذ أية اجراءات تهدف إلى وضع حد نهائى لتجارة الرقيق (٥٤٣) . وعلى ذلك فقد كان من الطبيعي أن يعمل وزير خارجيتها اللورد (رسل)

Aff Etr. Egypte (34) No 83. Alex 14. 7 1874 Adj Khart. 2. 1. 1864. (٥٤٠)
F. O. 78/2253 No 43 Cairo 6.4.1865 Enclos, Petherick to Colquhoun
17.3.1864. F. O. 84/1260 Slave Trade No 1, Alex 9.5.1866, Letters
of Khartoum, July.Oct, 1865,

F. O.84/1435 Slave Trade No 9 Laws of Foreign Countries Abolish (٥٤١)
ing Slavery,Egypt No 20 Orders for the suppression of the Egyptian
slave trade, Letter addressed by the Egyptian Government to the
Governor of Suez 9. 1. 1865, also F. O. 84/1246, Slave Trade
No 9 Enclos. Tran. of an order issued by the Egyptian
Government 9. 1, 1865.

Abdin-Amer, vol IV No. 43 Alex 9.10. 1865, and No 44 Alex 27.10. (٥٤٢)
1865 Hale to Seward, also vol VIII No 128 Cairo 16. 9. 1873
Beardsley to Fish.

F. O. 84/1245 Slave Trade No1. Sir Henry Bulwer F. O. 22. 2. 1865 (٥٤٣)

بمقترحات الجمعية الجغرافية الملكية فيرسيل في فبراير ١٨٦٥ تعليماته إلى السير هنري بلور سفيرها في الاستانة وكان وقتئذ بمصر ، حتى لا يدع فرصة تمر دون أن يبين للبasha مبلغ اهتمام الحكومة الانجليزية بضرورة القضاء على تجارة الرقيق في افريقية وترحيبها العظيم بالتعاون مع سموه ما وسعها ذلك في اتخاذ أية وسيلة من شأنها إنهاء هذه التجارة غير الانسانية (٥٤٤) .

وفي هذا الوقت المبكر شرع اسماعيل يعد ذلك البرنامج الواسع للقضاء على الرق والنخاسة الذي أسفر تنفيذه عن تشييد صرح امبراطورية مضر في افريقية في عهد العاهل العظيم ، فلم يستلزم السكفاح ضد الجلايين والنخاسين انشاء الحكومة الموطدة في جهات النيل العليا حول غندكورو والبحيرات الاستوائية فقط بل ضم مواطن الرقيق الأخرى في دارفور وهرر والسودان الشرقي ثم إغلاق المنافذ المطلة على البحر الأحمر التي كان يصدر منها الرقيق ، وذلك بالاستيلاء على سواكن ومصوع وزولا وراحيتا (رهيطه) وتاجوره (تجرة) وزيلع وبلهار وبربرة ثم محاولة ضم الساحل الصومالي الشرقي حتى قسمايو إلى الممتلكات المصرية (٥٤٥) .

وعلى ذلك فقد أعدت حكومته في مارس ١٨٦٥ برنامجا مفصلا لفرض رقابة صارمة على نشاط النخاسين في النيل الأبيض والاشراف على تصدير الأسلحة والبارود إلى السودان وطلب معاونة قناصل الدول في الخرطوم لرفع حمايتهم عن تجار الرقيق من العرب والأوربيين وأهل الليفانت وأصرت الحكومة المصرية على أنه لا معدى عن رفع هذه الحماية إذا أريد النجاح لأية محاولة يقصد منها القضاء على تجارة الرقيق في الأقاليم السودانية (٥٤٦) . فلم

(٥٤٤) F.O. 84/1245 Slave Trade No 1, ibid. (22.2.1865).

(٥٤٥) أنظر كتابنا (مصر والسيادة على السودان) صفحات ٣٧ — ٤٠

(٥٤٦) F. O. 84/1246. Slave Trade, Alex 23. 3. 1865 Bulwer to Russell

Enclos Letter of Sheriff to Bulwer, Le Caire 19.3. 1865. No 2.

Cairo 6. 1. 1865, also No 26 Alex 15. 3. 1865. Bulwer to Russell

تمض شهور قليلة على تنفيذ هذا البرنامج حتى اضطر (ديبونو) إلى بيع زرائبه إلى حكومة الخرطوم وتلا ذلك انتزاع وشراء الزرائب الأخرى من بقية النحاسين خصوصا في عهد جعفر مظهر باشا^(٥٤٧)، وطهرت الحكومة النيل الأبيض من تجار الرقيق .

غير أنه كان من أثر اجراءات الحكومة الناجحة في النيل الأبيض أن اضطر تجار الرقيق إلى الانسحاب إلى الداخل حول غندكورو على بحر الجبل وفي إقليم بحر الغزال كما لجأ فريق منهم إلى دارفور ؛^(٥٤٨) ولما كانت هذه الجهات خارجة عن سلطان الحكومة فقد قوى بها بأس تجار الرقيق واستمرت التجارة الشائنة ؛ وكان أعظم التجار شأنا في إقليم النيل الأعلى في ذلك الوقت السيد أحمد العقاد ؛ وكانت شركة العقاد من الشركات التجارية الكبيرة في القاهرة والخرطوم التي استطاعت أن تحصل من حكومة الخرطوم على احتكار حقوق الاتجار في النيل الأعلى أى في إقليم كانت لتمامها الحكومة واستطاع وكيلها في تلك الأنحاء أبو السعود العقاد أن ينشئ عدة مستودعات ومحطات للشركة في غندكورو وفاتيكو وفالوره وغيرها واستخدم حوالى الخمسة والألفين من الرجال المسلحين وشمّل نشاطه مملكة أونورو واشترك في المنازعات الداخلية بها بين مملكتها كمراسى ومنافسه ريونجه وبلغ من عظم شأنه أنه صار يلقب « بالسلطان » وكان قوام تجارته العاج والرقيق^(٥٤٩) وفي إقليم بحر الغزال أسس الزبير رحمت وهو من تجار العاج والرقيق

F. O. 84/1246. Slave Trade No 7. Alex 10. 7. 1865 Colquhoun to (٥٤٧)
Russell. Aff, Etr, Egypte (35) No 9 Alex 1. 6. 1865. Schweinfurth I.
357-358,

سرهناك ٢ : ٣١٦

Schweinfurth II, 359-366. (٥٤٨)

Baker (Ismaïlia) I. 140, 150; 156-58, II 139, 141, Murray and White (٥٤٩)
222, Abdin-Amer. vol IX No 235 Cairo 12. 9. 1874 Beardsley to
Fish; Hake 242. Wilson and Felkin I. 325.

كذلك مملكة كبيرة واتخذ (بايه) أو (ديم الزبير) عاصمة للملكة واستطاع أن يعقد مع عربان الرزيقات اتفاقا لفتح طريق شكا للتجارة بين مملكته وسلطنة دارفور ثم استولى على شكا وعاش في بذخ ظاهر وبسط سيطرته على دار فريت وجميع بحر الغزال وأخذ يناوىء سلطان الحكومة. (٥٥٠) وهكذا لم يكن هناك معدى عن ضم جهات النهر العليا واقليم بحر الغزال إلى الممتلكات المصرية إذا أريد القضاء على الرق في موطنه وتعطيل نشاط تجار الرقيق. (٥٥١) وكان لتحقيق هذه الغاية أن أعدت الحكومة في عام ١٨٦٩ حملتين إحداهما بقيادة محمد البلالي (أو الهلالي) وغرضها احتلال بحر الغزال، والثانية برياسة السير صمويل بيكر وغرضها القضاء على الرق والنخاسة في النيل الأعلى وكان البلالي صاحب أطباع واسعة ولسكنه سرعان ما عادى الزبير رحمت ووقف تجار الرقيق على حقيقة أغراضه ثم دب الشقاق بين البلالي وقواد الحملة الآخرين فأوقع به الزبير هزيمة كبيرة وقتله ربيع أحد رجال الزبير في معركة حامية، وترتب على اخفاق البلالي أن زاد الزبير قوة على قوته وتوطد سلطانه في بحر الغزال. (٥٥٢) وفضلا عن ذلك فقد كان من أغراض حملة البلالي

Jackson 3, 9, 16, 30, 33 ; Junker 372, Vizetelly 10 ; Chaillé -Long (٥٥٠)
(Prophètes) 17.

سفير ج ٣ : صفحات ٦٠ - ٦٧ .

(٥٥١) سر هنك ج ٢ : ٣١٦ .

(٥٥٢) عن حملة البلالي (أو الهلالي) أنظر : عابدين . المعية ٠ دفتر ١٨٥٩ معية عربى رقم ٨ في غرة شوال ١٢٨٨ من مدير عموم قبلى السودان الى المعية السنية ، ثم سجل ١٩٤٦ أوامر عربى الأمر الكريم رقم ٢ في ١٠ شعبان ١٢٨٩ الى مدير عموم قبلى السودان ، ثم دفتر ١٨٦٤ معية عربى رقم ٣٨ في ١٧ جمادى الثانية ١٢٨٩ من آدم باشا مأمور ادارة مديرية عموم قبلى السودان ، ورقم ٤ في ٢٥ شعبان ١٢٨٩ ن من مديرية عموم قبلى السودان الى المعية السنية ، ومنها كذلك رقم ٥ في ٢٦ شعبان ١٢٨٩ ؛ ثم رقم ٢٠ في ٢٦ رمضان ١٢٨٩ ، ثم دفتر ١٨٦٢ صادر معية صفحة ١٧ في ١٦ ذى القعدة ١٢٨٩ من المعية السنية الى مدير عموم قبلى السودان .

الاستيلاء على دارفور أهم مواطن الرقيق في السودان الغربي على أن يتم افتتاح هذه السلطنة بعد القضاء على الزبير وتجار الرقيق في بحر الغزال وذلك لأن إخضاع بحر الغزال كان عملاً ضرورياً لا يتيسر بدون هدم وكر النخاسة الآخر في سلطنة دارفور . (٥٥٣) فتأجل افتتاح دارفور بسبب اخفاق البلالي .

وأما السير صمويل بيكر فقد غادر القاهرة في ديسمبر ١٨٦٩ ووصل الخرطوم عن طريق سواكن وبربر في يناير من العام التالي وبلغ غندكورو في إبريل ١٨٧١ وبدأ عمله في الحال بكلهمة ونشاط وكانت مهمة بيكر الرئيسية القضاء على الرق والنخاسة في هذه الجهات ووسائل ذلك انشاء الحكومة الموطدة في غندكورو التي سماها اسماعيلية ، ثم امتلاك الأقاليم الواقعة إلى الجنوب من غندكورو وهي مواطن الرقيق والجهات التي أقام فيها النخاسون وتجار الرقيق زرائبهم أو محطاتهم المسلحة (٥٥٤) وفضلاً عن ذلك فقد طلب إليه الخديو اسماعيل أن يفتح هذه البلاد للتجارة المشروعة وينشئ سلسلة من المحطات المسلحة للسهر على الأمن ومراقبة نشاط النخاسين وتجار الرقيق ولاتخاذها مستودعات للمتاجر ، وطالب إليه كذلك أن يفتح النهر للملاحة من غندكورو إلى البحيرات الاستوائية لإدخال التجارة المشروعة في هذه الأقاليم النائية وحتى يمكن إقصاء تجار الرقيق عنها (٥٥٥) ولكن بيكر سرعان ما تجاهل الغرض الأساسي من بعثته فشنها حرباً شعواء لا على تجار الرقيق فحسب بل

Boulger I. 143. Report on the Egyptian Provinces of the Sudan. (٥٥٣)
p. 12

ثم أنظر فوزي ج ١ : ص ١٣٧ ، شفيق — ٣ : ٦٧ ، سر هنك ٢ : ٣١٦ .

Abdin. Corresp. fran. Doss 72/1, f. 20918. Caire, février 1872, Ismail (٥٥٤)
à Baker, also Abdin Amer-vol VII No, 92. Cairo 7.5. 1869, Bardsley to Fish; Baker (Ismailia) I. 155, Murray and White. 141,

Abdin, Corresp. fran. Doss, 72/1 f. 20922. Trad. Contrat de (٥٥٥)
Sir Samuel Baker. Caire 15.4.1869 also Baker (Ismailia) I 6-7;
Murray and White, 149

وعلى الأهلين السود من قبائل الشير والبلينيان والبارى وغيرها ثم اشتبك مع رجال كبريقه Kaba Rega ملك أونورو في معركة حامية في مسندي (يونيه ١٨٧٦) (٥٥٦).

وعلى ذلك أخفق بيكر في تحقيق أغراض الحملة فلم يزد عدد ما أنشأه من محطات مسلحة ومستودعات للتاجر على ثلاث في غندكورو وفويره وفاتيكو عدا مدينة التوفيقية التي أسسها على بعد أربعة أميال من ملتقى السوبات بالنييل الأبيض (٥٥٧). وفضلا عن ذلك فقد فشل السير صمويل في القضاء على تجارة الرقيق وفتح النهر الملاحة إلى البحيرات الاستوائية ووضع سفينة بخارية على بحيرة البرتد ولو أن وضع باخرة على هذه البحيرات كان من أهم أغراض البعثة (٥٥٨). وظلت الأقاليم الواقعة إلى الجنوب من فويره وفاتيكو خارجة عن سلطان الحكومة بل إنه بدلا من أن تضم البعثة هذه الأقاليم إلى الممتلكات المصرية أصابت نجاحا كبيرا في إثارة عداة الأهلين السود ضد حكومة الخديو وألقت بهم في أحضان تجار الرقيق، وهكذا لم يمض سوى عام واحد على عودة السير صمويل من مأمورية خط الاستواء حتى كان قد ضاع كل نفوذ للحكومة في هذه الجهات وبات لا يجرؤ إنسان على مغادرة غندكورو دون التعرض لموت محقق بسبب عداة قبائل السود

Abdin Amer vol VII No. 45 Cairo 11.12.1872. Beadesly to Fish, (٥٥٦)
vol IX No, 235 Cairo 12.9.1874. Enclos, J. M'Williams to the
Editor of the Mail p,85, also ibid "Sir Samuel Baker and Colonel
Gordon" Letter to the Editor of the Mail by James Shaw, Abdin,
Corresp, Fran, Doss, 72/1 f 20919 Masindi 18. 5. 1872 Baker à
Ismail f. 20917. Khartoum 5.7. 1873 Baker à Ismail

Bonola 62, Mc Coan 159

(٥٥٧)

F. O. 84/1371 Slave Trade (Confid) Alex 6.9. 1873 Vixian to (٥٥٨)
Granville

المنتشرة حول عاصمة المأمورية^(٥٥٩) ووقع الاختيار على شارلس جورج غردون لإنشاء تلك الحكومة الموطدة التي أخفق بيكر في إقامتها في إقاليم النيل العليا .

وكانت مهمة غردون القضاء على الرق والنخاسة في مديرية خط الاستواء وفتح الأقاليم الاستوائية للتجارة المشروعة ووسيلة ذلك تشييد صرح الحكومة الثابتة الدعائم في غندكورو ثم فتح الملاحة في النهر إلى البحيرات الاستوائية وفتح هذه البحيرات ذاتها للملاحة الحرة ،^(٥٦٠) أى إنجاز تلك المهمة التى فشل بيكر فى تحقيقها وحرص الخديو من مبدأ الأمر على تحذير غردون من الوقوع فى الأخطاء التى ارتكبها السير صمويل ومعاداة الزوج للحكومة المصرية بل عليه أن يعمل على استجلاب محبة السود ورضاهم عن الحكومة إذا أريد حقيقة على حد قول الخديو « بذر بذور الرق والحضارة ونشر ألوية الرخاء فى هذه الأصقاع البعيدة »^(٥٦١) وفضلا عن ذلك فإن الغرض من إيفاد غردون إلى غندكورو لم يكن « ضم أملاك جديدة » وإنما كان القضاء على الرق والنخاسة وإنشاء الحكومة الموطدة فى مديرية خط الاستواء .^(٥٦٢) ووضح الخديو نفسه هذه المهمة فى إحدى رسائله إلى غردون فى سبتمبر ١٨٧٥ فقال إن الغرض من بعثته ينحصر فى أمور ثلاثة : استتباب الأمن والسلام ، والقضاء على تجارة الرقيق ، وفتح هذه البلاد الشاسعة للتجارة الأوربية ، وكان ادخال السفن إلى بحيرات البرت وفسكتوريا من أهم الأمور التى طلب إلى غردون

Abdin Amer, vol X No 305 Cairo 3.5. 1875. Beardsley to Fish; (٥٥٩)

Sudan Notes and Records vol X, (Unpublished Letters of Ch. (٥٦٠)

G. Gordon) No, 16 (Private) En Route to Makedé, 21, 9 1875,

Abdin, Corres fran Doss 71/1, Palais d'Abdin 16.2. 1874; 30. 8. (٥٦١)

1874, Ismaïl à Gordon,

Staat, Archiv, Rapp, de Constple, Berichte Weisungen 1874, No1 (٥٦٢)

A- C. Const. 2.1. 1874, Ludolf zu Audrassy

تحقيقها كما عقد الخديو آمالا عظيمة على امكان مقاومة تجارة الرقيق بنجاح
إذا فتحت أبواب البلاد للتجارة المشروعة . (٥٦٢)

وغادر غردون القاهرة في فبراير ١٨٧٤ فوصل عن طريق سواكن إلى
الخرطوم في ١٣ مارس وبعد أربعة أيام أصدر وهو بالخرطوم قرارا باحتكار
تجارة العاج لحساب الحكومة ومنع أى فرد من الذهاب إلى مديرية خط الاستواء
دون أن يكون لديه مقدما « تذكرة » تخوله هذا الحق يحصل عليها من حاكم
السودان وموقعا عليها من سلطات « المأمورية » في غندكورو أو في غيرها
وعلاوة على ذلك فقد أصبح انشاء الجماعات المسلحة ممنوعا في المديرية بمقتضى
هذا القرار كما منع ادخال الاسلحة النارية والبارود إليها وهدد كل مخالف
لهذه الأوامر بأقسى العقوبات التي تجيزها القوانين العسكرية . (٥٦٤) وكان
لهذا القرار نتائج خطيرة لا يزال بسببها إلى اليوم موضع نقاش من جانب
طائفة كبيرة من المؤرخين ؛ ذلك إنه لما صار يتحتم على جميع التجار سواء
أكانوا من تجار الرقيق أم من غير هؤلاء أن يحصلوا على تصريح خاص
يمكنهم من إرسال مراسلهم في النيل الأبيض إلى مديرية خط الاستواء فقد
ترتب على التشدد في تنفيذه تعطيل الملاحة في هذا النهر واغلاقه في وجه
التجارة الحرة حتى إن القنصل النمساوى في الخرطوم مارتين هنزل Martin
Hansal لم يلبث أن رفع عقيرته بالشكوى إلى حكومته من هذا القرار
الذى يالحق أشد الأذى بتجارة السودان جميعها . (٥٦٥) ولا جدال في أن
هنزل كان محقا في شكواه إذ من الثابت أن اغلاق النيل الأبيض على هذه

Abdin. Corres. fran. Doss 71/4 Caire 19.9 1875 Ismail à Gordon; (٥٦٢) ٥

Blunt (Gordon at Khart.) 96; Bujac 158.

Abdin. Corresp. fran. Doss 71/3. Khart. 14. 5. 1874 Gordon à Khairy (٥٦٤)

Nouvelle Revue 8e an. t 42 (Paris 1886). p. 395. (٥٦٥)

الصورة أضر بتجارة السودان ضرراً بليغاً. (٥٦٦) وعلاوة على ذلك فقد أدى تعطيل نشاط التجار سواء أكان هؤلاء من تجار الرقيق أم من أصحاب التجارة المشروعة إلى زيادة تدميرهم من الحكومة ، ذلك التدمير الذي ساعد في آخر الأمر على قيام الثورة في السودان على يد محمد أحمد (المهدي) (٥٦٧) ومع ذلك فإن إصدار قرار ١٧ مارس ١٨٧٤ كان عند وصول غردون إلى الخرطوم إجراء لامعدي عن اتخاذه إذا أريد إصابة تجارة الرقيق الشائنة بضربة قاتلة. (٥٦٨) وآية ذلك أن السير صمويل بيكر كثيراً ما كان يقترح على الحكومة اتخاذ مثل هذه الأجراءات. (٥٦٩) وفي فبراير ١٨٧٢ وافق الخديو اسماعيل على مبدأ احتكار التجارة في أقاليم النيل العليا لوقف نشاط تجار الرقيق والقضاء على تجارتهم الشائنة (٧٥٠). غير أنه قبل عام ١٨٧٤ لم يبد من جانب الحكومة ما يدل على أنها تعزم احتكار تجارة العاج دون السلع الأخرى ، فكان صدور قرار غردون مفاجأة لهم . وزاد من غضبهم أن المهلة التي أعطوها لتسريح قواتهم المسلحة في المشاريع المختلفة البعيدة ثم تسليم مالههم من مقادير العاج الكبيرة كانت مهلة قصيرة لا تزيد على ثلاثة شهور (٥٧١) .

ومنذ أن وصل غردون إلى مقر مأموريته في غندكورو كان أهم ما غنى به تنفيذ هذا القرار ومصادرة مراكب التجار المحملة بالعاج والرقيق وجمع المعلومات التي تساعد على انتزاع المشاريع في أنحاء مأموريته من أيدي أصحابها المسلحين ، هذا علاوة على إنشاء عدد من المحطات الحكومية

Vossion. 16 — 17. (٥٦٦)

Chaillé — Long (Prophètes) 34. (٥٦٧)

Gessi 39. (٥٦٨)

Baker (Ismailia) l. 159 — 9, Murray and White 244 — 5. (٥٦٩)

Abdin. Cortesp. fran Doss 71/1. Caire. Fevrier 1872. Ismail à Baker (٥٧٠)

Chaillé Long. (Life) l. 80. (٥٧١)

على طول النهر وفتح النيل الأعلى للملاحة وادخال السفن إلى البحيرات الاستوائية . وكان الغرض من تنفيذ هذا البرنامج الواسع القضاء على الرق والنخاسة في أقاليم النيل العليا . وعلى ذلك فقد أوفد غردون وهو بالخرطوم جسي الإيطالي Gessi وآخرين إلى بحر الغزال للتفتيش على زرائب النخاسين والوقوف على حقيقة نشاط تجار الرقيق وإنشاء محطة عسكرية في تلك الجهات (٥٧٢) . غادر جسي الخرطوم في أوائل مايو ١٨٧٤ ووصل إلى كاكافى بلاد الشلوك ثم بلغ فاشودة واعترض « السد » سيره فاستطاع بعد مشقة عظيمة الوصول إلى (مشرع الريك) في ٢٤ يونية وبقى بالمشرع حتى اليوم الثانى من شهر أغسطس فغادره إلى (شامبى) ثم أنشأ بعد ذلك محطة عسكرية فى بور وترك بها حامية لمراقبة نشاط تجار الرقيق ثم قصد إلى غندكورو فوصلها فى ٢ سبتمبر ١٨٧٤ (٥٧٣) . وأعد جسي تقريرين أحدهما فى ١٠ يوليه عن الزرائب والمحطات التجارية التى لتجار الرقيق فى إقليم بحر الغزال والآخر فى ١٦ أغسطس (٥٧٤) . ووصف جسي فى هذين التقريرين الفظائع التى كان يرتكبها تجار الرقيق مع العبيد فى المشاريع وبين مبلغ ما كان يستمتع به هؤلاء النخاسون من نفوذ ضار بالأهلين فى تلك الأصقاع الأمر الذى أقنع غردون بضرورة إلحاق بحر الغزال بحكومته إذا أريد مكافحة الرق والنخاسة فى هذا الإقليم بنجاح (٥٧٥) . وقد شهد غردون نفسه وهو فى طريقه من الخرطوم إلى مقر مأموريته شيئاً من نشاط تجار الرقيق ولم يحجم عن مطاردتهم خصوصاً فى بحر الزراف ووجد من الحكمة قبل وصوله إلى غندكورو أن

Zaghi. 70. (٥٧٢)

Gessi. 16, 23, 46 — 7, 77. (٥٧٣)

Abdin. Corresp. fran Doss 71/3. Soubat 16, 17. 8. 1874. Gordon à (٥٧٤)

Khairy Pacha, Gessi 50.

Abdin. Corresp. fran 71/2. Soubat 11, 19. 8./1874. Gordon à Khairy Pacha (٥٧٥)

ينشئ محطة عسكرية في سبت (سوباط) على بعد ثمانى عشرة ساعة من
فاشوده عهد إل حاميتها بتحطيم زرائب تجار الرقيق ، ولما كانت هذه المحطة
الجديدة مقامة عند مدخل النهر فقد خضعت جميع السفن الذاهبة بطريق النيل
الابيض إلى الخراطوم لتفتيش دقيق يقوم به رجال هذه المحطة العسكرية
وأدى ذلك إلى اغلاق النهر في وجوه تجار الرقيق (٥٧٦).

وبدأ غردون في سبتمبر ١٨٧٤ يقيم سلسلة من المحطات العسكرية على
طول النيل الأعلى (أو بحر الجبل) ويستعد لفتح النهر للملاحة حتى يستطيع
نقل السفن إلى البحيرات الاستوائية ، البرت وفكتوريا ، فلم ينقض العام
حتى كان غردون قد أتم انشاء عدد من المحطات في فويره وفاتيكو والابراهيمية
أو الدفلاوى (دوفيله) واللابورية والرجاف ومكره والادو (العاصمة
الجديدة) واللاتوكه وبور وشامبي والناصر وسبت (السوبات) أى إحدى
عشرة محطة بلغ عدد رجال حامياتها ١٨٨٥ من الجند النظاميين والدنقلاويين
غير النظاميين (٥٧٧) وكان من أغراض بعثة شايبه لونج الى أوغنده وهى البعثة
التي سبق الحديث عنها ، فتح النهر للملاحة إلى بحيرة فكتوريا . وانفقت عودة
لونج من بعثته فى الوقت الذى أخذ رجال غردون ينقلون فيه إلى الدفلاوى
أجزاء تلك السفينة البخارية (الخدو) التى اعتزم غردون وضعها على
البحيرة (٥٧٨) وكانت خطوة غردون التالية اختبار طريق النهر إلى بحيرة البرت
ثم الاطمئنان إلى إمكان التقدم بأمان فى الطريق الموصل إلى بحيرة فكتوريا
ثم كشف هذا الطريق بصورة أدق مما فعله شايبه لونج فى أثناء بعثته إلى

Hill. 17, 33, 37.; Sudan Notes.. op. cit. Letter no.5. Gondokoro (٥٧٦)

18.11.1874

ثم انظر فوزى ١ : ٦ : Gessi 36;

Abdin. Corresp. fran Doss. 71/3. Gondokoro 15. 12. 1874. Gordon (٥٧٧)
à Khairy Pacha.

Abdin. Corresp. fran Doss 71/3. Station près de Mont Rageef.. (٥٧٨)

1.10. 1874; Dross 71/1(In Arabic) Letter of 7 Ramadan 129. (18.10.74)

Reports of Chaillé-Long; Hill 54; Chaillé-Long (Life) I. 114

أوغنده^(٥٧٩) فأرسل غردون لاختبار هذا الطريق الأخير أرست لينان دى بلقون الذى لقي حتفه بعد ذلك فى (موجى) على نحو ما تقدم ، بينما كلف (شبنندال) Chippendall بكشف الطريق النهري من الدفلاى إلى بحيرة البرت^(٥٨٠) ولكن شبنندال ما لبث أن مرض فتعذر عليه التقدم إلى أبعد من حوالى ثلاثين ومائة ميل جنوبي دفلاى ثم عاد أدراجه^(٥٨١) وفى الشهور القليلة التالية استطاع غردون كشف النهر بين الرجاف والدفلاى وجنادل بادين Badden ثم أسس محطة فى كيرى Kerri وفى مكاده Makadé وأخرى بالقرب من اللابورية عرفت فيما بعد باسم موجى^(٥٨٢) . وهكذا استطاع غردون حتى نوفمبر ١٨٧٥ أن يفتح النهر للملاحة بين لادو ودفلاى . وفى يناير من العام التالى استولى غردون على مرولى^(٥٨٣) . ثم عهد إلى جسى بكشف النهر من الدفلاى إلى بحيرة البرت فأتم جسى هذه المهمة على نحو ما تقدم (فى مارس وابريل ١٨٧٦)^(٥٨٤) ، بينما اعتزم غردون التقدم صوب فكتوريانينزا لإنشاء المحطات المسلحة فى اروندجانى Urondogani وكوسيتزا Cossitza وفتح البحيرة للملاحة ورفع الأعلام المصرية على شواطئها^(٥٨٥) .

Abdin. Corresp. fran. Doss 71/3. Gondokoro 21.11.1874 Gordon à (٥٧٩)

Khairy Bacha

Allen. 41—42. (٥٨٠)

Hill. 57; Gessi 99 — 100; Abdin — Corresp. fr. Doss 71/4 Rageef (٥٨١)

18. 4. 1875 Gordon à Khairy Pacha.

Abdin Corresp.fran. Doss. 71/4. Rageef 6, 10,17. 4.1875 ; ibid Bedden (٥٨٢)

7,27.5.1875; fram Prés de Laboré. 22-8. 75. Gordon à Khairy Pacha ;

Allen 52.

Abdin. Corresp. Doss 71/5. Foweira 26. 1. 1876. Gordon à Khairy (٥٨٣)

Pacha

Abdin. Corresp. farn, Doss 71/5, Kerri, 1.5. 1876 Gordon à Khairy Pacha (٥٨٤)

Abdin. Corresp. farn. Doss. 71/5 Kerri 16.6. 1876. Gordon à Khariy Pacha (٥٨٥)

ibid Kerri 19.6. 1876, Gordon à Ismaïl Ayoub Pacha, also to same

from Laboré 29.6.1876. Hill 177.t

وبنى غردون أمله في النجاح على ما وصله من تقارير ضابطيه نوراغا (عنقرة) ومحمد ابراهيم وكان غردون قد أرسلهما إلى الملك امتيسه للاتفاق معه على انشاء محطتين في ارنودوجاني وكوسيتزا في أوغنده . وأخبراه بموافقة امتيسه لا على انشاء المحطات المسلحة فحسب بل وعلى احتلال دوباجا عاصمة ملكه ذاتها وأنهما قد احتلها فعلا إلى جانب احتلال مسندي Masandi عاصمة أوينورو (٥٨٦) . بيد أن غردون سرعان ما تبين بعد ذلك أن امتيسه قد غرر بنور أغا ورجاله وأن هؤلاء بدلا من احتلال دوباجا كانوا أسرى في قبضة ملك أوغنده وأن مسندي لم تدخل في حوزة المصريين قط (٥٨٧) . واضطر غردون إلى ارسال أمين أفندي (الدكتور شنيتر Schnitzer) لإنقاذ الخامية المصرية في دوباجا ونجح أمين أفندي في مهمته فانسحب نور أغا وجنده من دوباجا وتم على هذه الصورة « إخلاء » أوغنده وفي ٩ سبتمبر ١٨٧٦ وصل الجنود بسلام إلى مرولي (٥٨٨) . وكان من أثر هذا الحادث أن تعطل كشف بقية أجزاء النهر إلى بحيرة فيكتوريا وفتح هذه البحيرة الكبيرة للملاحة الحرة . وفي شهر سبتمبر قرر غردون العودة من اللادو إلى الخرطوم فبلغها في ٢٤ اكتوبر ثم غادرها إلى القاهرة ثم غادر البلاد إلى لندن (في ديسمبر) في أجازة لا تزيد على أسبوعين أو ثلاثة أسابيع يعود بعدها لاستئناف نشاطه في خدمة الحكومة المصرية (٥٨٩) . وهكذا استطاع غردون

Abdin, Corresp, Iran, Doss, 71/5, Kerri 19.6.1876; Laboré 29/6/1876, (٥٨٦)
Magungo, 2. 8.1876, Gordon à Khairy Pacha' Sudan Notes (cited)

Letter No 28 Magungo 27. 7. 1876, p 49; Hill 178.

Abdin Corresp. fran. Doss 71/5 Foweira 13.8.1876, Mrooli 9.9. 1876 (٥٨٧)
Gordon à Khairy Pacha; Hill 181, 186.

Abdin. Covres. Fau Doss 71/5. Fowcira 13.8.76; Mrooli 19.8. 1876; (٥٨٨)
Mrooli 18.9. 1876 Gordon à Khairy Pacha; Hill 185.

Abdin Corresp. Fan. Doss. 71/5 Hotel Shepherd Caïre 6.12.1876. (٥٨٩)
Gordon à Khairy Pacha; Caïre 7.12.1876. Gordon à Cherif Pacha.

خلال السنوات الثلاث التي قضاها في مأمورية خط الاستواء أن يقيم حكومة موطدة في لادو وأن يتم على يده وأيدي رجاله تلك السكشوف الجغرافية التي تقدم الحديث عنها في الفصل السابق وأن يفتح بحيرت البرت للملاحة وأن ينشئ عددا من المحطات المسلحة التي ساعدت على إخماد نشاط النحاسين والقضاء على تجارة الرقيق في تلك الأصقاع النائية ، وكان من أجل مكافحة الرق والنحاسية في قلب القارة الأفريقية وفتح هذه الأقاليم للتجارة المشروعة أن وضع غردون قواعد ذلك البرنامج الذي أفضت محاولة تنفيذه إلى إرسال حملة الجوبا في عام ١٨٧٥ تلك الحملة التي يرتبط تاريخها في الحقيقة بتاريخ الجهود التي بذلها الخديو اسماعيل للقضاء على تجارة الرقيق في مواطنها الهامة في دارفور وهرر ثم اغلاق المنافذ التي كانت تصدر منها هذه التجارة على سواحل البحر الأحمر والصومال .

وقد حدث في الوقت الذي أوفد فيه الخديو السكولونيل غردون إلى خط الاستواء أن سارت الحوادث سراعا في إقليم بحر الغزال وعلى حدود دارفور الجنوبية عقب اخفاق حملة البلالي بصورة أفضت إلى إفتتاح سلطنة دارفور موطن الرق ووكر النحاسين من ازمان قديمة . ذلك أن الزبير رحمت علي الرغم من انتصاره على محمد بلالي ظل يوجس خيفة من السلطات الحكومية بالخرطوم فاعتذر عن مساكنه السابق ووعده بأن يشن الغارة على حدود دارفور حتى يستميل الحكومة إليه .^(٥٩٠) وفي يولييه ١٨٧٣ هاجم الزبير عربان الرزيقات الموالين لسلطان دارفور ولجأ شيخاهم منزل وعليان إلى السلطان ابراهيم في الفاشر ولم يشأ السلطان تسليمهم^(٥٩١) ولم يعد هناك مناص من

Boulger I. 143; Gessi 248.

(٥٩٠) فوزي ١ : ١٣٧ ثم —

(٥٩١) عابدين . العبة . بحفظه ٣ شميز ١ نمرة الحفظ ١ خطاب في ١٥ رجب ١٢٩٠

(٨ سبتمبر ١٨٧٣) من الزبير رحمة الجميعاني الى السلطان ابراهيم ... الخ ، ثم أنظر شقير

٣ : ٧٢ ، ٧٣ ثم — Junker 171.

نشوب الحرب بين الزبير والسلطان ابراهيم ؛ وعندئذ بادر الزبير بالكتابة إلى حاكم السودان اسماعيل أيوب باشا ينبئه بانتصاراته السابقة على الرزيقات واحتلاله شكا وسأله أن يرسل من يتولى حكومة البلاد التي افتتحتها في بحر الغزال ودارفور بالنيابة عن خديو مصر « فإذا ما وصل الحاكم وتسلم البلاد عدت إلى تجارتى تاركا كل ما أنفقت من الأموال في الفتح هدية لحكومتى السنية وانتظرت مكافأتها الأدبية كما تقتضيه عدالتها وكرمها » . (٥٩٢) وقد كافأته الحكومة على ذلك بتعيينه مديرا على بحر الغزال في نوفمبر ١٨٧٣ وعندما أغار الفوريون بقيادة الوزير أحمد شطه والمقدوم سعد النور على شكا وحاولوا استرجاع اقليم الرزيقات (٥٩٣) بادر اسماعيل أيوب بإرسال النجيدات الى الزبير لرد هذه الاعتداءات كما أصدر إليه التعليمات باقتحام حدود دارفور ذاتها من جهة الجنوب في الوقت الذي خرج فيه اسماعيل أيوب نفسه على رأس حملة كبيرة لاقتحام حدودها الشرقية (٥٩٤) فتمكن الزبير من هزيمة الفوريين ودخل داره في ٤ فبراير ١٨٧٤ بينما كان اسماعيل أيوب يتابع الزحف صوب الفاشر حتى وصل الى فوجه في الوقت الذي احتل فيه الزبير داره يعمل في اثناء سيره على تأمين الأهالي ويحرر كل ما يصادفه من الرقيق حتى بلغ عدد الأرقاء المحررين حوالي الستمائة والألف كان نحو الألف منهم يشكون من مختلف العلل وعنى بهم أطباء الحملة خير عناية (٥٩٥).

(٥٩٢) شقير ٣ : ٧٤

(٥٩٢) عابدين . المعية . محفظة ٣ شميز ١ نمرة الحفظ ١١ مكاتبه من محمد بن الأمين معاون وريس تحريرات مديرية بحر الغزال ادارة سماعة الزبير باشا رحمة . في ١٩ صفر ١٢٩٣ (١٨/٣/١٨٧٦) صفحات ١ — ٣

(٥٩٤) شقير ٣ : ٧٤ — ٧٥ Jackson 61;

(٥٩٥) Staat-Archiv. Gen. Cons. 1874. No. 7 Cairo 7.11.1874 Cischini to (٥٩٥) Andrassy. Enclos. Trad. d'une dépêche du G. G. écrite du Darfour 7 Ramadan 1291 (17.10. 1874).

وكان هدف اسماعيل أيوب احتلال أم شنقه لأهميتها في تثبيت دعائم
الفتوح الجديدة في جهات دارفور الشمالية من جهة ولائخاذها مركزا يمكن
إرسال الحملات منه لتخليص داره من جهة أخرى ، وكان الفوريون قد ضيقوا
الحناق على قوات الزبير رحمت بها واضطر الزبير الى الالتحام معهم في بضعة
معارك . (٥٩٦) وفي أثناء آخر هذه المعارك المتصلة بين الزبير والسلطان ابراهيم
حول داره في ١٦ أكتوبر ١٨٧٤ استطاع اسماعيل أيوب دخول أم شنقه
بعد انتصار حاسم على قوات العدو فأمكن بفضل ذلك فتح الطريق بين الزبير
وأيوب باشا واستعداد الرجلين للقيام بزحف مزدوج على الفاشر في وقت
واحد (٥٩٧) وكان من أثر سقوط أم شنقه أن اضطر السلطان ابراهيم إلى
النزول من جبل مره الذي اعتصم به بغية الذهاب إلى الفاشر حتى يتولى الدفاع
عنها ، فأخلى بعلمه هذا الطريق أمام جيوش الزبير التي خرجت من داره في
زحف سريع صوب الفاشر واستطاعت احتلال قرية منواشي فقطعت بذلك
كل اتصال بين السلطان وبقية قواته المتجمعة في جبل مره وتعذر على
السلطان ابراهيم بلوغ عاصمته فاضطر إلى الاشتباك في معركة كبيرة عند منواشي
في ٢٤ أكتوبر ١٨٧٤ (٥٩٨) . وفي أثناء هذه المعركة قتل السلطان ابراهيم مع
جماعة من خيرة قواده وتشنت جيشه . وفي ٣ نوفمبر دخل الزبير الفاشر ،
وفي يوم ٦ نوفمبر دخل اسماعيل أيوب العاصمة كذلك (٥٩٩) . وكان أول عمل

Staat-Archiv. Gen. Cons. 1874. No. 6/Pol Cairo 15.10. 1874. Trad. (٥٩٦)
d'une dépêche. 20.9.1874.

Staat.Archive. Gen. Cons. 1874. No.7 Nol. Cairo 6.11.1874 Cischini (٥٩٧)
to Andrassy. Enclos. Trad. d'une dépêche (7 Ramadan. 1291)

Staat-Archiv. Gen. Cons. 1874. No 9 Cairo 22.11.1874. Enclos. Trad. (٥٩٨)
d'une dépêche. 22 Ramadan 1291. ثم عابدين . المية .

محظظة ٣٠ شمس ١٢ مرة ١٢ مكاتبه من محمد بن الأمين الخ. في ١٩ سفر ١٢٩٣ . صفحات ٣ و٤

Abdin Amer vol IX. No 262. Cairo 1.1.1875 Enclos. Trans. of desp. (٥٩٩)
of the Gov Gen. of the Sudan. Fasher 6.11. 1874. p. 209.

قام به اسماعيل أيوب أنه أطلق سراح جميع الأرقاء الذين وجدهم في الفاشر واتخذ اجراءات سريعة لارسال أولئك المحررين منهم الذين لا يريدون البقاء في دارفور إلى أوطانهم (٦٠٠).

ولم يمض عام واحد على افتتاح دارفور حتى كان الخديو قد استولى على هرب موطن الرقيق الهام في الشرق وأغلق منافذ تصدير تجارة الرقيق الشائنة في شواطئ البحر الأحمر وبلاد الصومال . ومع أنه قد سبق بحث هذا الموضوع في كتابينا : (الخديو اسماعيل والرق في السودان) ثم (مصر والسيادة على السودان) (٦٠١) فإننا لا نجد مندوحة عن إيجاز القول في هذه الدراسة لرسم صورة متسقة لجهود العاهل العظيم في مكافحة الرق والنخاسة . وكان أول نجاح أحرزه في سبيل تحقيق هذه الغاية حصوله على مصوع وسواكن من الباب العالي في عام ١٨٦٥ فقد اتفقت كلمة المعاصرين على أن تنازل تركيا عن هذين المينائين يمكن مصر من إقامة الحكومة المنظمة على طول ساحل البحر الأحمر الغربي ويعينها على اتباع سياسة رشيدة من أهم أغراضها القضاء على تجارة الرقيق (٦٠٢) . وذلك أن سواكن ومصوع ظلتا من أهم موانئ تصدير الرقيق وأسواقه سنوات عدة (٦٠٣) وقد استتبع ضم هذين المينائين الاستيلاء كذلك على « توابعهما والملحقات » فاستولى اسماعيل في العام التالي (١٨٦٦) على جميع شاطئ خليج عدن الجنوبي من بربره إلى رأس غردفوى بما في ذلك منافذ تصدير الرقيق في تاجوره (تجرة) وبلهار وبربره (٦٠٤) وظل

Abdin-Amer. vol IV No. 262 Cairo. 1.1.1875. Beardsley to Fish (٦٠٠)
pp. 208-9.

Shukry, M. F. The Khedive Ismaïl And Slavery in the Sudan (1863- (٦٠١)
1879). Cairo 1938.

ثم محمد فؤاد شكرى — مصر والسيادة على السودان — الوضع التاريخي للمسألة . القاهرة ١٩٤٧
Munzinger (Ostafrikanische) 300-301; Rivoyre 24. (٦٠٢)

Lejean (Voyage) 168; Munzinger 127. (٦٠٣)

F. O. 78/3186 (Confid) Printed for the Use of the F. O. 18.7.1871. (٦٠٤)

ميناء زيلع وحده خارجا عن دائرة النفوذ المصرى ويخضع لتركيا (٦٠٥) وعين اسماعيل عبد القادر باشا محافظا على هذه الجهات فى عام ١٨٦٧ ثم استبدل به احمد ممتاز باشا فى اغسطس ١٨٧٠ ثم عين فرنز منزجر حاكما لمصوع فى ابريل من العام التالى (٦٠٦) وعهد إليه الخديو بالقضاء على تجارة الرقيق فى السودان الشرقى وكان منزجر قد شغل منصب القنصل الفرنسى قبل ذلك فى مصوع وعرف البلاد التى أوفد إليها الآن معرفة طيبة (٦٠٧)، وكان من رأيه أنه يتعذر القضاء على الرق والنخاسة فى تلك الجهات دون اخضاع اقليم البوغوص (بلاد البوغاى) أو سنهت الواقع بين التاكة ومصوع (٦٠٨) والذى ظل خارجا عن سلطان الحكومة حتى ذلك الوقت ويهدف فيه الأحباش ميدانا لارسال حملات صيد الرقيق وسلب محصولات الأهلىن ومواشيهم ونشر الفوضى فى الحدود السودانية . لكل هذه الأسباب أذن له الخديو بافتتاح بوغوص (٦٠٩)

وعلى ذلك فقد خرج منزجر من مصوع فى يونيه ١٨٧٢ على رأس حملة إلى بوغوص واحتل (كيرن) Keren عاصمة الإقليم دون صعوبة تذكر واستطاع بفضل المنجذات التى وصلت إليه فى اكتوبر من العام نفسه أن ينشئ بها

(٦٠٥) عابدين . المعية . محفظة ٣ شميز ٧ مرة الحفظ ٤ (مصوع وسواكن) بدون تاريخ

(٦٠٦) Aff Etr. Egypte (43) No 9. Suez 10.11.1867; F. O. 78/3186 Letter from the Political Resident at Aden 18.3.1870. Enclosed in letter from India Office 7.11.1870; Abdin Corresp. fran. Doss. 73/5. Mossowa 1. 5. 1871, Munzinger à Khairi Pacha,

Myres 40, (٦٠٧)

Munzinger 300-301; Myres 55, 158-9; Lejean (Vayage) 56. (٦٠٨)

(٦٠٩) Abdin, Corresp. Doss, '9/1. Mossowa 15.9. 1872, Munzinger à Khairi Pacha; Doss 73/5 Palais d' Abdin 22.12, 1872 Ismaïl à Munzinger; Abin-Amer vol VI. No 18 Alex 1872 Comanos to Fish p 249.

الحكومة الموطدة^(٦١٠) وشرع من ثم « يحرر ، كثيرا من الرقيق في هذه المنطقة الأمر الذي دعا المعاصرين إلى أن يعتقدوا آمالا عظيمة على إمكان القضاء على تجارة الرقيق في هذه الجهات بصورة حاسمة^(٦١١) وفي فبراير ١٨٧٣ عين منزجر محافظا للسودان الشرقي على أن يشمل سلطانه سواكن في الشمال ثم راحيتا (رهيطه) في الجنوب وكيرن وكسلا في الشرق . وكانت مهمته القضاء على تجارة الرقيق في هذه الجهات جميعها^(٦١٢) ثم ضم بعد ذلك آيلت Ailet . بيد أن افتتاح هرر وامتلاك أوشا بعد ضم بوغوص أو (بوغاسي) وآيلت كان من شأنه تطويق الحبشة فضلا عن إثارة أحقادها لأن الأحباش كان لهم إدعاءات على بوغوص وآيلت وأوشا فسكثرت غارات هؤلاء على الحدود المصرية وهددوا باقتحامها ولم تفلح جهود الخديو في استئصال سخيمنتهم فنشبت تلك الحرب الحبشية المصرية التي انتهت بعد هزيمة الأحباش في موقعة قرع (في مارس ١٨٧٦) .

على أنه كان من أثر الاجراءات التي اتخذها الخديو بين عامي ١٨٦٥ ، ١٨٧٣ خصوصا للقضاء على تجارة الرقيق في السودان الشرقي وساحل البحر الأحمر الغربي أن أقيمت انجلترا على تأييد سلطان الخديو في هذه الأقاليم وترجو من وراء ذلك أن يستطيع الخديو معاومتها على قطع دابر هذه التجارة الشائنة في البحر الأحمر وفي خليج عدن خصوصا ، واعتقدت سلطاتها في

Staat Archiv. Gen, Cons, 1872, No 51 Pol, Cairo 4. 10. 1872 Cischini (٦١٠)
Zu Andrassy,

Abdin Amer. vol VI. No 19 Alex 16.10.1872. Hale to Secr, of State (٦١١)
p, 274; Abdin Corres. fran, Doss, 9/1 f, 22023 Trad.Article "Pall Mall"
4. 10. 1872.

Abdin Corres. Fran. Doss, 73/5, Ministere de le Guerre, Caire 9.2. (٦١٢)
1873 (Stone); also Caire 15.4.1873 Ismaïl à Munzinger Gouverneur
de l'Est du Soudan

عدن أن استيلاء الخديو على زيلع واحتلال تاجوره وبربره ضرورى لتحقيق هذه الغاية (٦١٣).

وفى يناير ١٨٧٤ أرسل الخديو منزجر للقيام برحلة تفتيشية على الساحل الصومالى فأعد منزجر بعد أداء مهمته تقريراً ضافياً عن (بربره وعصب وأوشا أو الأواش) كان من بين ما جاء فيه أنه من الضرورى فتح الطرق الداخلية إلى هرر وشوى حتى يمكن إخماد تجارة الرقيق فى بلاد الصومال واستبدال التجارة المشروعة بهذه التجارة المرذولة (٦١٤). فأرسل الخديو فى أكتوبر من العام نفسه رضوان باشا على ظهر القرويت «لطيف» لملاحظة الشاطئ الصومالى ومنع تصدير الرقيق من تاجوره وبربره (٦١٥) بيد أن هذه الجهود كان مصيرها الفشل لا محالة ما دام ميناء تصدير الرقيق الكبير زيلع وما دام أهم مواطن الرقيق فى هذه الجهات هرر لا يخضعان لسلطان الحكومة المصرية (٦١٦) وعلى ذلك فقد اهتم الخديو بالحصول على زيلع من تركيا. وبمجرد أن تم له ما أراد فى يولييه ١٨٧٥ بدأت الاستعدادات لارسال حملة كبيرة بقيادة محمد رموف باشا لافتتاح هرر.

وكانت هرر فى أيام سلطانها الأمير محمد بن عبد الشكور ذات صيت ذائع بوصفها سوقاً هامة للرقيق فى افريقية الشرقية يأتها الجلابون بالعبيد من الحبشة وبلاد الجالا وجهات فكتوريا نيانزا ويصدر منها الرقيق خصوصاً

F, O, 78/3187, Memo (By Dashwood), Berbera and Turkish and (٦١٣)
Abyssinian Claims, ibid Therapia 13. 11. 1873, Elliot to Granville;
also 78/3188 Memo, Affairs of the Somali Coast, Calcutta 1875,

Abdin, Corresp, fran, Doss, 73/5, f, 20902, (Berbera-Assab-Aoussa) (٦١٤)
Par Werner Munzinger (1874?),

Abdin, Corresp, fran, Doss 73/5 Palais d'Abdin 3. 10. 1874 Ismaïl à (٦١٥)
Munzinger,

Staat -Archiv Gen. Con 1875. No. 18/Pol. Alex 4.7.1875 Cischini à (٦١٦)
Andrassy; F. O. 78/3188 No 81 Alex 7.7.1875 Cookson to Derby.

إلى بلاد العرب عن طريق بربرة وتاجوره وزيلع ولذلك فقد بات اخضاع هذه السلطنة ضروريا للقضاء على تجارة الرقيق وفتح هذه البقاع للتجارة المشروعة (٦١٧) وفضلا عن ذلك فقد كانت حكومة الأمير عبد الشكور حكومة استبدادية ، واستبد (الأمير) بالأهلين حتى لم يعد لهم طاقة على حكمه فاستنجدوا بإسماعيل باشا وسأله أن يرسل من قبله واليا يتولاهم بدل سلطانهم محمد ، فأجاب إسماعيل سؤالهم ، (٦١٨) وفي ١٨ سبتمبر ١٨٧٥ غادر رموف زيلع واجتاز أرض العيسى دون مقاومة تذكر حتى إذا وصل إلى أرض الجالا التحم هؤلاء معه في معركتين كانت الهزيمة من نصيبهم وانفتح الطريق إلى هرر فدخلها رموف ظافرا في ١١ أكتوبر من العام نفسه ، وسلم عبد الشكور طوعا كما سلمت قبائل كثيرة للفتح المصري (٦١٩) وبدأ رموف في الحال يتخذ الاجراءات الكفيلة بالقضاء على تجارة الرقيق فحرم بيع وشراء الرقيق ووضع التجار العرب تحت رقابة صارمة (٦٢٠) وبينما كان رموف يقيم أسس الحكومة الجديدة في هرر كانت الاستعدادات تجري لإرسال حملة بحرية إلى مصب نهر الجوبا في الصومال الشرقي ، وكان غردون أيام مأموريته بخط الاستواء قد أرسل في يناير ١٨٧٥ يستأذن الخديو في الزحف من مقر مأموريته إلى خليج فرموزه على ساحل أفريقية الشرقية حتى يفتح طريقا للتجارة المشروعة بين الساحل وإقليم البحيرات الاستوائية ويقضى على نشاط تجار الرقيق الذين

Moktar (Notes Sur le Pays de Harrar) pp 320-355; Abdin. Corresp. (٦١٧) fran. Doss 72/2. Ministere de la Guerre. (Zeila, Tadjourah, Berbera, Bulhar, Harrar.) ff 1-5.

(٦١٨) شقير ٣ : ٩٠

Abdin-Amer. vol XI. No 378. Cairo 26. 11.1875 [Beardsley to Fish; (٦١٩) Staat Archiv, Gen. Cons.1875.No 39/ Po. Cairo 8.11.1875 Cischini, à Andrassy. Enclos. Copie de la Circulaire Addressé par Le Ministre des Affaires Etrangères. Caire 8. 11.1875.

Shukry. 256. (٦٢٠)

ينقلون الرقيق من الداخل إلى الموانئ الشرقية^(٦٢١) ولما كان الخديو يرى أن التوسع على الساحل ضرورى لمكافحة تجار الرقيق فقد رحب بمشروع غردون ولو أنه رفض النزول في خليج فرموزه لما كان لسلطان زنجبار سيد برغش من إدعاءات على هذا الخليج^(٦٢٢) فاقترح غردون نزول الحملة المزمعة إما عند مصب نهر الجوبا وإما في ميناء در تفورد^(٦٢٣) وفي أغسطس ١٨٧٥ استقر رأى الخديو على العمل بمشورة غردون . وفي ١٧ سبتمبر من العام نفسه أصدر تعليمات مفصلة إلى مكيلوب باشا Mckillop رئيس الحملة المسيرة على جوبا . ولما كان مكيلوب في ذلك الوقت في بربره فقد تسلم شاييه لونهج قيادة الحملة التي خرجت من السويس في ١٩ سبتمبر ١٨٧٥ ووصلت إلى بربره في ٢٥ سبتمبر ، وفي منتصف أكتوبر وصلت الحملة بقيادة مكيلوب إلى مصب الجوبا ثم اضطرت بسبب شدة هبوب الريح إلى النزول في قسمايو جنوبي المصب بقليل^(٦٢٤) وفي قسمايو وجدت الحملة حامية صغيرة من جند زنجبار ، ومع أن غرض حملة الجوبا على نحو ما صار الخديو يؤكد للقنصل الإنجليزي في مصر الكولونيل ستانتون Stanton المرة بعد الأخرى هو فتح الطريق بين البحيرات الاستوائية والشاطئ الأفريقي كخطوة لا معدى عن اتخاذها من أجل القضاء على تجارة الرقيق في هذا الجزء من القارة^(٦٢٥) فقد أيد الإنجليز

Abdin. Corresp. fran. Doss 71/4 Lado 29. 1.1875., Bedden 7.5.1875. (٦٢١)

Gordon à Khairy Pacha; Hill 68, 180.

Abdin. Corresp. fran. Doss. 71/4. Caire 17.9.1875. Ismaïl à Gordon. (٦٢٢)

Abdin. Corresp. fran. Doss 71/4. Bedden 7.5. 1875; Bedden 17.7. (٦٢٣)

1875 Gordon à Khairy Pacha.

Abdin. Corresp. fran. Doss. 73/2. Guézireh 17.9.1875. Ismaïl à Mc (٦٢٤)

Killop (Instructions); Chaillé-Long (Life) I. 174-176.

F. O.78/3188. No 160 Cairo 9.12. 1875 Stanton to Derby. (٦٢٥)

إدعاءات سيد برغش في السيادة على هذه البقاع^(٦٢٦) وعلى ذلك اضطر الخديو إلى إصدار أوامره بانسحاب الحملة في ١٤ ديسمبر ١٨٧٥^(٦٢٧) ، وفي ٣٠ يناير ١٨٧٦ غادرت الحملة قسمايو في طريق عودتها إلى مصر وبلغت السويس في ٥ فبراير من العام نفسه .

على أن انسحاب حملة الجوبا لم ينل شيئا من عزم الخديو على وضع موانئ البحر الأحمر والساحل الصومالي تحت رقابة شديدة لمنع تصدير الرقيق فبذل أراكيل بك محافظ مصوع جهودا كبيرة لمنع تهريب الرقيق « من ميناء مصوع (١٨٧٤) »^(٦٢٨) وبعد حوادث الجوبا كلف الخديو جورج موريس بك « بالمرور على المين الجنوبية على ساحل البحر الأحمر إلى عدن » فقام بالتفتيش على موانئ سواكن ومصوع وتجره وزيلع وبربره وجاء في التقارير التي بعث بها إلى الحكومة في شهرى مارس وإبريل ١٨٧٧ أن الرقيق لا يصدر « من مينة سواكن بل من البوغازات الصغيرة التي بالساحل من شماله وجنوب تلك الجهة » وأنه قد تبين له مما أجراه من الكشف على الساحل ما بين سواكن ومصوع (أنه لا يوجد) محلات للرقيق ولا متجر له بالنسبة لشوكة الحكومة .

F. O. 78/3188 No. 113 (Confid) Cairo 11. 11. 1875 Stanton to Derby. (٦٢٦)
ibid. Teleg. to Dr. Kirk at Zanzibar. F.O. 5 12. 1875. Derby to
Kirk; also Teleg. from Stanton. Cairo 5.12.1875.

ثم أنظر عابدين . المعية . دفتر ١٧ رقم ١٥ ص ٣٢ عدن في ٨ ذى القعدة ١٢٩٢ (٦)
ديسمبر ١٨٧٥) مأمورية سواحل أفريقيا الشرقية مقدم من عبد الرازق بك رئيس أركان
حرب المأمورية وناظر المدرسة الحرية مؤرخ في ٨ ذى القعدة ١٢٩٢ (ديسمبر ١٨٧٥) .
(٦٢٧) عابدين . المعية . دفتر ١٠ (عربي) رقم ٦٧ ص ٣٢ في ١٦ ذى القعدة ١٢٩٢
(١٤ ديسمبر ١٨٧٥) من الخديو الى عبد الرازق بك .

(٦٢٨) عابدين . المعية محفظة ٣ شمين ٧ نمرة الحفظ ١٤ خطاب فرانسى ومعه ترجمة عربية
من أراكيل بك محافظ مصوع الى مهردار خديوى في ١٩ يناير ١٨٧٤ ، ثم نمرة ١٥ خطاب
فرانسى مترجم للعربية من أراكيل بك في ٣ فبراير ١٨٧٤ .

وأن ما يجرى تصديره من الرقيق يحدث « شحنه من على الساحل من شمال وجنوب مصوع بالبعد عن النقط العسكرية بجهات مصطلح عليها » وأن الرقيق لا يزال « يهرب من زيلع بينما تخلو بربره من » وجود متجر للرقيق بها (٦٢٩) فكان للقضاء نهائيا على بقايا هذه التجارة الشائنة في جهات السودان الشرقى وسواحل البحر الأحمر والصومال أن أبرم الخديو مع بريطانيا معاهدة إلغاء تجارة الرقيق في ٤ أغسطس ١٨٧٧ .

(٦٢٩) عابدين • المعية • محطة ٣ شميز ٧ غرة الحفظ ١٧ مكاتبات وتقرير من جورج موريس بك رقم ٩ ، ١٨ مارس ١٨٧٧ ، ثم غرة ١٨ تقرير من موريس بك رقم ٤ أبريل ١٨٧٧ .

غردون ومعاهدة الرقيق

كان ابرام (معاهدة الرقيق) فى عام ١٨٧٧ نقطة تحول خطير ليس فقط فى تاريخ تلك الجهود التى بذلها الخديو اسماعيل فى مكافحة الرق والنخاسة فى شطر الوادى الجنوبى بل وفى تاريخ الأقاليم السودانية ذاتها . فقد سلكت الحكومة المصرية فى أيام محمد على فى مكافحة الرق والنخاسة مسلكا يدل على الحكمة وأصالة رأى وبعد النظر ، فلم تشأ أن تقتلع إقتلاعا تاما ما كانت تتغلغل جذوره فى حياة السودان الاقتصادية والاجتماعية إذ يقتضيها فعل ذلك اتباع سياسة تعتمد على « السيف والنار » ومن شأنها زلزلة كيان البلاد زلزالا شديدا بل أثرت على سياسة « الإلغاء » العنيفة هذه سياسة أخرى رشيدة تهدف إلى « تقييد » أو « تنظيم » الرق والنخاسة وهذه كان من شأنها تهية الأسباب والوسائل التى تفضى بمرور الزمن إلى إخماد نشاط الجلايين والنخاسين والقضاء على تجارة الرقيق . فلم يعلن محمد على إلغاء الرق فى السودان « رسميا » إلا بعد مضى نصف وثلاثين سنة على الفتح وأعان سعيد إلغاءه فى عام ١٨٥٧ . ولم يكن معنى هذا الاعلان أن الحكومة قد عدلت عن سياسة « التقييد » السابقة بل إن إعلان إلغاء الرق وتجارته كان لا يتسنى تنفيذه إلا بطريق « التقييد والتنظيم » ومدار ذلك فتح النيل الأبيض للملاحة الحرة وإبطال احتكار التجارة ومراقبة نشاط تجار الرقيق وما إلى ذلك بل إن البرنامج الذى وضعه اسماعيل لمكافحة الرق والنخاسة فى عام ١٨٦٥ كان قائما على « التقييد » . وفضلا عن ذلك فإن الاستيلاء على مواطن الرقيق وفتح النيل الأعلى للملاحة حتى البحيرات الاستوائية واغلاق منافذ تصدير الرقيق على البحر الأحمر والشاطئ الصومالى

وادخال التجارة المشروعة وتعميمها في أرجاء السودان لم يكن في جوهره سوى توسع في تطبيق سياسة « التقييد » بصورة تضمن زوال الرق والنخاسة في آخر الأمر بفضل إزالة أسبابها وأصولها وابطال الحاجة إلى الرق والقضاء على نشاط تجار الرقيق . ولم تكن مصادرة مراكب النخاسين المحملة بالرقيق في النيل الأبيض أو مراقبة حركة الملاحة في البحر الأحمر أو الاستيلاء على مشاريع تجار الرقيق في بحر الغزال والسوبات والنيل الأعلى إلا تنفيذا لهذه السياسة . وأما مطاردة تجار الرقيق وشن الحرب عليهم في مظاعنهم واتباع سياسة « الإلغاء » العنيفة التي تعتمد على « السيف والنار » فكان أمرا بعيدا عن الصواب والحكمة وذلك لأنه كان يصعب تنفيذه قبل كشف جميع الأقاليم السودانية كشفا دقيقا وخصوصا مواطن الرقيق التي دخلت في حوزة الحكومة حديثا كسلطنتي دارفور وهرر وأوجيات البوغوص وغيرها في السودان الشرقي وعلى طول شاطئ البحر الأحمر والساحل الصومالي أو أقاليم خط الاستواء حول غندكورو وجنوبها ويستلزم استعدادا عسكريا كبيرا ويكبد البلاد ، مصر والسودان معا ، نفقات جسيمة . وفضلا عن ذلك فإن العمليات العسكرية الواسعة في بلاد كان ما يزال أهلها يؤمنون بأن الرق أمر أقره العرف وأجازته التقاليد وأن تجارة الرقيق تجارة مشروعة مثلها في ذلك كمثل تجارة سن الفيل (العاج) سواء بسواء ثم تربطهم بالجلالين والنخاسين أو أصر القرابة في كثير من الجهات ، نقول إن العمليات العسكرية الواسعة ضد تجار الرقيق من شأنها إثارة التذمر والسخط في كل مكان ثم تحريك الثورة في النهاية . وعلى ضوء هذه الاعتبارات إذن يمكن إدراك حقيقة سياسة « التقييد » التي أصر الخديو اسماعيل على اتباعها في مكافحة الرق والنخاسة في السودان ثم تتبع الخطوات التي اتخذها الخديو من أجل القضاء على تجارة الرقيق . أما سياسة « التقييد » فقد وضح أهدافها العاهل العظيم في تلك التعليمات والارشادات التي أصدرها

إلى الحكمدارين والمأمورين ومن إليهم سواء أكانوا من المصريين كجعفر مظهر وإسماعيل أيوب ومحمد رموف وغيرهم أم من الأجانب كالسير صمويل بيكر ومنزنجير وغردون . وأما الخطوات التي اتخذت في سبيل مكافحة الرق والنخاسة فقد وقف العالم على حقيقتها بفضل ما ظل ينشره عنها قناصل الدول والرحالون الذين قصدوا السودان للكشف العلى أو للصيد والسياسة ثم أولئك التجار من الأجانب الذين اتخذوا الخرطوم وكوبى والفاشر ومصوع وبربره وغيرها مقاما لهم . وعلاوة على ذلك فقد أطلع الخديو إنجلترا على اجراماته دائما وكانت إنجلترا وقتئذ أعظم الدول اهتماما بمسألة الرق وتجارة الرقيق . وكان من أجل التعاون فى القضاء على هذه التجارة الشائنة أن أبرم الخديو مع الانجليز معاهدة إلغاء الرقيق .

غير أن الانجليز كانوا أصحاب آراء فى الطرق التى يجب اللجوء إليها لإمكان القضاء على الرق والنخاسة تختلف اختلافا جوهريا عن الطرق التى أملت التجربة على الخديو اتباعها لمكافحة شرورهما إذ بينما كان إسماعيل يعتمد على «التقيد» كخير وسيلة للقضاء على تجارة الرقيق ، فضل الانجليز سياسة الإلغاء العنيفة والاعتماد على السيف والنار فى مقاومة الرق والنخاسة . وكان لهذا الاختلاف الجوهرى بين الرايين آثار خطيرة يكشف عنها البحث فى الأسباب المباشرة التى أدت إلى عقد معاهدة الرقيق من جهة ثم بيان الطريقة التى طبقت بها المعاهدة على أيدي غردون خصوصا بصورة أفضت إلى قيام ثورة محمد أحمد المهدي وإخلاء السودان فى النهاية .

فقد سبق القول كيف أن الحكومة الانجليزية ظلت من أيام محمد على وفى السنوات الأولى من حكم الخديو إسماعيل تعنى عناية كبيرة بمسألة الرق والنخاسة فى السودان . وكان من أثر ما بدا من هذه العناية الكبيرة أن عهد الخديو بمأمورية خط الاستواء إلى السير صمويل بيكر أولا (١٨٦٩) ثم إلى

شارلس جورج غرودن (١٨٧٣) فقد ظلت انجلترا لا ترضى عن سياسة «التقييد» وظل الانجليز ينقدون مسلك الحكومة المصرية ويتهمون الحكمدارين المصريين موسى حمدي وجعفر صادق وجعفر مظهر على وجه الخصوص بأنهم كانوا ضالعين مع تجار الرقيق ويغمضون عيونهم عن نشاطهم (٦٣٠) على الرغم مما يبذله كل هؤلاء من جهد شاق في سبيل القضاء على هذه التجارة المرذولة. وعلاوة على ذلك فقد اتهمت الحكومة المصرية ذاتها بأنها كانت على علم بما كان يجري من اتجار بالرقيق بين مصر وبلدان أفريقية الأخرى ثم لم تفعل شيئاً لوقف هذه التجارة (٦٣١). بل أساء الانجليز الظن بحكومة الخديو حتى إنهم كانوا يعتقدون أنها كانت تهمل متعمدة اتخاذ أى إجراء لمنعها (٦٣٢)، ثم صاروا يتهمون السلطات في القاهرة والخرطوم بأنها كانت تحاول إبعاد كل أوروبي من السودان حتى يتسنى المضى في تجارة الرقيق دون أية رقابة (٦٣٣) وعلى ذلك فقد وجد الخديو حتى يدحض هذه الاتهامات غير الصحيحة أن يختار لملء منصب من مناصب الحكم الهامة أحد الأجانب لإشراكه جدياً في جهود مكافحة الرق والنخاسة في السودان (٦٣٤) وكان من الطبيعي أن يقع اختياره على انجليزى لملء هذا المنصب. وفضلاً عما يحدثه هذا الاختيار من أثر طيب لدى الحكومة الانجليزية ذات الاهتمام الظاهر بمسألة

F. O. 84/1341 Slave Trade. No. 2 Cairo 26. 1.1871. Stanton to (٦٣٠)
Granville.

Parl. Sess. Papers, Class C. Egypt No 20. Alex 31.7.1869. Col. (٦٣١)
Stanley; F. O. 84/1304 Draft S. T. No. 5 (Col. Stanley) 13.8. 1869.

Parl. Sess. Papers, Class C, Egypt No 16, F. O. 22. 6. 1869 (٦٣٢)
Clarendon to Stanton,

F.O. 78/2253. Petherick to Lord Stanley. Enclos. Trans. of Extracts (٦٣٣)
from letters. Khartoum 6, 11. 1867.

Lejean (Traite) 900; Baker (Ismaïlia) 1. 8-9. (٦٣٤)

الرق والنخاسة (٦٣٥) فإن من شأن ذلك أيضا إرضاء هذه الحكومة وجلب مودتها في وقت كانت فيه إنجلترا تبذل كل معونة صادقة لتأييد إسماعيل في نضاله ضد ادعاءات فردنند دلسبس، في مسألة قناة السويس وتشجيع العاهل المصري على المضي في إصلاحاته ومعاضدة مساعيه في الاستانة للحصول على فرمان الوراثة الصليبية وغيره (٦٣٦) ووجد إسماعيل من مصلحة بلاده في ذلك الوقت أن يحرص على علاقات «الود والصداقة» مع بريطانيا (٦٣٧) وعند ما رفض إسماعيل أن يحدد عقد استخدام السير صمويل بيكر للأسباب التي ذكرها وجد أن خير ضمان لإظهار صدق نواياه وعزمه الصحيح على المضي في مكافحة الرق والنخاسة في السودان أن يستبدل بالسير صمويل الإنجليزي آخر (٦٣٨). وفضلا عن ذلك فقد كان يهم الخديو عند بدء استحكام الأزيمة المالية في مصر أن يحرص على صداقة إنجلترا (٦٣٩). وقد أثمرت هذه الخطة الحكيمة ثمرتها المطلوبة عندما تناسى الإنجليز اتهاماتهم السابقة وأقبلوا يؤيدون سياسة «التقييد» التي جرى عليها الخديو وعمل على تنفيذها رجال من أبناء جلدتهم كالسير صمويل بيكر والسكولونيل غردون.

على أنه لم يلبث أن حدث في عام ١٨٧٣ أن بدأت الحكومة الإنجليزية تظهر اهتماما بمسألة الرق والنخاسة في السودان بصورة كانت تفوق كثيرا كل

Aff. Etr. Egypte (47) No. 16. Alex 8.6.1870 Montmorency à Gramont. (٦٣٥)

F.O. 84/1371. (confid) No 11 Therapia 8.7.1873 Sir Henry Elliott to (٦٣٦)
Granville

Aff. Etr. Egypte (40) No. 73 Alex 19.12. 1876. Roustain à Moustier; (٦٣٧)
Staat-Archiv. Gen. Cons. No 7/pol. Cairo 30.3.1871 Schreiner
à Buest.

F.O. 84/1371. S.T. No. 14. Cairo 30.8.1873 Vivian to Granville (٦٣٨)

F. O. 84/1371. S. T. No. 11 (Conifd) Therapia 8.7.1873. Elliott to (٦٣٩)
Granville

اهتمام سابق لها بهذه المسألة وصارت من ذلك الحين لا ترضى قط عن سياسة «التقييد» فقد أعدت جماعة إلغاء الرق في لندن في أبريل ١٨٧٣ مذكرة رفعتها إلى الحكومة وتحدثت فيها بإسهاب عن ضرورة إقناع الخديو « باتخاذ إجراءات حاسمة لإلغاء تجارة الرقيق في ممتلكاته إلغاء تاماً » فعمدت الحكومة الانجليزية تحت ضغط الرأي العام في بلادها ولا ريب إلى إرسال هذه « المذكرة » إلى القاهرة مع تعليمات إلى قنصلها في مصر السكولونيل ستانتون Stanton بأن يؤكد لسمو الخديو أن حكومته في لندن لا تشك في أن « إجراءات حاسمة » سوف تتخذ دون إهمال لإلغاء تجارة الرقيق في مصر والسودان (٦٤٠) .

فصدع ستانتون بالأمر وقدم المذكرة إلى الخديو في ٢٥ أبريل ووعده اسماعيل بأن « يبذل قصارى جهده » لانتهاء هذه التجارة المرذولة ، على أنه أوضح للقنصل الانجليزي في الوقت نفسه « أن إلغاء تجارة الرقيق إلغاء تاماً مسألة زمن ووقت » ولا يتسنى إلغاؤها دفعة واحدة (٦٤١) .

وكان الخديو قد أصدر أوامره منذ ١٥ أبريل إلى منزجر بك محافظ شرق السودان وإلى اسماعيل أيوب باشا الحكمدار وإلى المفتشين والمديرين في مصر بضرورة وقف الاتجار بالرقيق وقفاً تاماً في مصر والسودان ، ونصت التعليمات المرسلة لهم على مصادرة تجارة الجلابين وإطلاق سراح الرقيق وإرسال العتقاء إلى أوطانهم تحت حماية الحكومة إذا رغبوا في ذلك أو استخدامهم إذا فضلوا البقاء في أماكنهم والإشراف على تربية أولادهم وتزويج بناتهم . وأعطى منزجر الحق في مصادرة السفن التي تمر بالشواطئ المصرية محملة بالرقيق وإبلاغ القناصل أو عملائهم في مصوع عند مصادرة

السفن التي يملكها أفراد من رعايا دولهم (٦٤٢) . وكانت هذه سياسة « تقييد » بأوسع معانيها . ومع ذلك فإن حكومة لندن عند ما أبلغت هذه الاجراءات ما لبثت حتى عدتها إجراءات غير كافية ثم عادت تبين للتخديو ضرورة اتخاذ « إجراءات حاسمة » (يوليه ١٨٧٣) (٦٤٣) . وعندئذ لم يجد الخديو مناصاً من الدخول في مفاوضة لعقد معاهدة مع الحكومة الانجليزية من أجل القضاء على تجار الرقيق قد يستبين في أثناءها معنى تلك « الإجراءات الحاسمة » التي توصى بها حكومة لندن دائماً (٦٤٤) وفي يوليه ١٨٧٣ بدأت المفاوضات التي انتهت بعد أربعة أعوام تقريباً بأبرام معاهدة الرقيق في ٤ أغسطس ١٨٧٧ .

واشتملت (معاهدة الرقيق) على الإجراءات التي تكفل في نظر الحكومتين المصرية والانجليزية القضاء على تجارة الرقيق في مصر والسودان وهي إجراءات لا تختلف عن تلك التي صدرت بها تعليمات الخديو نفسه إلى رجال حكومته في القاهرة والخرطوم من سنوات مضت كمنع تصدير الرقيق وانزال العقوبة الصارمة بالمتجرين بهذه التجارة الشائنة وتزويد المحررين منهم « بأوراق العتق » وتسليم رعايا الدول الأجنبية المتهمين بهذه التجارة الشائنة حتى يحاكموا أمام المحاكم المختصة بالنظر في قضاياهم واستخدام العتقاء في الأعمال الملائمة لهم وتعهدهم الحكومة بتربية أولادهم . وكان الجديد في الأمر أن صار للطرادات البريطانية الحق في تفتيش السفن المصرية في البحر الأحمر وخليج عدن والساحلين الصومالي والعربي وفي المياه المصرية إجمالاً ثم تسليم أصحاب هذه السفن إذا وجد لديهم رقيق للسلطات المصرية حتى يحاكموا أمام المحاكم الوطنية كما أعطيت الحكومة المصرية

F.O. 84/1371. S. T. No 10 Alex 19.5.1873 Stanton to Granville See (٦٤٢)

Enclos. Copy of Instructions by Khedive to Munzinger Bey.

F.O. 84/1371. Draft No. 2 F. O. 14.6.1873. Granville to Stanton (٦٤٣)

F. O. 84/1371. S.T. Draft No. 14 F.O.30 10. 1873 Granville to Vivian (٦٤٤)

الحق في تفتيش السفن التي تحمل أعلاما بريطانية على أن يسلم أصحابها إلى السلطات البريطانية (٦٤٥).

وبهذه الصورة كانت معاهدة الرقيق بمثابة «عهد» سجل عددًا من الإجراءات كان الغرض منها تنفيذ سياسة «التقييد» تنفيذًا دقيقًا. غير أنه حدث يوم إبرام هذه المعاهدة نفسه أن صدر (ديكرتو خديوى) يوم ٤ أغسطس ١٨٧٧ نص على تحريم بيع وشراء الرقيق من الزنوج والحباشان منعًا باتًا في مصر في مدى سبعة أعوام من تاريخ صدور هذا الديكرتو تنتهى في عام ١٨٨٤؛ وفي مدى إثني عشر عامًا في السودان والملحقات المصرية تنتهى في عام ١٨٨٩؛ فإذا قبض على شخص يتجر في الرقيق بعد هذين التاريخين قدم للسحاكمة وعوقب بالحبس مدة تتراوح بين خمسة شهور وخمس سنوات (٦٤٦).

وقد غير صدور هذا الديكرتو الذى اعتبر جزءاً مكملًا لمعاهدة الرقيق وجه المسألة تغييراً كاملاً وخرج بمعاهدة الرقيق من مجرد وثيقة تسجل طائفة من إجراءات «التقييد» إلى أداة هامة من أدوات تنفيذ سياسة «الإلغاء» العنيفة. فقد اتفقت كلمة المعاصرين على أنه كان من المتعذر بل ومن المستحيل تنفيذ معاهدة الرقيق في الأقاليم السودانية بصورة تكفل إلغاء الرق وتقضى على تجارة الرقيق في المدة المحددة وشاطر هذا رأى كل من غردون والكيلوفيل ستيوارت (٦٤٧) صاحب التقرير المشهور عن السودان في بداية الثورة المهدية. واعتقد هؤلاء المعاصرون أن الحكومة الانجليزية ما أقدمت على تحديد عامى ١٨٨٤،

(٦٤٥) سر هنريك ٢ : ٣٤٧ — ٣٤٨ ثم انظر كتابنا (مصر والسيادة على السودان)

وثيقة رقم ١٧ ص ١١٧ — ١٢٢

(٦٤٦) Blue Book. Egypt No 1. (1878). Convention. Alex 4. 8. 1877.- Ordinance of 4 August 1877. Art II.

F.O. 84/1511 S. T, No 7 (Confid) Cairo 23,3, 1878 Vivian to Derby; (٦٤٧)

Blue Book, Egypt No 11. (1883) Report Col. Stewart, 3. 24

١٨٨٩ لإلغاء الرق إلا بسبب تأثرها بآراء أناس كانوا يحملون تماما حقيقة مسألة الرق وتجارتها في مصر والسودان . (٦٤٨) وعلى ذلك فقد صار اللجوء إلى وسائل السيف والنار أمر لا مفر منه حتى يمكن تنفيذ المعاهدة . (٦٤٩) وتوقف المضى في سياسة « الإلغاء » الخطيرة على مسلك الحكومة الانجليزية بعد إبرام معاهدة الرقيق ومدى حرصها على تطبيق نصوصها من جهة ثم على مبلغ استعداد من عهد اليهم بتنفيذ هذه المعاهدة للعمل على تحقيق غاياتها من جهة أخرى . أما الحكومة الانجليزية فقد أصرت دائما على تنفيذ سياسة « الإلغاء » من أجل القضاء على الرق وتجارة الرقيق في الأقاليم السودانية قبل نهاية عام ١٨٨٩ . وأما غردون وهو الرجل الذى اختير لهذه المهمة الشاقة فقد وجد نفسه منساقا فى آخر الأمر لتنفيذ « الإلغاء » وسياسة السيف والنار بكل شدة وصرامة وذلك على الرغم من اعتقاده بأنه كان يستحيل على الخديو تنفيذ معاهدة الرقيق فى الأقاليم السودانية بالدقة التى تطلبها الحكومة الانجليزية فضلا عن اعتقاده الجازم بأن الخديو لم يوقع على هذه المعاهدة إلا تحت ضغط ظاهر من جانب الحكومة الانجليزية . (٦٥٠) ووقع لذلك على عاتق الحكومة الانجليزية وعلى عاتق غردون كذلك مسؤولية جميع ما جرى من حوادث فى السنوات القليلة التالية سببت اشتعال الثورة فى السودان .

فقد عين الخديو غردون حكمداراً على السودان فى فبراير ١٨٧٧ ومنحه سلطات عسكرية ومدنية مطلقة على جميع الأراضى الممتدة من وادى حلفا فى الشمال إلى مديرية خط الاستواء فى الجنوب ومن دارفور فى الغرب إلى

Butler 134. (٦٤٨)

Boulger (Congo State) 94. (٦٤٩)

F. O, 84/1571 S.T. No 8 Cairo 29.3.1879 Vivian to Derby, (٦٥٠)

ساحل البحر الأحمر في الشرق جنوبي سواكن ، (٦٥١) وفي مارس من السنة نفسها ضمت بربرة وزيلع ومصوع إلى حكومته . (٦٥٢) واعتبر غردون تعيينه في منصب الحكمدارية وبسط سلطانه على جميع الأقاليم السودانية دليلا على رغبة الخديو الصادقة في القضاء على تجارة الرقيق واعتبر نفسه المسؤول وحده بعد هذه السلطات الواسعة التي أعطيت له إذا استمر الرق قائما في السودان ولم تفتح هذه البلاد للتجارة المشروعة . (٦٥٣) وفي ١٨ فبراير ١٨٧٧ غادر غردون القاهرة في طريقه إلى الخرطوم وكانت التعليمات التي زوده بها الخديو تنص على ضرورة القضاء على تجارة الرقيق وتحسين طرق المواصلات في السودان وفحص «مسألة الحدود» (٦٥٤) بين الحبشة ومصر . وكانت الحالة في منطقة الحدود لا تزال غير مستقرة تماما بعد الحرب الحبشية المصرية في عام ١٨٧٦ . وبعد محاولات غير مثمرة لتسوية هذه المسألة (٦٥٥) وصل غردون إلى الخرطوم في ٥ مايو ١٨٧٧ وبدأ يتخذ الأهبة لتنفيذ معاهدة الرقيق .

ولم يكن غردون يقصد في بادئ الأمر أن يتبع سياسة «الإلغاء» العنيفة بل كان يعتقد أن القضاء على تجارة الرقيق أمر سهل إذا أحكمت الرقابة على نشاط تجار القوافل في الداخل ومنعوا من حمل الرقيق إلى موانئ البحر الأحمر وأن الزمن وحده كفيل بالقضاء على هذه التجارة إذا أمكن «تقييدها» بصورة

British Museum, Add. Mss. No 40665, Mossowa 1.3.1877 Gordon to (٦٥١)
Staunder; McCoan (Egypt Under Ismail) 211 ; Gordon
(Events) 106

(٦٥٢) الوقائع المصرية — عدد ٦٩٩ . القاهرة في ٤ مارس ١٨٧٧ .

British Museum, Add Mss No. 40665 Mossowa 11.3.1877 Gordon to (٦٥٣)
Staunder; Allen 111,

Abd'In. Corresp, fran. Doss, 71/1, . 17.2.1877, lmail à Gordon, (٦٥٤)
Shukry 283-285. (٦٥٥)

تجعل امتلاك الرقيق عملاً غير قانوني بعد تاريخ معين ، (٦٥٦) بل انه ما لبث أن أعد « مشروعاً » كان يرجو من تنفيذه تحقيق هذا الغرض الأخير ، بعث به إلى القنصل الانجليزي في مصر فيفيان Vivian . (٦٥٧) غير أن غردون سرعان ما أرغم على نبذ سياسة « التقييد » هذه عند ما رفض « مشروع » وطلبه اليه تنفيذ معاهدة الرقيق فاضطر إلى نشر المعاهدة و « ذيلها » مع الديكرتو الخديوي في جميع أرجاء السودان كما أصدر أمراً بـ « جزأ » إلى الأوربيين القاطنين في البلاد باطلاق سراح أرقائهم وتحريرهم . (٦٥٨)

على أنه مما تجدر ملاحظته أن الاقدام على نشر معاهدة الرقيق لم يحدث وقتئذ أي هياج في السودان بل استطاع غردون أن يؤكد لحكومة القاهرة أن السودان كان في هدوء تام على الرغم من إعلان عزم الحكومة على إبطال تجارة الرقيق ابطلاً تماماً في بحر السنوات القليلة المقبلة . (٦٥٩) وكان السبب في ذلك أن غردون حينئذ لم يكن قد نبذ ظاهرياً خطة « التقييد » التي سار عليها منذ وصوله إلى السودان . واعتقد الأهلون أن نشر معاهدة الرقيق لا يغير شيئاً من الأساليب التي اتبعتها الحكومة حتى ذلك الوقت . وكان دليلهم على ذلك ما فعله غردون نفسه عند القضاء على تلك الثورة التي أشعلها الجلابون وتجار الرقيق في دارفور في فبراير ١٨٧٧ .

وكان سبب هذه الثورة أن هارون حفيد السلطان محمد الفضل وأحد أقرباء سلطان دارفور السابق ابراهيم الذي سقط في موقعة منواشي لم يلبث

F. O. 84/1482. S. T. No 1 of 1877 Vice—Cosul Wylde to Beyts (٦٥٦)
Esquire. Consulate. Jeddah 1. 5. 1877.

Morrow Bequest. Khartoum. 18. 9. 1878. Gordon to Watson Pasha. (٦٥٧)

Allen 117. (٦٥٨)

Abdin. Corresp. fran. Doss. 71/6. Debbé en Route... 13. II. 1877 (٦٥٩)

Gordon à Barrot Bey.

أن عاد من ملجئه في برقو يقود الثورة في دارفور ضد الحكومة بتحريض من تجار الرقيق (٦٦٠) فهاجم داره والفاشر وألحق بهذه البلاد الثلاثة أضرارا جسيمة وبلغت أنباء هذه الثورة غردون بمجرد وصوله إلى الخرطوم فأرسل النجيدات إلى دارفور ثم ذهب بنفسه إلى مكان الثورة واضطر هارون إلى الانزواء في جبل مره فدخل غردون الفاشر في أغسطس من العام نفسه (٦٦١) وعلم غردون عند وصوله الفاشر أن تجار الرقيق قد انسحبوا إلى الجنوب وتحصنوا في شكا ويعقدون آمالا عظيمة على تزعم سليمان بن الزبير رحمة لحركتهم ويعتمدون على تأييد أسرات تجار الرقيق وأنصارها الكثيرين في كردفان ودارفور في مقاومة سلطان الحكومة (٦٦٢) وكان الزبير رحمة قد ذهب بعد افتتاح دارفور إلى القاهرة حتى يتشاور مع الخديو على أفضل الطرق للحكومة ، هذه الأملاك الجديدة فحجزه الخديو بالقاهرة بسبب ما بلغه من حكمдар السودان وقتئذ اسماعيل أيوب باشا من أن الزبير يكثر التدخل في شئون الحكم والادارة في دارفور بصورة تضر بسلطان الحكومة (٦٦٣) . فأساء حجز الزبير في مصر ابنه سليمان وخشى غردون أن يعمد سليمان إلى تزعم تجار الرقيق وإعلان الثورة ضد الحكومة فسعى لمقابلته في داره (٢ سبتمبر) ولكن سليمان لم يلبث أن أكد ولاءه للحكومة وانسحب

Abdin. Corresp. fran. Doss. 71/6 Obeid 31. 5. 1877 Gordon à (٦٦٠)
Barrot Bey.

Staat - Archiv - Gen - Cons. 1877. No 21 pol. Cairo 4. 5. 1877. (٦٦١)
Cischini à Andrassy. (Summary) Report of Hanzal. Khart. 8. 4. 1877;
also. Abdin. Corresp fran. Doss. 71/6. f 8113 Foja 4.7. 1877. Gordon
à Barrot Bey.

Abdin. Corresp. fran. Doss. 71/6 f. 8182. Obeid 31. 7. 1877. (٦٦٢)
Gordon à Barrot Bey; Gleichen (Handbook) 161.

(٦٦٣) شقير ٣ : ٨٤ — ٨٥ . Jackson 71,77—78;

برجاله من داره إلى شكا : وحاول غردون إرضاءه فعينه وكيلا لمديرية بحر الغزال (٦٦٤) .

وحرص غردون في أثناء هذه الحوادث على جلب محبة الأهالي واستمالة كبارهم وزعمائهم في كردفان ودارفور ومكافأة أولئك الذين أظهروا ولائهم له وقدموا له كل مساعدة وكان يرجو من استمالتهم إليه تشجيعهم على الانفضاض من حول هارون وقادة الثورة فقلدهم مناصب الحكم الهامة « والتمس الاحسان عليهم » بالرتب والنياشين المختلفة فكان من هؤلاء إدريس ابتر الذي عينه غردون وكيل أشغال بحر الغزال ، والنور أغا عنقره (عنجره) صاحب الحوادث المعروفة في أوغنديه وكان رئيس العساكر البازنقر (أو البازنجر) في بحر الغزال فطلب له غردون الرتبة الثالثة ثم عينه مديرا على داره وألحق بإدارته إقليم حفرة النحاس (٦٦٥) والياس بك صهر الزبير باشا وسرتجار ورئيس مجلس كردفان الذي عين مديرا على شكا وأنعم عليه برتبة اللواء ثم استبدل به في رئاسة مجلس كردفان أحمد بك دفع الله الذي أنعم على أخيه عبد الله محمد دفع الله بالرتبة الرابعة والنيشان المجيدى من الدرجة الخامسة بينما نصب محمد أحمد العريف سرتجار لكردفان وعين عبد الرحمن افندى بان النقا سرتجار لبندر الأبيض (٦٦٦) . ثم عين الياس باشا بعد ذلك مديرا لمديرية كردفان وكذلك عين العوضى افندى محمد وكيلا لمديرية شكا وأنعم عليه بالرتبة الثالثة وعين الخبير محمد بك إمام مديرا عاما على القسم الغربى من

Abdin. Corresp. fran. Doss 71/6. Dara 4. 9. 1877; Obeid 20. 9. (٦٦٤)
1877. Gordon à Barrot Bey.

(٦٦٥) عابدين . المعية . دفتر ١٨ أوامر عربى رقم ١٠ فى ٢ جمادى الأولى ١٢٩٤
(١٨٧٧ . ٦٠ . ١٤) أمر كريم إلى حكمدارية عموم الأقاليم السودانية ؛ ثم رقم ٢٦ فى ٢٢ رجب ١٢٩٤ (١٨٧٧ . ٨٠٢) .

(٦٦٦) عابدين . المعية . دفتر ١٨ أوامر عربى رقم ١٥ ، ١٧ فى ٣ جمادى الآخرة ، رقم ٤٥ فى ١٣ شوال ١٢٩٤ أمر كريم إلى حكمدارية عموم الأقاليم السودانية .

دارفور وابنه حمزه إمام مديرا للفاشر واحمد النور سرتجارا لمديرية الفاشر
بينما أنعم على ابنه الآخر محمود إمام بالرتبة الثالثة . والتمس غردون الانعام
بالرتب والنياشين على طائفة من مشايخ عربان الرزيقات وغيرهم ورؤساء
البازنجر ومنهم الشيخ مادبّون علي والشيخ عجيل والشيخ منزل من عمد مشايخ
عربان الرزيقات والشيخ محمد خليل وعباس وجاد النبي واحمد نادر والشيخ
الوالى ومحمد علي ولد ابو سلام ثم حامد أغا وعثمان أغا شاى الله والسعيد
افندى حسين من ضباط البازنجر كما عين السعيد مديرا على جهة شكا (٦٦٨) ثم
التمس غردون الاحسان بالرتب على أبناء وزراء دارفور السابقين وأعطاهم
المرتبات الكافية وأمر بتعيين نفر منهم فى وظائف المديرية (٦٦٩).

ومما يجدر ذكره أن التماس هذه الانعامات بالرتب والنياشين على هؤلاء
« السودانيين » وتعيينهم فى مناصب الحكم والادارة كان جزءا هاما من خطة
إشرالك العناصر الوطنية فى الحكومة ، تلك الخطة التى جرى عليها الحكماءرون
السابقون من قبل وحرص غردون فى الشهور الأولى من تاريخ تقلده منصب
الحكمذارية على العمل بها . وكان لها أعظم الأثر فى استمرار أهل السودان
فى هدوئهم وسكينتهم على الرغم من إذاعة معاهدة إلغاء الرق وإبطال تجارة
الرقيق ، فقد بادر غرون بمجرد وصوله إلى الخرطوم عقب جولته فى السودان
الشرقى وعلى الحدود الحبشية بالتماس الاحسان بالرتب والنياشين على جماعة

(٦٦٧) عابدين . المعية . دفتر ١٨ أوامر عربى رقم ٤٤ فى ٦ شوال ١٢٩٤ ؛ ورقم ٢٦
فى ٢٢ رجب ١٢٩٤ ؛ رقم ٣٥ فى غاية رمضان ١٢٩٤ أمر كريم إلى حكمذارية عموم
الأقاليم السودانية .

(٦٦٨) عابدين . المعية . دفتر ٢١ عربى رقم ١٢ لإفاضة صادرة فى ٥ رجب ١٢٩٤ .
رقم ١٥ فى ٢٦ رمضان ١٢٩٤ ورقم ١٤ فى ٢ شعبان ١٢٩٤ من المعية إلى حكمذارية
عموم الأقاليم السودانية .

(٦٦٩) عابدين . المعية . دفتر ١٨ أوامر عربى رقم ٤٣ فى غاية رمضان ١٢٩٤ أمر كريم
إلى حكمذارية عموم .. الخ .

كبيرة من شيوخ عربان رفاة والشكرية والضباينة وبنى عامر والحلانقة
والحمران نذكر منهم الشيخ الطيب شيخ عربان رفاة الشرق وعوض السكريم
أبو سن شيخ وناظر عربان الشكرية وعلى محمود ولد زيدان شيخ وناظر
عربان الضباينة وحمد حامد ناظر قسم عربان بنى عامر وعلى حامد ناظر قسم
عربان الحلانقة ومحمد حامد وإبراهيم محمد المليح من شيوخ الحمران . كما طلب
غردون الاحسان بالرتبة الخامسة على النائب عبد السكريم « من نواب جهة
مصوع وملاحظ حريققو » ورفع راتبه من ثمانية آلاف إلى اثني عشر ألف
قرش (٦٧٠) وفضلا عن ذلك فقد عني غردون بإرضاء أعضاء مجلس استئناف
السودان الوطنيين بالخرطوم وكان هؤلاء يقومون بوظائفهم « بدون ماهية
ولا امتياز عن التجار » فالتمس الاحسان عليهم بالرتبة الرابعة « بنوع الشرف
بدون ماهية » كما التمس الانعام بالرتبة الرابعة على سليمان افندي يعقوب سرتجار
الخرطوم ووكيل المجلس مكافأة له على جده واجتهاده وقد أجاب الخديو
التماسه (٦٧١) ثم طلب تعيين مصطفى افندي السلاوى قاضيا لحكمدارية عموم
الأقاليم السودانية نظرا « لسكونه من العلماء المعول عليهم وحسن استقامته
وسلوكة والوثوق بأمنيته » (٦٧٢) .

وهكذا سار غردون في الحكم سيرة طيبة غير أنه سرعان ما تغيرت
الأحوال ودارت الدنيا دورتها فجاء من الحوادث بعد ذلك ما جعل غردون

(٦٧٠) عابدين . المعية . دفتر ٢١ (عربى) رقم ٨ فى ٢ ربيع الثانى ١٢٩٤ ؛ رقم ٩
فى ٢٢ ربيع ثانى ١٢٩٤ من المعية الى حكمدارية عموم الأقاليم السودانية ، ودفتر ٦ معية
عربى رقم ١١ فى ٦ جمادى الثانية ١٢٩٤ شرحه ، ومحفظة ١١ جهادية (تركى) رقم ١٣٩
فى ٢ جمادى الأولى ١٢٩٤ من الخديو اسماعيل باشا الى صاحب الدولة ناظر الجهادية .

(٦٧١) عابدين . المعية . دفتر ١٨ أوامر عربى رقم ٢٥ فى ١٩ جمادى الثانية ١٢٩٤
أمر كريم الى حكمدارية عموم ...

(٦٧٢) عابدين . المعية . دفتر ١٨ أوامر عربى رقم ٢٩ فى ٣ رمضان ١٢٩٤ أمر كريم
الى حكمدارية عموم ...

يفتد هذه السياسة الحكيمة ويأتى من الأعمال بما نفر من حوله قلوب الأهلىن
وكان من شأنه إثارة القلاقل والاضطرابات فى السودان ثم التمهيد لقيام ثورة
محمد أحمد (المهدي) فى النهاية . وكانت السبب المباشى الذى أحدث هذا التغيير
تعيين ضابط البحرية الانجلىزى ملكولم Malcolm للتفتيش على السفن المحملة
بالرقىق فى المياه المصرية بالبحر الأحمر . فقد أنشأت حكومة الخديو «خدمة
بوليسية» لمراقبة سفن تجار الرقىق فى شواطئ البحر الأحمر وخليج عدن
فى سبتمبر ١٨٧٧ تنفيذاً لمعاهدة الرقىق وطلب الخديو من الحكومة الانجلىزية
استخدام أحد ضباط بحريتها للإشراف على هذه الخدمة وقيادة البواخر
المصرية المرسلة إلى البحر الأحمر لإحكام الرقابة على تجار الرقىق (٦٧٣) فأجابت
الحكومة الانجلىزية طلب الخديو وأوصت باستخدام الكابتن ملكولم ، وفى
أول يناير ١٨٧٨ عين رئيساً للمأمورية التفتيش على المراكب التى تبجر بجمات
البحر الأحمر التابعة (للحكومة الخديوية) وضبط ما يوجد بها من الرقىق
برسم البيع والتجارة تطبيقاً للمعاهدة المنعقدة بين (الحكومة الخديوية
والحكومة الانجلىزية» ووجهت إليه رتبة اللواء (٦٧٤) .

وفى شهرى فبراير ومارس قام ملكولم بأشأ برحلة تفتيشية على السواحل
ووجد أن تجارة الرقىق لا تزال قائمة «على أشدها» بين مينائى زيلع وتاجوره
(تجره) (٦٧٥) ويقوم بهذه التجارة الشائنة أسرة محافظ زيلع «أبو بكر شحيم»

Abdin. Corresp. fran. Doss. 72/6. Alex 11. g. 77. Sherif à Vivian; (٦٧٣)

Caire 11. 7. 1878. Ismaïl à Vivian.

F. O. 84/1511 S. T. Draft No. 12 (Vivian. F. O. 20. 3. 1878) Enclos (٦٧٤)

Desp. of 11. 1. 1878; Abdin Corresp. fran. Doss. 72/6. Caire 3. 1. 1878

ثم أنظر عابدين . المعية . دفتر ١٨ أوامر عربى رقم ٥٢ فى ٢٤ Ismaïl à Malcolm.

فى الحجة ١٢٩٤ أمر كريم إلى حكمدارية الأقاليم السودانية ، ثم رقم ١٢٦ فى التاريخ نفسه
أمر كريم إلى محافظ القصير .

F. O. 84/1511 slave Trade No. 7 (confid) Cairo 23. 3. 1878 Vivian (٦٧٥)
to Derby

باشا . فوجد ملكولم أن الواجب يقتضيه حجز أعضاء هذه الأسرة المتهمين
بالاتجار في الرقيق وإحالة قضيتهم على حكمدار السودان غردون باشا للنظر
فيها وساء غردون لجوء ملكولم الى استخدام هذه الوسائل العنيفة « خشية
أن تؤدي الحماسة الزائدة واتخاذ مثل هذه الاجراءات الصارمة » في تنفيذ
معاهدة الرقيق الى هدم كل ما كان يبذله من جهود وذهابه أدراج الرياح ،
على حد قوله — (انشر الأمن والسلام واستتبات الهدوء والسكينة في
السودان) (٦٧٦) ذلك أن حجز أسرة أبي بكر باشا ذات النفوذ القوي في
زيلع من شأنه إثارة القلاقل وخلق صعوبات عدة فضلا عن أنه في استطاعة
هذه الأسرة أن تعطل المواصلات بين زيلع وهرر وتنشر الاضطرابات في
كل الصومال . (٦٧٧) زد على ذلك أن غردون كان يكره ملكولم باشا
كراهية شديدة لا يدرى لها سببا مما جعل التعاون مع الرجلين أمرا
متعذرا . (٦٧٨) وعلى ذلك فقد انتهز غردون فرصة زيارته لزيلع في مايو
١٨٧٨ وأطلق سراح المسجونين وكان من بين هؤلاء ابن أبي بكر شحيم نفسه
وبذل قصارى جهده لاستمالة أبي بكر شحيم وبالغ في تسكينه فاضطر ملكولم
إزاء كل هذا إلى تقديم استقالته (٦٧٩) .

غير أن عزم ملكولم على الاستقالة لم يلبث أن أثار « مشكلة » جديدة .
ذلك أن الحكومة الانجليزية سرعان ما شددت في المطالبة بتنفيذ معاهدة

F. O, 84/1511 Slave Trade No 8. Cairo 29. 3. 1878 Vivian to (٦٧٦)
Salisbury

F. O. 84/1511 Slave Trade No, 7 (Confid) Cairo 23. 3. 1878. Vivian (٦٧٧)
to Derby; No 18 Alex 1.6. 1878 Vivian to Salisbury; No 37. F. O.
Salisbury to Lascelles, 19, 11, 1878,

F. O. 84/1511 Slave Trade No. 7 (confid) Cairo 23. 3. 1878 Vivian (٦٧٨)
to Derby,

F. O. 84/1511 Slave Trade. No 15 Alex 10. 5. 1878 Vivian to (٦٧٩)
Salisbury.

الرقيق « بكل دقة وأمانة » (٦٨٠) فلم يسع غردون حرصاً منه على « تبرير موقفه » في مسألة ملكولم إلا أن يأخذ على عاتقه مهمة « إلغاء الرق والقضاء على تجارة الرقيق في البحر الأحمر إلى جانب الأقاليم السودانية » . (٦٨١) وعندما أَرْضَى هذا الحل الحكومة الانجليزية قبل الخديو استقالة ملكولم باشا في يولييه ١٨٧٨ وتحمل غردون مسؤولية تنفيذ المعاهدة وأصر الانجليز من جديد على ضرورة اجراء تنفيذ المعاهدة بكل أمانة . (٦٨٢) فبدأ من ذلك الحين أى من شهر يولييه ١٨٧٨ تحول غردون من خطة « التقييد » السابقة إلى خطة « الإلغاء » التي ظلت الحكومة الانجليزية تلح في ضرورة اتباعها إلحاحاً شديداً منذ عام ١٨٧٣ خصوصاً . وكان هذا التحول منشأ تلك الأخطاء الكثيرة التي ارتكبها غردون بعد ذلك والتي أدت في آخر الأمر إلى قيام الثورة المهدية وذلك أن غردون لم يلبث أن اندفع اندفاعاً خطيراً في تنفيذ معاهدة الرقيق على أمل أن ينجح إذا هو فعل ذلك في تهدئة روع الحكومة الانجليزية وتطمينها على أن عزل ملكولم لا يستتبع أى لين أو غفلة في تنفيذ المعاهدة وأن غردون لا يقل تحمساً عن غيره في مكافحة الرق والنخاسة . (٦٨٣)

وهكذا بدأت تترى من السودان التقارير بعضها إثر بعض منبئة بما صار يبذله غردون من جهود صادقة في مكافحة تجارة الرقيق وأبلغ رياض باشا القنصل الانجليزي فيفيان فحوى هذه التقارير تباعاً في الشهور التالية حتى أوائل عام ١٨٧٩ وكلها تشيد بذكر نشاط غردون وحماسه في مصادرة أموال تجار

F. O. 84/1511 Slave Trade No, 24 Salisbury to Vivian F. O, 23, 7, (٦٨٠) 1878.

Abdin. Corresp. fran. Doss 72 6. Caire 8.8. 1878 Riaz à Barrot. (٦٨١)

F. O. 84/1511, Slave Trade No, 26 Alex 13. 7. 1878 Vivian to Salisbury (٦٨٢)
No. 24 F.O. 23. 7. 1878 Salisbury to Vivian.

Abdin. Corresp, fran. Doss, 72/6 f 20979 (Adj) Alex 3.8. 1878 Vivian (٦٨٣)
to Riaz Pasha.

الرقيق والقبض عليهم وتنفيذ العقوبات الصارمة عليهم تطبيقا لمعاهدة الرقيق فاطمأنت الحكومة الانجليزية لتنفيذ المعاهدة . (٦٨٤) على أن الأمر لم يقف عند هذا الحد إذ بلغت حماسة غردون إلى درجة أن صار يخيل اليه أن جميع الموظفين المصريين في «حكمداريته» يتجرون في الرقيق ويتآمرن على إفساد خططه ويمالئون تجار الرقيق فأقدم على ارتكاب فعلته هذه التي كانت على حد قول سلاتين Slatin من أهم الأسباب التي أثارت عداة الأهلين ضد الحكومة ومهدت الطريق لاندلاع ثورة المهدي المشثومة . (٦٨٥) ذلك أن غردون عمد الى «طرده طائفة كبيرة من الموظفين المصريين من الخدمة في شهر يولييه ١٨٧٨ واستبدل بهم أربعة عشر موظفا أوربيادفعة واحدة وعدداً قليلا من السودانيين عهد اليهم بالحكم في مختلف المديریات وملأ بهم الوظائف في ديوان الحكمدارية . (٦٨٦) وكل هذا في وقت لم يكن قد مضى زمن طويل على «الاحسان» على عدد كبير من الموظفين المصريين بالرتب والنياشين بناء على توصية غردون نفسه وما قدمه في حقهم من شهادة طيبة اعترف لهم فيها بالصدق والاستقامة وحسن تصريف الأمور . ولم يلتمس غردون هذا الإحسان وهذه الترقية لكل أولئك المصريين إلا بعد طوافه في أرجاء السودان واختباره لسكفائهم ووقوفه على حقيقة أمرهم . وكان هؤلاء كثيرين حقا قد لا يتسع المقام لذكرهم جميعا ولكن يمكننا أن نميز من بين كبارهم وصغارهم حسن حلمي باشا مدير عموم دارفور وكردفان — بناء على توصية غردون —

F. O. 84/1511. Slave Trade No 26 Alex 13. 7, 1878, Enclos. Caire (٦٨٤)

8. 7. 1878 Riaz to Vivian, No, 28 Cairo 10.9. 1878 Lascelles to Salisbury; Nos 40, 47, 48, Cairo 14. 9. 1878 to 1. 11. 1878 Lascelles to Salisbury; F. O. 84/1545 S. T. No 5 Cairo 6.2. 1879 Vivian to Salisbury.

Slatin 55—56, (٦٨٥)

F. O. 84/1511 Slave Trade No. 29 Alex. 13. 7. 1878 Vivian to (٦٨٦) Salisbury,

وعبدالهادي افندي صبرى ناظر قسمى خورسى والطياره بكر دقان وقد طلب له غردون نفسه الرتبة الرابعة ، وعلى بك شريف مدير فوجه بدارفور وكان غردون قد التحس « الاحسان » عليه برتبة أميرالاي . ومصطفى افندي ياور الذى رقاہ غردون من وكيل مديرية سنار إلى مدير لها برتبة القائم مقام ، ومحمد بك نفغى وكيل مديرية كبكايية (كبكايية) ، و ابراهيم افندي فوزى الذى عينه مديرا على بحر الغزال فى وقت ما برتبة البكباشى ، ومحمد بك سعيد الذى جعله مديرا لبربر ، ومحمود بك طاهر الذى عين مديرا لسكر دقان ، ومحمد افندي صبرى مهندس تلغراف شرقى السودان ، وعلى افندي حسن وكيل محطة سبت (سوباط) ؛ وهذا عدا ترقية أربعة وثلاثين من موظفى « سواريات ومهندسى وابورات ترسانة العموم بالخرطوم » و ناظر الترسانة مصطفى باشا الطوسيه الذى رقى إلى رتبة اللواء ، ومحمد افندي راسخ وكيل السكة الحديد السودانية الذى منح الرتبة الثالثة ، وموريس افندي شوقى وكيل مديرية الخرطوم ، وعزت افندي وكيل محافظة مصوع ورئيس المجلس و ناظر الجمرک بها ، وحبيب افندي شادى « ناظر السكورتين بمصوع » ، ومصرى افندي عبد القادر وكيل مديرية تاكة ، وعبد المسيح افندي جرجس عضو مجلس استئناف السودان بالخرطوم الذى منح الدرجة الرابعة ، ورضوان باشا مأمور إدارة بربره (٦٨٧) ، وعلى بك كرد مدير فاشوده .

(٦٨٧) عابدين . المعية . دفتر ١٨ أوامر عربى أرقام ١٠، ١١، ١٦، ١٧، ١٩، ٣٣، ٣٥، ٣٧، ٤٢، ٤٥، ٤٧، ٤٨، ٥٠، تواريخها ابتداء من ٢ جمادى الأولى ١٢٩٤ (١٤ يونية ١٨٧٧) لغاية ١١ محرم ١٢٩٥ (١٥ يناير ١٨٧٨) ؛ ثم دفتر ٢٤ معية عربى أرقام ١٠، ٨، ١ فى ١٧ صفر ، ١٠ شوال ١٢٩٤ ؛ ثم دفتر ٢٧ معية عربى أرقام ٣، ١٠ فى ١١ محرم ١٢٩٥ (١٥ يناير ١٨٧٨) ، غاية ربيع أول ١٢٩٥ (٣ ابريل ١٨٧٨) ؛ ثم دفتر ٣١ وارد معية عربى رقم ٨ عموم فى ١٧ جمادى الثانية ١٢٩٥ (١٨ يونيه ١٨٧٨) ؛ ثم محفظة ٥٤ معية عربى رقم ٢٢٩ فى ١٧ رمضان ١٢٩٤ من حسين كامل ناظر الجهادية إلى مهردار جناب خديوى .

ومما هو جدير بالذكر أن غردون لم يكلف نفسه مشقة التحقيق في أمر الموظفين الذين « طردهم » من الخدمة بل اعتمد في صحة المعلومات التي بلغته عنهم على ما كان ينقله إليه أعداؤهم ومنافسوه من وشايات واتهامات لا نصيب لها من الصحة مما ألحق أذى بليغا بسمعة الحكومة وأضعف من هيبتها في نفوس الأهاليين عموما (٦٨٨). والواضح الجلي في هذه الأمثلة ما فعله غردون مع محمد رءوف باشا حاكم دار هرر وكان هذا الأخير قد أسدى خدمات جليلة في خط الاستواء بعد ذهاب بيكر فوجد غردون عند تعيينه مأمورا لهذه المديرية أن يتخلص منه بسبب ما كان يستمتع به رءوف من نفوذ عظيم على الأهاليين وخشى غردون من « استفحال أمره » بدرجة تهدد سلطانه فاستغنى عن خدماته (٦٨٩). وقد قاد رءوف بعد ذلك الحملة المرسلة على هرر وأقام في تلك البلاد حكومة أبوية رشيدة ووجده غردون عند زيارته هرر في شهرى أبريل ومايو ١٨٧٨ يستمتع بسمعة عظيمة وامتدح للخبديو إدارته الناجحة (٦٩٠) ولكن مع ذلك فقد راض غردون نفسه على الاعتقاد بأن رءوف إنما ينبغي الانفصال بهرر والاستقلال بها فلم يكلف نفسه مشقة فحص هذه الاتهامات الباطلة بل عمل على إقصائه من هرر وتم له ما أراد بدعوى أن التعاون متعذر بين أبي بكر شحيم محافظ زيلع ورءوف باشا (٦٩١).

Abdin Corresp. fran Doss 71/6 Shakka 15.9.1877 Gordon à Barrot Bey; (٦٨٨)

Junker (See Voyages) Bull. Soc. Khed. Geog. Ser I. No. 7 pp 31-

فوزى ١ : ٤٠ — ٤١. Junker (Travels 1875-1878) P 513.

Abdin Corresp. fran Doss. 71/3 Notes Sur les evennements dans les (٦٨٩)

Provinces entre avril 1874 et é vrier 1875-Sobat 7.2.1875. Gordon

à Khairy Pacha; Hill 40.

Paulitschke 579-580. (٦٩٠)

Abdin. Corresp fran. Doss. 71/7 Swakin 24. 5.1878 Gordon à (٦٩١)

Barrot Bey; Harrar 28.4.1878 Gordon à Barrot Bey; Shukry

300-301.

وأولى غردون ثقته جماعة من الموظفين السودانيين لم يكن موفقا كل التوفيق في اختيارهم من هؤلاء، بسطاطى مدنى ومحمد التهامى جلال الدين الذى التمس الانعام عليه بالرتبة الثالثة وأجيب إلى طلبه (٦٩٢). وقد عمل الاثنان سكرتيرين لغردون ووثق بهما كل الوثوق (٦٩٣) واستطاع التهامى بك « كاتم أسرارهِ أن يتمكن من قلبه ويأخذ بمجامع لبه فكان (غردون) لا يأتى أمرا إلا بإشارته ولا يعمل عملا إلا برأيه ». وكان ذلك الرجل « من شر الرجال وأخبثهم نية وأفسدهم طوية فسلك بغردون مسلكا نفر منه القلوب وحرك في صدور الأهالى كامن الحقد عليه » (٦٩٤) وكذلك لم يكن غردون موفقا عند ما قلد الياس باشا ومحمد إمام الخبيري (باشا) وأبناءه الثلاثة حمزة واحمد النور ومحمود إمام — وقد سبق ذكرهم — مناصب الحكم والادارة في كردفان ودارفور (٦٩٥). واستخدم غردون غير هؤلاء كأدريس أبتى والنور عنجره (عنقرة) وطيب بك مدير فاشوده وسرور افندى مدير بور « ممن كانوا سيارة يتجرون في الإماء والعبيد والريش وسن الفيل وأطلق لهم (غردون) الكلمة حتى تصرفوا في سائر الأمور فعملوا لغير ما تقتضيه مصلحة البلاد وبالغوا في منع الاتجار بالرقيق وصادروا التجار في أموالهم وأرزاقهم وضيقوا عليهم سبل الاتجار وقفلوا في وجوههم أبواب الكسب » (٦٩٦) فعظم التذمر واشتدت السدراية ضد الحكومة .

وكان مما ساعد على غليان النفوس أن غردون ما لبث أن صار يعزل

(٦٩٢) عابدين . المعية . دفتر ١٨ أوامر عربى رقم ١١ فى ٢ جمادى الأولى ١٢٩٤ أمر كريم إلى حكومتدارية عموم الأقاليم السودانية .

Hill 398-399. (٦٩٣)

(٦٩٤) شارويم . ج ٤ : ص ٣٧٩ .

(٦٩٥) سرهنتك ج ٢ : ص ٣٣٤ .

(٦٩٦) شارويم ج ٤ : ص ٣٧٩ . ثم Gessi. 193, 202-3; 206.

الأكفاء من السودانيين الذين اشتهروا بين قومهم بالاستقامة وحسن السيرة كما كان ينصت إلى وشاية أعدائهم فيهم بغير إذن واعية كما فعل مع يوسف حسن الشلالى الذى عزله لغير جريرة من حكومة بحر الغزال وعين مكانه الايطالى جيسى^(٦٩٧). وكان من بين الأوربيين الذين عينهم غردون مديرين وحكاما فى أرجاء السودان شارل ريجوليو Rigolet الفرنسى مدير داره ثم سلاطين Slatin النمساوى الذى خلفه فى هذا المنصب ، والايطالى إميليانى Emilliani مدير كوبي (كوبه) وفردريك روسى Rosset « وكان تاجرا فى الخرطوم ووكيلا لقنصل ألمانيا بها » وقد جعله غردون مديرا لدارفور وكان روسى رجلا مكروها قال عنه صاحب (السودان المصرى والانكليز) إنه « كان شؤما على السودان عموما ودارفور خصوصا »^(٦٩٨) ثم الايطالى ميسيداليا Messedaglia (بك) الذى عين مديرا لدارفور عقب وفاة روسى . وفى الخرطوم عين الألمانى جيكلر Giegler مفتشا على عموم تلغرافات السودان ثم سمي بعد ذلك مديرا عاما لمنع تجارة الرقيق . وفى مديرية خط الاستواء عين غردون الأمريكى براوت Prout ثم الألمانى الدكتور شنتزر الذى اعتنق الاسلام وتسمى باسم أمين^(٦٩٩) وقد قال عنه (صاحب السودان المصرى والانكليز) « فإنه عدا ما كان يأتيه من الصيام والقيام وإعطاء العهود للمريدين على سلك الشيخ عبد القادر الجيلانى كان يدعى أنه عالم نحرير على مذهب الإمام أبى حنيفة وأنه يصلح لأن يكون قاضيا شرعيا فصدقه كثيرون من البسطاء واعتقدوا بأنه من أكابر الأولياء الصالحين ولم يعلموا حقيقة أمره

(٦٩٧) السودان المصرى والانكليز ص ١٥ .

(٦٩٨) السودان المصرى والانكليز ص ١٦ .

(٦٩٩) Messedaglia. (Expeditions Egypt. en Afrique). Bull. Soc. khed. Geog.

ثم شقير ج ٣ : ص ٩٤ . Serie III. No 1. (1888). pp 48, 54, 61 ; Gessi 148.

إلا بعد مغادرته خط الاستواء بصحبة منقذه ستانلي الرحالة الشهير» (٧٠٠)

وكان غرض غردون من استخدام كل هؤلاء أن يستطيع بفضل معاونتهم تنفيذ سياسة «الإلغاء» الصارمة. ولم يخيب الحكام الجدد ظنه فشنوا حربا شعواء على تجار الرقيق يصادرون متاجرهم ويطلقون سراح الإماء والعبيد ويطاردون الجلابين وينكرون بهم إلى غير ذلك من ضروب الاضطهاد والمضايقات. ولكن هؤلاء الحكام كانوا من «المسيحيين» وسهل على الأهلين وهم أقرباء تجار الرقيق ولا يخلو بيت من بيوتهم بالطبع من وجود الرقيق به الاعتقاد بأن هذه الحرب التي يشنها «الكفار» عليهم ما هي إلا حرب دينية قائمة على التعصب المرذول. وهكذا كان تشديد الحكام لاسيما من الانجليز والاطاليان في منع الاتجار بالرقيق وتحرير كل من علموا بوجودهم من ساداتهم من أهم الأسباب التي دفعت بأهل السودان إلى شق عصا الطاعة إذ كان الناس هناك يحسبون أن تحرير مواليتهم وخروجهم من حوزتهم على يد أولئك الأجانب اضطهاد ديني من النصرانية للإسلام وكان شيوخهم وعلماؤهم يؤيدون لهم ذلك بالأدلة المقبولة والشواهد المعقولة حتى أصبحت عندهم حقيقة لا شك فيها فكانوا يخفون ما بقلوبهم من نار التآلم والحقد على أعمال الحكومة ويرقبون كل سائحة حتى ظهر محمد أحمد مدعى المهذوية وأيقظ الفتنة الراقدة» (٧٠١).

بيد أن آثار هذه السياسة الخاطئة التي جرى عليها غردون لم تلبث أن ظهرت قبل أن يعلن محمد أحمد الثورة ويستفحل أمره بوقت طويل بل في أثناء حكمه دارية غردون نفسه. ذلك أن إصرار غردون ورجاله على مطاردة

(٧٠٠) السودان المصري والانكليز . صفحات ٢٠ — ٢١

(٧٠١) شارويم ج ٤ : ص ٣٧٩ .

تجار الرقيق وخروج ما كان أشبه بالجماعات العسكرية لتعقبهم في مكانهم (٧٠٢) كان من أثره أن اضطر هؤلاء إلى اللجوء إلى أوكارهم القديمة في بحر الغزال ودارفور يلتفون حول السلطان هارون صاحب الثورة السابقة في دارفور الذي كان لا يزال معتصما في نيورنيا وسط جبل مرة المنيع ويحضون على الثورة سليمان ابن الزبير المعين من قبل غردون مديراً على بحر الغزال (٧٠٣). فلم تلبث أن وصلت الأنباء إلى الخرطوم في يولييه ١٨٧٨ أن سليمان بن الزبير قد شق عصا الطاعة على الحكومة. وكان السبب المباشر لاندلاع هيب هذه الثورة هو تصديق غردون لوشايات أعداء سليمان وأكاذيب ادريس أتر الذي استعان بفردريك روسي على إقناع غردون بأن سليمان كان يعتزم إعلان استقلاله في بحر الغزال (٧٠٤) فسير غردون حملة عسكرية على بحر الغزال عهد بقيادتها إلى چسى، واشتبك چسى في معركة دامية قريبا من (ديم سليمان) في ١٦ مارس ١٨٧٩ انهزم فيها سليمان (٧٠٥) وقبل أن يتمكن چسى من تعقب فلول جيشه اندلعت نار الثورة في كل من كردفان ودارفور؛ في كردفان على يد صباحي أحد قواد الزبير السابقين، وفي دارفور على يد السلطان هارون، فسير غردون حملة عسكرية جديدة إلى تلك الجهات تولى قيادتها بنفسه وتمكن من هزيمة صباحي وإعدامه وأرسل النجيدات إلى چسى فانتصر على ابن الزبير واحتل ديم سليمان في مايو ١٨٧٩ ثم تقابل غردون وچسى في الطويشة لبحث الخطة الواجب اتباعها لإخماد ثورة ابن الزبير نهائيا والقضاء على ثورة هارون فقر الرأي على إرسال ميسيداليا لمطاردة هارون في جبل مرة وذهب چسى

F. O. 84/1511. Slave Trade No 56 Cairo 14. 2. 1878 Lascelles to (٧٠٢)

Salisbury.

F. O. 84/1571. Slave Trade. No 9. Cairo 30.8.1879 Lascelles to Salisbury (٧٠٣)

Chaillé-Long (Prophètes) 22. فوزى ١ : ٣٥ ثم (٧٠٤)

Gessi 263. (٧٠٥)

لتعقب سليمان في ناحية كلكل بينما عاد غردون إلى فوجه . وفي فوجه وصلت غردون من القاهرة في أول يولية برقية منبئة بعزل الخديو اسماعيل فقصد توأ إلى الخرطوم وقرر مغادرة السودان في ٢٩ يولية (٧٠٦) أما چسى فقد استطاع إخماد ثورة سليمان عند ما اضطر ابن الزبير إلى التسليم هو ورجاله بعد نقاد مؤنهم وذخائرهم ووقوع الانقسام في صفوفهم . ورأى چسى أن يتخلص من سليمان نهائياً فأعدمه مع تسعة من الزعماء رمياً بالرصاص في ١٤ يولية . واستمرت العمليات العسكرية في دارفور مدة أطول اشترك فيها إلى جانب ميسيداليا كل من اميليانى مدير كوبه وسلاطين مدير داره وانقضت الثورة بقتل هارون على يد نور عنجره مدير كلكل في أول يولية ١٨٨٠ (٧٠٧) .

تلك كانت سياسة « الإلغاء » التي أصرت الحكومة الإنجليزية على تنفيذها « بدقة وأمانة » إذا شاءت حكومة الخديو أن تقيم الدليل على صدق نواياها في مكافحة الرق والنخاسة واحترام معاهدة إلغاء الرق وأبطال تجارة الرقيق في الأقاليم السودانية ثم وجد غردون نفسه مرغماً على تنفيذها « بدقة وإمانة » كذلك منذ يولية ١٨٧٨ ، فقد نشر « الإلغاء » الفوضى والاضطراب في السودان . حقيقة أمكن القضاء على ثورات سليمان بن الزبير والصباحي وهارون وهدأت كـردفان ودارفور وبحر الغزال ولكن هذا الهدوء كان ظاهرياً فقط ولا يمكن أن يدوم طويلاً لأن البلاد من أقصاها إلى أقصاها كانت تطفئ عليها موجة من التذمر الشديد والكراهية العميقة ضد الحكومة بسبب ما كان يديه عمالها « الكفار » من مغالاة شديدة وجنونية في تنفيذ سياسة « الإلغاء » العقيمة ، تلك السياسة التي هزت كيان البلاد الاقتصادى والاجتماعى هزة عنيفة وألقت بالسودان وأهله فى أتون الثورة المهدية .

المهمة

قضى على ثورات سليمان الزبير وصباحي وهارون وهدأت الحالة في البلاد
ولكن هذا الهدوء كان كما أسلفنا القول هدوءاً ظاهرياً فحسب فلم يخدع أحداً
من المعاصرين الذين أدركوا حقيقة الأمور، فراح هؤلاء يؤكدون أن النار
لم تنطفئ جذوتها تماماً، بل كانت تطفئ على الأقاليم السودانية موجة من التذمر
الشديد لا يطمئن إنسان لعواقبها^(٧٠٨) وفضلاً عن ذلك فقد أثبت قيام هذه
الثورات وخصوصاً ثورة سليمان الزبير على أكتاف تجار الرقيق، واشتباك
صيادي الرقيق أو «البحارة»^(٧٠٩) في النضال المسلح ضد الحكومة أن الجلايين كانوا
شديدي العزم على مقاومة سياسة «الإلغاء» بالسيف والنار أي بنفس الوسائل
التي لجأ إليها غردون ورجاله لتنفيذ هذه السياسة الخاطئة^(٧١٠) وعلى ذلك فقد
باتت مهمة الحكومة في الخرطوم إحكام الرقابة على نشاط تجار الرقيق
لتدعيم انتصار الحكومة الأخير عليهم ومنعهم من إلقاء البلاد في أحضان
الفوضى من جديد؛ وهذه مهمة كانت جد خطيرة ولا سبيل إلى تحقيقها إلا
إذا ظلت حكومة الخرطوم مستمتعة بما كان لها من قوة ونفوذ وفي وسعها
اتخاذ كل إجراء سريع وحاسم لاختماد أية اضطرابات جديدة قد يثيرها تجار
الرقيق.

غير أنه حدث في هذا الوقت العصيب، ما جعل استمرار الحكومة

Wilson and Felkin. II. 214 (٧٠٨)

(٧٠٩) سمى صياد وتجار الرقيق بالبحارة لأنهم كانوا يفزون في البحر الأبيض — أنظر
شفيق ج ٣ : ص ٥١

Wilson and Felkin II. 123. (٧١٠)

القوية في الخرطوم أمراً متعذراً ذلك أنه سرعان ما أخذ يذيع في كل أرجاء السودان خبر عزل الخديو اسماعيل ثم زاد من تخرج الموقف أن غردون الذي قذف الرعب في قلوب الأهالي وتجار الرقيق بنشاطه العنيف في تنفيذ سياسة الالغاء قد غادر البلاد ، فنجم عن عزل اسماعيل وذهاب غردون رد فعل شديد كانت له آثار خطيرة^(٧١١) فقد استرد تجار الرقيق ثقتهم السابقة واطمأنوا إلى إمكان مقاومة الحكومة وعادت جموعهم تحتشد مرة ثانية في بحر الغزال ودارفور ، ولم تمض شهور قليلة حتى كانت قوافل الجلابين تسير محملة بالعبيد في طرقها القديمة صوب الشرق إلى موانئ البحر الأحمر وصوب الشمال إلى الحدود المصرية .^(٧١٢) واستأنف البقارة « الغزوة » لصيد العبيد ، وزحرت كردفان بقوافل الرقيق ، وأتت سفن الجلابين من جهات النيل العليا تحمل مئات من هؤلاء المنكودين ولم يغن فتية وجود محطة حكومية مسلحة في فاشوده .^(٧١٣) وساعد على استفحال أمر تجار الرقيق أن جميع السودانيين تقريباً الذين قلدهم غردون مناصب الحكم في المديريات المختلفة بين عامي ١٨٧٧ و ١٨٧٨ ما لبثوا حتى ألقوا جانباً كل حيطة وحذر وأخذوا يتجرون بالرقيق بل ويرسلون الغزوة إثر الغزوة لصيد العبيد في دارفور وبحر الغزال وفاشودة^(٧١٤) . وكان مرد ذلك كله إلى ضعف حكومة الخرطوم التي عجزت عن وقف ذلك التيار الجارف الذي أحدثه ذهاب غردون وعزل اسماعيل^(٧١٥)

Gessi 366; Wilson and Felkin II. 128. (٧١١)

Gleichen (Handbook) 170; Gessi 366 — 7; 409, 432, 440. (٧١٢)

F. O. 84/1597 Slave Trade No 35 Cairo 27. 10. 1881. (Confid. Enclos. (٧١٣)

Giegler to Malet, Obeid 29. 8. 1881; No 10 Cairo 21. 2. 1881 Malet to Granville. Enclos. Letter from Don Leon Henriot to Hanzal. Delen 6. 8. 1880; 13 Cairo 7. 3. 1881. Enclos. Letter from Dr Schweinfurth to Malet. 22.2. 1881.

F. O. 84/1597 Slave Trade, No 19 Cairo 4.4.1881 Malet to Granville (٧١٤)

Vizetelly 160- (٧١٥)

وعند ما ظلت إنجلترا تضغط على حكومة الخديو توفيق من أجل تنفيذ معاهدة الرقيق « بدقة وأمانة » لم تفد شيئاً بإجراءات الحكماء الجديد محمد رموف باشا في القضاء على تجارة الرقيق بل كان من أثرها زيادة تدمير الأهاليين من جهة ، وزيادة في تصميم تجار الرقيق على الثورة المسلحة من جهة أخرى .

وكان السبب في استمرار الضغط من جانب إنجلترا أن حكومتها كانت لا تزال واقعة تحت ضغط (جماعة إلغاء الرق) الانجليزية ، وكانت أشد ما تخشاه هذه الجماعة وقتئذ أن يدعو عزل اسماعيل واستقالة غردون إلى ازدهار تجارة الرقيق ، فبادرت الحكومة الانجليزية بإرسال تعليماتها إلى (مالت) قنصلها في مصر في مارس ١٨٨٠ حتى يبين للخديو توفيق باشا اهتمام إنجلترا بضرورة القضاء على هذه التجارة الشائنة ^(٧١٦) ولما كانت القاهرة لم تفرغ بعد من إعداد تعليماتها إلى الحكماء الجديد ، فقد اشتملت هذه التعليمات على ضرورة القضاء على تجارة الرقيق قضاء مبرما ، وفضلا عن ذلك فقد اعتبر الخديو رموف باشا مسئولا عن أى فشل قد يودى وقوعه إلى استئناف تجار الرقيق نشاطهم المرذول . ثم سلمت حكومة القاهرة صورة من هذه التعليمات إلى (مالت) برهانا على صدق نواياها ^(٧١٧) ولذلك فقد بات محتملا على الحكماء الجديد أن يمحضى قدما في تنفيذ سياسة الإلغاء بكل هممة ^(٧١٨) ، ثم تجنب كل عمل من شأنه إثارة شكوك إنجلترا على وجه الخصوص في نوايا الحكومة الخديوية .

F.O. 84/1572 Slave Trade No 3 Salisbury to Malet F.O. 29.3.1880. (٧١٦)

F. O. 84/1572 No 6 Cairo 20.3/1880 Malet to Salisbury. Enclos Letter (٧١٧) de S. A. Le Khedive à S. E. Le Gouv-Général du Soudan 3 Rabi Akhar 1297 (15.3. 1880); No 4 Cairo 17.3.1880 Malet to Salisbury.

F.O. 84/1572 Slave Trade No 33 Gairo 19.10. 1880 Malet to (٧١٨) Granville Enclos. Ministère de la Guerre. Trad. d'une lettre par Giegler Pacha 20.9,1880,

وعلى ذلك لم يشأ رؤوف عند وصوله إلى الخرطوم في يونيو ١٨٨٠ أن يحدث تغييرا فيما وضعه غردون من ترتيبات فأبقى الأوروبيين الذين يملثون وظائف الحكم والادارة في مختلف أنحاء السودان في أماكنهم ، ثم أصدر إليهم الأوامر المشددة بضرورة الاستمرار في مكافحة الرق والنخاسة بكل هممة . وكان الانجليزى لبتون بك Lupton قد تسلم حكومة بحر الغزال بعد أن استقال منها الإيطالى جيسى Gessi ، بينما ظل فى دارفور كل من سلاتين وإميليانى وميسيداليا ، وفى مديرية خط الاستواء أمين بك (الدكتور شنتزر) ، ثم عين رؤوف أوروبيا آخر « مفتشا » فى فاشودة النمساوى أرنست مارنو Ernest Marno ^(٧١٩) ، وشمر رؤوف عن ساعد الجد والنشاط فى العمل ، فأغلق طرق القوافل بين دارفور ومصر ، وكان الجلابون قد بدأوا يستخدمونها بعد ذهاب غردون ، ومنع تصدير الرقيق فى كوبة والفاشر ، وحوكم المتجرون بالرقيق أمام المحاكم العسكرية ووقعت عقوبة الاعدام على عدد من هؤلاء ^(٧٢٠) وعمل على تحرير الإماء فى السودان الشرقى وكن يستخدمن فى أغراض غير شريفة ^(٧٢١) وحرصت حكومة الخديو على إبلاغ ذلك كله إلى القنصل الإنجليزى .

غير أن هذه الاجراءات لم تفد شيئا فى وقف نشاط الجلابين ، بل زاد هؤلاء نشاطا على نشاطهم ووصلت الشكاوى إلى القاهرة عن إزدهار تجارة الرقيق ، وأخذت التقارير تترى على القنصل الإنجليزى فى مصر وأصفة عجز

Ibid; also Gleichen (Handbook) 176; Report on the Egyptian ^(٧١٩)
Provinces 31-32.

F. O. 84/1572 Slave Trade No 22 Cairo 23. 6. 1880 Malet to Salis- ^(٧٢٠)
bury, No 43. Cairo 10-11-1880 Malet to Granville (Confid); No 48
Cairo 13.12.1880.

Mokhtar (Dans le Soudan Oriental). p. 14. ^(٧٢١)

حكومة الخرطوم عن تنفيذ معاهدة الرقيق ، ويتهم أصحابها موظفي هذه الحكومة بالابتجار بالعبيد (٧٢٢) .

ولا جدال في أن هذه الشكاوى كانت صحيحة وكان لاختفاق رؤوف أسباب عدة لعل أهمها أن الحكماء الجدد عمد إلى « عزل كثير من الجند بدعوى انقاص النفقات » وذلك حتى يصلح مالية السودان بعد النفقات الطائلة التي تسببتها البلاد أيام غردون بسبب أعداد الحملات العسكرية لمطاردة تجار الرقيق ثم لاختفاء ثوراتهم وبسبب المرتبات الكبيرة التي أخذها الموظفون والمديرون الأوروبيون ، فشجع نقص الجند وضعف الحاميات تجار الرقيق على الازدراء بسلطان الحكومة والاستخفاف برجالها (٧٢٣) .

أضف إلى ذلك أن المديرين والموظفين إلى جانب نشاطهم في تنفيذ سياسة الإلغاء ، لم يكونوا فوق الشبهات في أغراضهم ونواياهم حتى أن صاحب كتاب (السودان المصري والانكليز) كان لا يرى في أعمالهم إلا خطة مرسومة يبغون من اتباعها استفزاز شعور الأهالي وإثارة كوامن الحقد في نفوسهم ضد الحكومة الخديوية وتحريك « الفتنة الراقدة » على أيدي الجلايين وتجار الرقيق ، لا هم لهم إلا ملء جيوبهم بالأموال وإذاعة الرشوة ، وفرض المغارم الفادحة ، والامعان في القسوة عند جباية الضرائب والتكليل بالأهالي تنكيلا شديدا إذا قصر هؤلاء في أداء « الطلبة » وسائر الضرائب ، بدعوى أنهم ما قسوا في فرض هذه المغارم وجمع الأموال إلا تنفيذ أوامر الحكومة ، ثم لم يكتفوا بفعل ذلك بل صاروا يحرضون الأهالي في الوقت نفسه على نيل طاعة الحكومة (٧٢٤) ويسوق صاحب الكتاب أمثلة عدة يؤيد بها صدق ما يقول والمعروف أن صاحب كتاب السودان المصري والانكليز هو الشيخ

(٧٢٢) Felkin (The Egyptian Soudan) 232; Vizetelly 24.

(٧٢٣) السودان المصري والانكليز . ص ١٥٣ — ١٥٤ .

(٨٢٤) السودان المصري والانكليز . صفحات ٤٥٤٢ ، ٤٥٤٩ ، ٤٥٥٢ ، ١٤٧٠ الخ ...

محمود القباني ، من الذين شهدوا هذا الحوادث أيام غردون ورؤوف ، ودون
في كتابه جميع ما وقف عليه بنفسه من حوادث أو بلغه من السودانيين أنفسهم
وأضحى في منزلة الحقائق الذائعة التي اعتقد بصحتها وآمن بصدقها أهل البلاد
في ذلك الحين وفضلا عن ذلك فقد اعتمد الشيخ محمود القباني فيما دونه على
« مجموعة (وجدها) في خزانة المهدي بعد وفاته بخطه مقسومة الى أربعة أقسام »
وأما الموظفون السودانيون الذين عينهم غردون ثم أبقاهم رؤوف ، فقد اتفقت
كلمة المعاصرين على أنهم كانوا يأخذون الرشوة ويتجرون بالرقيق ، ويعاملون
أبناء جلدتهم بقسوة بالغة . فلا عجب إذن إذا أخفق محمد رؤوف بسبب هذه
الصعوبات في القيام بالمهمة التي عهد بها اليه الخديو توفيق والقضاء على تجارة
الرقيق ، ومع ذلك فقد كان من أثر الشكاوى التي بلغت القاهرة أن بادرت
الحكومة الانجليزية تطلب من جديد أن يبذل حكمدار السودان كل ما وسعه
من جهد وحيلة في مطاردة الجلابين واقتلاع جذور تجارتهم الشائنة ، وطلب
الى رؤوف في ديسمبر ١٨٨٠ أن « يضاعف جهوده ، من أجل القضاء على
تجارة الرقيق »^(٧٢٥) وصدع رؤوف بالأمر ، فأدى ذلك إلى زيادة التدمير ونمو
البغض والكراهية ضد الحكومة ليس فقط بين تجار الرقيق بل وبين السودانيين
عموما الذين اتحدوا الآن مع تجار الرقيق تحذوهم جميعا الرغبة في التخلص
من حكم « المصريين » . وكان وجه الخطورة في هذه الرغبة الجديدة ، ان
الاضطرابات والثورات السابقة كان قوامها الجلابون والنخاسون فحسب ، أما
الآن فقد انضم الأهليون إلى تجار الرقيق يشدون من أزهرهم ، ويتحفزون
لثورة عند سنوح الفرصة ، لافرق في ذلك بين صغار القوم وكبارهم طالما
أنهم كانوا ينتظرون الخلاص مما هم فيه من شرمستطير بزوال تلك الحكومة

التي أهلك عمالها الألوف من أبنائهم وذوى قرباهم وضيقوا عليهم سبيل العيش، وأخذوهم بالقسوة والعنف وجعلوا الحياة هينة رخيصة في وجوههم . وكان من أسباب هذا التذمر ولا شك سياسة الإلغاء الصارمة ، في وقت كان أهل البلاد يعتقدون فيه أن الرق من النظم التي أقرتها عقائدهم الدينية ، وتعذرت عليهم الملائمة بين ما أرادته الحكومة وما درجوا عليه في حياتهم الخاصة والعامة من أجيال طويلة ، وأضاع عليهم إلغاء الرق مورداً كبيراً من موارد الرزق، (٧٢٦) وفضلاً عن ذلك فإنه بمجرد أن بدأ غردون يعمل لتنفيذ معاهدة الرقيق أنهز كثير من الرقيق هذه الفرصة فطلبوا تحريرهم وحصلوا من الحكومة على أوراق العتق دون أن يستطيعوا إثبات سوء معاملة أسيادهم لهم ، وزاد الطين بلة أن هؤلاء الأسياد لم يعوضوهم شيئاً عن هذه الخسائر الفادحة . وعلاوة على ذلك فقد تعذر الاتجار بالرقيق بسبب احتكار الحكومة للتجارة عموماً (٧٢٧) فشعر الناس بالضيق الشديد .

وزاد من شدة هذا الضيق ، أن غردون كان قد خيل إليه أن من وسائل مكافحة الرق والنخاسة ، زيادة الضرائب زيادة فاحشة حتى يلحق الأذى بتجار الرقيق الأغنياء على وجه الخصوص ، ويضطروهم إلى الإفلاس في النهاية ، فضرب غردون وأعووانه على زق العسل أربعين قرشاً مع أنه لا يساوى إلا خمسة غروش فقط وجعلوا على قنطار البن ٨٠ قرشاً مع أن ثمنه ٦٠ قرشاً لا غير ، فقامت قائمة التجار ورفعوا عريضة إلى الحكمدار غردون يشكون إليه من لائحة المكوس والدخوليات الجديدة ، فعنفهم وقال لهم إنكم نخاسون تجلبون الأرقاء من بلاد الحبشة وإني أريد قطع تجارتكم هذه ثم أصدر أمراً بأن كل من شك من هذه اللائحة يحاكم طبقاً لللائحة بيع

الأرقاء ، وذلك كفعله مع زملائهم التجار في دارفور ، (٧٢٨) ووضع غردون العراقيل في وجه الأحباش الذين يريدون تصدير بضائعهم إلى السودان ومصر ، وزاد الضرائب على سائر الأهلين ، وكانت هذه « مجموعة في جزية — (الطلبة) — أقلها ٣٠ قرشا يفرضها المشايخ والعرفاء على كل شخص » جرت الحكومة على تحصيلها من أيام محمد سعيد بدلا من ضريبة الأتبان في جميع مديريات السودان عدا مديرتي بربر ودنقلة ، فرفعها غردون إلى خمسمائة قرش « وكان الجباة يحملون قدر ثلث الجزية إلى ناظر القسم وقدر الثلث إلى المدير وقدر الثلث الثالث إلى الخديوى ، (وكان غردون والمديرون الأوروبيون وعمالهم) يبلغون الأهالي أنهم يسرون في هذا العمل على مقتضى أوامر خديوى مصر ويسمون الثلث بحقوق الخديوى الأعظم » . وأصاب كثيرون من هؤلاء المديرين من جباية الضرائب على هذه الصورة ثروة جسيمة كما فعل چسى الإيطالى ولبتون الإنجليزى وغيرهم (٧٢٩) وعظم بؤس الأهلين وشقاؤهم عندما عمد غردون إلى تنفيذ سياسة إلغاء الرق تنفيذا لا شفقة فيه ولا رحمة ، منذ عام ١٨٧٨ وظلت الضرائب مرتفعة (٧٣٠)

وزاد في بؤس الأهلين وشقاؤهم أن جباة هذه الضرائب كانوا من العساكر الباشبوزق المعروفين بوحشية الطباع وشراسة الخلق والشراسة والنهم ، وإزاء كل هذه الصعوبات والأخطار وهذا الظلم الفادح اضطر كثيرون إلى الفرار من جباة الضرائب والاعتصام بالجبال التى لا نفوذ للحكومة بها كجبال تقلى والنوبة وقدير وجرادة وغيرها فاشتدت الفاقة وكثرت اللصوصية وأقفرت القرى والدساكر من ساكنيها ، ووقع عبء « الطلبة » على أولئك الذين لم

(٧٢٨) السودان المصرى والانكليز . ص ٣٢

(٧٢٩) السودان المصرى والانكليز . صفحات ٣٣، ٤٢، ٤٣، ٤٨، ٤٩ .

(٧٣٠) Russell. (Ruin). 18.

يستطيعوا اللحاق لسبب من الأسباب باخوانهم ، « فاشتدت وطأة الظلم على الذين لم ينزحوا (الى الجبال) وعمت الفوضى جميع الأنحاء السودانية » (٧١) . وكان من أسباب الشكوى المريرة أن السودانيين صاروا « لا يجدون محكمة تفصل بينهم في قضاياهم المدنية والجنائية (بل) كان غردون كلما جاءه مظلوم يقول له استعن على خلاص حقت بقوة عشيرتك ، وأن لم تكن لك عشيرة فاقتل خصمك » ، ويذكر الشيخ محمود القباني مثلاً لذلك واقعة « رجلين من سكان الخرطوم أحدهما يدعى ادريس النور والآخر موسى النقراني كان بينهما قضية مدنية ، فأخذ غوردون أوراقها وحرقها وقال للخصمين اذهبا فتحكما أمام الله لأن بنى الانسان لا يستطيعون الحكم بينكما » ، ويؤكد الشيخ أن أحد الخصمين حتى يصل إلى غرضه من ابطال دعوة غريمه قد رشا سكرتير غردون ، محمد بك التهامي ؛ « وكان غردون يبيع له تناول الرشوة علناً وسلك المديرون صنائع غردون نفس المسلك » فكانت المحاكم في تلك الأيام بيد الجهلاء والسوقة الذين لا يعرفون إلا تجارة الصمغ والريش ولكن القاضى هو المدير المأجور وكان يأخذ على القضية رسماً فاحشاً ولا يفصل فيها بل كان يقول لأصحابها من كان منكم قويا فليخلص حقه من صاحبه » (٧٢)

وفضلاً عن ذلك فقد تهاون غردون ورجاله في احترام شعور الأهلين الدينى وعاداتهم ، فأجازوا اقامة العاهرات بجوار الزوايا ، ولم يقد شيئاً في منع هذا المنكر احتجاج أحد شيوخ السودان المعروفين بالصالح والتقوى الشيخ على عبد الله شيخ السجادة القادرية فى الخرطوم ، ورد غردون على احتجاج الشيخ رداً قبيحاً ، وكذلك بلغ من استهتار غردون ورجاله بالتقاليد الإسلامية حداً جعلهم يشجعون الاعتداء « على سنن الزواج فى الشريعة الإسلامية » بدعوى

(٧١) السودان المصرى والانكليز . ص ٥٦ ، ١٤٧ ثم انظر Buchtla (Story) 14; Boulger II, 114.

(٧٢) السودان المصرى والانكليز . ص ١٤٨ ، ٤٩ .

« أن الدنيا حرة » (٧٣٣) وهكذا وجد رؤوف عند حضوره الى الخرطوم أن السودان يغلي بمراحل الحقد والثورة . كتب أحد العلماء السودانين كتابا الى أحد الأساتذة المدرسين في الأزهر وصف له فيه حالة السودان في سنة ١٢٩٥ هجرية (١٨٧٨) ، فقال « أن الحكومة كأسد كامر والأهالى كأنعام ضالة لاراعى لها غير الأسد . هذه حالنا اليوم أما أنا فانتى أؤكد لك أن هذه الأحوال لاتدوم إلا أياما قلائل وسترى أن الاغنام السود ستقلب الى ذئاب وسيرأسها أسد كاسر ويموت الأسد الظالم شر ميتة » وأما « هذا الأسد الكاسر » فكان فقيه آبا محمد احمد الذى ادعى المهديّة بعد ذلك .

ولد هذا الرجل فى جزيرة ضرار فى مديرية دنقلة ، وانتقل به أبواه وهو صغير إلى الخرطوم ، وأظهر محمد أحمد فى حياته ميلا شديدا لتعلم العلوم الدينية واندمج فى سلك الشيعة السمانية واشتهر بالورع والتقوى والزهد ، فالتف حوله التلاميذ وأنشأ « مدرسة » بالخرطوم فى عام ١٢٨٠ هجرية (١٨٦٣ - ١٨٦٤) ثم انتقل ، بعد عشر سنوات الى جزيرة آبا فى النيل (البحر) الأبيض حوالى خمسين ومائتى ميل جنوبى الخرطوم للانقطاع للعبادة . وبدأ من ذلك الحين ينشر دعوته بصورة جدية إلى ضرورة تحرير العقيدة الاسلامية مما لحق بها من شوائب وإعادة مجد الإسلام القديم (٧٣٤) .

وجعل الفقيه كل اعتماده فى نجاح دعوته على تجار الرقيق . ولما كانت جزيرة آبا وسط النيل الأبيض تقع فى طريق الجلابين والنخاسين فقد صار يقصده هؤلاء عند خروجهم لصيد الرقيق يتبركون به وينذرون له النذور يوفون بها اذا رجعوا سالمين غانمين ، حتى اذا عاد النخاسون من حملاتهم فى بحر الغزال وبحر الجبل والسوبات وغير ذلك من مواطن صيد الرقيق ، أظهر اشفاقه

(٧٣٣) السودان المصرى والانكليز . ص ٥٣ ، ١٥١

(٧٣٤) Slatin 44; Gozzi 181; Budge II 242.

عليهم وترحم على من « استشهد » من رفقاءهم على أيدي بيكر وغردون وبشرهم بأن الفرج من هذا الضيق آت لا ريب فيه يوم يظهر المهدي .

وذاع صيت الفقيه فقصده الناس من كل حذب وصوب شاكين له ما حاق بهم من عذاب وما نزل بهم من صنوف المظالم على أيدي عمال الحكومة يسألونه النصيحة والإرشاد . على أن الفقيه لم يقبض في جزيرته بل أخذ يسهى إلى القرى والديساكر يستتر بدنه جبة مرقعة وفي يده مسبحة وعكاز وأبريق من الفخار فيهرع الناس ليتبركوا بالفقيه الفقير لما اشتهر عنه من ورع وتقوى ، ويجول الرجل بين منازل القرية وأكواخها حتى إذا ترامت إلى أذنه أصوات النساء خلف الجدران وهن يجهشن بالبكاء ويندبن من « استشهد » من ذوى القربى في غزوات صيد الرقيق على أيدي « الكفار » الأوروبيين اطلق زفرات الأسى والتوجع واخذ يستثير حماسة الملتفين حوله ورجواتهم حتى يعملوا على رفع هذا الظلم ومقاومة ذلك الطغيان .

وقوى نفوذ محمد احمد عند ما اشتط غردون والمديرون الأوروبيون « الكفار » — كما نعتهم أهل البلاد — في تنفيذ معاهدة الرقيق وهلاك مئات الألوف من تجار الرقيق والأهلين الضالعين معهم ، وثقلت وطأة الضائقة المالية عليهم وسامهم جباة الضرائب من العذاب صنوفا وألوانا ، وظهر استهتار غردون وصنائعه من الأوروبيين خصوصا بتقاليد القوم وشعائهم الدينية ، وقد اضطر محمد احمد في إحدى المناسبات إلى الاحتجاج على هذه التصرفات الشاذة المثيرة ولكن دون جدوى .

ووجد محمد احمد في انتشار التذمر وتغلغل الحقد في النفوس فرصة موثقة لبث دعايته وتأليب الأهلين على الحكومة فصار يقصد الاجتماعات التي كان يعقدها بعض كبار السودانيين في السودان الأوسط خصوصا ثم في كردفان ، لتدبر الأمر « يعدد رزايا الإسلام ويحرض الناس على الجهاد

في سبيل الله « ذلك أن فقيه آبا كان قد انقلب من داعية ديني إلى « مصلح » سياسي واجتماعي خطير ، يدين بآراء في السياسة والاقتصاد والاجتماع لا سبيل إلى تحقيقها إلا بطرد المصريين من السودان وانهاء عهد « التركية » فقد عزا محمد احمد إلى المصريين والترك ما لحق بالشرعية الغراء من تحقير وإهانة ، لأن هؤلاء بوصفهم حكاما كان دأبهم على حد قوله ارتكاب الأعمال المنافية لمبادئ الشريعة السامية . (٧٣٥) وكان من رأيه أن طرد المصريين من السودان كفيل وحده بإعادة الأمن والنظام إلى نصابهما وتحقيق العدالة ونشر ألوية السلام ؛ وأعلن أن العشور أو الزكاة فقط التي نص عليها القرآن الكريم هي كل ما يجب جبايته من ضرائب (٧٣٦) ، ثم دعا إلى شيوع الملكية ، فلا يستأثر مؤمن بمال أو عقار دون أخيه المؤمن ، بل توزع الثروة على الجميع بالتساوي . (٧٣٧) وكانت هذه آراء جديدة سرعان ما صادفت هوى في نفوس السودانيين فانضوا تحت لوائه ، وسهل عليهم أن يؤمنوا بأنه « المهدي المنتظر » حقيقة . وكان أعظم هؤلاء ايمانا تجار الرقيق الذين انتظروا « الرخاء » إذا تحقق طرد المصريين على يد هذا الفقيه (٧٣٨) .

واستهوت هذه الآراء والنظريات ، على وجه الخصوص لب عبد الله التعايشي وكان وقتئذ أخطر زعماء البقارة صيادي الرقيق شأنا وأشد هم بأسا وقوة فقصده محمد احمد واستحثه على إعلان دعوته بأنه المهدي المنتظر ، على شريطة أن يستوزره ، وكان عبد الله رجلا من اوغا طموحا لا تفوته فرصة دون أن يغتنمها عرض في السنوات الخوالي على الزبير رحمة بعد فتح دارفور أن يعلن

Ohrwalder. 7. (٧٣٥)

Why Gordon Perished 24; Sartorius 45. (٧٣٦)

Gozzi 182. (٧٣٧)

(٧٣٨) عابدين . المعية . حافظة ٢ شميز ٢ نمرة الحفظ ٢ (ترجمة المهدي) .

الزبير أن المهدي المنتظر ، فرفض الزبير ذلك وأنب عبد الله تأنيبا عنيفاً ، فوجد الآن في فقيهه آبا ضالته المنشودة (٧٣٩) . ولما كان البقارة تجار الرقيق خير من يمكن الاعتماد عليهم لترويج « المهديّة » لما ذاع من عدائهم للحكومة ، ولما كانت تقتضيه مصالحتهم ورواج تجارتهم الشائنة من مؤازرة كل من يدعو إلى ضرورة إخلاء البلاد من المصريين ، فقد حرص محمد أحمد على استمالتهم إلى تأييده ، وقبل عروض عبد الله التعايشي ، وكتب هنزل Hanzal القنصل النمساوي بالخرطوم أن الأخبار قد وصلت من جزيرة آبا إلى الخرطوم في يولييه ١٨٨١ منبئة بأن الفقيه قد أعلن على الملأ أنه المهدي المنتظر ، وكلف من قبل الله تعالى بتأسيس دولة اسلامية مترامية الأطراف تكون عاصمتها مكة المكرمة (٧٤٠) فكانت المهديّة .

غير أن صعوبات عدة سرعان ما اعترضت سبيل محمد أحمد ورفيقه التعايشي ، عندما وجدا أنه من المتعذر عليهما دفع الأهلى الى الانتفاض على الحكومة المصرية ، لأن هؤلاء كانوا يعزّون ما أصابهم من أذى ولحق بهم من ضر الى عمال الحكومة الأجانب والأوربيين « الكفار » وأذنانهم والضالعين معهم من مواطنيهم أنفسهم بما عدوا حكومة المصريين بريئة منه ولا يسوغ شرعا الثورة عليها ، وتمسك كثيرون من كبار السودانيين بولائهم لها ، نذكر منهم السيد احمد الأزهرى ابن الشيخ اسماعيل الولى الكردوفانى الكبير (جد الأستاذ اسماعيل الأزهرى رئيس الوفد السودانى فى مصر) ، ونجيب بك بطراكى ومحمد بك الملك ، وفرج باشا الزينى وحسين باشا خليفة والشيخ حسين عبد الرحيم شيخ الدويم والشيخ عبد القادر قاضى

(٧٣٩) شقير ٣ : ٧١ — ٧٢ ، ١٢٠ ، ثم Wingate (Mahdism) 36, 228.

(٧٤٠) Staat-Archiv-Gen. Cons. 1881. No. 108. Cairo 17.9.1881, Enclos

Khartoum. 15.8.1881. Hanzal à Baleslawski.

وسيلة للخلاص من تلك الحكومة الظالمة ونسوا الانكليز العاملين باسمها
والمسيبين لتلك القلاقل والمشاكل ، (٧٤٢) .

وبالرغم من خطورة هذه الحركة التي كان يقوم بها محمد أحمد وزميله
التعايشي ظل حكام السودان محمد رؤوف باشا يجمل حقيقتها ، ولا يوليها
ما تستحقه من عناية واهتمام فأضاع الوقت في فحص مسألة «المهدى» والتثبت
من صدق دعواه ، وأوفد إلى آبا جماعة من المشايخ لمناقشة الفقيه ، ومع أن
هؤلاء عادوا يؤكدون كذب دعوى المهدي وأخبروا الحكمدار بأن عددا
كبيرا من الأتباع المتعصبين يحيطون بالفقيه وأن الواجب يقضى على رؤوف
بأن يرسل في التو والساعة قوة عسكرية كبيرة لاختاد هذه الفتنة ، (٧٤٣) فقد
اكتفى رؤوف بارسال حوالى المائتين من الجنود للقبض على الفقيه ، فكان
نصيب هؤلاء الهزيمة (اغسطس ١٨٨١) وذاع صيت المهدي ، بعد هذا الانتصار
الرخيص على قوات الحكومة ، ثم غادر آبا الى الكردفان بين البقارة أنصاره
الأشداء ، فأرسل رؤوف حملة أخرى لتعقبه كان مصيرها كذلك الفشل ،
وتحصن المهدي في جبل قدير واستطاع أن يلحق بقوات الحكومة هزيمة جديدة
في ديسمبر ١٨٨١ فانتشرت أخبار انتصارات المهدي في الكردفان ودارفور
وسنار والسودان الشرقي بين بربر وساحل البحر الأحمر (٧٤٤) ، فاستدعى
رؤوف الى القاهرة في فبراير ١٨٨٢ وبعد شهر واحد من ذهابه وصلت الأخبار
الى الخرطوم منبهة بقيام الثورة في سنار (ابريل) (٧٤٥) ، وهكذا لم تعد الثورة
محصورة في كردفان بل عمت الآن أرجاء السودان .

(٧٤٢) السودان المصري والانكليز ص ٥٠

Staat-Archiv. Gen Cons. 1881. No. 96/pol. Cairo 21.8.1881. Bales- (٧٤٣)

lawski á Haymerle. Enclos. Copie "Un Faux Prophète dans le
Soudan": No 108. Cairo 17.9.1881; Enclos Khartoum 15.8.1881.

(Letter of Hanzal).

Staat-Archiv, Egypt. Rapp. Dep. Varia 1882—1884. No 96. Cairo (٧٤٤)

5.31.1882. Enclos No 67 Khartoum 11.4.1882. Hanzal to Rasjek

Buchta (Story) 244. (٧٤٥)

وكان السبب الأكبر في أخفاق رؤوف إلى جانب اعتقاده بقلة أهمية الحركة التي يقومها فقيه آباوزميلة النعاشي ، أنه لم يكن لديه من القوات ما يكفي للقيام بالعمليات العسكرية على نطاق واسع ، ومرد ذلك إلى اشتغال الثورة في مصر على يد أحمد عرابي في ذلك الوقت ، فقد عجزت حكومة القاهرة عن إرسال النجندات العسكرية إلى السودان ، وكان كل مافعلته عند ماوصلتها أخبار المهدي أن بعثت بتعليماتها المشددة إلى رؤوف باشا ، تدعوه إلى العمل الحاسم السريع للاقتصاص من المهدي الكاذب وأتباعه المارقين ، (٧٤٦) وارتكبت حكومة القاهرة نفس الخطأ ، فأوفدت أقدر رجالها العسكريين عبد القادر باشا حلي وليكن دون أن ترسل معه أية نجندات ، ومع أنه أخضع الثورة في سنار فقد استطاع المهديون الاستيلاء على الأبيض في ١٩ يناير ١٨٨٣ ، واستدعى عبد القادر إلى القاهرة ، وعين بدلا منه علاء الدين باشا وحضر معه هيكس باشا (Hicks) وتألقت القوة التي جاء بها من فلول جيش عرابي المنحل وقرر هيكس الخروج بجيشه لقتال المهدي في كردفان ، فكان نصيبه الموت ومصير جيشه الفناء في موقعة شيكان في ٥ نوفمبر ١٨٨٣ ، فقوى مركز المهدي جنوب الخرطوم ، وانتشرت الثورة في السودان الشرقي إلى ساحل البحر الأحمر وفضلا عن ذلك فقد بدأت من ذلك الحين حركات الشوار التي انتهت بتضييق الحصار على الخرطوم ذاتها (٧٤٧) فقد اضطر سلاتين إلى تسليم داره (في ديسمبر) ثم سقطت الفاشر في يناير من العام التالي وسقطت دارفور بأجمعها في قبضة المهديين . (٧٤٨)

Staat-Archiv. Gen. Cons. 1881. No. 96/Pol. Cairo 21.8.1881. Bales- (٧٤٦) lawski à Haymerle.

Frank Power 50; Ohrwalder 183; Slatin 128. ١٨٣: ٣ — ١٨٥ م (٧٤٧)
Slatin 84-122; 136-153, 188-189; Gordon (Journals) 21, 453, 579. (٧٤٨)

ثم أنظر أيضا . عابدين . محاضرة ٢ شميز ٢ نمرة الحفظ ٤ — ملخص الحوادث منذ ظهور المهدي

وفي بحر الغزال أفضت هزيمة هيكس إلى عزل هذه المديرية وبعد مقاومة طويلة اضطر لبتون بك Lupton إلى التسليم في أبريل ١٨٨٤^(٧٤٩) وبعد سقوط الأبيض في كردفان بسبب خيانة الياس باشا أحد صنائع غردون بدأ عثمان دقنه تاجر الرقيق القديم بسواكن الثورة ضد الحكومة في السودان الشرقي بالهجوم على سنكات في أغسطس ١٨٨٣ ثم حاصر سنكات وطوكر ولم تفلح حملات مونكريف Moncrieff ، وقالنتين بيكر Valentine Baker من أقرباء السير صمويل ، في تخليصها ، ومع أن الجنرال (جراهام) Graham أحرز بضعة انتصارات على عثمان دقنه فقد سقطت طوكر في أيدي الثوار ، واضطر جراهام إلى الانسحاب والعودة إلى مصر . (أبريل ١٨٨٤) عندما قررت الحكومة الإنجليزية إخلاء السودان . ثم أخليت سواكن بعد ذلك في مايو سنة ١٨٨٥^(٧٥٠) .

وفي مديرية خط الاستواء ، ظل مديرها أمين (الدكتور شنيتزر) في عزلة تامة منذ أبريل ١٨٨٣ وازداد موقفه حرجة بعد هزيمة هيكس وتسليم سلاتين ولبتون ، وبدأ الدراويش هجومهم على مديريته بعد استيلائهم على بحر الغزال فحاصروا (أمادي) حتى سقطت في أيديهم في فبراير سنة ١٨٨٤ ولما كانت هذه قرية من اللادو عاصمة المديرية فقد توقع أمين « انقضاء الدراويش بين لحظة وأخرى على جميع مراكزه في الجنوب والشرق ، والغرب »^(٧٥١) ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث لأن الدراويش في ذلك الوقت كانوا يستعدون لبلوغ غايتهم الكبرى بالاستيلاء على الخرطوم ذاتها .

Junker (Travels 1879-1883) pp. 285-6; Mounteny-Jephson 259-60; (٧٤٩)

شقيز ٣ : ١٩٥ — ١٩٩ Scott-Keltie 149-150; Casati I 286-7;

Wingate (Chronological Index) 37,39; Royle III. p 11; Levi 7-8. (٧٥٠)

Pimblett, 27,48 Stanley (In Darkest Africa) 25-27 (Felkin (and Others) (٧٥١)

ذلك أن حكومة غلادستون ، منذ أن وصلتها أنباء هزيمة هيكس كانت قد قررت اخلاء السودان وجعل حدود مصر الجنوبية عند وادى حلفا واسوان (نوفمبر وديسمبر ١٨٨٣)^(٧٥٢) ولم تغن احتجاجات شريف باشا والوزراء المصريين شيئا في حمل الانجليز على النزول عن آرائهم واضطر شريف إلى الاستقالة في يناير ١٨٨٤ ، ووقع اختيار الحكومة الانجليزية على غردون باشا لتنفيذ سياسة الإخلاء في الشهر نفسه . وبلغ غردون الخرطوم في ١٨ فبراير ١٨٨٤ . وشرع ينفذ الاخلاء ، وتألف برنامج غردون من أمور ثلاثة ، إخلاء الخرطوم من غير المحاربين والأطفال والنساء ، سواء أكان هؤلاء من الأوروبيين أو من جنسيات أخرى ماداموا يرغبون في ذلك ؛ وإخلاء السودان اخلاء تاما من جميع الحاميات المبعثرة في أرجائه ، ثم اتخاذ العدة لإقامة نوع من الحكومة إذا كان ذلك ممكنا لإدارة شئون البلاد بعد انسحاب الحكومة الخديوية على شريطة ألا يبقى بالبلاد جنود مصريون يعاونون الأهالي في إنشاء حكومتهم الجديدة^(٧٥٣) ؛ غير أن أسبابا كثيرة سرعان ما عطلت الإخلاء ولعل أهمها أن غردون عند وصوله إلى الخرطوم أذاع أن « حملة انجليزية ، كانت في طريقها إلى الخرطوم ، ففضل الأهليون البقاء بها ، وعلاوة على ذلك فقد شهد هؤلاء الجند المصريين يغادرون العاصمة ، بينما لم يغادرها جندي سوداني واحد ، أضف إلى هذا أن غردون بدلا من الإسراع في تنفيذ الإخلاء ، قضى الوقت يبحث في خير الطرق لإنشاء الحكومة الوطنية الجديدة . فشاع الاعتقاد بأن غردون لا يريد ترك الخرطوم وأن « الحملة الانجليزية ، في طريقها حقيقة لتخليص السودان من طغيان المهدية »^(٧٥٤)

Fitzmaurice I. 319-320; Russell (Ruin) 39; Cromer II. 294. (٧٥٢)

Colvin 67. (٧٥٣)

Russell (Ruin) 57-8; Ohrwalder 123, Frank Power 73, Daryl 44. (٧٥٤)

وأضاع غردون وقتاً ثميناً عندما أخذ يرسم برنامج الحكومة المقبلة وقضى
زمناً طويلاً يحاول دون جدوى اقناع حكومته بإرسال الزبير رحمة من القاهرة
لتسليم زمام الأمور في الخرطوم « بعد الاخلاء » وعندما قرر الانجليز نهائياً
في ١١ مارس ١٨٨٤ عدم إرسال الزبير إلى السودان ، كان الدراويش
قد ألقوا على الخرطوم من كل جانب ، ولم يبق مفتوحاً سوى طريق بربر ،
وأوضحت « المشكلة » الحقيقية هي تخليص غردون نفسه ونجاة الحامية الصغيرة
التي بقيت معه . (٧٥٥) وذلك أن غردون أرسل من الخرطوم يوم ١١ مارس
يقول إن الثوار لا يبعدون عن العاصمة سوى ساعات على النيل الأزرق وأنهم
يطوقون الخرطوم تماماً . وفي اليوم التالي قطع الثوار أسلاك البرق بين العاصمة
والعالم الخارجي ، وفي ذلك اليوم بدأ حصار الخرطوم بصورة جدية (٧٥٦)

فقد أغلق الدراويش طريق بربر باستيلائهم على الخلفاية في ١٣ مارس
وانهزم جنود غردون عند محاولة تخليصها في واقعة الشرق في ١٦ مارس ،
وحاصر الدراويش أم درمان ؛ وغادر محمد أحمد معسكره في الأبيض قاصداً
الخرطوم في ٥ إبريل ، وعهد إلى عبد الرحمن النجومي بالإشراف على عمليات
حصار الخرطوم (يونيه) (٧٥٧) . وهكذا لم يعد هناك أي أمل في انقاذ غردون
سوى إرسال حملة عسكرية قوية .

وفطن السير ايفلين بارنج بالقاهرة إلى خطورة الموقف بمجرد أن علم
بتعطيل المواصلات البرقية ، واعتقد بضرورة إرسال حملة لتخليص غردون
على وجه السرعة (٧٥٨) ولكن الحكومة الانجليزية لم تصل إلى رأي حاسم في

Morley III. 124; Allen 303, Frank Power 79, Russell, op cit, 72. (٧٥٥)

Gordon (Events) 370, Delebecque 129 (٧٥٦)

(٧٥٧) شقير ج ٣ : صفحات ٢٢٢ — ٢٢٤ ؛ ٢٥٣ — ٢٥٦ .

F. O. 78/3668, Baring to Granville. Cairo 16.3.1884 (٧٥٨)

هذه المسألة الا بعد أن سقطت بربر في أيدي الدراويش (مايو) وانقطع كل رجاء في إمكان انسحاب غردون بطريق النيل من الخرطوم وتدخلت الملكة فكتوريا في الأمر ونادت الصحافة بضرورة الاسراع لانقاذ غردون ، فقرر البرلمان الانجليزى تخصيص ثلثائة ألف من الجنيهات للبدء في العمليات العسكرية لتخليص غردون . وصدر هذا القرار في ٥ أغسطس وعهد إلى السير جارنت ولسلى Sir Garnet Wolseley بقيادة الحملة ، فوصل ولسلى القاهرة في ٩ - سبتمبر ١٨٨٤ وفي ٥ اكتوبر غادر وادى حلفا في طريقه الى الخرطوم (٧٥٩) واستطاع أحد قواده السير شارلز ويلسن Wilson الوصول الى حلفاية في ٢٨ يناير ١٨٨٥ وذلك بعد أن اشتبكت قوات الحملة مع الدراويش في معارك دامية ذهب ضحيتها السير هربرت ستيوارت ، ولكن ويلسن سرعان ما عرف وهو بالحلفاية أن الخرطوم سقطت في أيدي الثوار قبيل وصوله بيومين فقط (٢٦ يناير ١٨٨٥) ، وان غردون قد قتلته الدراويش شر قتلة .

وكان سقوط الخرطوم مأساة رهيبة (٧٦٠) فقد بدأ الدراويش يتسللون إلى داخل المدينة في منتصف الساعة الرابعة من صبيحة يوم الاثنين ٢٦ يناير من ثغرة في خط الدفاع الذى أقامه غردون حول طرف المدينة الجنوبي ولم تكذب جموعهم تحشد خلف المتاريس حتى علت صيحاتهم وأطلقت المدافع قذائفها من معسكرات (المهدي) وأمرائه ، ثم تدفقت جموعهم صوب قلب المدينة وهم يصيحون « إلى السراى ، إلى الكنيسة ، واشتد الصخب وعظمت

Holland I. 424; Gwynn and Tuckwell II. 45; Royle II. 204. (٧٥٩)
Slatin 340. Wingate (Mahdism) 163-172, 192-194, Ohrwalder 173, Arthur (٧٦٠)
(Life of Kitchener) I. 121.

الضوضاء والجللبة ، فهب أهل الخرطوم التعساء يستظلمون الخبر والنوم ما يزال
يعقد جفونهم ، والحذر واليأس يأكل قلوبهم بعد أن طعنهم المجاعة وأفنتهم
الأوبئة إبان الحصار الطويل ، فتلقاهم الدراويش بالسيوف والحراب ،
وأوقعوا بهم مقتلة عظيمة فلم يرحموا امرأة ولا طفلا بل صاروا يغرزون
حرايهم في أجسام الرضع حتى يحملوها على رؤوس الأسنة ، وكان هدف
الدراويش الوصول بكل سرعة إلى سراي الحكومة وكنيسة الارسالية
النسائية يدفعهم الأمل في العثور على الكنوز العظيمة مخفوفة في مخازن
ومخائب السراي والكنيسة ، فلم يمض بعض الوقت حتى كانوا في حديقة
السراي يطلبون حياة غردون رخيصة ، فاقتحموا أبواب السراي ودخلوا
مخادعها يفتشون عن فريستهم ، ثم ارتقوا سلم السراي الموصل إلى طابقها الأعلى
وعندئذ خرج غردون وحده لمقابلتهم ، وحاول أن يتحدث إليهم ، ولكن
أحدا من هؤلاء السفاكين لم يلق بالا إلى ما كان يحاول أن يقول أو يسمع
له فما مرت لحظات حتى كان أحدهم قد طعنه بحربة كبيرة في صدره فوق
غردون على وجهه والدم يتدفق من جرحه ، وعندئذ بادروا آخرون بجذبه على
السلم ، وانهال عليه الدراويش بحرايهم يطعنون بها جسمه ، ثم فصلوا رأسه
وبعثوا بها إلى زعيمهم ، فعلق محمد أحمد رأس غردون في شجرة بأم درمان
احتشد حولها الدراويش يلعنون الرأس وصاحبها . وخرب الثوار الكنيسة
ثم استباحوا مدينة الخرطوم المنكوبة فاستمر النهب والسلب وهتك الأعراس
والتقتيل ست ساعات طوالا ، فكان من بين الذين لقوا حتفهم في ذلك اليوم
المشثوم مارتن هنزل القنصل النمساوي ثم عاذر قنصل الولايات المتحدة ،
ونيقولا ليونتيدس Leontides قنصل اليونان ، وذبح الدراويش أسرات
بأكملها من القبط ، فبلغ عدد من قتلهم الدراويش من أهل الخرطوم في هذه
الساعات المعدودات ٣٣٢٧ نسمة وهذا عدا من قتلوا من عربان الشايقية

الذين أزروا غردون ، وبلغ هؤلاء الضحايا ٢٣٣٠ نسمة ، فكان جملة من لقوا حتفهم في هذا اليوم الرهيب ٥٦٥٧ نسمة . وفي الساعة العاشرة صباحاً من يوم ٢٦ يناير أصدر فقيه آبا القديم أمره بوقف المذبحة فانطلق الدراويش ينهبون المدينة . وبهذه المأساة المروعة إذن أسدل الستار على آخر فصول الحكم المصري بعد نيف وستين عاماً ، وهي سنوات مليئة بالأعمال المجيدة حقاً ، وفي وسط حمام الدم المخيف بدأ حكم المهديّة الغاشمة في السودان .

الوثائق

ليس الغرض من « مجموعات » الوثائق التالية نشر كل ما صدر من أوامر وتعليمات متعلقة بمهمة الحكمدارين ، أو إثبات جميع التقارير التي بعث بها هؤلاء إلى الخديوين أو الرسائل المتبادلة بين الخديوين وسائر الحكام ، إذ يحتاج مثل هذا العمل إلى مجلدات ضخمة . وكل ما نرمى إليه أن نرسم صورة قد تساعد على فهم الأغراض ، التي كان يهدف إليها الحكم المصري في السودان والمبادئ التي استرشد بها محمد علي وخلفاؤه العظام من أجل النهوض بالسودانيين والسير بهم قدما في طريق الحضارة والرقى .

مجموعة أ

الأوامر الصادرة بتعيين الحكامدارين
والتعليقات المرسلة لهم

١

الأنعام برتبة الميرميران على خورشيد باشا حاكم السوادن وتعليمات
من الجنب العالى (محمد على) إلى خورشيد باشا

فى ٢٨ ربيع الأول ١٢٥١ (٢٤ يولية ١٨٢٥)

حضرة أمير الامراء الكرام وكبير الكبراء الفخام وصاحب المجد
والاحتشام خورشيد باشا مدير الاقاليم السودانية لجسيمة التى هى إحدى
الاقاليم المصرية الممنوح له لقب حكام تلك الاقاليم منعا عليه برتبة الميرميران
الجليلة دام إقباله .

اعلم أن توجيه همتك إلى العناية بسكنة هذه الأقاليم التى كلفت بتنظيم
أمورها تنظيمًا حسنًا وبإدارة شؤونها إدارة طيبة ، وكذلك نجاحك فى القيام
بخدمات تشكر عليها فى هذا السبيل بفضل الكفاءة التى هى صفة خالدة تلازم
شخصك دواما وبفضل النبوغ الذى يشرق فى جبينك دائما قد زاد فى عطفي
الخاص عليك حتى أصبح إعجابى بك مضاعفا ، فوجب أن أكافئك بمكافأة
إظهارا لهذا الإعجاب ، فأصدرت أمرى هذا اليك لتبشرك بأننى مع ابقائك
مديرا لهذه الأقاليم كالأل وقد أنعمت عليك برتبة الميرميران الجليلة وبوسام
رفيع مرصع بالجواهر من هذه الرتبة ، فإذا علمت أن هذا الإنعام مما يشرح
صدرك ويعلى صيتك ويرفع اسمك حتى يصل إلى عنان السماء فأرني نشاطك
فى هذا السبيل أيضا تقديرا من بعد الآن لهذا العطف الجليل الذى بزغت شمس
عليك بهذا البروغ الجميل ، وقم بجولات متواصلة فى فيافي البلاد السودانية
ليلا ونهارا كالأنجم السيارة السبعة فى سبيل تمشية أمور البلاد تمشية حسنة
والعناية بها كل العناية ، وسس كافة الأهالى بسياسة طيبة واجعل الاهتمام
ببسط العمران والرفاهية فى هذه الأقاليم كالأقاليم المصرية نصب عينيك كما هو
المنتظر منك من بعد الآن حتى تستحق به المزيد من عطفي الذى مازال متجليا

عليك من القديم بلا شك ، فينبغى أن تعمل بهذا الأمر فتجنب المخالفة .
[عابدين المعية دفتر ٦٦ تركى رقم ٦٨]

٢

الأنعام على موسى حمدى باشا باحدى الرتب الرفيعة مكافأة له على حسن إدارته
إرادة إلى موسى باشا حكمदार السودان .

في ٢ ذى القعدة ١٢٧٩ (٢١ ابريل ١٨٦٣)

كما هو معلوم لدى الجميع إن البلاد السودانية هي أقطار جسيمة صار الاستيلاء
عليها بصرف مساع عظيمة وتكاليف باهظة وباقتحام مشاق وصعوبات لا تعد
ولا تحصى وأن الواجب يقتضى بأن تكون مربوطة وملحقة بالمملكة المصرية
وحيث أنه غنى عن الإيضاح أن مواقع هذه البلاد صالحة لقبول أسباب
العمران وأن سكانها مستعدة لتعلم الحرف والصنایع ولأخذ وسائل التمدن
والحضارة بناء عليه قد أصبح إعمار وإصلاح ذلك الإقليم الواسع والمحافظة
على حقوقه وحدوده أمر مرغوب فيه وملتزم لدينا وحيث انه مأمول منكم
حسن إدارة تلك الحوالى من كل الوجوه بمناسبة إقامتكم وسكنكم مدة مديدة
فيها ووقوفكم على أميال وأطباع سكانها فضلا عن كفاءتكم الذاتية وأنكم من يوم
انتخابكم وتعيينكم حكمداراً جاءت أكثر أفعالكم واجراءتكم محمودة وحسنة
وبما أن رضاء الأهالى عنكم وسرورهم بكم حسب ما وصل إلى سمعنا قد أوجب
سرورنا وارتياحنا فكافأة على أعمالكم الحسنة والمرضية هذه وغيرتكم الواقعة
قد استحصلنا هذه المرة على إرادة شاهانية بتوجيه رتبة « روم ايلي بكليربكى »
الرفيعة « رتبة ميرمراء إقليم الروم » وقطعة من النيشان المجيدى من الدرجة
الثانية إلى عهدتكم وأرسلنا إليكم الفرمان والبراءات الخاصة بالرتبة والنيشان
المذكورين فمأولى منكم من الآن وصاعداً أن تجتهدوا في إصلاح وإعمار

الأقطار الفسيحة المذكورة وحيث أن وجود الرعايا الأجانب في هذه البقعة من جهة ودقة أحوال الممالك المجاورة لها من جهة أخرى قد أكسبتها أهمية وخطورة عظيمة بناء عليه يجب أن تكونوا على حذر تام من إتيان الأفعال المكروهة في نظر الأجانب والمخلّة بأمن الأهالي وأن تسهروا على راحتهم ببصيرة كاملة. فبادروا إلى صرف الدقة والعناية في هذه الشؤون نشكر مساعيكم عابدين . المعين . دفتر ٥٢٦ (تركي) جزء ثاني مكاتبة رقم ١٨ صفحة ٧٠

٣

تعيين جعفر صادق باشا حكامداراً للسودان في ١٤ ذى القعدة ١٢٨١ (١٠ أبريل ١٨٦٥)

بناء على انتقال موسى حمدي باشا حكامدار أقاليم السودان إلى دار البقاء بأجله الموعود اقتضت الحال انتخاب وتعيين حكامدار بدلاً منه ، وحيث أن أهمية الموقع المذكور امر ظاهر وأن لياقتكم واهليتكم المشهورة والمسلمة كفيلة بحسن إدارته فبناء عليه اقتضت إرادتي تعيينكم حكامداراً للأقاليم المذكورة فعندما تحيطون علماً بذلك يجب أن تتأهبوا للسفر إلى جانب مأموريتكم وان تبادروا ببذل المساعي والأقدام في حسن إدارة أمورها كما هو مأمول منكم .

حاشية — حيث إنني انعمت عليكم من الآن بمرتبات سلفكم ، فبناء عليه يجب ان تبادروا بتقييدها على اسمكم ، ولذلك لزمّت التحشية .

[أمين سامي . تقويم النيل وعصر اسماعيل باشا . المجلد الثاني من الجزء

الثالث صفحة ٦٠٣] .

تقسيم حكمدارية السودان وتحقيق رفاهية السودانيين ، إرادة سنية إلى
سليم باشا الجزايرلى حكمدار جزيرة الخرطوم وملحقاتها .
فى ٩ محرم ١٢٨٢ (٤ يونيه ١٨٦٥)

إن إقليم السودان قد ظل تحت إدارة حكمدار واحد مع سعته وعظمته
كما لا يخفى على أحد وأن جهة البحر الأبيض كانت ملحقة بحكمدارية السودان
منذ عهد أفندينا جدنا الأجد ساكن الجنان ، وقد كان نصب لها موظفون ،
ولكن لم يكن قد تم تنظيم إدارتها لسكونها مستجدة ولا التفت أحد إلى تنظيمها
فى عصرى المرحومين عباس باشا وسعيد باشا ، فظلت منذ عهديهما مهملة .
وحيث أن الجهة المذكورة هى من ملحقات السودان ولا يجوز تركها على حالها
قد سبق أن عينا لها مديرا وموظفين . وبما أن دائرة السودان ازدادت سعة
وعظمة بمناسبة وضعنا نظاما جديدا لتلك الجهة ، أى جهة البحر الأبيض ،
والحاق سواكن وموضوع وملحقاتها الوسيعة إلى حكومتنا فمن الضرورى أن
تكثر أشغالها وتتسع أمورها . ولما كانت آمالنا متجهة إلى تسهيل مصالح
عباد الله ، وانجاز الأعمال فى آوتها وإمالة الصعوبات والموانع عن طريق
سيرها ، فقد اقتضت إرادتنا أن تنقسم حكمدارية السودان إلى ثلاثة أقسام
يدير كل منها حكمدار على حدة ، على أن يكون القسم الأول عبارة عن
« التاكة » وسواكن وموضوع وملحقاتها الفسيحة . وأن ينحصر القسم الثانى
فى « جزيرة الخرطوم كاملة مع جهات البحر الأبيض » الواقعة فى غربى
الجزيرة ، وفى الشرق بالنسبة إلى البحر الأبيض . وأن يشمل القسم الثالث
كردفان ودنقله وبربر مع جهات البحر الأبيض الواقعة فى غربى البحر الأبيض
التي تقرر أن ينشأ فيها مديريات . وقد حددت مدة ثلاث سنين لكل من الثلاثة

الذين سيتولون الحكمدارية ليحكث في منصبه خلالها . فإذا أراد أن يعود إلى مصر بعد انقضائها فيجب أن يعرض علينا أمره قبل حلول الميعاد بستة أشهر حتى تتمكن من تولية غيره . ولا بأس أن يطيل المدة بعد أن يتمها وحيث أنه ينبغي تولية حكمدار لكل من تلك الأقسام قد خولناكم حكمدارية وعموم جزيرة الخرطوم وجهات البحر الأبيض السالف ذكرها التي هي من ملحقاتها لما عهدنا وشهدنا فيكم الإخلاص والاستقامة والشهامة ، ولا يخفى عليكم أهمية هذه البقعة الفسيحة نظرا لاتساعها وكثرة تردد التجار والسياح وسائر القادمين عليها . فإذا ينبغي أن تقوموا بإصلاح هذا القسم وتنظيمه متوسلين بحسن إدارتكم وصائب تدبيركم ، وأن تنصبوا الموظفين والخدمة اللازم تنصيبهم لضبط إدارته وربطها وأن تضعوا كل شيء في موضعه وتبنوه على أساس متين وأن ترفقوا بالواردين والمترددين والسياح وتعاملوهم بلطف وتهتموا بعمران البلاد وترفيه العباد وتحكموا بينهم بالعدل والإنصاف طبق القانون والأصول كما هو واجب علينا أجمعين وتصرفوا في ذلك كل المجهود وفي إيصال البريد في أوقاته المعينة وتعتنوا بتسهيل الطرق وتوطيد الأمن فيها إلى آخر حدود حكمداريتكم وأن تنشئوا محطات في المواضع التي يوجد فيها الماء وأن تسيروا أبناء السبيل والمسافرين الذين يفقدون من هذه الجهات أي من جهة مصر ، على هيئة القوافل وتأذنوا لهم في المرور في كل شهر مرة أو مرتين وتأخذوا على مشايخ القبائل والعربان ومن غيرهم عهدا قويا على مرور أموال التجار أو المترددين بالأمن والسهولة . ولا ريب أن حكمداريتكم تحتاج إلى طائفة من الجنود الموجودة في السودان . فإذا وصلتكم إلى مقر وظائفكم وأقمتم به شهرا لتتمكنوا من تنظيم أمور الحكمدارية ، فخابروا الحكمدارين الآخرين واجتمعوا بهما ، وبأمراء اللواء الموجودين بالأقطار السودانية وشاوروهم في تخصيص العدد اللازم من العساكر لكل من الحكمداريات وأفرزوا العساكر

والضباط المختصين بحكمدهم على حسب القرار المتخذ في ذلك الاجتماع وأقيموا في المواضع والمراكز اللازمة ونظرا لتأسيس هذه الحكمديات الجديدة فيجب أن يهتم ويعتنى بحسن إدارتها وتسوية أمورها على الوجه الاتم كما أنه لو حدث اعتداء من الخارج والعياذ بالله ومست الحاجة إلى إحضار قوة عسكرية من كل من الحكمديتين الآخرين ، عدا القوة العسكرية المقيمة في حكمدهم فيجب أن تخبروها وتستعينوهما وعليكم أن يساعد بعضكم بعضا بدون إضاعة وقت وأوصوا المديرين الذين بالحدود أن يتوادوا ويعامل بعضهم بعضا بالحسنى وأن لا يختلفوا ... ولا يأبى أحد منهم أن يساعد الآخرين عند الحاجة ويسهل أمورهم ولا يبغي له أن يقول : إني خاضع لحكمدهم آخر فلا أستطيع أن أقوم بهذا الأمر إلا أن يأمرني الحكمدهم الذي اتبعه ، وليحذر أن يؤخر المسائل المهمة الضرورية ويعرضها للأعضاء ، وليسارع إلى اجراء ما هو خير لذات المصلحة . وحيث إنه لا يبعد عن الملاحظة أنكم تظنون بعض الظن وتذهبون مذاهب أخرى حينما ترون أن السودان التي كانت تحت إدارة حكمدهم واحد قد قسمت إلى ثلاث حكمديات وأنكم وليتم حكمدهم لأحد أقسامها أرى من الواجب أن أشرح لكم ما أرى إليه من المقاصد والأغراض وهي أن التجوال في إقليم متسع كالسودان أو الاطلاع على تفاصيل أموره اطلاقا تاما والبت في إنجازها أمر لا يطيقه رجل واحد ، والدليل على ذلك عدم وصول تلك الأقاليم منذ سنين إلى الدرجة المطلوبة من العمران والتمدن وإني لأرغب كل الرغبة في تمدين هذه الأقاليم وعمرانها للقابلية والاستعداد المشهورين فيها . ولذلك قد لاحظت أن هذه الأمانى الخاصة لا تحصل إلا بقسم تلك الديار إلى أقسام يمكن أن يدير كل منها رجل واحد . فأولى حكمدهم أقيما قديراً ذا دراية على كل من تلك الأقسام فإذا اطلعتم على الحقيقة بوضوحها من البيانات السالفة فاعلموا أننا أصدرنا

أمرنا هذا كي تصرفوا سماعيكم وجهدكم في تحقيق آمالنا المنتظر تحقيقها منكم ؟
[عابدين . المعية . دفتر ٥٣٧ (تركي) مكاتب في صفحة ٥٦]

٥

إعادة الحكمدارية وتعيين جعفر صادق با حكمدارا للسودان — إرادة
سنية إلى جعفر باشا حكمدار عموم السودان .

في ٢٤ محرم ١٢٨٢ (١٩ يونية ١٨٦٥)

سبق أن قسمنا الأقاليم السودانية إلى ثلاثة أقسام ، وصدر أمرنا إليكم
بتوليتم حكمدارا لقسم التاكة وسواكن ومصوع ، ولكن حيث أننا فضلنا
إدارتها بواسطة حكمدار واحد ، كما كان سابقا وثبت ذلك الترجيح بعدة
وجوه — ونظراً لثبوت إخلاصهم واستقامتكم وكما قدرتكم ودرائتكم
لدينا ، قد أسندنا إليكم حكمدارية عموم السودان ونصبنا صاحب السعادة
جعفر باشا مدير قنا سابقا وكيلاً للحكمدارية . وبما أن إدارة مينائي سواكن
ومصوع قد انضمت إلى حكومتنا كما هو معلوم لديكم قد رأينا تأسيس محافظة
في كل من كلتا المينائين وعينا ممتاز أفندي المستخدم الآن في جهة القنال « بعد
أن كان في ضبطية مصر ، محافظاً لمصوع ، وأسندنا إلى كليهما الرتبة الثانية ،
وأصدرنا إليهما أمرنا القاضي بذلك . وقد أمرنا صاحب السعادة شريف باشا
في هذا التاريخ بأن يتفق معكم في منصب وكيل لكل منهما برتبة البيكباشي وفي
تعيين سائر الموظفين — فسارعوا إلى مقابلاته لإبرام الشئون الواجب إنجازها
واعلموا أنه قد تقرر أيضاً إيفاد صاحب السعادة جعفر باشا وكيل الحكمدارية
إلى جده لتسلم المينائين المذكورتين مع ملحقاتهما ، وحررنا إليه وإلى صاحب
السعادة شريف باشا وإلى حضرة الباشا صاحب الدولة وإلى جده بذلك وقد
أصدرنا أمرنا هذا وأرسلناه إليكم كي تتموا أشغالكم بمصر وتعدوا لوازمكم
في أقرب وقت وتسارعوا إلى الحضور بمحل وظيفتكم وتسجلوا أنفسكم

بمرتب سلفكم وتجددوا اللازم في تسجيل المحافظين المرمي إليهما والموظفين الذين سيعينون جديدا وتعتنوا بتنظيم أشغال تلك الأقاليم ومصالحها كما هو مأمول منكم وتنظروا في القضايا والدعاوى على الوجه الموافق وتديروها في المحور اللائق ، وتحققوا حقوق عباد الله وتهتموا بعمران الأقاليم السودانية وتمدينها لاسيما جهات البحر الأبيض وتعتنوا بالتسهيل في شئون تجارتها مع النظر في توسيعها وعليكم أيضا بقمع الأحوال المخالفة وتوسلوا بالأسباب الحسنة والوسائل الممكنة في تقرير الأمن العام وتأسيس الرفاه وإدماته وابدلوا هممكم ومجهودكم في ذلك . أما وكيل الحكمदार سابقا وهو الآن موجود ثمة - فاستخدموه في وظيفة أخرى إذا شئتم بقاءه واستخدامه ، وأما الباشكاتب فافصلوه وعينوا مكانه رجلا مناسبا غيره .

[عابدين . المعية . دفتر ٥٣٧ (تركي) مكانة رقم ١ صفحة ٦٦]

٦

صورة فرمان صار تحريره باسم حضرة جعفر صادق باشا حكامدار السودان

في ٢٤ محرم ١٢٨٢ (١٩ يونيه ١٨٦٥)

صدر هذا فرمان المطاع الواجب له القبول والاتباع خطابا لحضرات العلماء والأعلام والقضاة والنواب والملوك وكبار الحلال والمشايخ والعشائر والوجوه والحكام بكافة أقاليم السودان تحيطون علما وتدركون فهما أنه لمناسبة انتقال موسى باشا الذي كان حكامدار عليكم إلى دار البقاء قد نصبنا بدله جعفر صادق باشا وجعلناه حكامدار على عموم وكافة جهات السودان بما الحق اليها من جهات مصوع وسواكن وهذا بناء على ما توسمناه فيه من القيام بشعائر هذه الوظيفة ومسعاها فيها بالصدق والاستقامة في صالح المصلحة ومناظرة أحوال الرعايا بما يجب من حسن رعايتهم وحسن توطئهم والفصل في شئون قضاياهم المدنية والجنائية بوجه الحق والإنصاف ومراعاة الأوامر

والقوانين واللوائح فيلزم أن تكونوا جميعكم معه يدا واحدة لتجرى الإدارة والأحكام مجراها على منهج الحق والتقوى مع انقيادكم بتنفيذ أوامره ونواهيه الباعثة لحسن عماريتكم وتنجيز أحوال تسكيبكم وتعيشكم واقدامكم أتم والأهالى لطاعة الحكومة مع القيام بتنجيز المطالبات الميرية وأنت أيها الحكماء عليك بالتقوى والتعاضد بالحق الذى هو السنة الأقوى وعامل الناس بالعدل والإنصاف ونجنب الجور والاعتساف واصرف همك فى رؤية مصالح العباد وعمارية البلاد واعلم أن راحة العباد حمل على كاهل الحكماء محمول وأن كل راع لم يراع جانب الحق فهو مؤاخذ ومسئول واجعل حركاتك بما تدعو إليه الأوامر واللوائح والقوانين فإن ارادتنا جئلت على حب رعاية الرعية لأنهم وديعة رب البرية فلتعلموا جميعكم هذا وتعملوا به لزم إصداره والحذر من المخالفة ثم الحذر والعاقل من بغيره اعتبر .

(أمين سامى تقويم النيل وعصر اسماعيل باشا المجلد الثانى من الجزء الثالث
صفحة ٦١٢ - ٦١٣)

٧

تعليمات إلى جعفر باشا صادق حكامدار السودان — إرادة سنية إلى
حكامدار عموم السودان

فى ٢٢ ربيع أول ١٢٨٢ (١٥ أغسطس ١٨٦٥)

إن من أعظم الأدلة على وثوقنا واعتمادنا عليكم أن وليناكم حكمداية الأقاليم السودانية التى هم أهم شأننا وأعظم خطراً وأنا موقن بانكم تعرفون أعمال وظيفتكم وتقومون بأحسن الخدمات باتباعكم أوامرنا أو آراءنا مقتفين العدل والإنصاف إذ يحملكم على ذلك ما اتصفتم به وجبتم عليه من الأوصاف الحميدة كالإخلاص والدراية. فاعلموا إذا أنكم مسئولون عن أعمال المديرين والموظفين

الفين ينتمون إلى إدارتكم وعما يترتب على أعمالهم من الخطأ والصواب كما أن عزهم ونصيبهم أو تبديلهم وتغييرهم أمر يرجع إلى رأى سعادتكم إلا أننا مع تفويضنا ذلك الأمر إليكم نريد أن نطلع على تفصيل أسباب ما تتخذونه من مثل هذه الإجراءات فيجب أن تطلعونا عليها وقد أصدرنا أمرنا هذا لتعلموا مقدار وثوقنا بكم وتسعروا في القيام بأعمالكم سعياً بليغاً وتصرفوا كل ما في استطاعتكم .

[عابدين المعية . دفتر ٥٣٧ (تركي) مكاتبة رقم ٧ صفحة ٧٠]

٨

تعليمات الى حكامدار السودان جعفر مظهر باشا — من المعية إلى حكامدار السودان (مظهر باشا)

في ٢١ شعبان ١٢٨٢ [٩ يناير ١٨٦٦]

إن المساعي المنتجة والأعمال المشكورة التي وفقتم إلى القيام بها وفقاً لمقاصدنا الخيرية في مأموريتكم التي انتدبتم إليها أخيراً بعنوان (وكيل حكامدارية السودان) بناء على ماشوهد وعرف فيكم قديماً من المقدرة والجدارة والإخلاص والاستقامة قد لاقت منا قبولاً وتحييذاً وضاعفت ثقتنا بكم واعتمادنا عليكم أضعافاً . ولما كان إصلاح الحال واستكمال أسباب المدنية والعمران في إقليم السودان المتسع هو من أهم ما نفكر به ونأمل تحقيقه منذ القدم . وكما أنه من المحقق لدينا أنكم تبذلون الجهد في هذا المشروع وتوفقون في إنجازه بعون الباري وعنايته قد منحناكم رتبة الفريق الرفيعة وأقمناكم حكامداراً للأقاليم السودانية فلهوا إلى العمل ليلاً ونهاراً وتوسلوا بالأسباب المؤدية للإصلاحات والتنظيمات اللازمة الممكنة واعتنوا جيداً في توسيع الزراعة والتجارة اللتين هما الأساس الأعظم للمدنية والعمران واكفلوا الأمن ورخاء العيش للأهالي

والسكان الذين هم وديعة الله وعاملوهم بالعدل والإنصاف وقوهم الغبن والضرر وضاعفوا بذلك سرورنا منكم ورضانا عنكم .

حاشية : قيدوا على اسمكم بديوان الحكمدارية المرتبات التي كانت لسلافكم أيضا حسب الأصول .

[عابدين . المعية دفتر ٥٥٨ (تركي) مكاتبة رقم ١٦ صفحة ٣٤]

٩

عقد استخدام السير صمويل بيكر

نص العقد المبرم بين سمو اسماعيل باشا خديو مصر والسير صمويل بيكر

(الاسكندرية ٢٧ مارس ١٨٦٩)

يتعهد السير صمويل بيكر بالدخول في خدمة سمو اسماعيل باشا ، فيخدم الحكومة المصرية لمدة سنتين على الأقل . ابتداء من أول ابريل سنة ١٨٦٩ وتكون مهمته قيادة حملة غرضها ضم بلاد حوض النيل وافريقيا الوسطى إلى الأقطار المصرية .

وأول ماترى إليه الحملة إعلان السيادة المصرية على بلاد النيل الأبيض التي تقطنها اليوم أمم متبربرة لا قوانين لها ولا حكومة ترعى الأمن فيها .

(٢) إلغاء النخاسة في منطقة النيل الأبيض .

(٣) إدخال الوسائل المشروعة للتجارة التي تعود بالفائدة على مصر .

(٤) إنشاء الملاحة في البحيرات الكبرى الواقعة في خط الاستواء .

وهي منابع النيل الرئيسية .

(٥) إنشاء خط من النقاط العسكرية ابتداء من غندوكرو في حوض

النيل المتوسط تقع الواحدة على مسيرة ثلاثة أيام من الأخرى . وذلك ضمنا للاتصال بين أقصى نقطة ، وقاعدة أعمال الحامية .

(٦) ضم الأراضي التي تمر بها هذه النقاط العسكرية بعد إنشائها ، إلى أراضي الإمبراطورية المصرية فتمتد إذن هذه الإمبراطورية من منابع النيل إلى البحر الأبيض المتوسط .

وهكذا تكون مصر قد خطت بهذه الأمم الخطوة الأولى نحو الحضارة . هذه الأمم التي لن يتأتى للعالم منها أية فائدة مادامت مقيمة على حالتها الراهنة : فهي ستعيش في عداوة مستمر مع بعضها بعضاً ، وستكون حجرة عثرة في سبيل كل إصلاح ما دامت بعيدة عن النفوذ المصري ، وطالما بقيت أبواب بلادها مغلقة في وجه التجارة .

يوافق سمو اسماعيل باشا خديو مصر على أن يقدم للمدعو السير صمويل بيكر بصفته رئيساً لهذه الحملة مبلغاً قدره عشرة آلاف ليرة استرلينية سنوياً ، مضافاً إليها نفقات السفر .

ويوافق سمو اسماعيل باشا خديو مصر على أن يخلع على المدعو السير صمويل بيكر الرتبة الملائمة لهذه الرئاسة ، وعلى أن يخوله السلطة المطلقة — حتى فيما يتعلق بالحياة والموت — على أولئك الذين تتألف منهم الحملة التي أسندت رئاستها له . ويمنح كذلك نفس السلطة في البلاد التي تقع في جنوب خط عرض ١٤ شمالاً وتدخل ضمن نطاق حوض النيل .

ويوافق سموه على أن يترك للمدعو صمويل بيكر مطلق التصرف في إعداد كل ما يراه ضرورياً للحملة ، وكذلك في الحصول عليه . ويتعهد سمو اسماعيل باشا أن تدفع الحكومة المصرية هذه النفقات .

يوافق سمو اسماعيل باشا خديو مصر على أن يسقِّد المدعو السير صمويل بيكر حسب طلبه الرجال ، والذخائر ، والمباني وكل ما يجده السير صمويل بيكر ضرورياً للحملة .

وفي حالة وفاة السير صمويل بيكر خلال السنة الأولى من مهمته التي كلف بها فإن الحكومة المصرية لن تحاول أن تنقص شيئاً من المبلغ الذي عين له سنوياً بل ستعطي المقدار بأكمله لأرملته وورثته وللشرفين على تركته .

وفي حالة وفاته في بحر العام الثاني أو في السنة التالية لتعهده فإن الحكومة ستطابق نفس المبدأ . وستدفع المبلغ الذي تدين به للسير صمويل بيكر ثمناً لخدماته عن السنة الجارية إبرمته لأرملته وورثته .

وعلى السير صمويل بيكر أن يبدى كل مقدرة في توجيه الحملة لصالح صاحب السمو اسماعيل باشا خديو مصر .

Abdin. Corresp fran. Doss. 72/1.f. 20922: Caire 15 avril 1869.

١٠

مهمة السير صمويل بيكر وسبب تعيينه د مأمورا لإلحاق أعالي النيل الأبيض بالممالك المصرية ، إل .

من الجنب العالى إلى ناظر الداخلية

في ٤ صفر ١٢٨٦ (١٦ مايو ١٨٦٩)

نظرا لوجوب إلحاق أعالي النيل الأبيض الذي يعد القسم الأكبر من النيل المبارك بالأقطار السودانية . ولوجود مناسبة بينهما فإن الحكومة المصرية من القديم اتخذت لنفسها طريق التقدم الى الجهات العليا ، وعلى ذلك تقرر تعيين صمويل بيكر بك الموظف بالحكومة الذي سبق له اكتشاف منبع النيل ولديه المعلومات الكافية عن تلك الجهات . مأمورا لإلحاق أعالي النيل الأبيض بالممالك المصرية ، وإرساله إلى تلك الجهة وسيعطى له جيش

مكون من ٨٠٠ جندي من الجنود النظامية ، ٥٠٠ من الجنود السودانية النظامية ، ٣٠٠ من الجنود الشايقية حيث يكون مجموعهم ١٥٠٠ وسيعطى أيضا ١٤ مدفعا جبليا بطوبجيتها وكافة لوازمها وحيث أن المذكور سيقوم بتعيين عشرة مراكز تجارية وعسكرية في أعلى النيل الأبيض ، وإقامة جنود فيها بحسب تقديره ، وتعيين ضباط من رتبة الصاغ وسبعين بكباشيان للعساكر النظامية وميرالاي واحد لتسلم قيادة الجند جميعا ، وسبعين رئيس وبلوكباشي وما إلى ذلك للجنود الشايقية لإدارة أمورهم وقيادتهم منهم ويسمون ضباط ، وحيث أن الجنود النظامية الذين سيكونون في هذا السفر وجميع الضباط سيكونون في السودان في حالة حرب من جهة أخرى ، فقد تقرر إضافة مبلغ مناسب على العلاوة المقررة على مرتبات الجنود الموجودين في السودان ، وحيث أن بيكر بك سيكون القائد المفوض للجنود المذكورين والمدير المفوض للأراضي التي سيضمها للبلاد السودانية ، وبما أن الإدارة ستكون وفقا للنظم العسكرية وقوانينها فإنه له الحق في ترقية العساكر والضباط الذين معيته لغاية رتبة قول أغاسي وذلك إذا رأى أن واحدا منهم ذا كفاية ويستحق الترقية إلى رتبة أعلى وذلك بعد العرض علينا لغاية رتبة قول أغاسي والإستحصال منا على الإرادة . حيث أنه لا يستطيع منح الرتب من تلقاء نفسه كما أنه في حالة ارتكاب جنحة فهو مرخص له بتوقيع الجزاء القانوني حتى أنه مفوض منا في الإعدام بالرصاص بدون استئذان منا لوجود حالة الحرب . إنما يشترط عقد مجلس عسكري إذا لزم الحال بمجازاة أحد واستصدار حكم يقدره المجلس توفيقا للقانون العسكري وتنفيذه وسيكون في معيته ابن أخيه بصفته ياور حربى بمرتب سنوى قدره ٥٠٠ جنيه وطبيب انجليزى بمرتب ٤٠٠ جنيه سنويا كما أنه سيرفق به ثلاثة من ضباط الجيش المصرى بصفة ياوران حربيين . ونظرا لوجود بيكر بك من ضمن موظفي الحكومة فكل الأراضي التي يضع يده عليها ويحتلها وكذلك

وكذلك الأراضي التي يصل إليها الجيش الذي تحت قيادته ستكون من الأراضي المملوكة للحكومة والمتصرف فيها ولذلك نأمركم بإعداد اللوازم والمعدات السفرية وإكمالها وإرسال المذكور إلى جهات النيل الأبيض .

[عابدين . المعية . دفتر ٥٧٣ (تركي) مكاتبة رقم ٥٦ صفحة ٢١٧]

١١

تعليمات إلى السير صمويل بيكر

فبراير ١٨٧٢

عزيزي السير صمويل

لقد تلقيت التقرير الذي أرسلتموه إلى بتاريخ ٨ أكتوبر الخاص بحالة الاسماعيلية : تلك المدينة التي وصلتم إليها بعد رحلة شاقة استغرقت ما يزيد على خمسة أشهر . وقبل أن أجيبكم على ما وجهتموه إلى من أسئلة ، وقبل أن أحيطكم علما بأرائي عن الحالة الراهنة ، أرفع إليكم تهانئي لنجاح رحلتكم وللجهود التي بذلتموها للتغلب على العوائق التي اعترضت سبيلكم ووضعها الطبيعة نفسها في طريقكم .

ثم انني لأبدي لكم رضاي عن شجاعة الجند الذين هم تحت إمرتك وعن صبرهم على المشاق : أولئك الجند الذين كان عليهم أن يفسحوا طريقا لأنفسهم وسط المستنقعات في الوقت الذي يجرون به مركبا بخاريا وزوارق محملة بالأثقال .

ولما كان واجب الضابط الأول هو إطاعة رئيسه ، فاني سأستدعي رؤوف بك الذي تبدوون التذمر والشكوى منه . ومع ذلك فاني لن أنسى عند الحكم على سلوك هذا الضابط أن أنوه بالمشاق التي تحملها ، والحرمان الذي قاساه ولن أنسى أيضا أنه ساعد جنده على أن يتحملوا كل شيء حتى قلة الغذاء ،

إذ أنسكم بناء على ما تقولون . كنتم تفتقرون إلى الذرة واضطرتتم أن تبعثوا
بمن يجلب لكم كميات منها من الخرطوم . وسأرسل ضابطاً آخر ليحل محله .
لقد اقترب الميعاد الذي كنت قد حددته للعقاد (النخاس الشهير)
للاانسحاب من السودان والسكف عن التجارة التي يمارسها في تلك البلاد .
وإنكم ترون من الخير أن تضموا رجاله إلى قواتكم بل أن تستبدلوا بكل
قواتكم رجالاً من عصابات العقاد باعتبارهم أجلة على المشاق وأطوع لإقليم
البلاد ، ولكن رأي يختلف عن رأيكم في هذا الشأن . فإن مهمتكم هي نشر السلام
في البلاد وتهيئة السبل لتقدمها ورائدكم التوفيق بين أهاليها والبيض من كان
غرضهم الأول عند دخولها قتل الأهالي وسلب أموالهم واستعبادهم . واني
لم أدفع المبالغ الجسيمة إلى العقاد ولمن كانوا يمارسون هذه التجارة ،
أو بالاحرى أعمال اللصوصية ، لكي تظهر حكومتى في مظهر اللصوص عند
القبائل الوطنية . . . فإذا ما رأى الأهالي رجال العقاد تحت إمرتكم تصوروا
بالضرورة أن الحالة لم تتغير ، وأنكم بدلاً من أن تنشروا الأمن والطمأنينة
وتقيموا السكينة والنظام بينهم ، تكونون قد جئتم مثل النخاسين ، وأتم أشد
منهم بأساً ومراساً ، لتسلبوا الأذرة والمواشى ، وتسترخوا الأهالي أنفسهم
فعليتكم بالضد ، أن تبذلوا الجهد في أن تظهروا لرؤساء القبائل الفرق
بينكم وبين النخاسين ، فذلك أمر جوهري ، يجب ألا يغرب عن بالكم ،
واستخلص من تقريركم - مع الاسف - إذا أحسنت فهمه ، أن ما ينقصكم
من مؤونة الذرة ، قد ألجأكم الى اصطناع القوة للحصول على حاجتكم منها
إذ رفض الأهالي بالطبع أن يزودوكم بها ، لأنهم خلطوا بين الرجال الذين
تقودونهم وبين أولئك الذين ما فتئوا ينيهونهم ، مهما شق هذا النقص على
رجال ، يركبون الصعاب ، فمن المؤسف أن يكون أول أثر لهذا النقص
أن تصطدموا مع الأهالي وتظهروا مهمتكم بمظهر يختلف كل الاختلاف عن
مظهرها الحق .

إنتى أعلق أهمية كبرى على الأثر الذى عليكم أن تتركوه لأول مرة فى نفوس هؤلاء الأقوام المتوحشين الذين نعمل جاهدين لكى نستميلهم إلينا. وهكذا أجد نفسى منساقاً لإبداء آرائى الشخصية التى أرجو أن تسير وفقها: وهى كالآتى :

لقد هبطتم بلاداً جميلة خطيبة ، وتحيط بكم قبائل تأخذها الريبة وتناصبكم العداء ، بما كان من أعمال النخاسة السابقة ، وهى الأعمال التى تهدف مهمتكم إلى القضاء عليها ، وإن موصلاتكم مع الخرطوم طويلة شاقة ؛ ففى هذه الحال أرى أنه لن يكون من الحيلة أن تتوغلوا فى البلاد ، تاركين وراءكم قبائل لم تسكنوا نائرتهم ولم تستعيدوا اطمئنانهم . قفوا فى غندكورو ؛ وتحصنوا وابدءوا مهمتكم ، متخذين كافة الوسائل ، لتطلعوا رؤساء القبائل عليها واحتكروا التجارة كما تقترحون وأنا أوصيكم بذلك لا لآتى أميل إلى الاحتكار ، ولكن لأن الاحتكار له ما يبرره فى هذه الحالة ؛ فهو ضرورى لإقضاء التجار الذين يستخدمون العبيد كوسيلة من وسائل المقايضة ، على أنى أريدكم أن تحتكروها احتكاراً ينطوى على السباحة ، وسرعان ما تصلون إلى إقامة مصلحة شرعية محل مصلحة غير شرعية بين أولئك الأهالى ، وأود أن تطلعونى على مواد التبادل التى تهم الأهالى فى المقام الأول .

إن لديكم انجلبثوم Inglebathom ، وأظن أن مهندساً واحداً لا يكفى فسأوفد آخر ، ليقدم تحت إمرتكم ، فاستخدموهما فى اتخاذ الوسائل المؤدية إلى تسهيل المواصلات مع الخرطوم .

أتم ذوو حول عند قبائل البارى ؛ فكونوا كذلك عادلين معهم ، فيطمئنوا إليكم ولا يلبثوا أن يتعلموا ما جئتم لتلقنوهم إياه . إن هذا العمل الخلقى والمادى سيستغرق زمناً طويلاً لا أعلم مداه ، ولكنكم إذا قطعتم فيه مرحلة معينة ، فانكم تكونون بلا شك قد فتحت طريقاً سهلاً إلى البحيرات وهى على

بعد مائة ميل منكم أو أكثر ، دون أن تنتقلوا من عندكم . إني أرسل لكم بوضوح الخطة التي أريدكم أن تسيروا عليها ، وأترك إليكم ولذاتكم استنباط وسيلة تحقيق هذا الهدف . وعلى الجملة لا تتقدموا بل عاثموا واستقروا ، واستجلبوا الأهالي إليكم ، فإذا تم لكم ذلك فتقدموا .

مهما تبسّطت في هذا الشأن فلن أكون مغالياً ، لأنكم ترون بنفسكم الحالة المعنوية السائدة على القوة التي تقودونها ؛ فقد تحملت المتاعب والجوع ، والحرمان تحملاً يثير الإعجاب . لقد تبعتم ولسكنتم اليوم آخذون في فقد سيطرتكم عليها ، فإذا تمثل رجال نال منهم الضعف ففكرة التحمل لمتاعب جديدة ، فقد يدفعهم ذلك إلى اليأس ، وإذا تصوروا أنهم سيقومون زمناً ما في بلد خصب ، ردت إليهم عزيمتهم .

من المحال الاستعاضة عن رجال هذه القوة برجال العقاد المغامرين وذلك للأسباب التي بينتها ، وإن تغير السكولونيل سيعيد الطاعة والنظام إلى صفوفهم لأنه سيرهن لهم عن مبلغ تأييدي لكم في مهمتكم .

أما استدعائهم لإرسال قوة جديدة بدلا منهم ، فإنه سيثبط عزائم القوة الجديدة قبل وصولها إلى بلاد الباري . فاستبقوا رجالكم ، ودعوهم لينالوا قسطهم من الراحة ، تجدونهم يخضون لمعاونتكم إذ آن أو ان التقدم ؛ لذلك يجب عليكم من جميع النواحي ، أن تقفوا تقدمكم ، ليسكنكم فيما بعد أن تدركوا الهدف على وجه أسهل وأوكد .

إنكم تودون أن تجددوا مدة خدمتكم سنة أخرى ، وبكل سرور تجدني موافقاً على ذلك . وسأصدر أوامري بما يفيد ذلك . ولقد اقترحتم على أن يكون حفيدكم خلفاً لكم وما لاشك فيه أن التجربة التي اكتسبها تحت إمرتكم لهي أكبر تزكية له في نظري . وإن فكرة فتح أبواب إفريقيا للعلم ،

والتجارة والعمران لى فكرة عظيمة حقا بل إن تأثرى بها كان كبيرا حتى
إنى أرى من الضروري أن أتخذ جانب الحيلة والتبصر عند اختيارى أولئك
الذين سيحققونها . وبناء على ذلك فأنى لا أستطيع فى الوقت الحاضر أن
أجيبكم بصدده هذه المسألة . ولكننى سأضعها قيد البحث .
وتفضلوا بقبول أطيب عواطفى .

(Abdin. Corresp. franc. Doss 72/1 f. 20918 Le Caire—février 1872)

١٢

تعيين اسماعيل أيوب باشا مديرا عاما لأقاليم قبلى السودان
فى ٣ جمادى الآخرة ١٢٨٩ (٨ أغسطس ١٨٧٢)
بناء على صداقتكم ولياقتكم المعلومة والمسماة قد وجهنا إليكم رتبة
اللواء الرفيعة وعينناكم مديرا عاما لأقاليم قبلى السودان ، وحيث أن تلك
المديريات المحالة إليكم صالحة ومستعدة للتمدن والعمران من كل الوجوه
فبناء عليه يجب أن تبادروا بتعليم وتلقين أهاليها أصول الزراعة والفلاحة
وتأهيلهم بالتدريج للتمدن والعمران ، وحيث أن رؤية وتسوية أمور
ومصالح العباد فى دائرة الحق والعدالة ورفاهيتهم وحضارتهم وراحتهم
من مقتضى إرادتنا فبناء عليه يجب أن تبذلوا أقصى الجهد فى هذه المهمة
لتحققوا آمالنا المعهودة فيكم ومزيد توجهاتنا نحوكم ولذلك أصدرنا لكم
أمرنا هذا .

[أمين سامى . تقويم النيل وعصر اسماعيل باشا .

المجلد الثانى من الجزء الثالث . صفحة ١٠١٠] .

تعليمات الخديو إلى السكولونيل غوردون مأمور خط الاستواء
من إسماعيل إلى غوردون .

في ١٦ فبراير سنة ١٨٧٤

أود ، وأنتم على أهبة الرحيل إلى الأقاليم التي وليتكم عليها أن ألقت
نظركم بصفة خاصة إلى المسائل التي حدثتكم عنها من قبل .
إن الأقاليم التي ستتولون تنظيمها وإدارتها هي مناطق مجهولة . وكان
يستخدمها إلى العهد الأخير بعض مغامرين يتجرون بالعاج إلى جانب اتجارهم
بالرقيق ، متوسلين — كما تعلمون — بإنشاء مراكز تجارية (أوزرائب) ،
يستخدمون فيها رجالاً مسلحين ، ويمارسون أعمال المبادلة بالوسائل القهرية
مع القبائل المجاورة . ومن عدة سنوات — أيام لم تكن هذه الأقاليم قد
الحقت بحكمديارية السودان — رأت حكومتى لزماً عليها الاستيلاء على
(وزرائب) هؤلاء التجار ، لقاء تعويض عنها للقضاء على هذه التجارة الوحشية
وغير المشروعة .

وقد غادر بعض هؤلاء الرؤساء البلاد ، بينما رخصت حكومتى للبعض
الآخر — بناء على طلبهم — بالمضى في ممارسة التجارة ، بشروط معينة وتحت
إشراف حكومة الخرطوم ، وذلك بعد أن تعهدوا بالإقلاع عن الاتجار
بالرقيق ، غير أن إشراف حكومة الخرطوم كان بالضرورة ضعيفاً في هذه
الأقطار النائية ، ذات المواصلات الصعبة ، ولا سيما أنه فرض على جماعات
لم تكن تعترف في ذلك العهد لسلطان أى قانون . وقد حملتني هذه الحال طبعاً
على فصل هذه الأقاليم عن الخرطوم من الناحية الإدارية مع اعطائها إدارة
خاتية ، وتقرير احتكار التجارة فيها ، ولعمري كان ذلك الإجراء الوسيلة

المجدية الوحيدة للقضاء على عادات يرجع عهدا إلى مئات السنين وإلغاء تجارة عمادها السلاح شأنها شأن اللصوصية تماماً .

لذلك كان أول واجب عليكم ، العناية التامة بنهج هذا السبيل ، وإن أعود فأقول : إن هذه الوسيلة هي الوسيلة الوحيدة في بادئ الأمر للقضاء على تجارة وحشية كهذه ، فمتى زالت عادة النهب وقطع الطريق ، أمكن ممارسة التجارة الحرة بلا خطر .

وعلاوة على تنفيذ الإحتكار التجارى ، سيكون عليكم الاهتمام بأمر العصابات الباقية في البلاد . إن قسماً من رجالها قد اختفى ، ولكن هناك قسماً آخر لا يزال باقياً . ويلزمكم فيما أرى ، أن تقبلوا خدمات رجاله والانتفاع بهم وفقاً لطبائعهم في الأعمال التي يصلحون لها إذا رضوا بنبذ مهنتهم والخضوع لكم . وعليكم تطبيق القوانين العسكرية في كامل شدتها على من تسول له نفسه المضى في تجارته ، والمداومة على أعمال النهب بطريقة سافرة أو خفية ، فهو لاء يجب ألا يلقوا عندكم رحمة أو شفقة ، فقد آن الأوان أن يعلم الجميع هناك أن فرق اللون لا يحول البشر إلى سلعة ، وأن الحياة والحرية مقدستان وأرجو منكم أن تتجنبوا الوقوع في الخطأ الذي سبق أن وقع فيه غيركم فكان له عواقب وخيمة ، تحاولون اليوم علاجها ، أعنى نقص المؤن ، فقد اعتمدوا على القبائل المجاورة ، غير حافلين بطول المسافات وبصعوبة المواصلات مع الخرطوم ، وأهملوا الزراعة فاضطروا أخيراً إلى الإستيلاء على محصولات الذرة من قبائل كان عليهم أن يشيعوا بين ظهرانيها الثقة والطمانينة ويكونوا لها مثلاً يحتذى ، لذلك زالت الثقة فلا بد من إعادتها .

إن التزود بالمؤن من الخرطوم أمر صعب المنال . ولسكن لسكم الخيار في أن تحلوا في أى مكان يبدو لسكم صالحاً لهذا الغرض . ويتضح لي أن موقع عند كورو — وهو سهل وسط بلاد قاحلة — ليس موقعاً حسناً . فإذا نقلتم

محل إقامتكم الرئيسية إلى الجنوب في استطاعتكم هناك أن تكفروا أنفسكم بسولة دون أن تحتاجوا لمعونة أحد . فعليكم إذاً أن تقيموا في مكان تصلح فيه الأرض للزراعة وتنتج .

وستهيء لكم هذه الأعمال الزراعية ، فرصة لاستخدام الوطنيين الذين لا يزالون في الزرائب ، ممن ضبطوا عند تجار الرقيق . أما الذين ينتمون إلى القبائل المجاورة ويريدون الرجوع إليها ويمكنهم الوصول إلى بلادهم بدون خطر ، فيجب الترخيص لهم بالعودة ، ولا أفثاً أوصى بأنه إذا كان السفر يعرضهم للخطر لصعوبة المواصلات وتهديد القبائل المعادية ، فإن هؤلاء يجب استخدامهم في الأعمال الزراعية وفي إنشاء المواصلات التي أرجو أن يكون لها المقام الأول من عنايتكم ، إذ آمل أن تضعوا مشروعاً كاملاً للمواصلات لتيسير التعامل بين هذه الأقاليم والخرطوم . إن طريق النيل هو الطريق الطبيعي ، ولكنكم ستبينون أن الملاحاة متعذرة في جزء طوله نحو سبعين ميلاً ، بسبب التيارات السريعة الناشئة من الجنادل ، فعليكم أن تبحثوا أمر هذه التيارات ، وأن تبلغوني الحل الذي ترونه أقرب منالاً لإنشاء المواصلات والمسألة الأخيرة التي يبقى على تناولها ، تختص بعلاقتنا مع رؤساء القبائل المضاربة على شواطئ البحيرات . ووصيتي الوحيدة في هذا الشأن ، أن تتجنبوا كل عمل يخيفهم وينفرهم فيجب أن تعملوا ما استطعتم على كسب ثقتهم ، وطلباً لهذه الغاية ، يلزمكم أن تحترموا بلادهم ، وتستميلوا الرؤساء بالهدايا ، وتبذلوا الجهد في المحافظة على الأمن بين القبائل ، بما تكسبونه ولا شك من بالغ النفوذ . وعليكم أن تحاولوا منع الحروب التي يشنها الرؤساء بعضهم على بعض لصيد الرقيق ، ولكني أوصيك في هذا الشأن بأشد الحذر ، ففي البدء قد يكون من المحال منع الحروب بين القبائل منعاً باتاً . على أنه يجب الإحتراز من نزوع الظافرين إلى الفتك بأسراهم ماداموا لا يستطيعون الاتجار بهم ،

هذا خطر أوجه نظركم إليه . ويقتضى على الأخص أن تصطنعوا كل ماؤتيم من لباقة وذكاء ، وهذا هو السبب الذى يدعوكم بوجه خاص ، إلى السهر بنفسكم على استتاب الأمن بين هذه القبائل . وأوصيكم أن تتجنبوا الحلول محل رؤساء القبائل ومباشرة السلطة بدلا منهم ، بل يجب بالضد أن تباشروا السلطة بواسطتهم ، مما يسهل عليكم استمالة الرؤساء إليكم مع إلقاء الهيبة فى نفوسهم .

ولا أظنى بحاجة إلى إضافة شيء إلى الآراء التى أبديتها ، وإنى لمعتمد كل الاعتماد على خلقكم وحنكتكم فى تنفيذها واستكمالها .

(Abdin. Corresp. fran. Doss 71/ 3f8047.)

١٤

تعيين غردون مأمورا على خط الاستواء .

أمر كريم إلى عزتو قولونيل غردون مأمور جهة خط الاستواء

فى ٢ محرم ١٢٩١ (١٩ فبراير ١٨٧٤)

أمر كريم منطوقه أنه بحسب الشهود فيكم من اللياقة والأهلية قد عيناكم مأمورا على جهة خط الاستواء التابعة للحكومة وصار فرز هذه الجهة من تبعية حكمدارية السودان وصارت قائمة بنفسها غير تابعة للحكمدارية انما كافة لوازماتها التى يقتضى الحال لتدراكها من طرف الحكمدارية هذى يجرى تداركها بمعرفة الحكمدار وصرف ثمنها من طرفه مقابلة محاسبة المالية بذلك كما أمرنا الحكمدار المومى إليه بأمرنا الصادر له فى تاريخه ومرسول لكم طى هذا لتوضيله إليه عن يدكم وبما أن أمور التجارة فى ذلك الطرف هى يد واحدة يقتضى أن الذى تتحصلوا عليه من تلك الجهات من أنواع التجارة بعد صرف كفاية مرتبات العساكر والتعيينات ترسلوه إلى حكمدار السودان لقبوله من أصل

ما يصرفه من أثمان اللوازم التي تطلبوها وعند وصولكم الآن لتلك الجهات واختباركم أحوالها تجروا ترتيبها بحسب ما يترآى لكم وتستحسنوه سواء كان بأفعال مدير يتين أو أفعال أقسام أو نحو ذلك مما يتوصل به انتظام الجهات المذكورة واستعدادها مع معاملة أهاليها بالرفق ولين الجانب والتأليف والمراعاة لما فيه عماريتهم وترغيبهم وتشويقهم على العمارية ودخولهم في سلك الإنسانية شيئاً فشيئاً وهكذا مما يلزم إجراؤه على حسب التعليمات التي أعطيت لكم بالفرنساوى وما هو موجود هناك رؤوف بك قومندان العساكر الموجودة بذلك الطرف وتحرر له أمر من طرفنا ومرسول طيه لتوصيله له بمعرفتكم وأمرناه به أن يكون هو والعساكر تحت أمركم فيما يجب إجراؤه في صالح المصلحة ولو أن المولى إليه ومأموره من العساكر صار لهم مدة زائدة في تلك الجهات ولذلك منظور في إرسال خلافهم من هذا الطرف لتغييرهم لكنه في مسافة إرسال البديل يكون المولى إليه والعساكر منقادين لأوامركم حسب أصول وقوانين الجهادية وعلى هذا وما هو منظور لنا منكم من حسن الخيرة والأهلية مؤملين الاستحصال على ما فيه عمارية جهات خط الاستوى المحكى عنها وراحة أهاليها وحسن توطينهم وتأليفهم على الدخول في سلك الإنسانية شىء فشىء كما هو مطلوبنا .

[عابدين . المعية . دفتر ١٩٤٨ (أوامر عربى) مكتوبة رقم ٩١ صفحة ٤٧]

أسباب تعيين غردون مأمورا لمديرية خط الاستواء

أمر كريم إلى حكمةدارية السودان (إلى اسماعيل أيوب باشا)

في ٢ محرم ١٢٩١ (١٩ فبراير ١٨٧٤)

أمر كريم منطوقه حيث أنه من مقتضى إرادتنا أجرى الوسايط والأسباب

الموصلية للحصول على ما فيه إدخال جهات خط الاستوى التابعة للحكومة في سلك العمارة وانتظام أحوالها وتقديم وتأليف أهاليها وسكانها شيئاً فشيئاً ولذلك سبق تشكيل مديرية مخصوصة إليها كما حررتنا عن ذلك غير أنه بالنظر لسكون تلك الجهات في نقط مستبعدة ونلاحظ أنه يشق عليكم نوعاً ملاحظتها وقتياً فهذا قد صار انتخاب وتعيين القولونيل غوردون بوظيفة مأمور خط استوى لما هو معلوم فيه من حسن الإدارة الموصلية بالنتائج المرغوب في عمارته تلك الجهات وحسن توطيد أهاليها بحيث أن هذه المأمورية تكون قائمة بنفسها خارجة عن إدارة الحكمدارية وحساباتها وأوراقها تتعلق بالمالية بدون واسطة الحكمدارية وفقط يلزم عليكم مراعاة تنجيز وتدارك لواجباتها وطلباتها أول بأول وكلما يقتضى الحال لمشتري وتدارك ما كولات أو مهمات وغيره من المعتاد إرساله إلى ذاك الطرف فبمعرفة الحكمدارية يجرى تداركه وصرف ثمنه مقابلة قيده في العهد وما يرد من تلك الجهات من الأصناف المعتاد توريدها على ذمة الميرى مثل سن الفيل أو ريش النعام أو غيره يجرى قبوله بالحكمدارية بالخصم من المفيد بالعهد وفي آخر السنة ينظر لمقدار ما صرف على تلك المأمورية وبعد استيفاء وخصم ما يكون ورد منها من تلك الأصناف فإذا ظهر باقى للحكمدارية يحسب من الإيرادات المقررة على السودان . وإذا ظهر فايز يجرى ضمه وعلاوته على إيراد السودان ويتقدم بذلك حساب واضح البيان للمالية لمراجعته بها حسب الأصول هذا مع بقاء العساكر وقومندانهم الموجودين هناك والحالة هذه تحت إدارة القولونيل غوردون المأمور المسمى إليه حتى ينظر فيما بعد في تغييرهم بخلافهم كما أمرنا رؤوف بك قومندان العساكر المذكورة بما ذكر وأصدرنا أمرنا هذا لكم للاجری بمقتضاه .

تعليمات إلى غردون باشا بخصوص معاهدة الصومال
أمر كريم إلى غوردون باشا حاكمدار الأقاليم السودانية .

في ١٦ صفر ١٢٩٤ (أول مارس ١٨٧٧)

أمر كريم منطوقه بما أن جهات بربرة وزيلع وتجره وحكمداية هرر هم
من ضمن سواحل البحر الأحمر التابعين حكومتنا وهناك مناسبات وارتباط
كل لا نضمامهم على حكمدايتكم لحسن تمشية إدارة السواحل المذكورة على
الوجه المطلوب فقد اقتضت إرادتنا إحالة تتبع الجهات المذكورة تحت إدارتكم
وتسكون من إجراءاتهم وإراداتهم ومصرفاتهم وتقديم حساباتهم لعموم
الحكمداية كباقي جهات الإدارة وحيث أنه موجود بمديرية هرر رؤوف
باشا من ضابطان العسكرية العظام حكمداراً عليها وفي زيلع أبو بكر باشا
محافظاً عليها وفي بربرة رضوان باشا من ضابطان البحرية مأموراً عليها ومحول
إليها أيضاً إدارة محافظة زيلع وجهة تجره فينبغي أن يكونوا هؤلاء المأمورون
تحت إدارتكم كما صدرت لهم أوامرنا بذلك وإنه بحسب صالح المصلحة يخبروا
جنابتكم في الأشغال التي تتعلق بالجهات المذكورة مما يؤدي لتسوية أمور إدارتها
وعماريتها وتسهيل أحوال التجارة مع كمال الأمور التحفظية كما أنه جارى
عقد اتفاق مجدداً مع الحكومة الإنجليزية على امتداد وتوسيع حدود الحكومة
الخليوية لحد رأس حافون وقريبا يتم وترسل صورته لطرفكم لا جرى
ما يقتضيه الحال نحو ترتيب إدارة الحدود المذكورة مع ما يلزم لها من الأمور
التحفظية بحسب موقعها فبهذه الوسيلة مأمولنا القوى أنه بإحالة وتتبع هذه

الجهات تحت حكم اداريتكم يكمل انتظامها وحسن سيرها وتقدمها على الوجه المطلوب ولزم إحاطتكم بذلك للمعلومية والاجرى بموجبه كما هو مطلوبنا .

حاشية : وبما أن الاتفاق المنوه عنه بحينه فإنه الآن لم يتم أمره وجارى فى المكالة . (فن) المقتضى عدم إشاعة ذلك من طرفكم لحين ما ينتهى الحال فيه ويرسل لجنابكم الاشعار عنه وبهكذا لزم التحشية .

(عابدين المعية . دفتر ١٨) (أوامر عربى) مكتبة رقم ٣ صفحة ٨)



خطاب الشيخ اسماعيل بن عبد الله إلى محمد علي باشا
من اسماعيل بن عبد الله إلى حضرة صاحب الدولة العلية العثمانية (الخديو الأعظم)
في ٤ ذى الحجة ١٢٥٤ [١٨ فبراير ١٨٣٩]

حضرة صاحب الدولة العلية العثمانية والمملكة البهية الخاقانية
من بسط على رعيته بساط الخمد والأمان وأفاض عليهم نهال العدل
والإحسان وحمل حوزة الملة الحنيفية بأساء المعارك وأردى أعداء الدين في
مهاوى المهالك صاحب النصر والتمكن والعز والسعد المسكين وهو الأمير
الأعظم والنيسوب الأكرم مبيد الصفات والمشركين قانع شوكة الفجرة
المتمردين ناصب صراط العدل المستقيم شمس فلك السعادة المشرقة على كل
بارد خصيم سيد الوزراء مقصد الأمراء ملجأ الفقراء غياث الوري أفندينا
المؤيد المنصور ولي النعم أفندينا الحاج محمد علي باشا أيده الله تعالى آمين .

بعد مزيد السلام وأجل التحية والاكرام اللائق لجنا بكم المعظم أما بعد :
بلغنا خبر قدومكم بأرض جزيرة سنار وحمدنا الله بقدمكم وصحة سلامتكم
وتأييد دولتكم ومرادنا القدوم إلى مواجعتكم السعيدة وطلعتكم البهية وحصل
لنا عذر وجعلنا مكتوبنا نايبا عنا وإن سألت عن حالي فإني رجل صاحب
طريقة ودرس منقطع على باب الله فالحمد لله منذ قدموا أولادك أرض
السودان حصلت لنا الراحة والاكرام التام وكل ذلك بسبب إقبالك واکرامك
لأهل الدين وحفظ حرمهم ويرجون الله سبحانه وتعالى ثواب ذلك كله راجع
لك ومنذ ملكك على بلاد السودان لم تخرج على خاطرنا متوجهين لك بالدعاء
في سائر الأوقات في الصباح والمساء وإن شاء الله ببركة الدعاء يبلغك
مقصودك وشرف عليكم كفاية السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

[عابدين . المعية . محفظة ٢٦٥ عابدين ملف متفرقات ١٢٥٤ الوثيقة العربية ١٥٤]

١٨

السودنة واستمالة الأهلين في زيلع وتجره وبربره
من سعادة الحكمدار إلى محافظة سواحل البحر الأحمر
في ٢٥ ربيع ثانی ١٢٨٧ (٢٥ يولييه ١٨٧٠)

خطاب من سعادته يوم تاريخه وردت لطرفنا إفادة سعادتك القيمة في
١٤ ربيع ثانی سنه ٨٧ نمرة ٤ عموم تستفهموا بها عن كيفية عدم التحاق بندر
زيلع بجملة النواحي التي خارج باب المندب والحال فسنبوضح لسعادتك كيفية
هذا البندر وما هو عليه من قديم الزمن لسكالك المعلوماتية بطرف سعادتك وهو
أنه بمدة جنكمان (جنتمکان) أفندينا الكبير كان بندر زيلع بالتبعية إلى إمام
الين من أعمال صنعاء وبمناسبة إحالة جهات الحجاز والين على الحكومة
المصرية بذاك الوقت كان أحيل من ضمنهم على الحكومة أيضاً جهة سواكن
ومصوع وأما بندر زيلع صار أخذه بذاك الوقت من إمام الين وبالأخير لما
صار ترك جهة الحجاز والين إلى ولاية جده وانتزعوا من الحكومة المصرية
فنالجملة سواكن ومصوع وزيلع تركوا إلى الولاية المذكورة وصاروا من
ملحقات جهات الحجاز والين كما تعلموا سعادتك أنه في هذا العهد صار إعادة
مصوع وسواكن إلى الحكومة الخديوية وبندر زيلع لم ذكر في حقه شيء
ولم كان صار طلبه مع سواكن ومصوع وفضل لغاية الآن ملتحق بقائمقامية
الين التي مركزها الحديدة وصار إعطاء هذا البندر بالالتزام إلى عمدته الآن
الشيخ أبو بكر (شحيمة) وموضوع به عما كر أهلية من طرف قائممقامية
الين وهذه المناسبة لم صار التعرض للاحاق هذا البندر إلى الحكومة
الخديوية ضمن النواحي الخارجة عن باب المندب وهذا البندر كان ما بين
ناحية تجرة وما بين مركز بربرة لكنه بسبب وقوعه بين تلك الناحيتين
وجدنا أبو بكر شحيمة هو صاحب إدارة ونفوذ بتلك الجهة حولنا عليه

بملاحظة جهة بربرة (وتجره) ومساعدة وتأليف أهاليهم وإصلاح أحوالهم ومنع النفسانيات الحاصلة بينهم وبين عربان الجبال بتلك الجهات الذي من جعلتهم عربان (زيلع) فإن كل بلد من تلك البلدان لها متانية وروابط مع قبائل العربان وأن أبو بكر المذكور حاصل منه غاية الاجتهاد في حسن معاملة أهالي تجره وبربره وتأليفهم وتحبيبهم للحكومة الخديوية وأنه لم يزل باطنا ينتظر التحاق تلك أيضا ضمن تلك النواحي ودخوله تحت ظل الحكومة الخديوية وكان قد سبق الأعراض من طرفنا إلى الاعتبار الخديوية شفاهي ونحن بالمحرورة في هذا الشأن وأيضا لما كان سبق منا الأعراض بفرز سواكن ومصوع ومديرية التاكا وتوابعهم مع تلك البلاد المستجدة لغاية حدود بربرة وجعلهم محافظة مستقلة كنا عرضنا بالمسكاتبة غير رسمى إلى الاعتبار الخديوية لأعمال الطريقة المستوجبة لأخذ بندر زيلع والتحاقه ضمن تلك النواحي إلى الحكومة الخديوية . ولم ندرى ماذا يستصوبه جناب الخديوى الأعظم فهذا هي واضحة الكيفية في حق بندر زيلع فإذا يلزم مراعاة خاطر أبو بكر شجيمة وتلطيفه ببعض هدايا تشرى مثل أكمل شمال كشمير وأكم طاقية مقصب وأكم دراع جوخ أحمر عال وأكم سجادة صاوية تقوم في مقام ثلاثة كساوى وأربعة أو خمسة لتفريقهم على من يريد من أولاده وقاضى البلدة ومأمور العساكر المعينة معه من طرف اليمن وتجعلوه دائما أشبه بملاحظ من طرفكم على أهالي تجره وبربره المار ذكرهم لأن المذكور كان له عليهم التسايط والألفة وكانوا يميلون إليه بالكلية قبل التحاقهم بالحكومة الخديوية ولغاية الآن متشكرين منه وكل ما يحصل بينهم بعض مشا كل يوسطوه في حلها بالصالح والموافقة بينهم على هذا الوجه يصير مراعاته الحين ما يظهر علامات من طرف المعية السنية في التحاق هذا البندر ضمن تلك النواحي أو عدمه فلذلك لزم إيضاح هذه الكيفية لسعادتكم خاصة افندم ؟

[عابدين . المعين . دفتر ٣٩٢٤ وارد محافظة

سواحل البحر الأحمر رقم ٧٠ صفحة ٣٨]

تاريخ المجالس السودانية

من الجمعية السنوية إلى المجلس الخصوصي

في ٢٢ ذى القعدة ١٢٨٨ (٢ فبراير ١٨٧٢)

جواب للمستشار صورته ورد للجمعية إفادة من مجلس الأحكام رقم ٢٧
الماضى نمرة ١٣ بأن جهة السودان كان موجود بها مجلس واحد وكانت
قضاياها تتقدم للأحكام والآن وردت مكاتبة من حضرة الباشا مدير عموم
قبلى أنهم منها لغو ذلك المجلس وأن حضرة مدير التاكا غير معلوم إن كان
صدر أمر بلغو مجلس السودان المحكى عنه أو تسميته باسم آخر كما أنه مهما
علم من تشكيل مجالس لمديرية التاكا وبربر ومحافظات سواكن ومصوع ما فهم
إن كان مديريات كردفان وعموم قبلى السودان ترتب لهما مجالس محلية أم لا .
وإن كان ترتب للجميع مجلس استئناف أم كيف لآخر ما ذكر والحال أنه
وإن كان لم يصدر أوامر خصوصية بلغو المجلس السالف ذكره غير أن
وجوده كان قبل تبديل هيئة الأقاليم السودانية كما هو معلوم بالمجلس
الخصوصي ولما صارت التشكيلات الجديدة وأجعلها جهات قائمة بنفسها ولغو
الحكمدارية قد أشير بالأوامر في وقتها أن كل جهة تعمل ترتيبها وتقدمه
وفي غضون ذلك كان محافظ مصوع عمل ترتيب نمرة ٢ ثم أن مدير التاكا عمل
أيضا ترتيب وقدمه للجمعية وأرسل إلى المجلس الخصوصي إفادة رقم ١٦ شوال
سنة ٨٨ نمرة ٢٢ للنظر فيه كما أن مدير عموم قبلى السودان عمل ترتيبه وقدمه
إلى المجلس المشار إليه وأرسل صورته للجمعية مع إفادة رقم ٤ الماضى نمرة ١١
وإفادة أخرى في ذلك التاريخ نمرة ١٣ بأنه لمناسبة لغو الحكمدارية واستقلال
المجلس البلدي قد أجرى رقت الذوات الذين كانوا بمجلس السودان ورتب

مجلس الخرطوم مركب من ريس وفقى وكتاب وفراش موظفين وأن
الأعضاء يكونوا من عمد ووجوه البندر يحضروا بأوقات اللزوم فهذه المناسبة
وما تورى من مجلس الأحكام عن وجود مجالس ببعض الجهات دون البعض
وعن مجلس الاستئناف الذى قيل عنه صار هذا بما ينظر فيه بالمجلس
الخصوصى وإن تحسن وجود مجلس بكل جهة واستئناف بالخرطوم على
مجالس الجهات القريبة منه مثل جهات قبلى السودان وكردفان ودنقلة وبربر
عدا التاكا وسواكن ومصوع لمناسبة بعدهم عن الجهة المذكورة وقربهم لمصر
يكونوا تابعين استئناف مصر أو غير ذلك فما يرى ويستصوب بأفكار المجلس
الخصوصى فى هذا الشأن يصدر عنه القرار اللازم ويتقدم لعرضه على
الاعتاب السنية بناء عليه اقتضى تحريره بما ذكر وهذا النطق السامى
أقدم ؟

(عابدين . المعية . دفتر ١٨٥٢ معية عربى رقم ٢٩ صفحة ٧٣)

٢٠

تاريخ المجالس السودانية

ضـورة

قرار المجلس الخصوصى الصادر بتاريخ ٢٧ ذى الحجة ١٢٨٨ (مارس ١٨٧٢)
قد ورد للمجلس إفادة من المعية السنية رقم ٢٢ القعدة سنة ١٢٨٨ نمرة ٢٩
وكما علم من تلاوتها به أن من بعد أن كان موجود بجهة السودان مجلس واحد
وكانت قضاياه تتقدم للمجلس الأحكام ظهر من مكاتبة وردت للأحكام من
حضرة الباشا مدير عموم قبلى السودان أن ذلك المجلس صار لغوه كما أن
حضرة مدير التاكة استفهم من الداخلية عن الجهة التى يتقدم إليها قضايا

المديرية ولهذا فالأحكام استعمل من المعية السنية عما إذا كان صدر أمر بلغو مجلس السودان المتقدم ذكره أو حصل تسميته باسم آخر وهكذا بالنظر لما علم له من تشكيل مجالس لمديرتي التاكة وبربر ومحافظة سواكن ومصوع رغب الاستوضح بأن كان ترتب مجالس محلية لمديريات كوردوفان وعموم قبلي السودان وترتب للجميع مجلس استئناف أم لا وقد توضح بإفادة المعية بأنه وإن كان لم يصدر أوامر خصوصية بلغو مجلس السودان إلا أن وجوده كان قبل تبديل هيئة الأقاليم السودانية وأن تشكيلها على الهيئة الجديدة وإجعالها جهات قائمة بنفسها ولغو الحكمدارية فالأوامر التي صدرت بوقتها عن هذه الخصوصيات أشير فيها بأن كل جهة تجرى أعمال وتقديم الترتيب اللازم وفي خلال ذلك كان عمل ترتيب محافظة مصوع وتقدم للداخلية كما أنه عمل ترتيب التاكة وبعد تقديمه للمعية تحول النظر فيه بالخصوصي وتقدم إليه أيضا ترتيب مديرية عموم قبلي السودان وأنه من الإفادة التي وردت للمعية من حضرة الباشا المومى إليه تبين أنه لمناسبة لغو الحكمدارية واستقلال المجلس البلدى قد أجرى رفت الذوات الذين كانوا بمجلس السودان ورتب مجلس للخرطوم مركب من رئيس ومفتى وكتاب وفراش وموظفين وأما الأعضاء يكونوا من عمد وجوه البندري محضروا بأوقات اللزوم ولهذا ماتورى من مجلس الأحكام عن وجود مجالس ببعض الجهات دون البعض وعن مجلس الاستئناف الذى ذكر عنه قد صدر النطق السامى بإحالة النظر فى ذلك بالمجلس الخصوصى والذى يترامى به سواء إن كان باستحسان وجود مجالس بكل جهة واستئناف بالخرطوم على مجلس الجهات القريبة منه مثل جهات قبلي السودان وكردفان ودنقلة وبربر عدا التاكة وسواكن ومصوع بمناسبة بعدهم عن تلك الجهة وقربهم لمصر يكونوا تابعين لاستئناف مصر أو غير ذلك فالذى يترامى يصدر به القرار اللازم وكذا ورد للمجلس الخصوصى إفادة من الداخلية رقم ١٥ القعدة.

سنه ٨٨ نمرة ١٠٠ ومعهها مكاتبة واردة لها من مديرية كردفان رقم ٨ شوال
سنه ٨٨ نمرة ٦ بأن قضايا المديرية المذكورة كان جارى تقديم ما ينتهى
منها للحكمدارية ومن الحكمدارية يتحولوا على مجلس السودان وللمناسبة لغوهما
وكون تلك المديرية صارت قائمة بذاتها قد رغب الاستوضحاح عن الجهة التي
تقدم اليها ما يصير نهوه من قضايها من الآن فصاعد . هذا وقد علم بالمجلس
أيضاً من البوصلة الواردة من الداخلية بتاريخ ٢٠ القعدة سنة ٨٨ صدور
الأوامر العلية بتخصيص مجلس لمديرية بربر من عمد أهاليها كباقي المديريات
بالنسبة لفرزها من حكمدارية السودان وتشكيل ثلاثة مجالس محلية
بمديرية التاكة ومحافظتى سسواكن ومصوع مركبين من وجوه وعمد التجار
الأهلية للنظر فى الدعاوى سواء إن كانت حقوقية أو جنائية أو مواد تجارية
ومنهم مجلس التاكة وسواكن تعيين لرياسة مجلس كل جهة منهما سرتجارها وتعين
لرياسة مجلس مصوع أحد عمد التجار ولدى المذاكرة عن ذلك بالمجلس رؤى أنه
من حيث مديرتى التاكة وبربر ترتب لكل منهما مجلس والمعلوم أن مديرية كردفان
هى بمثابة مديرية التاكة ودنقله مثل بربر فمن الموافق أن ترتب بمديرية كردفان
مجلس مثل مجلس مديرية التاكة ويترتب لدنقله مثل مجلس بربر وهكذا مديرتى
الخرطوم وسنار وفيزو على تعيين بكل منهما مجلس مثل هؤلاء بحسب ما يترأى
لحضرات المديرين والمحافظين بالنسبة لخفة أو كثرة الأشغال والقضايا يترتب
للمجلس الذى توضح عنهم سواء ان كانوا الذين ترتبوا أو الذى قيل عن
ترتيبهم كل مجلس كاتب أو اثنين بالمهاميات التى ينظر موافقة ترتيبها وأما المجلس
الذى ترتب بالخرطوم فحيث علم من الترتيب الذى ورد للمجلس الخصوصى
من حضرة مدير قبلى السودان أن مقدار المرتب له يبلغ شهرى ٦١٢٥ قرشا
ماهو الرئيس بـ ٢٥٠٠ قرشا ومفتى بـ ٢٥٠ قرشا وكتاب بـ ٣٣٠٠ قرشا
وفراش بـ ٧٥ قرشا وأعضاء من عمد ووجوه البندر فقد استصوب إجماله

مجلس استئناف ويكون مركزه بالخرطوم والسناك وهكذا على مجلس التناكه نظرا لقرب الخرطوم للتناكه عن مصر وأما محافظتى سواكن ومصوع فلمناسمة قريهما لمصر عن الخرطوم فيكونوا تابعين إلى مجلس استئناف مصر هذا الذى روى وبعرضه على المسامع الزكية إذا وافقه وصدر الأمر العالى بإجراه فحين ذاك يرسل من مجلس الأحكام إلى المجالس المذكورة صور القوانين واللوائح والقرارات والأوامر الأساسية المتبع الإجرى بمقتضاها فى المجلس للعمل بموجبهم وهذا كما استقر عليه الرأى .

[عابدين . المعية دفتر ٧٨ وثيقة رقم ٦١ صفحة ٦٠]

٢١

تاريخ المجالس السودانية

من مديرية دنقلة وبربر إلى المعية السنية

فى ٢٢ ربيع الأول ١٢٩٠ (٢٠ مايو ١٨٧٣)

جواب يذكر أنه لما كان ورد نسخة قرار الخصوصى الرقيم غرة صفر سنة ١٨٩٠ مرة ١٠٤ شرح الأحكام نمرة ٩ بامتصواب استجداد مجالس بدنقلة والخرطوم وسناك وكردفان خلاف مجلسى بربر والخرطوم المرتبين من سابق بحيث يكون عليهم استئناف مجلس الخرطوم ومركزه بالجهة المذكورة فبالنظر لسابقة ترتيب مجلس بربر عموم على دنقلة وبربر بمقتضى الترتيب الذى تقدم بمديرية دنقلة وبربر تطبيقا لما نص بالأمر العالى وسهولة إمكان نهو القضايا وعرضه بواسطة مجلس بربر لعدم تكايف الميرى بزيادة ماهيات نظير استجواز مجلس بدنقلة وما تلاحظ لما يتأتى من خدما الاستئناف المنوه عنه فى المستقبل وتأخير القضايا بالتباسهم بالأغراض النفسية المنهى عنها سيما

وأن رئيسه المرتب به لا يعنى شيء عن معنى استرضاء وموافقة الأحكام وأيضا الأعضاء من التجار الغير معول على إلتئانهم واستقامتهم وإدراكهم في الأحكام ومع ذلك فإجرائهم في أيدي كتبه بما شاءوه . لأنهم من خدما تلك الجهات من العهد السابق ومتطبعين على المداخلات والأغراض فلهذا كان أعرض للأعتاب السنية في ١٩ ربيع الثاني سنة ٨٩ نمرة ٢٠ وللأحكام نمرة ١٧ بالاستئذان عما إذا كان يكتفى الحال بمجلس بربر على عموم دنقله وبربر وعرض قضاياه للأحكام أو تقديمها لأحد مجالس الاستئناف البحرية وفي أثناء انتظار ما يصدر به الأمر ورد إفادة الأحكام بالتصميم على استجداد مجلس بدنقله وتقديم قضاياه مع قضاياء مجلس بربر لاستئناف الخرطوم وعلى مقتضاها جرى العمل إلا أنه ترمى له استمرار ذاك المجلس بالتجاري بما لا يقتضى مما يرى منه تأخيرات الأمور الباعثة لضرر الميرى والأهالى حيث فيه بعض أشخاص من خدما بربر سابقا كانوا من رؤس أشرارها في سلب أموال الأهالى والميرى وتحيلاتهم اعتمادا على المداخلة بالرشاوى الذى استترها لأمثالهم وهم مصطفى سالم باشكاتب بربر وحمدان وهبى ناظر قسم بربر ونعمان أغا حاكم ضبط وادى قهر المشبوت عليهم مبالغ كلية للميرى من الأهالى ومع تحصيل مبلغ ٣٠٠ كيسه وكسور فلا زال متأخر طرفهم مبالغ نفود أصناف مقتضى سدادهما ولما وردت بعض قضاياهم لذلك المجلس ردها بمناقضات ومدافعات والظاهر أن ذلك لا يمكن إلا من مداخله الجانبين لضياح حقوق الميرى والأهالى حتى بهذه الكيفية صاروا يرسلوا الاستئناف باختراع التضررات لتنسيق ماسبق حتى وأنه قبل الاستوفى أصدر مكتبة بالإفراج بالضمانات عن هؤلاء وشخص آخر له أسوة بهم يدعى الزين افندى ناظر قسم المتهمة ببربر وابنتهما مصطفى سالم السالف ذكره مشبوت تداخلهم مع كاتب شون شندى سابقا فى تحرير رجعة على الشونه بورود غلال حاصل

فارغ مقابلة خصمه في أثمان أبقار مديرية البحر الأبيض الذي تعاطوه من الأهالي ومن هذا القبيل وما يماثله ظاهر بالشونة المذكورة عجز واختلاس فاحش نحو عن ٣٩٦ ٣٠٨ قرشا وكسور وتحصل منه ٥٧٦ ١٣٦ قرشا وكسور والباقي جارى تحصيله وبطلب الضمان من المذكورين عجزوا عن حضورها وجارى المقتضى في سداد المطلوب من كل منهم وأفاد الاستئناف بكيفيتهم ولسكون الذى تلاحظ من الاستئناف فى أمر رجوع تلك القضايا مع وجهها ذكر والمكاتبه بالإفراج عن الجانبين ماهو إلا لقصد ضياع حقوق الميرى والأهالى وهو لا يمكن السكوت فيرام صدور الأمر إما بتشكيل مجلس لعموم السودان يكون مركب من ريس وأعضاء من أرباب الرتب والفطنة والدراية وتنظيم كتاب (جنائين) بخلاف خد ما الاستئناف ولو بتخصيص ما يزيد من مربوط الاستئناف على ابعاديات المديريات كون لا يخلو من وجود وفورات بها ويكون مركزه اما بشندى كون موجود بتلك الجهة اما كن برية متسعة ومستعدة أو بسوا كن حيث يكون فى ذلك راحة لجميع السودان أو يصير قفل مجلس دنقلة وبربر واستئناف الخرطوم وعرض قضاياهم أما للأحكام أو لأحد استئنافات الوجه البحرى .

(عابدين . المعية ، دفتر ١٨٦٤ معية عربى رقم ١٦ صفحة ٧٣)

٢٢

تاريخ المجالس السودانية

صورة

قرار المجلس الخصوصى الصادر بتاريخ ٩ جمادى

الثانية سنة ١٢٩٠ (٤ أغسطس ١٨٧٣)

قرار صورته أنه بعد أن صدر قرار من المجلس فى ١٠ صفر سنة ١٢٨٩

نمرة ١٠٤ بشأن ترتيب مجالس السودان وتدون فيه بأنه حيث محافظتى سوا كن

ومصوع صوروا إدارة واحدة وحيث موجود بكل جهة منها مجلس مركب من وجوه وعمد التجار الأهلية فلهذه سهولة على أرباب القضايا استنسب أن القضية التي تكون نظرت بأحدهما أول درجة ويستلزم استئنافها درجة ثانية بنوع الأبلو فتتظر في المجلس الثاني إنما في حالة رؤيتها يضم على أعضاء مجلس الجهة التي تستأنف بها اثنين من الأعضاء المنتخبين للدور الثاني بل دور الأعضاء الموجودين قد كانت وردت للمجلس إفادة من الأحكام في ٢٨ جمادى الأولى سنة ١٢٨٩ بنا على ما ورد إليه من جناب منزجر بك بما يعلم منه أن مجلس مصوع ما حصل تشكيكه كما أعرض للجمعية السنية ومجلس سواكن صار الغاه وهذا لداعي عدم مفهومية الأعضاء بالأحكام وأنه ربما يحصل تعرض لأحد عند نظر قضيته لكونهم من أهالي البلدة وأنه غير موجود قضايا بكتا الجهتين تستلزم تشكيل مجالس بهما وأنه إذا حدثت قضية تجارية فهو ينظرها بنفسه بحضور عمد التجار وإن أمكن فصلها يعطى الحكم فيها وإذا أمكن فيقدم جرنالها لمحل الأعضاء وكذا باقى الدعاوى ينظرها بنفسه مراعاة لعدم تكليف الميرى بفتح مجالس هذا وللوقوف على ما انتهت عليه الحال فيما أعرضه حضرته منه للجمعية حصل الاستفهام منها عما ذكر ووردت إفادتها في ١٦ رجب سنة ٨٩ بأن مكاتبة جنابه تقضى عدم وجود دعاوى ولا مشاكل تجارية على الدوام تستلزم ترتيب مجلس مصوع وإن ترتيبه يستلزم تكليف الميرى بماهية كانت له وأنه عند حدوث قضية أو مشكل تجارى يستوجب عقد مجلس يجرى عقده بحضور من كان يتخصص لرياسة المجلس المذكور وأعضائه وأنه صدر النطق العالى بموافقة ذلك وكتب لحضرته بالاجراء فتحرر لها ثانيا من المجلس في شعبان سنة ١٢٨٩ بأن الذى أعرضه حضرته قاصر على عدم الاقتضاء لترتيب مجلس فى مصوع فقط وأورى ما يجرىه فيما إذا حدثت قضية أو مشكل تجارى ولم يصرح عما يحصل فى نظر

المواد الجنسية الذي لا يخلو الحال من وقوعها ولا ما يحصل فيها إذا اقتضى الحال لرفع البطلان درجة ثانية على أى قضية مع أن أصل المقصود من تشكيل مجلس بكل من هاتين الجهتين ما هو إذا تحول رؤية قضائهما على جهات مستبعدة واستسهال استئناف ما يقتضى استئنافه وأن مراعاة حضرته عدم تكليف الميرى بماهية السكاتب فهذا لا يوازى المشقة التى يكابدوها الدعاوى فيما إذا لم يحصل ترتيب المجلسين المحكى عنهما وكذا ما تلاحظ إليه بأن عدم ترتيبهما هو بناء على مراعاة التعرض لأحدهما عند نظر قضيته فهذا يعارضه ما أوضحه منه أنه عند حدوث مشكل أو دعاوى تجارية بمصوع فما زال سيكون النظر فيها بمعرفة حضرته وعند حضور من كان تعين رئيسا للمجلس الجهة المذكورة وأعضائه وهو لا لم يخرجوا عن كونهم من الأهلين الذين توهم فيهم حضرته وقوع التعرض وأنه يعرض تفصيلات السكيفية واستحصال الأمر بما يتبع أوردت منها الافادة رقم ٢٨ ربيع ثان سنة ٨٩ بأنه بمقتضى الإرادة السنوية كانت تبعث مكاتبة المجلس حينما يحضر البك المومى إليه وأنه بحضوره وإطلاعه عليها قدم مذكرة بتوضيح الملحوظات المنظورة إليه وصدر النطق العالى بموافقة ما أبداه وإرسال ترجمة المذكرة للمجلس وقد وردت وتليت ووجد مذكور بها أن إلغا مجلس سوا كن كان بنا على أنه هو وبندر مصوع صارا مأمورية واحدة وأن توقيفه وترتيب مجلس بمصوع ما كان إلا بنا على قلة الدعاوى وعدم وجود أعضاء خاليين من الأغراض وأنه عند حدوث أى دعوى من الدعاوى من التجار بأن يجمع وجوه أهالى البندر ويعقد مجلس تحت رياسته للمداولة ويحكم فيها وأنه ليس مخالفا لترتيب مجالس دائما تكون مركبة من أشخاص أهل دراية وخاليين من الأغراض وأنه إذ نظر لاتساع جهات المحافظة الآن يكون من المستصعب الاقتصار على مجلس واحد وأنه إذا كان المراد ترتيب مجالس فى بنادر الأقسام مثل مصوع وسوا كن وكسله فيكون

هذا بكيفية ألا يخل في ذلك دنكالى وبوغوص وكوفيت وتوکار لأن هذه الجهات تستدعى إجراء أحكام وقتية وترخيص للحكام في اجراءه وانه متى استصوب ترتيب مجلس أو مجالس بوقتها عند وصوله لجهة مصوع يرسل بيان ترتيب ذلك فتحرر من المجلس لجناحه في ١٢ محرم سنة ٩٠ نمرة ٢ بأن الذى استنسب هو ترتيب مجلس في كل من مصوع وسواكن وكسله لحصول السهولة على أرباب الدعاوى وأن يعمل ترتيب بحسب ما يراه في تشكيالهم وفي استئناف ما يقتضى استئنافه من الدعاوى درجة ثانية والآن وردت منه الإفادة في ربيع أول سنة ٩٠ تشتمل على إجراء ترتيب مجلس في كل من جهتي مصوع وسواكن ومديرية التاكة بالكيفية المشروحة أدناه وجارى نظر الدعاوى التي تقدم لكل منهم وأن ما ينظر من الدعاوى بمديرية التاكة يجرى استئنافه بمجلس سواكن وما ينظر بمجلس سواكن يجرى استئنافه بمجلس مصوع وما ينظر بمجلس مصوع يجرى استئنافه بمجلس التاكة وأن المجالس المذكورة لا يكون لها مكاتبات مع الجهات بل كل منهم تكون مخاطبته بواسطة الجهة التي هو تابعها لها ولدى المذاكرة عن ذلك روى أنه وإن كان القرار السابق صدوره من المجلس في ١٠ صفر سنة ٨٩ يقضى أن ما يلزم استئنافه بمجلس استئناف الخرطوم والقضايا التي يقتضى استئنافها من قضايا مجلس سواكن ومصوع فكل منهم يستأنف قضايا الآخر إنما بوقت الاستئناف عن أى قضية يضم على أعضاء مجلسها اثنين من الأعضاء الذى يكونوا منتخبين للدور الذى يلي دور الأعضاء الموجودين به وهذا إنما هو ينتظر لما كان معلوم حينذاك من أن أعضائهم الأهلين ويجرى انتخابهم بالمناوبة لسكن حيث حضرة منزجر بك استنسب أخيراً ترتيب الثلاثة مجالس المذكورة على حسب الهيئة والكيفية التي أوضحها وضرورة أن هذا ما هو إلا بحسب ما تراهى له موافقة اجراء بحسب ما يناسب تشكيالهم باعتبار مواقع وأحوال تلك الجهات وقد

أوضح المومى إليه أن ما يقتضى استئنافه من القضايا التى تنظر بأحد الثلاثة مجالس المذكورة يكون استئنافها بمجلس آخر منهم فقد تراءى بالمجلس موافقة الإجراء على حسبما تراءى للمومى إليه كما ذكر كما أنه وإن كان لم يظهر منه إفادة حضرته أنه اجرا ترتيب كتاب لعمل الكتابة بالمجالس المذكورة مع أن لزوما فيه ترتيبهم لعملية الكتابة ولكون أن قرار الخصوصى السالف ذكره قد تدون فيه عن ترتيب كاتب أو اثنين لكل مجلس منهم بالمهام التى يترأى ترتيبهم بها فعلى هذا صار من المقتضى أنه بمعرفة حضرة البك المومى إليه نظير ما يلزم ترتيبه الآن على وجه ما ذكر بالقرار وبعمل الجدول اللازم بهم وبما يقتضى ترتيبه من الخدمة ويتقدم للمجلس الخصوصى للنظر فيه وبما أنه لم يظهر مما أفاد حضرته ان كان من حصل انتخابهم أعضاء للمجالس المذكورة من الغير موظفين سيكونوا بالدور أوغلى فإذا كانوا بالدور فيتراعى أن الأجراء فى حالة استئناف أى قضية بأحدهم يضم على أعضاء مجلسها اثنين من الأعضاء الذى يكونوا منتخبين للدور الذى يلى دور الأعضاء الذى يكونوا موجودين به على حسب ما نص بالقرار المشار عنه هذا الذى روى وبعرضه وصدور الأمر بتنفيذه يجرى العمل بمقتضاه كما استقر عليه الرأى .

(عابدين . المعية . دفتر ٨٢ رقم ٢٥٩ صفحة ٣٢)

٢٣

تاريخ المجالس السودانية (مصوع وسواكن)
من المجلس الخصوصى إلى المعية السنية

فى ٤ ذى الحجة ١٢٩٠ (٢٣ يناير ١٨٧٤)

جواب لقد تحول على المجلس من المعية السنية مكاتبة فرنساوى مقدمة لها
من حضرة منسجر بك مدير عموم شرقى السودان ومحافظ سواكن وسواحل

البحر الأحمر ومعها ترجمتها عربي وهي تشتمل الأوجه التي تراءت إليه في إجراءات الثلاثة مجالس السابق ترتيبهم لسواكن ومصوع والتاكا مع تشكيل مجلس استئناف بحيث يكون في مركز حكومة الجهة ومركب من حاكم الجهة ووكيله ومساعد له وواحد من أعلى رتبة من ضابطان الجهادية الموجودين بتلك الجهة وشخص من مشايخ القبائل وواحد مفتي وقد تليت تلك الترجمة وبعد معلومية ما اشتملت عليه وحصول المذاكرة فيه بالمجلس فبالنظر لما تعين من أنه النوعين الأول والثاني من مقتضاهما إبقاء الثلاثة مجالس السالف ذكرهم وعدم تجاوز تسلط كل منهم من دائرة حدوده فلم يترأى ما يمنع الإجراء على حسبها ذكر إذ هذا لم يخرج عن أصل المقصود في ترتيبهم كما أن مانص بالوجه الثالث والوجه الرابع من أن يكون لهم الحكم في القضايا المدنية والأولى أن يبتدىء في تسوية القضايا شفاها بصفة قضاة مصالحه وإذا وقف أو امتنع أحد الخصام عن تسوية القضية بطريق المصالحة فيعتبروا بصفة محاكم وتجرى التحقيق مكاتبة وتصدر أحكامها في القضية وإذا تظلم المحكوم عليه يكون له الحق في نظر قضيته بمجالس الاستئناف السالف ذكره فهذا لا بأس من التجويز أيضاً بإجراء مع تشكيل ذلك الاستئناف بالنظر بترتب على هذا وهذا من تشهيل ونهو ما يستدرك نهو من القضايا بنوع المصالحة وهذا ما قيل بالوجه الخامس من أن الثلاثة مجالس تحكم في المواد الجنائية بشرط التصديق على أحكامها من الاستئناف مع ما ذكر بالنوع السادس عن تقديم ملخصات إليه بجميع ما يصدر منها من الأحكام لوضاحة الأسباب المبنية عليها تلك الأحكام فالإجراء على حسبها ذكر في هذين النوعين لم يترأى ما يمنع حصوله وهكذا ما أوضحه حضرته من أن الدواير الغير موجود بها محاكم يكون للمأمور الجهة أن يحكم في المواد المدنية شفاها باتحاده مع عمد وأعيان جهته وسيكون للمحكوم عليه الحق في التظلم للاستئناف وأن يكون لذلك المأمور الحكم فيما

يتعلق بأمور الضبط والربط والجنايات الخفيفة لحد واحد وثلاثين يوم وتحقيق ما يتعلق بالجنايات الجسيمة وتقديم التقرير اللازم عنها للاستئناف وأن يقدم بواسطة حاكم الجهة بيان جميع ما يصدر منه من الأحكام أول بأول فالمتراعى أنه بالنظر لعدم وجود مجالس بتلك الدوائر لا بأس من الاجراء بهم على هذا الوجه للحصول بذلك على الضبط والربط ونهوا القضايا بأوقاتها وهكذا ما نص بالبند السابع من أن ذاك الاستئناف يعتبر بصفة استئناف الا في المواد المدنية لجميع الدوائر الكافية بتلك الجهات وأن لا يعتبر في المواد الجنائية بصفة استئناف للثلاثة مجالس السالف توضيحها وأنه في الدوائر الغير موجود بها مجالس يعتبر فيها بصفة مجلس ابتدائي في المواد الجنائية وله تحقيق الجنايات الخفيفة شفاها ويحكم بالسجن لغاية سنة وفي مواد الجنايات الجسيمة يجرى التحقيق بالمكاتب وله أن يميز بين الحالتين ليجرى التحقيق إما مشافهة وإما مكتابة مع ما قيل بالوجه الثامن من أن يكون له الحكم في جميع المواد حكما باتا قطعيا بلا استئناف وإنما عليه أن يخبر الحكومة بمحروسة مصر عن جميع اجراءاته بتقارير محتوية على ملخص جميع ما أجراه وعلى أن الأحكام التي تصدر منه بالقتل لا يمكن تنفيذها إلا بأمر مخصوص يصدر من الحكومة بمصر فلو أن هذا لا يمكن بمناسبة ما هو جارى بالمجالس المحلية والاستئنافات ولا بالمطابقة لما كان صدر به قرار الخصوصي أخيرا في ٩ جمادى الثانى سنة ١٠٠٩ بتشكيل الثلاثة مجالس المذكورة وما يجرى فى استئناف ما يكن نظر باحدهم درجة أولى ويلزم الحال لاستئنافه درجة ثانية ولا لما كانت صدرت به افادة المجلس الخصوصي للأحكام فى ٢ شعبان سنة تاريخه بما يقتضى لزوم الاجراء بهم على مقتضى القواعد المتبعة فى إجراءات باقى المجالس إلا أنه بالنظر لاستجداد تشكيل المجالس بهذه الجهات وعدم سبق تعود أهاليهم على سير وإجراءات المجالس ومراعاة

للسهولة في نهو القضايا بأوقاتها لا بأس من حصول الاجراء الآن بهم
وبالاستئناف على حسبها أوراه البك المومى إليه مع الأخذ في أسباب الإجراء
على حسب الجارى باقى المجالس شيئاً فشىء حتى يتمروا أولئك الأهالى عليها
وينتظم سير وإجراءات المجالس المذكورة على الوجه الأتم وبناء عليه لزم
تحرير هذا لسعادتكم للعرض عن ذلك للأعتاب السكريمة ومتى وافق ذلك
الإرادة الخديوية وصدر الأمر بإجراه تبع الإجراء بمقتضاه والمكاتبة
الفرنساوى وترجمتها من طيه وهذا ما روى .

(عابدين . دفتر ٣٠ جزء أول صادر الدواوين . المجلس الخصوصى .
رقم ٣٤ صفحة ١٩٢)

٢٤

تاريخ المجالس السودانية (مصوع وسواكن والتاكا)
من المعية إلى مدير شرقى السودان ومحافظ سواحل البحر الأحمر
فى ١٨ ذى الحجة ١٢٩٠ (٦ فبراير ١٨٧٤)
أمر كريم منطوقه فيما تقدم أعرضتم لطرفنا تعريفه فرنساوى العبارة
تشتمل على أوجه تراءت إليكم فى إجراءات الثلاثة مجالس السابق ترتيبهم
لسواكن ومصوع والتاكا مما نظر لكم من لزوم تشكيل مجلس استئناف
يكون فى مركز حكومة الجهة ومركب من حاكم الجهة أو وكيله ومساعد له
وواحد من أعلا رتبة من ضابطان الجهادية الموجودين بتلك الجهة وشخص
من مشايخ القبائل وواحد مفتى وبمقتضى ماتعلقت به إرادتنا كان تحول النظر
فى ذلك المجلس الخصوصى والآن تقدم لدينا لإنهى من مستشار المجلس رقم
٤ ذو الحجة سنة ٩٠٠ نمرة ٣٤ علمنا من أنه لدى المذاكرة بالمجلس فيما أوضحتو
بالنظر لما تبين من أنه النوعين الأول والثانى من مقتضاها أبقى الثلاثة مجالس

السالف ذكرهم وعدم تجاوز تصايط كل منهم عن دائرة حدوده فلم يترأى ما يمنع الاجرا هكذا حيث ذلك لم يخرج من أصل المقصود في ترتيبهم كما أن مانص بالوجه الثالث والوجه الرابع من أن يكون للمجالس المذكورة الحكم في تسوية القضايا المدنية والأولى أن يبدوا في نهاية القضايا شفاهها بصفة قضاء مصالحه وإذا توقف أو امتنع أحدا لأخصام عن تسوية القضية بطريق المصالحة فيعتبروا بصفة محاكم ويجرى التحقيق مكاتبة وتصدر أحكامها القطعية وإذا تظلم المحكوم عليه يكون له الحق في نظر قضيته بمجلس الاستئناف نظرا لما يترتب على هذا وهذا من تسهيل ونهو ما يستدرك نهو من القضايا بنوع المصالحة مع الاجرا أيضا حسبما قيل بالوجه الخامس والوجه السادس من أن الثلاثة مجالس تحكم في المواد الجنائية بشرط التصديق على أحكامها من الاستئناف وأن يتقدم للاستئناف ملخصات من المجلس بجميع ما يصدر منها من الأحكام بوضاحة الأسباب المبينة عليها تلك الأحكام كذا ما أوضحتوه من أن الدوائر الغير موجود بها محاكم يكون للأمور الجهة أن يحكم في المواد المبينة المدنية شفاهها باتحاده مع عمد وأعيان جهته ويكون للمحكوم عليه الحق في التظلم للاستئناف وأن يكون لذلك الأمور الحق فيما يتعلق بأمر الضبط والربط والجنايات الخفيفة لحد واحد وثلاثين يوم مع تحقيق ما يتعلق بالجنايات الجسيمة وتقديم التقرير اللازم عنها للاستئناف وأنه يقدم بواسطة حاكم الجهة بيان جميع ما يصدر منه من الأحكام أول بأول وعن هذا تراءى أنه بالنظر لعدم وجود مجلس بتلك الدوائر استنساب الاجراهم كما توضح للحصول بذلك على الضبط والربط ونهو القضايا بأوقاتها وكذلك مانص بالبند السابع من أن مجلس الاستئناف يعتبر بصفة استئناف في المواد المدنية لجميع الدوائر الكائنة بتلك الجهات وأنه لا يعتبر في المواد الجنائية بصفة استئناف إلا للثلاثة مجالس السالف توضيحها وأما الدوائر الغير موجود بها المجلس يعتبر فيها

بصفة مجلس ابتدائي وله تحقيق الجنايات الخفيفة شفاها ويحكم بالسجن لغاية سنة وفي مواد الجنايات الجسيمة يجرى التحقيق بالمكاتبة وله أن يميز بين الحالتين ليجرى التحقيق إما مشافهة أو بالمكاتبة عما قيل بالوجه الثامن من أن يكون له الحكم في جميع المواد حكما باتا قطعيا بلا استئناف وانما عليه أن يخبر الحكومة بمحروسة مصر عن اجراءاته بتقارير محتوية على ملخص ما أجراه وعلى أن الأحكام التي تصدر منه بالقتل لا يمكن تنفيذها إلا بأمر مخصوص يصدر من الحكومة بمصر وقد ترى بالمجلس أنه ولو أن هذا لا يمكن بمناسبة ما هو جارى بالمجالس المحلية والاستئنافات ولا بالمطابقة لما كان صدر به قرار الخصوصي أخيراً ٩ جمادى الثانية سنة ٩٠ بتشكيل الثلاثة مجالس المار ذكرها وما يجرى في استئناف ما يكن نظر بأحدهم درجة ويلزم الحال لاستئنافه درجة ثانية ولا لما كانت صدرت به إفادة المجلس الخصوصي للأحكام في ٢ شعبان سنة ٩٠ بما يقتضى لزوم الاجراء بهم على مقتضى القواعد المتبعة في اجراءات باقى المجالس إلا أنه بالنظر لاستجداد وتشكيل المجالس بهذه الجهات وعدم سبق تعود أهاليهم على سير واجراءات المجالس ومراعاة للسهولة في نهو القضايا بأوقاتها لا بأس من حصول الاجراء الآن بهم وبلا استئناف على حسبما أوريتموه مع الأخذ في أسباب الاجراء فيهم على حسب الجارى بباقي المجالس شيئاً فشيئاً حتى يتمروا أولئك الأهالى عليها وينتظم سير واجراءات المجالس المذكورة على الوجه الأتم وحيث أن الذى رآه المجلس الخصوصي في ذلك على وجه سلف توضيحه صادف لدينا موقع الاستحسان ووافق ارادتنا الاجرى على روحه فأصدرنا أمرنا لكم بذلك لتعلموه وتجروا نشره من طرفكم إلى مجالس مصوع وسواكن والتاكن ومن يلزم من مأمورين الجهات التي تحت إدارتكم للاجرى على مقتضاه وبمعرفةكم يجرى ما يلزم نحو تشكيل مجلس الاستئناف واتباع العمل فيه على وجهها سلف توضيحه كما أن التقارير

الذى ذكر عن تقديمها من هذا المجلس عن جميع اجراءاته بما فى ذلك القضايا
التي تتعلق بالقتل وهذا يكون تقديمه إلى مجلس الأحكام وبتاريخه صار اشعار
الداخلية ومجلس الأحكام من معيتنا بذلك وهذا كما اقتضته إرادتنا .
(عابدين . المعية دفتر ١٩٤٨ (أوامر عربى) . رقم ١٢ صفحة ٤٩)

٢٥

عن إلياس افندى محمد بكر دفان
من الحكماء إلى المعية السنية فى ١٣
ذى الحجة ١٢٩١ (٢١ يناير ١٨٧٥) .
جواب يذكر . أن سر تجار وريس مجلس كردفان المدعو إلياس افندى
محمد أم برير من الناس المعتبرين بكر دفان و نافذ الكلمة بين أهاليها ومن نفسه
جهاز ٣٠٠ نفر مسلحين من جماعته ورحلهم من طرفه بكافة لوازمهم
وحضروا لمساعدة الحكومة كما أنه لما طلب أقمشة للملبوس العساكر وصرف
استحقاقهم فبدون أن يعلم له ما يتم عليه الحال بينه وبين أهالى دارفور
وسلطانهم بادر بتجهيز القدر التى طلب منه وأحضر وجارى مبيعها إليه مقابلة
أحتساب أثمانها من ضمن ماله من ثمن الكساوى والاستحقاقات مع عدم
وجود الراغب لأخذها وما زال موجود هو بنفسه فى دارفور مواظب مع
جماعته فى خدمة الحكومة مع تقدمه فى السن بدون مقابل من أصحاب الثروة
ونافذ الكلمة ان وافق يحسن عليه بعنوان الرتبة الثالثة ونيشان افتخارى
مجيدى من الدرجة الثالثة نظير سبق خدمته أولا وأخيرا وذلك
بدون ماهية .

صدر له أمر على بتاريخ ٧ صفر نمرة ١١ (سنة ٩٢) وحفظ
[عابدين . المعية . دفتر ٥ معية عربى وارد
الافادات رقم ١١ مرور صفحة ٦٠]

٢٦

عن محمد أحمد دفع الله بكر دفان

من حكامدار السودان إلى المعية في ١٣ ذى الحجة سنة ١٢٩١ (٢١ يناير سنة ١٨٧٥)

جواب يذكر أن واحد تاجر اسمه الشيخ أحمد محمد دفع الله من معتبرين أهالي كردفان مع كونه ليس صاحب ثروة جسيمة فإنه لحبه في الوطن قد جهز ٣٥٠ نفر من جماعته وأعطاهم كامل لوازمهم ما عدا صنف البارود وشيء قليل من الأسلحة وأرسلهم في هذه الدفعة لدارفور وللمساعدة العساكر وما زالوا موجودين بالفرقة التي مع الزبير باشا في تعقب العصاة بدون ماهية ولا مقابل بل فقط لحصوله على الشرف ولذلك حصلت الممنونة والتشكر إليه وصار وعده بالمسكانية لأنه لا بد من مكافأته فيروم الإحسان عليه بعنوان الرتبة الرابعة والنيشان المجيدى من الدرجة الخامسة بدون ماهية بل شرف فقط .

صدر له أمر على بتاريخ ٧ صفر نمرة ١١ وحفظ

[عابدين . المعية دفتر ٥ معية عربى

وارد الإفادات رقم ١٢ مرور]

٢٧

عن الخبير محمد إمام سر تجار دارفور

من حكامدارية السودان إلى المعية في ١٣ ذى الحجة ١٢٩١ (٢١ يناير ١٨٧٥)
جواب يذكر أن الخبير محمد إمام سر تجار دارفور أصله من مديرية دنقله وفى العهد القديم كان جده حضر وأقام بدارفور حتى تناسل فصار من القريين لأمير دارفور فرقة وذريته بالمثل حتى أن الخبير المذكور صار صاحب ثروة وتزوج بشقيقة أمير دارفور المتوفى المسمى السلطان ابراهيم ونافذ

الكلمة وله معرفة بكافة جهات دارفور ومتوظف بهذه الوظيفة من سابق
وحزمة ومحمود الذين كان أرسلهم أمير دارفور هما إخوته ومع تقربه للامير
المذكور فإن قلبه مايل للحكومة الخديوية وأول من قابله بالفاشر بالامثال
والطاعة هو واجتهد في استحضار الغلال وغيرها للعساكر ولما كان الزبير
باشا بجهة جبل مرة فمع تعرض العصاة بالطريق كان جارى توصيل البوسطة
من وإلى الزبير باشا بمعرفته ولما تجمعوا العصاة وأرادوا الهجوم على بلد
تسمى كوية التى هى مركز تجار دارفور مع أسيوط وأغلب أهاليها هم من
مولودين أهالى أسيوط حضر المذكور ليلا وأخبر بالحاصل وبناء على أخباره
صار قيام حسن حلى بك ليلا بالعساكر وفى ثانى يوم هجموا عليهم العصاة
زيادة عن ستة آلاف نفر وهزمهم العساكر وقتل منهم نحو الستمائة نفر
وفى اثناء المحاربة كان الخبير المذكور وأغلب جماعته متسلحين ومساعدين
العساكر فى قتل وطردها العصاة وبعد اتمام ذلك ضيف العساكر بطرفه وصار
تقديمه لهم المأكول والمشروب من منزله ومنازل جماعته وأكرمهم غاية ونهاية
ولكون اجراءاته هذه تستلزم ممنونية منه فقد أخبره بما حصل لاختوته
من اكرامهم ونزولهم بالمسافر خاانه وعدم تعرض الحكومة لأمواله الذى
وجدت معهم فازداد فرحا وسرورا كما أنه لكونه صاحب ثروة ونافذ السكينة
وتحقت صداقته وله معرفة بالقراءة والكتابة وله تعرف تام على أحوال
أهالى دارفور استنسب أن يكون ريس مجالس دارفور المزمع تشكيله وسر
تجارها ويحسن إليه بالرتبة الثانية والنشان المجيدى من الدرجة الثالثة وهذا
عنوان شرف فقط بدون ماهية لزيادة اجتهاده وصداقته وراسل إفادة من
حسن حلى بك وإفادتين من الخبير المذكور لأجل النظر والعرض عما ذكر
للاعتاب وإن وافق هذا الاستنساب يفاد .

صدر له أمر على بتاريخ ٧ صفر سنة ١٢٩٢ وحفظ

(عابدين . المعية . دفتره معيه عربى وارد الافادات مكاتبة رقم ١٠ مرور
صفحة ٥٠)

obituary.com

١ - الأمن

٢٨

الأمن والسلام في ربوع السودان

إرادة سنية إلى حكمدار السودان (جعفر باشا)

في ٩ ربيع الثاني ١٢٨٣ (٢١ أغسطس ١٨٦٦)

لقد اطلعنا على خطابكم المؤرخ في ٤ صفر سنة ٨٣ رقم ٣٤ الذي ذكرتم فيه:
أن أحمد أبو شيبه أحد أشقياء جهات البحر الأبيض، قد انقضض على أهالي
الدنكة والشاوك بنحو ٣٠٠ نفرا من أعوانه الأشقياء المساحين ونهب مواشيهم
وأسر عيالهم وأنه لما اقتفى أهالي الدنكة أثرهم القوهم قد باتوا في مكان خطر
فانقضوا عليهم بدورهم مع عربان النويرة وقتلوا أبو شيبه ونحو ٥٠ نفرا من
أقاربه وجماعته. ثم لحقت بهم العساكر التي سیرت عليهم من المديرية. ففر
الخيالة من الأشقياء واضطر المشاة منهم إلى التسليم، فسيقوا إلى المديرية حيث
سلموا إليها مع الرقيق والمواشي والأسلحة التي ضبطت مع الأشقياء.

ونوهم بموقف المدير في هذا الحادث وقلتم أنه عندما علم بقيام الأشقياء
لغزو الشاوك لم يعمل على قطع الطريق عليهم، كما أنه عندما تلقى خبر سيرهم
على الدنكة اكتفى بإرسال عدد قليل من العساكر وأن محمد عيسى ابن الفقي عيسى
قد غزا الدنكاويين في غرة محرم، مع بعض أعوانه إلا أنه لم يقو على مقاومة
العساكر الذين عينوا لحراسة الدنكاويين حيث هرب الخيالة من جماعته وسلم المشاة
منهم، وأن مدير البحر الأبيض جمع الرقيق الذي ضبط مع الشقي أبو شيبه
والرقيق الذي ضبط مع محمد عيسى وأتى بالمواشي والأشياء الأخرى التي
صودرت مع فريق الأشقياء، ووزع القليل منها على العساكر الذين ضبطوها
بدون مقابل وباع الرقيق إلى الموظفين والعساكر الموجودين هناك الأمر الذي

أوجب عزله وتعيين وكيل المديرية مكانه .
إن أهم ما نفكر فيه ، ونسعى إلى تحقيقه هو إدخال السودان بمافيه جهات
البحر الأبيض في دائرة المدنية والعمران ، كما هي الحالة في اقاليم الحكومة
الأخرى . ومع أن السودان لا يراد له في الوقت الحاضر ، فإننا لمجرد إدخاله
في هذه الطريق ورغبة في إسعاد أهاليه قد أنشأنا مديرية البحر الأبيض التي
كلفنا إنشاءؤها الكثير من النفقات .

وبينما نحن نعمل على إنشاء مديريات أخرى ، في الجهات العليا ونسعى
لعمران تلك الأرجاء آمليين انضواء الأهالي تحت لواء الحكومة إذا بالحوادث
تقع عكس ما نرغب ونأمل . وهذا ما يدعو الى الأسف الشديد الذي لا يمكننا
أن نعبر عن مداه .

إن مدير البحر الأبيض لم ينظر إلى أن أهم واجباته هو حفظ الأمن في تلك
الجهة وقطع دابر الأشقياء والأشرار والسعى الدائم لعمران مديريته وإسعادها
جاعلا ذلك نصب عينيه عاملا على تحقيقه . لم ينظر إلى أن واجب العمل يقضى
على أمثاله الموظفين بأن يسعوا بكل الطرق الممكنة لاجتذاب قلوب الأهالي
نحو الحكومة وجعلهم مطمئنين إليها .

إنه لم يعبا بزحف الأشقياء على أهالي الشلوك وظل هذا شأنه عندما وصل
إليه خبر تقدمهم من الدنكة ، حيث اكتفى بتسيير القليل من الجند ومعنى ذلك
هو إلقاء هؤلاء الجنود بالتهلكة وإيقاع الأهالي في مخالب الأشقياء ولم يكتف
بذلك أيضا .

فبينما الحكومة قد ألغت بيع الرقيق منذ مدة طويلة ، حتى أن الرقيق
الذي يضبط مع الأوربيين تعتقه الحكومة وتعيده إلى الجهات التي تقرب من
أوطانه الأصلية على نحو ما جاء بمكاتبتكم ، إذا بالمدير يخالف ذلك كل المخالفة
ويقدم على بيع الرقيق الذي استرد من الأشقياء وفي ذلك مافيه من الاستهتار

بأوامر الحكومة ومن أجل ذلك يجب ألا يكتفى بعزله وإنما يجب أن يرسل إلى فيزوغلي ليعتقل هناك ويستخدم بالأشغال الخسيسة ليكون عبرة للآخرين أما الرقيق الذي باعه فيجب استرداده وإعادةه إلى أوطانه بالراحة وإسكانه فيها واطلب أن تعملوا على عدم وقوع مثل هذه الحوادث المؤلمة مرة أخرى وأن تحولوا دون تعدى الأشقياء والإشرار على الجهات التابعة لهذه المديرية هذا مع التوصل بالأسباب المؤدية إلى تمدين البلاد وعمرانها .

أما محمد عيسى الذي أغار على أمالي الشاوك في الواقعة الثانية فأرسلوه إلى البحر الأبيض واستخدموه بالأشغال الشاقة مكبلاً بالسلاسل . وتحرروا عن الأشقياء الذين هربوا من أتباع الشقيين محمد عيسى وأبو شيبه والقوا القبض عليهم في أقرب وقت وقوموا بأجراء ما يجب نحو الأشقياء الذين ألقى القبض عليهم والذين سيقبض عليهم .

ولبيان ماسبق ذكره وإخطاركم بالموافقة على تعيين وكيل المديرية الآنفه الذكر مكان المدير المعزول قد أصدرنا إليكم أمراً هذا .

(عابدين . المعية . دقتر ٥٥٨ معية تركي رقم ٣٣ صفحة ٦٣)

تأمين الحدود

أمر كريم إلى زبير بك مدير بحر الغزال في ١١ محرم ١٢٩١ (٢٨ فبراير سنة ١٨٧٤) :

أمر كريم منطوقه أنه بناء على ما شوهد فيكم من حسن الغيرة والاجتهاد في ضبط وربط أمور الحكومة التي تحت إدارتكم مع ما هو حاصل معكم من الدقة في منع تداول واستعمال التجارة في صنف الرقيق بالتطبيق لأوامرنا

العمومية التي صدرت في هذا الخصوص ثم واجتهدكم أنتم ومن معكم من
عساكر الحكومة التي تحت إدارتكم في مقابلة العساكر التي حضرت من جهة
دارفور بالمدافع والأسلحة للهجوم على حدود الحكومة ومحاربتكم وقد
قاومتوهم حتى انهزم وتخلف منهم بعد الحرب واستوليتم على ما أخذتوه من
الأسلحة والمدافع ونحوه كما علينا تفصيلات هذه الواقعة مما ورد لمحتنا من
الباشا حكمدار السودان رقم ٢٢ ذو الحجة سنة ٩٠ كل هذا وقع عندنا موقع
الاستحسان واستوجبتم على ذلك كسب الافتخار والممنونية من جهتنا إليكم
وإلى الضابطان والعساكر الموجودين تحت إدارتكم واستحققتم بذلك ترفع
قدركم وعلو شأنكم ولهذا قد وجهنا لكم الرتبة الثانية وأرسلنا لكم فرمانها
على يد الباشا حكمدار السودان لافتخاركم بها وتمييزكم بين الأقران والأمثال
فينبغي بوصول أمرنا هذا إليكم ، تجمعوا العساكر والضابطان الموجودين
بطرفكم وتتلوا عليهم أمرنا هذا حرفيا بعد أن تبلغوهم السلام مناجمعا وتفهموهم
بأن مساعيهم الحسنة التي سارعوا فيها وأجروها في هذه المحاربة أوجبت
تشكرنا منهم وحسن الالتفات إليهم وأنهم فيما بذلوه واجتهدوا فيه من الحزم
والسداد وحفظ شرف الحكومة وصيانة أطرافها ومقاومة وكسر أعدائها
يكون هذا باعثا لكسب ممنونيتنا أضعاف ذلك وعليكم أيضا الملاحظة لهذا
الأمر والقيام بمراعاة ما يجب من الضبط والربط وحفظ وصيانة شرف
الحكومة وأمنية الطرق وإجراء مستوجبات عمارة الأهالي وانتظام أحوالهم
ودخولهم في سلك الانسانية لتتالوا بذلك زيادة الاعتبار وكال الافتخار .

[عابدين . المعية . دفتر ١٩٤٨ (أوامر عربي) رقم ٩٧ صفحة ٥٣]

تأمين الأهالي والعربان في هرر

من المعية السنية إلى حكمادارية هرر وملحقاتها

في ٩ ربيع الأول ١٢٩٣ (٢ أبريل ١٨٧٦)

منطوقه أنه من محرراتكم المؤرخة هـ ذى الحجة سنة ٩٢ فهم أن قبایل عربان الجالا كانوا في مدة أمير هرر معتادين على الانتفاع من المدينة بواسطة حضور جانب منهم في كل شهر وإقامتهم في المدينة بطرف الأهالي وإعطائهم مأكلا ومشرب ونقود للمصروف وكل واحد ثمانية أذرع قماش والآن وقد امتنع ذلك وحيث أن الظاهر مما أوضحتوه أن الحاصل من العربان المذكورين هو بسبب انقطاع كسبهم وانتفاعهم المعتادين عليه من مدة الأمير ولهذا تلاحظ لدينا أنه لو صار استمالة قلوبهم وتأليفهم بكيفية توريثهم البشاشة والمعاملة بالرفق ولين الجانب وقبول مقداركم ألف منهم بقدر ما تستنسبوه وإجعالهم بصفة عساكر بحيث لا تعطى لهم أسلحة نارية من الحكومة بل يكونوا بآلاتهم المعتادين عليها مثل الحرب والنبال ونحو ذلك وترتب لهم إما ماهية أو قماش كما هم معتادين عليه وصرف مؤونة لهم وترتيب ماهية لمشايخهم أيضا فبالطبيعة أنهم متى علموا أن الحكومة مقصودها منفعتهم بواسطة إدخالهم في خدماتها يحصل تأليفهم وإصلاح حالهم وتهذب أخلاقهم ويميلون إلى جانب الحكومة فقد أريناكم ما حووظاتنا بحسبها لاح بفكرنا بهذا الخصوص فيلزم أنكم تتدبروا في ذلك أيضا والذي تستنسبوه سواء كان الأجراء بهذه الصورة أو بطريقة أخرى تعرضوا لظرفنا عنه ونهاية أفكارنا إنما هي تأسيس عمارية هذه الحكمادارية ووجود الأمن الكافي فيها وفي أطرافها وملحقاتها واستمالة أهاليها وكما أن الذي حصل منكم من الغيرة والحجة حسبها يليق بشرف العسكرية والاجتهاد في الأمور المأمورين بها

وقع لدينا موقع الاستحسان والممنونية لتسكين أحوال العربان ودخولهم في سلك الطاعة والإنقياد للحكومة وعمارية الجهات وتأمينها كما هو مطلوبنا .

حاشية : وحيث معلومكم أن جهات طرفكم مستجدة وأهاليها غير معتادين على الحركات والمناورات العسكرية بالنظر لعدم سبق مشاهدتهم إياها وربما أنكم أحيانا تطلعوا خارجا عن هرر بالعساكر لإجراء بعض تعليمات عسكرية وأولئك متى نظروا هذه الحالة يخطر ببالهم أنكم قاصدين ضرب بعض القبائل ومحاربتهم ويترتب على ذلك نفورهم فلاحظة لمنع الاشكالات التي تحدث من هذا القبيل يلزم اجتناب الخروج بالعساكر من هرر إلى مسافة بعيدة عنها بالكلية هذا ومن جهة ما جرىتموه للجهادية بشأن العساكر الذي أرسلت لطرفكم مؤخرا مع التورية بأنهم متقدمين في السن فاعلموا أنه يتعذر إرسال عساكر خلافتهم من هذا الطرف بالكلية لجملة أسباب تمنع ذلك ومن الضروري أنكم تتحصلوا بمعرفتكم على العساكر التي تلزم سواء كان بواسطة إلحاق من يوافق من الأهالي الذين وقعوا في يديكم أسرى من المصادمات التي حصلت مع قبائل العربان أو من الرقيق الذي يجري ضبطه عند وجوده عرضة للبيع بحيث إذا ما كان لكم أمنية في ابقى العساكر الذي تستجلبوها بهذه الصورة لا بأس من إرسال كلما يمكنكم إرساله منهم لئلا بعد تعليمهم التعليمات الابتدائية ليرسل لكم بداهم وعلى هذا قالكساوى التي تلزم لإلباس هؤلاء العساكر فيدوا عنها لترسل طرفكم ومرسول بوجهه طى أمرنا هذا فتجروا العمل بمقتضاها .

(عابدين . المعية . دفتر ١٠ أوامر عربي . أمر كريم رقم ٥ صفحة ٣٣)

وتنظيمها على أحسن وجه فاستحسن المجلس اختيار أميرالاي رفاعة بك الذي
بديوان المدارس ناظرا للمدرسة المذكورة وإرساله الى تلك الديار وانتخاب
المعلمين الذين تحتاج اليهم تلك المدرسة برأى البك المشار إليه وكتب إلى حضرة
صاحب العزة الباشا مدير المدارس في ٦ من رجب سنة ١٢٦٦ ورقم ١٦٦ بأن
يبلغ رفاعة بك المشار إليه مهمته ويطلب إليه أن يشعر المجلس بالمعلمين الذين
يصطفهم وينتدبهم وأن يضع مشروعا يبين فيه مقدار المأكولات والملابس
وسائر اللوازم التي تصرف لهذه المدرسة شهريا وسنوويا على نحو الترتيبات
المتبعة في المدارس المصرية وأن يرسل هذا المشروع موضوعا على نهج مدرستي
المبتديان والتجهيزية كما أسلفنا وقد أنبأنا حضرة المدير المشار إليه في كتابه
رقم ٧٢ المحرر في ١٣ من رجب سنة ١٢٦٦ أن المعلمين اللازمين لتلك المدرسة
قد انتخبوا من بين أكفأ الرجال وأنه قد وضع مشروع (ترتيب) بين فيه
الموظفون الآخرون ومقادير الفرش والملابس والجرايات والمرتبات ورفع
إلى الاعتبار فنال موافقة إرادة ولي النعم وإن الأشياء اللازمة للطلبة المذكورين
التي جاء بيانها في المشروع قد قدرت أثمانها على حسب أسعار القاهرة وإن على
المعلمين الذين ذكرت أسماءهم في المشروع أن يقوموا بتدريس الطلبة وبمهمة
الضبط والربط والوزان ووكيل الخرج والغسل والسقاء والطباخ وغيرهم من
الخدم ينبغي انتدابهم من تلك الديار وإن التلاميذ إذ يكونون مبتدئين عند
دخولهم المدرسة فيستطيعون الدخول في عداد تلاميذ التجهيزية في ظرف ثلاث
سنوات أو أربع فقد اعتبروا مبتدئين والحالة هذه وخصص لكل منهم مرتب
شهري قدره ستة قروش وقد أرسل إلينا المشروع المذكور فاطعنا عليه وتبين
لنا أن مجموع نفقات المدرسة المذكورة السنوية تبلغ ثلاثمائة وثمانية وثلاثين ألفا
وثلثة وثلثين قرشا وتسعا وثلثين بارة (٣٣٨.٣٣٢ ١/٢) قرشا فوافق المجلس
على تنفيذ مقتضى الترتيب المذكور وقرر استصدار أمر إلى رفاعة بك المشار
إليه بأن يستصحب حين يبلغه القرار الأحد عشر معلما والطبيب الذين انتدبوا

من ههنا وذكرت أسماؤهم في المشروع السالف ذكره فيسرع بهم إلى صوب مهمته ويبادر في تأسيس المدرسة المذكورة وينظمها وفق المطلوب السامى عند وصوله إلى الخرطوم بعد أن يخبر حضرة الباشا حكمدار السودان وأن لا يألوا جهداً في التأكيد على المعلمين وفي البحث والتحرى وأن لاتعد عيناه عن التلاميذ وأن يرغبهم في العمل ويبدل همته في سبيل تقدمهم في اكتساب العلوم والمعارف وأمر إلى حضرة صاحب العزة الباشا مدير المدارس في مباح نحو قيد البك المشار إليه وقيود المعلمين والطبيب الذين سبق ذكرهم من سجلات جهات استخدامهم ويرسل كشوف مرتباتهم وجراياتهم إلى حضرة صاحب السعادة حكمدار السودان ليقيدوا في محال استخدامهم بتلك الديار جرياً على الأصول وأمر إلى حضرة صاحب السعادة حكمدار السودان بأن يخصص محلاً مناسباً للمدرسة المذكورة حين يصل البك المشار إليه إلى الخرطوم فيقيد البك المشار إليه والمعلمين والطبيب السالف ذكرهم بموجب الكشف الذى سيرسل من ديوان المدارس وأن يختار الخدم والموظفين الآخرين الوارد ذكرهم في الترتيب من أهل تلك الديار وأن يقيد للمدرسة المذكورة بتشاور مع الناظر المشار إليه طلبية من أولاد مشايخ الجهات السابق ذكرها وأهلها من أولاد الأتراك المتوطنين بتلك الديار منذ قديم الزمان وأحفادهم على الوجه الذى أسلفنا كلما جاءوا حتى يبلغ عددهم مائتين وخمسين طالباً وأن يقيد طعامهم ولباسهم ومرتباتهم ولوازمهم الأخرى على الوجه الذى بين فى كتاب الترتيب ابتداء من تاريخ قدومهم ويحضرها ويصرفها لهم فى أوتها كما قرر (المجلس) إرسال صور من المشروع (الترتيب) المذكور إلى المشار إليهم طى هذا القرار .

[عابدين . المعية . دفتر ١٩٥٨ قرارات المجلس الخصوصى . (تركى)

رقم ٤ صفحة ١١٩ فصل المدارس]

صرف الرواتب والأرزاق للزوايا

من المعية إلى حكمدار السودان (موسى حمدى باشا)

فى ٢٧ رمضان ١٢٨٠ (٧ مارس ١٨٦٤)

قد اطلعنا على المسكاتبة العربية الواردة منكم رقم ٧ بتاريخ ١٨ رجب سنه ٨٠ التى تطلبون فيها ترتيب مرتب ٧٥ قرشاً وأردباً من الذرة شهرياً إلى الزاوية التى بناها الشيخ مصطفى ابراهيم الأصوانى أحد الفقراء المتوطنين فى بربر بناء على التماسه ترتيب مبلغ بصفة إعانة حيث أن تلك الزاوية محضرة لتعليم القرآن والعلوم الدينية وينتسب لها ٢٢ نفر لتلقى العلوم الشريفة والتى تذكر فيها أن المساجد الشريفة الكبيرة الموجودة بالسودان مرتب لها مرتبات لغاية ٢٥٠ قرشاً وأربعة أراذب بصفة إحسان من الحكومة إعانة لها لمعيشة الفقراء وبما أن أملنا الوحيد هو قيام الشعب بتحصيل العلوم وتعلمها وصالح حالهم ودخولهم إلى سبيل المدنية بتعلم القراءة والكتابة وحيث ان انشاء مثل هذه الزوايا والأعمال الخيرية مما يستوجب سرورنا نأمر بتوسيع زاوية الشيخ مصطفى ابراهيم وتجديد بنائها لتكون مثال الزوايا الأخرى التى بالسودان على نفقة الحكومة واحتساب المصاريف وخصمها من الإحسانات على جانب الديوان ، ونأمر ايضاً بصرف ٢٥٠ قرشاً شهرياً إلى ما شاء الله وكذلك صرف أربعة أراذب شهرياً بصفة إحسان للزاوية المذكورة لفقراء الأهالى الذين سيقصدونها لتعلم القرآن والعلوم الشريفة أسوة بالمساجد الكبيرة فنأمركم بتنفيذ ذلك كما اننا نطلب منكم أن تبلغوا الشيخ مصطفى المذكور سرورنا وممنونيتنا منه وتطلبوا منه أن يعنى عناية كبيرة بتعليم القرآن وتدريس العلوم للأهالى فى مقابل هذا الالتفات السامى .

(عابدين . المعية دفتر ٥٢٩ معية تركى رقم ٢ صفحة ١١٧)

نشر وتعليم أصول أحكام الشريعة والديانة في الأقطار السودانية — من
المعية إلى حاكم دار السودان (جعفر مظهر باشا) .

في ٥ شعبان ١٢٨٤ (٢ ديسمبر ١٨٦٧)

قد عرضنا على أعتاب ولي النعم إفادتكم المفصلة الواردة هذه المرة بتاريخ
٢٧ رجب سنة ٨٤٤ الوارد فيها : أنه بناء على أمر الجنب العالي الخاص بلزوم
تشويق وترغيب الأشخاص المسلمين بعالم الفقه والنحو من أهالي السودان
في الحضور إلى الجامع الأزهر وملازمتهم الإقامة فيه مدة سنتين أو ثلاث
سنوات لتكميل علومهم وهذا لأجل نشر وتعليم أصول أحكام الشريعة
والديانة في الأقطار السودانية حيث أنه يندر وجود العلماء والفقهاء فيها . بناء
على ذلك الأمر قد أحضرتكم معكم هذه المرة نجلى المرحوم الشيخ عمر قاضي
عموم مديرية (تاكة) السابق وذهبتم بهما إلى جامع الأزهر وحيث إعاشتتهما
برغيف واحد فقط الذي هو المرتب الوحيد لطلاب الجامع المذكور سيؤدي
إلى نفورهما كما أنه سيوجب كسر رغبة أمثالهما في المجيء إلى مصر لذلك رأيت
من اللائق تخصيص مرتب يومي بمبلغ قرشين لكل منهما ليكون مداً
لإعاشتهما . وحيث أن الجنب العالي وإن كان وافق على تخصيص مرتب يومي
بمبلغ قرشين لكل من الشخصين المذكورين حسب التماسكم إلا أنه أصدر
نطقه الكريم بلزوم صرف هذه اليوميات من إيرادات الأقاليم السودانية .
بناء عليه قد حررنا هذه الإفادة وأرسلناها إلى طرفكم لتبادروا إلى مخبرة
نظارة الداخلية بخصوص إجراء اللازم في هذا الباب .

تلاميذ المدارس الأميرية وانتشار المعارف بالسودان

من : الجناب العالى

إلى : حاكم دار السودان (جعفر مظهر باشا)

فى ١٨ ربيع الآخر ١٢٨٧ [١٨ يوليه ١٨٧٠]

أمر منطوقه نقد علم لدينا من إفادة سعادتك المؤرخة ١٤ ربيع الأول سنة ٧٨ نمرة ١ أن تلاميذ المدارس الأميرية التى بمراكز مديريات السودان تقدموا فى الكتابة والقراءة حتى أن بعضهم ألحق بعملية التلغراف والبعض استحصل على الكتابة الديوانية والبعض جارى تعليمه فن الهندسة وللمناسبة أن الماهيات المرتبة لكل من الخوجات — مائتين وخمسين قرش مكفى والنظار فيهم لغاية خمسمائة قرش وتكرر منهم التماس مكافآتهم على خدماتهم فلهذا وكونهم الجميع يستحقوا الزيادة فقد أوعدتهم بها واستحصلتم أن تكون العلاوة للخوجات من ثلاثمائة قرش لغاية خمسمائة قرش بحسب استعداد ووظايف كل منهم ومائة قرش على ماهيات النظار وأردب واحد ذرة لكل من الخوجات والنظار لبذل مجهودهم والتفاتهم لأداء وظايفهم لآخر ما فى الإفادة وقد حصل لنا غاية الممنونية من أولئك التلامذة لما يستلزم على هذا من انتشار المعارف بالجهات السودانية وانتظام أهاليها فى سلك التمدن كما هو أقصى آمال الحضرة الخديوية . وعلمنا أن هذا ناشئ عن حسن مساعيدكم الخيرية . وبذل مجهود الخوجات فى حركة التعليم وقيام النظار بأداء واجبات الضبط والربط وحيث أنهم بهذا صاروا يستحقوا المكافأة على حسن صنيعهم فقد وافق لدينا ما استحسنتموه من علاوة المائة قرش شهرى على ماهية كل من النظار واجعال ماهية الخوجات من ثلاثمائة قرش إلى خمسمائة قرش بحسب ترويه فى استعداد كل منهم ووظيفته مع ترتيب وصرف الأردب أذرة

فى كل شهر لكل من النظار والخبوجات المذكورين ومع هذا يصير تفهيمهم
بأننا مسرورين من قبلهم وانهم إذا استداموا على ما هم عليه من حالة الاجتهاد
وصرف الأفكار فى التعليمات ما زال تحصل لهم المكافأة وحسن الالتفات
ولهذا لزم اصداره لسعادتكم للمعلومية والاجرى .

من اسكندرية

[عابدين . المعية دفتر ١٩٢٣ (أوامر عربى) رقم ٢ صفحة ٦]

٣ - القضاء على الرق والنخاسة

٣٥

مكافحة الرق والنخاسة

من الجنب العالى إلى مدير عموم قبلى السودان (اسماعيل أيوب باشا)
فى ٣٠ ربيع أول ١٢٩٠ (١٨ مايو ١٨٧٣)
أمر كريم منطوقه أنه على ما صدرت به أوامر وتفتيات الحكومة
مكرراً بالتأكد والتشديد فى منع وإبطال التجارة فى صنف الرقيق وحصول
الملاحظة والدقة فى ذلك من سائر مأمورى الحكومة قد تبالغ لنا أنه وإن
كان حاصل المراعية لهذا الأمر وصار استغلال استعمال التجارة فيه غير أنه
بالنظر لاتساع جهات الأقاليم السودانية وكثرة الطرق بالمسالك المعتاد المرور
منها لم يزل حاصل فى بعض الجهات استعمال التجارة فى الصنف المذكور وحيث
كما تعلموا أن إبطال التجارة فى هذا الصنف هى من المسائل المهمة اللازم
الاعتنا الزايد وصرف الغيرة من كل طرف للحصول على نتيجة منع وإبطال
التجارة فى هذا الصنف بالكلية فيقتضى زيادة الدقة منكم ومن سائر المأمورين
والحكام الذى تحت إمارتكم بالملاحظة لذلك وقتياً بحيث إذا كان يتصادف
دخول رقيق فى حدود الجهات التى تحت إدارتكم يجب عليكم بالحال اخراج
وإطلاق ذلك الرقيق وإعطائه أوراق الحرية المعلومة من الحكومة وإذا كان
أحداً منهم يرغب فى توصيله وعودته إلى بلاده فتجروا سفرته وتوصيله
بمعرفةكم إلى آخر حدود الحكومة فقط بحيث أن هذا يكون مع التحقيق
لكم عن إمكان دخوله الى أهله بدون أن يتمكن أحدا من اعادته بصفه
رقيق تارة أخرى وأما الذين لا يمكنهم العودة الى بلادهم أو أنهم لا يريدون
العودة إليها فتجروا استعمالهم فى أشغال الزراعة والحراثة ومن يكون منهم
صغير السن ذكوراً كان أو إناث تجروا إلحاقهم بالمكاتب للتعليم والبنات

المقابلة للزواج يجرى زواجهم لمن يرغب ويريد وإذا كان يتظاهر لسكم أن بعض مامورين وحكام المديريات المجاورين لسكم وغير تابعين إدارتكم ليس حاصل منهم هممة ولا ملاحظة في منع بيع الرقيق المحكى عنه فتعرضوا لطرفنا عن ذلك بوقته لاجرى اللازم في شأنه كما أنه إذا كان يوجد رقيق يعرض للبيع في مراكز تعلق الأهالي فتجروا ضبط المراكب المذكورة وتطلقوا الرقيق منها وتعطوه الحرية اللازمة وتجروا فيه كما ذكر آنفاً وهكذا إذا كان يوجد رقيق في مراكز أجنبية فتجروا إطلاقه من تلك المراكب على وجهها توضيح وتعطوا الخبر اللازم بوقته رسمياً إلى القونصلاتو التابع لها تلك المراكب وتعملوا جرنال مستوفى الشروط بالكيفية وتعرضوه لهذا الطرف وبالمثل إذا كان يرى لسكم نزول رقيق في جهات مستبعدة عن المراكز التي تحت إدارتكم وتعلموا به فتجروا اللازم لمنع الكيفية السالف توضيحها وغاية آمالنا ومقاصدنا صرف الاجتهاد الكلي مهما أمكن في إبطال التجارة في الرقيق بأي وجه كان بما أن ذلك من أهم الأمور عندنا وأصدرنا أمراً هذا لسكم للمعلومية به والاجرى على مقتضاه كما صدرت أوامرنا بهذه الصورة في تاريخه إلى مأموري الأقاليم السودانية وهذا كما اقتضت إرادتنا .

حاشية الذكور الكبار من الرقيق الذي يجرى ضبطه والافراج عنه يجرى الحاقه بحسب لياقته ورغبته في العسكرية ولذلك لزم التحشية «من الاسكندرية» (عابدين . المعية . دقتر ١٩٤٦ عربي رقم ١٦ صفحة ٦٥)

٣٣٦

اعلان احتكار تجارة العاج في مديرية خط الاستواء

(١٨٧٤) .

من غردون إلى خيرى باشا

الخرطوم في ١٤ مارس ١٨٧٤

الى الشرف أن أنقل إليك نبأ وصولي إلى الخرطوم في ١٣ مارس والتعبين

عن درجة تقديري العظيم لطيفة معالى الحكمدار اسماعيل باشا (أيوب) الذى استقبلنى استقبالا حسنا وعمل كل ما فى وسعه ليكون نافعا لى .

إننى أهنى سمو الخديو عن حالة جيوشه الحسنة ؛ وإن العناية والرعاية التى يخصص بها الحكمدار الجيش تستحق أعظم ثناء ، فترتيبه للشكنات وتنظيمه للمستشفى حسن جدا ؛ ولقد أعجبت أيما إعجاب بروح الرضا المنتشرة بين الجنود وبما يستمتعون به من رخاء .

زرنا المدرسة التى هى موضع الاهتمام البالغ عند الحكمدار ، ويبدو لى أن معاليه يعنى جد العناية بالتلاميذ الذين يبلغون المائتين ؛ وإن المعلمين ليجدون لذة كبيرة فى عملهم . ولقد أجزت لنفس أن أرسل لسمو الخديو نموذجا من كتاباتهم .

لقد تلقى سموه من معالى الحكمدار خبر افتتاح السد فى طريق غندكورو وهو خبر سعيد ، أدخل السرور إلى قلبى لأتى أعرف ما يعلق سموه من أهمية على هذا الأمر الذى هو فى الواقع المسيطر على الموقف ،

إننى آمل أن اسافر قريباً إلى غندكورو إذ أن كل شىء قد أعد للسفر بفضل ما يبذله الحكمدار من عناية فائقة . أما فى الوقت الحاضر ، فإننى لا أستطيع إبداء أى رأى عن أجزاء المركب البخارى إذ أنه يجب مشاهدة البحيرة قبل الكلام عن ذلك . سأخذ معى أناساً لبناء المراكب الشراعية فى فاتيكو . ونرجو على ما يبدو أن نستطيع اجتياز الجنادل إذا شمرنا عن ساعد الجد .

إننى أرجو من معاليك أن تحصل من سمو الخديو على إذن حتى يستطيع الحكمدار الذهاب إلى البحيرة حالما تصبح المراكب معدة لذلك . أما أنا فيجب على أن أبقى فى غندكورو وفاتيكو إذ ليس فى استطاعتى الذهاب إليها .

بذل معالى الحكمدار جهداً كبيراً لفتح الجنوب النعس ، وسوف يسرنى كثيراً لو أنه كان ممكناً أن يسمح لمعاليه بالذهاب إلى هذه الأماكن حتى يكون

أول من يفعل ذلك . وآمل أن تصبح المراكب معدة في بحر خمسة أو ستة أشهر وبناء على التعليقات الصادرة إلى أرى من واجبي تدبير المئون أولاً ، وهذه المشكلة سوف تكون أصعب ما يواجهه من مشا كل ، ويتطلب حلها وجودي في الأقليم .

حاشية — لا اخال من الضروري أن أذكر في رسائل لمعاليتك ما وصلت إليه من ملاحظات عن الطرق الذاهبة من هنا إلى القاهرة ، إذ أنني أقوم بصنع خريطة لها سوف أسلمها إلى السكولونيل لونج الذي يرسلها بدوره إلى نظارة الخارجية ؛ ولي الشرف أن أرسل لمعاليتك نسخة من القرار الذي رأيت من واجبي إذاعته في غضون الأيام القليلة الآتية . وإليك نص القرار الذي اعترم إذاعته .

بما لي من سلطة خولني إياها سمو الخديو بوصفي حاكماً لمقاطعات البحيرات الاستوائية . وبالنظر إلى تلك الفوضى التي ظلت سائدة في هذا الاقليم حتى الوقت الحاضر ، قد قررنا أنه منذ الآن :

١ — تحتكر الحكومة تجارة العاج .

٢ — لا يستطيع انسان أن يدخل هذه المقاطعات دون ان يحصل على تذكرة من حكمدار السودان ، ولا تصبح هذه التذكرة ذات قيمة الا بعد ان يؤشر عليها من قبل السلطات المختصة في غندكورو وفي غيرها من الجهات .

٣ — لا يستطيع انسان ان يحشد أو ينظم جماعات مسلحة في المديرية .

٤ — من المحظور استيراد أسلحة نارية أو بارود .

٥ — كل من يعصى هذه القرارات توقع عليه أقصى عقوبات القوانين

العسكرية . (١٤ مارس ١٨٧٤ .)

غردون واحتكار العاج

من المعية السنية إلى حكمدارية السودان

في ٩ ربيع الأول ١٢٩١ (٢٦ ابريل ١٨٧٤)

جواب بجتم سعادة مهردار خديوى صورته قد علم من إفادة سعادتك
الرقيمة ٢٦ محرم سنة ٩١ نمرة ١٣ والورقة مرفوقها إلى جناب القولونيل
غردون مأمور جهات خط الإستوى أرسل بطرفكم مكاتبة فرنساوى
تحتوى أربعة أوجه تراءى له إجراها وهى احتكار السن فيله للحكومة ،
وضبط كافة موجودات من يتخذها بعد ذلك تجارة له ، ومعاقبته حسب
قوانين الجهادية ثم وعدم دخول أحد فى المديرىات التى تحت إدارته بدون
تذكرة من سعادتك بحيث أنها لا تعتمد إلا بعد نظرها بكوندكروا بطرف
نائب الحكومة هناك مع عدم التجوز لأحد ما بأن يؤجر جماعات متسلحة
فى تلك المديرىات ومن يخالف ذلك يعاقب بأشد قوانين الجهادية وهكذا
ممنوعة دخول الأسلحة النارية والبارود وعلى هذا تحرر من طرفكم لمديرى
الخرطوم والبحر الأبيض باجرى مقتضاهم كما أنه صار إعلان تجار الخرطوم
بذلك وحيث أن لدى إحاطة العلم السامى بما اشتملت عليه تلك الإفادة
والأوجه المحكى عنها قد وافق الحضرة الخديوية ما حصل به الأجرى على
وجه ما ذكر لزم ترقيمه لسعادتك للعلومية حسب الأمر أفندم .

(عابدين . المعية . دفتر ١٨٧١ معية عربى رقم ٦ صفحة ٤)

٣٨

احتكار العاج ومنع تجارة الرقيق

من المعية السنية إلى المجلس المخصوص

في ٢٦ رجب ١٢٩١ (٨ سبتمبر ١٨٧٤)

جواب صورته أنه لمناسبة ما حصل من فتح جهات خط الاستواء بمعرفة الحكومة الخديوية وكون جل المقصود منع وإبطال التجارة في الرقيق منها كلياً سبق صدور الأوامر العلية والتنبيهات العمومية بتكراراً بما يجرى والوسائط والتدابير المؤدية لمنع وإبطال التجارة في الرقيق بसार جهات الحكومة السنية ثم وحصر تجارة السن وريش النعام وغيره للبيري وعدم الاحقية لأحد في تعاطيها وبعدها علم من إفادة حكمدار السودان التلغرافية أن المشاريع الموجودة بجهات البحر الأبيض وجهة بحر الغزال لا يخلو الحال من وجود رقيق بهم للتجارة وهذا يخالف للأوامر المشار عنها وبما أن تلك الجهات هي من حقوق الميرى ولا ينبغي لأحد أن يكون له مشروع أو زريبة أو تجديد شيء من هذا القبيل بها فبناء عليها اقتضته الإرادة السنية كان تحرر للهوى إليه بالنظر في الموجود من هؤلاء المشاريع والزرايب والاجرى فيها بكيفية ان الذي يكون به رقيق للتجارة يصير ضبطه بما فيه للبيري والرقيق يجرى في شأنه بمقتضى الأوامر والتنبيهات السابق صدورهما عن هذا الخصوص وهكذا باقى ما يوجد من الأشياء يضم لجانب الميرى بما نانا نظير استمرار التجارة في الرقيق بعد ممنوعة هذا الأمر وتكرار التأكيدات الواقعة بخصوصه وأما المشاريع والزرايب التي لم يوجد بها رقيق فمع ضبطها للبيري أيضاً حيث أن أساس أحداثها كان بقصد التجارة في الرقيق لا يحصل تعرض لضبط ما يوجد فيها من الأشياء السائرة برسم التجارة وعلى هذا لا يبقى أحد مشروع ولا زريبة بتلك الجهات ولا يترخص قطعياً بأحداث وتجديد شيء

فيها بعد ذلك فالآن علم من إفادتين أرسلهم الحكمدار المومى إليه احدهما رقم ٢٩ ربيع الآخر سنة ٩١ ومعهما إفادة من مدير بحر الغزال بإبطال المشاريع وضبط سن الفيل إلا أنه ورد له منه إفادة بأنه نظرا لمشغوليته بما هو حاصل من مشاغلة أهالي دارفور له غير يمكن التفرغ لهذه الاجراءات والحالة هذه وقد حرر له من طرفه بما اقتضى عن ذلك وفوض له الأجراء على حسب مساعدة الوقت إنما مادة منع تجارة الرقيق وتداوله سواء كان بالمشاريع المذكورة أو بجهات مديريته هذه أكد وشدد عليه بمنعها واسكون الدخول في مديرية بحر الغزال وشكا لا يكون إلا عن طريق فشوده وكردفان فقد أكد على المديريتين المذكورتين لضبط كلما خرج من هنالك سواء كان رقيق أو سن فيل كما أنه أكد عليهما وعلى مديرية الخرطوم بعدم الرخصة لأحد ما يادخال جبهه خانه أو سلاح بتلك الجهات وضرورة عدم استحصال أرباب المشاريع على سن فيل أو رقيق من الجهات المذكورة وعدم إمكانهم أيضا إرسال ما يلزم من الجبهه خانه والأسلحة إلى مستخدميهم بالمشاريع طبعاً تتعطل حركتهم ويتركونها من أنفسهم والثانية تاريخها ١٠ جمادى الثانية سنة ٩١ نمر ٤ مرور بأنه بحضوره في هذه الدفعة لمديرية كرفان وجد أنها ضبطت ٢٨ قنطار وكسور سن فيل تعلق ببعض أشخاص تجار من أهالي سواكن حال كونهم بمركز المديرية ولكون المقدار المحكى عنه وجدشئ جزئى وأصحابه مشتريه من ذات بندر كرفان ممن يلتقطونه من الجهات القريبة التي هي حول المديرية وجهات دارفور ويحضرونه بمركز المديرية لمبيعه على المسيبين بالقطع وليس هو من جهات البحر الأبيض وأربابه اعرضوا له بالتضرر من ضبطه منهم مع عدم معلومتهم بالأوامر والتنبيهات التي صدرت باحتكار السن فيل وقد تلاحظ له بأن أخذ مثل هذا المقدار القليل من أولئك الأشخاص فضلا عن السكساد الذي يحصل في أمور التجارة وبما أن أرباب السن الذي يجمعونه من الجهات القريبة لتلك

المديرية بواسطة صيد الأفيال للمساعدة على معاشهم وسداد الأموال المطلوبة منهم للميرى بدل ما أنهم يحضرون إلى كردفان يسلكون به طرق غير معروفة ويوزعونه لجهات بعيدة كما أن السن الذي كان يرد من جهات دارفور ينقطع وروده فبناء عليها تقدم ذكره صدر إلى مديرية كردفان باعطا الثمانية وعشرين قنطار وكسور لأربابها وتنبيه عليها بضبط السن الذي يحضر من جهات بحر الغزال والبحر الأبيض على جهاتها بطريق البحر لآخر ما أوضحه المولى إليه في هذا الشأن قد عرضت تفصيلا للمسامع الزكية وبما أن أفكار ولي النعم إنما هي إبطال تجارة الرقيق ومن المعلوم أن التجارة التي بالمشارع ليست منحصرة في الرقيق خاصة بل فيها السن فيل وغيره وكان القصد من الاحتكار إنما هو منع الرقيق لسكن احتكار السن وغيره من التجارات المباحة يترتب عليه تضرر التجار وحصول السكساد والسكتة في التجارة على أنه ما دام الميرى يستحصل على حقوقه من السن وغيره فلا يكون هناك اقتضى لإبطال الأخذ والعطا فيه فلماذا قد تعلققت الإرادة السنية بأن ينظر في ذلك بالمجلس المخصوص وتعطى الروابط المقتضية بما يستتب اجراه ويعرض عنها للأعتاب بنا عليه لزم توضيحه لدولتكم للاجرى حسب الأمر افندم .

(عابدين . المعية . دفتر ١٨٧٠ معية عربى رقم ٧٣ صفحة ١١٥)

٣٩

ابطال الرق في دارفور

من إلى القبول كتحدا

في غاية شوال ١٢٩١ [٩ ديسمبر ١٨٧٤]

لقد أرسل أيضا في هذه المرة صاحب السعادة اسماعيل (أيوب باشا
حكمدار السودان رسالة تتضمن أخبار دارفور مع هجان من بلدة الفاشر

مقر أمير دارفور إلى الخرطوم وأرسلت برقية من الخرطوم إلى هنا وقد
قدمنا إليكم من طيه نسخة حرفية لتحيطوا علما بما جاء فيها .

صورة البرقية التي سلفت الإشارة إليها

لقد قمنا بالفرقة الثانية التي تحت أمرتنا من البلدة المسماة فوجه وأخذنا
طريقنا إلى الفاشر عاصمة دارفور على نحو ما عرضنا قبلا وقد طمئنا [أعطينا
الأمان] لأهالي النواحي التي مررنا بها في طريقنا وفي اليوم السابع والعشرين
من شهر رمضان وصلنا الفاشر حيث تلاقينا هناك مع زير بك أيضا ووجدنا
الفرقتين ونحن نقيم الآن بالفاشر وقد بدأ الأهالي في مختلف النواحي في الالتجاء
إلى الحكومة المصرية والدخالة عليها طالبين منهم الأمان وأخذوا يردون
أفواجا أفواجا لهذه الغاية وأخذنا من ناحيتنا بمنحهم الأمان وقد قدم علينا
بين من قدم من هؤلاء الناس بعض أهالي القرى التي كانت تروح تحت أسر
خاص فرضه عليهم السلطان ابراهيم المتوفى حيث كان يبيعهم ويبيع أولادهم
أو يهبهم إلى الغير ويتصرف بهم كما يشاء فما أن علموا بدخولنا إلى الفاشر
حتى هرعوا للالتجاء إلى عدالة الحكومة وطلب الأمان منها فأمناهم وأعطيناهم
وثائق تثبت عتقهم وبعد أن أفهمناهم أنهم قد أصبحوا في نجوى من ربة الرق
وعدوا أحراراً كجميع رعايا الحكومة عادوا إلى قراهم ومسورين وقد أبدى
جميع أهالي دارفور الطاعة والانقياد على أن الذين بقوا من أقارب السلطان
ابراهيم أبوا قبول الطاعة ولذا كانوا قد أقاموا عم المتوفى الموماً إليه المدعو
حسب الله سلطانا عليهم وتوغلوا مع أتباعهم ومناصريهم في الجهة الغربية من
دارفور فإنا سنسوق عليهم فرقة عسكرية تفتني أثرهم وتعمل على إدخالهم في
الطاعة بمنح الأمان لمن يرغب فيه حتى إذا ما أبوا الدخول في الطاعة اتخذت
الفرقة ضدهم الإجراءات اللازمة .

٤٠

عن معاهدة إلغاء الرق في أغسطس ١٨٧٧

أمر كريم إلى حكمدارية عموم الأقاليم السودانية

في ١٤ شعبان ١٢٩٤ (٢٤ أغسطس ١٨٧٧)

أمر كريم منطوقه لا يخفكم اتجاه أفكارنا على الدوام والاستمرار لمنع وإبطال تجارة الرقيق التي هي عبارة عن استرقاق النوع الإنساني بأي صورة كانت وكان من أقصى آمالنا بحسب مجاورة الموقع التعاون مع الدولة الفخيمة الانكليزية على إنجاز هذا الغرض بواسطة وضع هذا المنع تحت رابطة مستقيمه مؤسسة على أحكام قديمة بحيث تكون كافلة لحسم ما عسى أن يحدث من اشكالات من هذا القبيل في المستقبل فبعناية الله تعالى حصلت الرفقية لربط معاهدة شاملة ببيان الاجراءات والوسائط المقتضى اتخاذها في هذا الباب وإيضاح المعاملة التي تلزم في حق من يتجارى على المخالفة في هذا الشأن بأي نوع كان وبعد إمضاهما من دولتلو ناظر الخارجية وجناب مسيو فيفان القنصل العام للدولة المشار إليها بتاريخ ٤ أغسطس سنة ٧٧ قد صدر الذكريتو اللازم من لدنا متما لذلك وحيث أن من الملزم لدينا نشر وإعلان المعاهدة المشار عنها عموما لاتخاذها دستورا للعمل واعتبارها مرعية الأجراء فلزم إصدار هذا لجنابكم ومرسول طيه المعاهدة وذيها باللغة الانكليزية ونسخة ذلك أيضا مع نسخة الذكريتو بالفرنساوى والعربى لأجرى النشر والإعلان إلى الجهات المختصة التي تحت حكمداريتكم عموما وهذا كما اقتضته إرادتنا .

(عابدين . المعية . دفتر ١٨ (أوامر عربى) رقم ٢٨ صفحة ٤٣)

الدكرينو الخديوى الصادر فى ٤ أغسطس ١٨٧٧

نحن اسماعيل خديو مصر

صدر منظورنا البند الخامس من المعاهدة المنعقدة بين حكومتى بريطانيا العظمى وبين الخديوية المصرية بتاريخ ٤ اغسطس سنة ١٨٧٧ بشأن منع تجارة الرقيق ، فلهذا أمرنا ونأمر بما يأتى :

(البند الأول) بيع العبيد السودانين أو الحبشيين من عائلة إلى عائلة يكون ويبقى ممنوعا مطلقا بجميع القطر المصرى من اسكندرية لحد أسوان وإتمام وتنفيذ هذا المنع تنفيذا كليا يكون فى مدة سبعة سنوات من تاريخ المعاهدة المذكورة التى يعتبر أمرنا جزء منها متمما لها ، والمنع المذكور يكون ساريا أيضا فى جهات السودان وباقى ملحقات الحكومة المصرية . وإنما يكون إجراؤه وتنفيذه بصيغة قطعية ، فى مدة اثنى عشر عاما من تاريخ تلك المعاهدة .

(البند الثانى) كل من خالف ممن يجرى عليه الأحكام المصرية منطوق أمرنا هذا واتجر فى الرقيق يجازى بالأشغال الشاقة المؤقتة لمدة أقلها خمسة شهور وأكثرها خمس سنوات حسبما يحكم به من المجلس المختص بالحكم فى مثل ذلك .

(البند الثالث) تجارة المالك أو الجوارى البيض يكون ويبقى ممنوعا فى جميع القطر المصرى وملحقاته وإتمام هذا المنع وتنفيذ مفعوله يكون فى مدة سبعة سنوات . وكل من خالف واتجر يعاقب بالجزاء المقرر بالبند الثانى .

(البند الرابع) ناظر الحقانية هو المنوط بإجراء مفعول أمرنا هذا فى الوقت اللازم .

تحريرا بالأسكندرية فى ٤ اغسطس سنة ١٨٧٧

[الوقائع المصرية عدد ٧٣١ فى ٤ شوال ١٢٩٤ و ١١ اكتوبر ١٨٧٧]

٤ — تسمير السودان

٤٢

التنظيم المالى الأول : تقدير الضرائب وتوزيعها وطرق جبايتها (١٨٢٦)
ترجمة صورة مجلس المشورة الذى انعقد فى يوم السبت الثامن من
محرم ١٢٤٢ (١٢ أغسطس ١٨٢٦) ، بحضور صاحب الدولة البك الدفتردار
وحسن أغا ناظر المواشى ، وحسين بك ، ورستم افندى ناظر القماش ،
ومحمود افندى ناظر القسم الثانى للمعامل (الفاورىقات) ، وراتب افندى
وكيل ناظر السكيلارية وأمين افندى وكيل الأصناف وأمين افندى ناظر
المباني الأميرية وعبد الرازق أغا مأمور التقارير والمعلم حنا الطويل ،
وذلك للبحث فى التقرير الذى قدمه حكامدار السودان الجديد على
خورشيد بمجرد وصوله إلى السودان .

وهذا خلاصة التقرير الذى حرره خورشيد أغا المأمور بتنظيم أمور سنار
عند وصوله إليها بعد أن اجتمع مع مأمورى المصالح وعقد معهم مجلسا وتداولوا
فى المصالح أو الشؤون المجدية وغير المجدية لذات المصلحة وقدمه إلى الذات
الرحيمة الخديوية . وقد لخص مضمون كل بند منه

البند الأول

[أن خورشيد أغا مأمور سنار قد أتى معه بثمانين من من كبار مشايخ
الأقاليم البحرية ومائة من صغارهم ومائة خولى ، وقد وجه الكلام إلى الحاضرين
بمجلسه قائلا : نحن سنبدل ما فى وسعنا ومقدورنا فى عمران هذا الأقليم ،
ولكننا نرى هذا الأقليم فى غاية من الخراب والتشتت والوقت لا يسمح
لنا أن نتجول فى أنحاء البلاد كي نطلع على الدرك الذى انحطت إليه من
الخراب اطلعا مصيبا لخلول موسم الأمطار ، فكل واحد منكم قد

قضى في هذه الديار سنة أو اثنين أو ثلاث سنين فانبثونا بما عندكم من العلم بما يختص بعمرانها أو خرابها كما وكيفاً — فقال الحاضرون بالمجلس جميعاً أن عموم هذه البلاد خرب والحالة هذه ثم سكتوا ، فاستأنف المواعيد اليه الكلام فقال أجل قد علمنا أن الخراب قد استولى على البلاد فما هي أسباب الوصول إلى تموين الجنود المعسكرين هنا والصناع الكثيرى العدد ؟ فأجابوه أن أئذن لنا بالرجوع حتى نستشير فيما بيننا ثم ناتيكم بتفصيل ما يتم . ثم انطلقوا فمعدوا مجلساً بمنزل القائم مقام ابراهيم افندى ثم رجعوا إليه وأتوه بالجواب .

فقال المعلم ميخائيل : أما مسألة عمران الجزيرة وتحصيل الأموال الأميرية فلم يقبض شيء من مال سنة إحدى وأربعين (١٢٤١) حتى الآن ، ولن يمكن تحصيل شيء منه بعد ذلك ما دامت البلاد خربة وأما مال سنة اثنين وأربعين (١٢٤٢) فاذا نزلت الأمطار كالمعتاد ، قديماً ورجع الفارون (أو الهاربون) وعمرت الجزيرة ومنع عن الناس ظلم العساكر ومنعت سخرتهم ، وصار درأ الإهانة عنهم ، إهانة العربان واذاهم ولم يطلب منهم المال بموجب الترتيب والتوزيع القديمين ، بل وزع بمعرفة خورشيد أغا على السواقي والجرف والجزر وعلى قرى (حسن) على حسب قدرة كل شخص وبمقتضى القانون توزيعاً لا ثقاً ، وحسبت الذرة والسمن والقماش المأخوذ منهم لحاجة الجنود من المطالبات الأميرية ، فإنه يمكن قبض سدس المطالبات الأميرية من الجزيرة وحلفا والبحر الأبيض ، بموجب الدفتر الذى نظمة حنا الطويل ، وأما سنة ثلاث وأربعين ١٢٤٣ فإذا روعيت فيها المساعدة والأعفاء أيضاً وأنشئت سواقي بالأقاليم وزرع القطن والنيلة وصار شراؤهما من الرعايا بأثمان مناسبة فى مقابل المطالبات الأميرية ، فإنه يمكن قبض ثلث الأموال الأميرية بموجب الدفتر القديم وعلى هذا يمكن قبض نصف المال الأميرى فى سنة أربعة وأربعين (١٢٤٤ هـ) .

« وقال موسى الكاشف : لا يصح تحصيل مال سنة إحدى وأربعين (١٢٤١)
ولا يمكن قبضه مع استمرار الأقاليم في حالة الخراب ، وأما سنة اثنين
وأربعين (١٢٤٢) فإن الرعايا لا يقدرّون على سداد الأموال الأميرية حيث
لم يبق عندهم شيء من الذهب والفرانسه (الريالات الفرنسية) وما يشاكلهما
فإذا نزلت الأمطار بغزارة ورجع الهاربون وصار تحصيل المال على النسق
المذكور آنفا فيمكن قبض سدسه بموجب الدفتر القديم ويمكن قبض ربعه
في سنة ثلاث وأربعين (١٢٤٣) ، وأما إذا أصلحت السواقي في سنة أربع
وأربعين (١٢٤٤) وعمل فيها بالجد والاجتهاد فيمكن إذن قبض نصف
المال الأميرى ؛ فوافق على تقريره المعلم إلا في قوله يمكن قبض ربع المال في
سنة ثلاث وأربعين (١٢٤٣) فقد خالفه هنا .

« وقال عثمان أغا ناظر المهمات : لا يمكن قبض مال سنة إحدى وأربعين
(١٢٤١) . وأما سنة اثنين وأربعين (١٢٤٢) فيمكن فيها قبض سدس المال
الأميرى كما قرر المعلم ، ويمكن قبض ثلثه في سنة ثلاث وأربعين (١٢٤٣) ،
وكذلك يمكن تحصيل ثلثه في سنة أربع وأربعين (١٢٤٤) ، والسبب في ذلك
أنه إذا رجع الهاربون من مختلف الأنحاء إلى بلادهم وأقاموا بها وطولبوا
بسدس المال الأميرى في سنتى (١٢٤٢) ، (١٢٤٣) ولم يطالبوا بسدسه في
سنة (١٢٤٤) ، بل طولبوا بالنصف فانهم يزعمون أن الأموال الأميرية
يضاف إليها شيء كل سنة فيعتريهم خوف ويأجأون إلى الفرار مرة ثانية
ولا يمكن حينئذ عمل عمارة البلاد .

« وقال صالح أغا : ليس لدينا أمل في تحصيل مال سنة (١٢٤١) وأما
سنة (١٢٤٢) فإنه إذا وثق الفارون بأوراق العفو (أو الأمان) التى كتبت
إليهم ورجعوا وانهمرت الأمطار بغزارة فقد أمكن تحصيل شيء من الذرة
منهم لأجل الأكل والطعام وفى سنة (١٢٤٣) عندما يسمع بقية الهاربين

أن أحدا لم يطالب إلا بكمية من الذرة ، ويعودون إلى بلادهم ويعمرونها ،
يمكن أن يقبض منهم ثلث المطلوب ، فإذا كانت سنة (١٢٤٣) ورجع كل
الفارين وانشئت السواقي وصار الاجتهاد في عمارة الأقاليم اجتهادا عظيما ،
فيمكن حينئذ قبض نصف المال الأميري — فوافقه القائم مقام ابراهيم افندى
على كلامه هذا .

« سأل البك الدفتردار حنا الطويل :

« في أى تاريخ فتحت الفرده التى وزعت بعد فتح سنار مباشرة وكم هو
عدد الفرده التى قبضت ؟ »

« فأجابه حنا الطويل قائلا : »

« إن الفرده قد فرضت ابتداء من ربيع الآخر سنة سبع وثلاثين (١٢٣٧)

بأن فتح خراج سنة ست وثلاثين ١٢٣٦ .

« فقال البك الدفتردار : وأنا أيضا نزلت إلى سنار فى شوال ١٢٣٨

ففتحت خراج سنة ١٢٣٧ فى ربيع الأول سنة ١٢٣٩ ، وقد افتتح أيضا عثمان

بك خراج سنة ١٢٣٨ فى ربيع الأول سنة ١٢٤٠ وقد قال مباشر سنار فى

تقريره . انما يمكن تحصيل الفى كيس من مال خراج سنة ١٢٤٢ وأما مال

سنة ١٢٤٣ فانما يمكن تحصيل أربعة آلاف كيس منه بعد مساعدة البلاد

وإعانتها . فعلى تقرير المذكور يمكن تحصيل ستة آلاف كيس من مال خراج

سنة ١٢٤٤ بعد بذل الإعانة وصرف الجهد على الوجه المشروع .

« ثم وجه البك الدفتردار سؤالا إلى موسى الكاشف فقال :

« لو اقتضى الأمر فتح المال الأميري لسنة ١٢٤١ من أى تاريخ كنت

بادئا فتحة ؟ فأجابه الكاشف المذكور يمكننا أن نعرض عن هذه السنة ونفتحه

فى آخر زراعة السنة المقبلة .

« فقال محمود افندى : إني موجه الى موسى الكاشف سؤالا وهو : أن

موسى الكاشف يقول أن الفرده لم تفتح بعد عهد المرحوم عثمان بك — وقد أخذ نحو بك شيئاً ضئيلاً ولكنه أخذ من الجزيرة خمسين ريالاً أو ستين. وقد كتب في تقريره أنه لو كان عشرة كتاب أو اثني عشر كتاباً ودونت الحسابات لحصل على شيء كثير. ولو شدد على موسى الكاشف فإنه يقرر ذلك واحداً واحداً، فهو من هذه الوجهة يبطل الفردة ويجب جواباً حاسماً إنها ليست متحققه، ثم يبحث في الحساب من ناحية أخرى فإنهم إذا ضبطوها كما ينبغي ولم يأخذوها كما يأخذ سائر الناس وجعلوا لها قاعدة فأظن أنه يمكن كف الظلم عن الفقراء بفضل تلك القاعدة المستحسنة كما يمكن تحصيل شيء على حسب الظروف والأحوال، انما يجب على موسى الكاشف أن يجيب على أسئلتى واحدة بعد واحدة.

ثم حضر مصطفى افندى المورلى فجاء بالطعام ورفعت الجلسة.

قال موسى الكاشف مجيباً عن تلك الأسئلة :

يجب الفحص والسؤال عن تلك الديار منذ عهد عثمان بك حتى الآن إذا وافق المجلس على ذلك، فتستريح البلاد بعد السؤال كما يستريح الجنود — أما الحكام الذين كانوا هناك منذ مدة عثمان بك لغاية الآن فلم يبحثوا عن شيء ما ولم يقوموا بأى عمل، فلم تعمر البلاد وظلت آخذة في الخراب، أعنى بذلك أنه عند انفصال أى حاكم وتعيين آخر بدلا منه لم تكن تجري محاسبة بينهما، ولا كان الحاكم المنفصل يسلم البلاد إلى خلفه — فإذا كان المأمور الذى يأتى يسأل ويفحص أولاً طبق أصول الديوان ثم يدخل الأمور تحت ضابط ويربطها بقاعدة، فيرجى للبلاد أن تعمر، ولذلك قد طلب استخدام كتاب فإذا تم هذا التفتيش كما يريد مولانا فإن الكتاب المرسلين إلى تلك الديار سيوزعون على الأعمال التى تحتاج إليهم لاحتياج البلاد إلى أمثالهم لأن الإقليم ملك فسيح وقد كان علم الكتابة مهملاً فى العهد القديم — وقد طلبنا

الآن كتاباً للحاجة الماسة بهم ولضبط أمور الديوان .

« فرد محمد أفندي قائلاً : إن الفحص والسؤال مفوضان إلى رأى خورشيد أغا وله أن يفحص ويسأل كما يريد ، ولكن موسى الكاشف قال فيما قال أن المأمورين لم يفحصوا أحوال البلاد لأنهم كانوا أكالين ، فمن هم الأكالون ؟ أو من هم أكثر الأكالين ؛ هذا موضوع سؤالنا .

« فقال موسى الكاشف أن في مقدمة الأكالين هناك هو السر عسكر ثم الكشاف ويأتى القائمقامون فى الصف الثانى والمشايخ فى الصف الثالث ، وكل من يلهم أكالون !

« قال محمود أفندي ، فعلى هذا قد علمنا ورأينا أسباب خراب البلاد ؛ وقد رخص لخورشيد أغا رخصة كاملة ، فعليه أن يفحص ويفتش فإذا علم لديه وثبت أن شيئاً قد أخذ من الفقراء ظلماً فعليه أن يرده على أصحابه ، فإن لم يوجد أصحابه فيجب حفظه فى الخزينة تحت المطالبات التى باسم صاحبه ويجب الاعتناء والاهتمام بأجراء هذا العدل . فإذا جرت الأمور على هذا المتوال تيسر حال الفقراء وامكن أخذ شيء منهم يناسب أحوالهم ، لأنه لو ترك المشايخ كبارهم وصغارهم على نحو هذا الأهمال ، فيحتمل أن تضع أشياء كثيرة بقدر المال (الذى ضاع) فى أي اظن عند إبادة هذا الحال ، لو روعيت القاعدة الحسنة التى سبق بيانها وأخذ منهم شيء على حسب الوقت والمال ، فإن ذلك لا يضر بال عمران . ثم وجه السؤال إلى موسى الكاشف فقال نعم ، انه (الضايع) يكون بقدر المال .

« وقال حسن أغا إن المفهوم من مضمون التقرير الوارد من خورشيد أغا هو الذى علم من تقرير موسى الكاشف أن المأمورين تلك الديار وضباطها وكشافها وشيوخ البلد مطالبوا من خزينة ولى النعم من جهة العلوفة (المرتب) ، فإذا ثبت عليهم شيء بعد فحص ذلك فيجب أن يقيّد على حساب علوفتهم ويحتسب

منها فاعلمهم أن يرجعوا بعد ذلك عن مثل هذا النهب ويشابروا على خدمتهم ويعمروا بلادهم — وأما إذا بقي المنهوب عند ناهبه فيكون الطريق الذي سلكوه طريق الخراب حيث لا يمكن الإهتمام به وإني لأظن أنه لو اذن لخورشيد باشا فردعهم عن الظلم فلا ريب في أن البلاد تأخذ في العمران .

« وقد انصرف رستم افندى وراتب افندى وامين افندى وكيل الاصناف وعبد الرازق اغا قبل انتهاء الجلسة وبدون استئذان فأوفد المجلس جاوisha وبعثه في طلبهم ليحضرهم ، فحضر امين افندى ورستم افندى وراتب افندى . » قال أمين افندى ناظر المباني الأميرية : بما أن خورشيد أغا قد نشأ بتربية مولانا صاحب الرحمة فقد أختير وكلف بحفظ الفقراء وحراستهم فالأولى أن يحقق الموماً إليه (أى خورشيد أغا) في الذين يسلكون هذا السلوك السيئ ، وفيمن سلك قبلهم ، فاذا ظهر في ذمتهم شيء فليحصل ما يمكن تحصيله ، وأما ما لا يمكن تحصيله فالأمر مفوض إليه في انهاءه وإدخاله تحت قاعده .

« وقال مصطفى افندى ، ان سنار على مسافة بعيدة تبلغ خمسمائة ساعة ، وإن حنا الطويل ليحيط بأحوالها علما ، فيكون عبثا أن تكلمنا قبل أن ندعوه إلى الكلام ، فبعد أن قرر موسى أغا الأحوال التي طرأت على سنار مفصله يجب عليه أن يسفهمها المعلم المذكور ، ويجب على المعلم أن يستمع إليه فيضبطها في مضبظته الخاصة ، فيعرضها على مسامع أهل المجلس حتى يبدى أهل المجلس آراءهم على حسب ما سمعوه ويجب أن يكون المأمور لبلد على مسافة بعيدة كهذا مطلقا (مرخصا له) في تصرفاته فيثبت ما يثبت ويمحو ما يمحو أى أن يكون حرا في تنفيذ آرائه وتدابيره خيرا وشرها لأنه هو المسئول عنها فيجب أن تصدر رخصة كاملة للمأمور المرخص له ولا ينبغي أن يستشير السدة السنية في شيء من الأمور الملكية —

« فقال عبد الرزاق أغا إن ما قاله أمين افندى كلام فى محله فأوافق عليه كما أوافق على بيانات مصطفى افندى .

« ثم إن إلبك الدفتردار وأهل المجلس سألوا المعلم حنا الطويل قائلين : ماذا تقول فيما جاء فى التقرير والكتاب اللذين كتبهما خورشيد أغا ؟ وهل يمكن قبض المال هذه السنة من جزيرة سنار وما حولها من القرى أم لا يمكن قبضه ؟

« فقال المعلم حنا الطويل : إذا كانت الحال على ما كتبوه وقد كتبوا أنه يوجد فى كل قرية رجل أو رجلان أو ثلاثة ، فهما الفائدة التى تحصل منهم حتى يؤخذ منهم مال ؟ فإن الذى يحيط بهذه المسألة ويعلم إمكان تحصيل المال من عدم أمكانه هو المأمور .

« فاجاب موسى الكاشف قائلا : حيث إن المعلم حنا الطويل أجاب بمثل هذا الجواب ، فأنى سألته عن أمر واحد وهو أن القرى لو عمرت كما تركها هو بموجب دفتره المختوم فهل يمكن التحصيل بموجب ما جاء فى دفتره الذى أورد فيه خمسمائة ريال وألف ريال تخمينا ؟ .

« فقال المعلم حنا الطويل ردا عليه : نعم نحن وإن كنا وزعناه (أى المال) قبل على تلك القرى بهذه الصورة فلم نمكن عبثنا حينذاك لأننا وزعناه على حسب قدرة كل واحد منهم وعلى حسب الموجود ، فإذا كان الموجود على ما كان وكما كان فيمكننا القيام بالأجراءات بموجب ما عملناه ، وأما إذا كانت القرى قد خربت فهذا شأن آخر .

« وقال موسى الكاشف : إن الموجودات التى رآها هى عبارة عن أرقاء ومواشى ، ففرض على تلك القرية فردة قدرها ألف ريال ، والأرقاء والمواشى التى رآها هو لا توجد الآن فى تلك القرية : فإذا سألتهم عن أيرادها الآن فلا يجدون فيها سوى قليل من الزراعة التى تقتصر على شئ من الذرة والقطن ، فكيف يُحصل منها الألف ريال هذه ؟

« قال المعلم : إذا كانت الأرقاء والمواشى التى رأيتها ليست موجودة الآن وانحصر الأمر فى زراعة الذرة والقطن كان الأمر منوطا برأى المأمور .

ثم قال البك : يستدل من التقرير الذى أرسله مأمور سنار أن أحوال تلك البلاد مختلفة فلذلك قرروا أن مال خراج سنة احدى وأربعين لا يمكن تحصيله فيحسن على ظنى ، أن نفوض اليه أمور البلاد كالنظر فى عمراتها وخرابها ومثل تحصيل الأموال والسعى والاجتهاد فى أمر إصلاح البلاد .
« فقال محمود افندى : هذا الذى يوافق رأينا فانا وافقت عليه ، ثم وافق عليه راتب افندى وكيل ناظر الكيلارية وأمين افندى وكيل الأصناف . ورستم افندى ناظر القماش والمعلم طوبيه وقرره المجلس .
وقال حسن أغا إني أوافقكم فى تفويض الأمور إلى رأيه (أى رأى المأمور) على هذا المنوال .

البند الثانى

ولما طوالب المعلم بعلم عن دفتر الأيراد وعن المقدار الذى يبلغه الأيراد السنوى أحضر المعلم دفتر الأيراد وقرر المعلم ميخائيل بموجب ترتيب المعلم حنا الطويل أن إيراد نفس جزيرة سنار يبلغ (١١١٠٠) كيسه . وأن إيراد البلد الذى يقال له حلفا يبلغ (٢٩٤) كيسه . وأن الإيراد الوارد من العربان الذين بحمة البحر الأبيض يبلغ (٣١٤) كيسه وأن المجموع يبلغ (١١٧٠٨) كيسه .

« فقال محمود افندى : ان هذا الإيراد قد قدر بمعرفة المعلم حنا الطويل فى دفاتر سنار فى عهد فتحها ، فلا يتفق مع هذا الوقت نظرا لمضمون التقرير ، وحيث أن خورشيد أغا مأمور مرخص وهو عبد مخلص (للجناب العالى) فأظن أنه يحسن تفويض الأمر اليه والترخيص له فى عمارة البلاد مهما أمكنه

ومهما وسعه . وقال (المعلم طويبه) : أن هذا لحسن جداً ووافق عليه امين افندى ناظر المباني الأميرية ، وقال رستم أفندى أيضا ؛ وأنا اوافق عليه ، ووافق على ذلك حسن أغا وامين افندى وسائر اعضاء المجلس وقرروه .

البند الثالث

« ولما بحث في النفقات للمرة الثانية ، قيل إن نفقات العساكر الجهادية المنصورين ورئيس الأدلاء عيسى أغا واسماعيل أغا رئيس الهواريه والكاشفين والمشايخ والخولية والصناع وسائر الموظفين والمعلمين الذين ذهبوا مع خورشيد أغا تبلغ ثمانية آلاف وستمائة كيس وكسورا ، عدا سنوية خورشيد أغا وعدا طعام الآدمين وعليق الدواب وعدا أثمان الريش والصمغ المراد شراؤهما ، وعدا نفقات الشيخ خليفه الذي بحجة أبو محمد

« ولما طلب دفتر الإيراد الذي جاء من العربان غير العربان الذين بحجة البحر الأبيض قيل إنه لم يؤخذ من العربان شيء سوى عربان البحر الأبيض وأن أخذ ذلك منهم يتوقف على وجود الحكومة ، فإذا ضبطت الأمور ونسقت على أحسن وجه أمكن التحصيل وإلا فيفرون ويطراً على المطلوب نقص .

« فقال محمود افندى ان ماجاء في هذا التقرير قد أحيل على تقرير موسى الكاشف الشفوى أيضا فإذا نسأله : أكان مقصوده من الحضور هنا هو طلب نقود لأجل نفقاتهم أم هم قادرين على تموين (إعاشة) انفسهم ؟

« قال موسى الكاشف ؛ إني لم أحضر هنا سائلا نقوداً ولكني حضرت لأنبشكم عن المصالح ، فإن خورشيد أغا قد ولي مأموراً ، ولما لم تعرض أحوال الجزيرة مفصلة على مسامع مولانا حتى الآن فلما دخل خورشيد أغا الجزيرة شاهد أحوالها رأى العين وعلماها على التفصيل فاخترنا وأوفدنا اليكم وقال لي دأنبيء أهل المجلس كما رأيت وسمعت وفهمت . فعندما تعرضون نتيجة مداولتكم على

أعتاب ولى النعم وجب العمل بالأمر الذى سيصدر فى هذا الشأن ، — وبما أنه لا يمكن تحصيل شيء مدة سنة أو سنتين لسكون الجزيرة خربة ، فلو ذهبوا إلى بلاد (قضايف) و (عطيش) و (حسن) ومكثوا هناك نحو ستة أشهر وحصلوا من المال جانباً لأجل نفقات العساكر وأنفق عليهم منه وأعينت الجزيرة حينئذ من قبل الديوان فأمل إن شاء الله تعالى أن تعمر الجزيرة ، وقد سمع أهل المجلس إفادتنا فإذا استحسنوها يكون رأى لهم .

وسأل البك الدفتردار الكاشف المذكور فقال : « أنت تقول أنكم تستطيعون تموين (إدارة) الجنود فبأية وسيلة يمكن تموينهم ؟ فقال الكاشف المذكور يمكن تحصيل ثلاثة آلاف كيسه من قرى (قضايف) و (عطيش) و (حسن) فيمكن إدارة (أى تموين) الجنود بها .

قال البك الدفتردار : ذكر فى هذا التقرير أنه عند ما سأل خورشيد أغا عن هذه المسألة قيل له أنه يمكن أن يؤخذ من ذلك المحل مقدار ما يؤخذ من الجزيرة فى سنة واحدة فعند ما يبلغ إيراد الجزيرة أحد عشر ألفاً كان يعطى الباقي منه — أما ما تسمونه قضايف فقد كان أقام بها كبير قواسى صاحب المرحمة ولى النعم خمسة أشهر فى مائة وعشرين جندياً وأخذ ثمانين كيسه إذا كانت القرية عامرة وهو يقول : (فلما مضت سنة مكثت هنالك بضعة أيام لأخذ ذخائر لأجل مطاردة عربان الشكرية ولما أيقنت أنه لا يمكن الحصول على شيء من البلد لم أطلبهم سنة بشيء سوى الذخيرة) وأما إقليم حسن فقد ذهب إليه ذكرى أغا واحد قواد ولى النعم بمعية قبودان بولاق فمكثا به شهرين وحصلوا إحدى وثلاثين كيسه ثم رجعا — وعند ما وصلنا إلى سنار علمنا أن اخا حسن كان حاكماً فهرب بعد أن استخلف حسن — وكان يذهب مع احمد أغا ويخدم فى جهة (شرق) من جبال فازوغلى حينما كان احمد أغا سائراً فى الأعلى (أى فى الجهات الجنوبية) ولكن لم يستطيعا أخذ شيء

من النقود وإنما عاذا بمائة وخمسين رقيقاً — وأما عطيش فهو إقليم واقع على ماء دندر على بعد خمس مراحل من سنار وكان اهله تابعين للحبشة قبل وصول العثمانيين إليهم — فلما لوحظ أنهم من اتباع الحبشة كف عن السفر إليهم وبقوا على ما كانوا عليه وليست واردات تلك البلاد بالشئ الكثير على ما سمعنا بل يمكن تحصيل مائتين وخمسين كيسه إلى ثلاثمائة أى ان اظن ان هؤلاء العساكر لو قاموا وسافروا إلى تلك الجهات لا يمكنهم ان يتسرعوا بالذخائر دون حصول فائدة لهم من جهة النقود .

فقال حسن أغا : حيث أن البك ذهب من قبل إلى تلك الديار وشاهد أحوالها فلا بد من أن يكون أكثر اطلاعا من غيره على جميع الأمور - بقی أن بقعة عطيش لها علاقة بالحبشة كما هو ظاهر من تقرير البك فأظن أنه يجب التفكير التام في سوق جنود اليها ثم العمل بما يقتضيه ذلك التفكير .

ثم قال البك الدفتر دار : اما بقعتى حسن وقطارف فهما داخلتان في حوزة حكمه (أى خورشيد أغا) فهو مختار في العمل فيهما لما يرى لسكونه مأموراً وأما بقعة عطيش فان الزحف أو عدم الزحف عليها أمر متوقف على الارادة السنية الخديوية لسكونها قطعة أخرى تابعة للحبشة ولكن في عدم الزحف عليها مخذورا (أى خطرا) حيث تكون مأوى وملجأ للهاربين ووافق رسم افندى وسائر أهل المجلس على ذلك فقرر وه .

« البند الرابع »

بما أن العشرين صانع الأفيون الذين هناك يبلغ مرتبهم الشهرى اثنتى عشرة كيسه وبما أن الأفيون لم ينتج تنابجا حسنا لحرارة الهواء وشدة الخافته فقد تقرر ارسال عشرة منهم إلى مصر ولكن عدل عن ذلك القرار واستحسن ابقاء أربعة منهم وتوزيع الستة عشر الباقين بين الرؤساء (القواد) بحساب التذكرة ووافق عبد الرازق أغا وأمين افندى وعلى افندى على ذلك .

فقال البك الدفتردار : لاندري لبعد المسافة ، هل كانوا سقوه (أى الأفيون) وقاموا بتنقيته وخدمته كما ينبغي ! — ولقد زرعوه فى موضع يبعد عن مقام خورشيد أغا بثمانى مراحل فلا بد من أن المأمور لا يحيط به علما ولا يمكنه الإعتناء به — ولقد ستم صناع الأفيون حتى اجابوا بجواب قاطع أنه لا ينتج — وحيث أن صناع الأفيون مقيمون الآن هناك فالأحسن أن ينتدب خورشيد أغا رجلا ليشرح عليهم — فلننظر بعد التجربة ايمكن انتاجه أم متعسر ، فيعلم أمره حينئذ — فوافق عليه مصطفى افندى ورستم افندى وحسن أغا وموصى السكاشف —

« البند الخامس »

قرأ البند من أصل التقرير — وفيه اعادة العمال ، كندشارى البلاط والعاملين فى الجبس والجير إلى مصر لعدم فائدتهم حيث لم ينجحوا فى انهاء شىء — وقد وافق البك الدفتردار وسائر أهل المجلس على ارسالهم إلى مصر لعدم وجود مناجم لهذه الأشياء . . .

« البند السادس »

« قرىء ملخص هذا البند من التقرير (أى تقرير خورشيد أغا) وفيه عدم صلاح نتاج البن فى السودان وقيل أن عدم نتاجه يحتمل أن يكون ناشئا من كون تقاويه عتيقه (باليه) ولكن اسطى البن اجاب بعدم إمكان نتاجه إجابة قاطعة حتى تقرر اعادة ذلك الأسطى إلى مصر — وبعد قراءة هذا البند : — قال أحدهم : حيث أن الأسطى قال أنه لا ينتج وقرر خورشيد اغا أنه لا يحصل فلا بد من أنهما علما بذلك — فالمناسب على ماأظن ، رجوعه إلى مصر بدلا من أن يمكث هناك بدون فائدة وصرف نفقات زائدة بدون فائدة

« البند السابع »

[ساقط فى الأصل]

« البند الثامن »

« ولما قرىء ما جاء فى التقرير من أن الدباغين المرسلين من مصر لم يوفقوا للمقيام بشيء من العمل حتى الآن وأن لزوم الجهاديه من الجلود مازال دباغوا السودان يعطونه وان صنعة اسطوات مصر يتوقف رواجها على جلب بعض آلات من مصر وأنها لو جلبت فإن فائدتها لاتسكاد تفى بنفقاتها وان معدل هذه المسألة قد سبق أن أرسل إلى مصر وأنه قد أرسل كشف مبينة فيه الأشياء والآلات الخاصة بالدباغة وما جاء فى التقرير طلب ارسال الأدوية والأجزاء اللازمة لو مست الحاجة ببقاء الاسطوات بهذا الطرف وأن يرسل اليه رد إذا لم يكن بهم حاجة —

قال عبد الرازق أغا : حيث أن الجلود الخاصة بالجنود الجهادية تعطى من قبل اسطوات الأهالى ويمكن قضاء حاجتهم بذلك وأن اسطوات مصر لا يقدرّون على شيء من العمل فى السودان فأنى أظن الاحسن رجوعهم إلى مصر حتى تعمّر البلاد بدلا من مكثهم بها بدون فائدة — ثم وافق عليه البك ومصطفى افندى وغيرهما وقال حسن أغا وأنا أيضا أوافق على عودتهم اتقاء الوقوع فى نفقات كهذه لا فائدة فى تحملها .

« البند التاسع »

وقرىء ما جاء فى هذا البند من التقرير : وهو سؤال عما إذا كان يستحسن ارسال مائة وخمسين نفسا من أهل السودان إلى مصر كيما ينشأوا ويتعلموا الصنعة ثم يرجعوا فيستخدموا

قال امين افندى ناظر المباني الأميرية : حيث انه عدد الباقين فى السودان هو ستمائة وثلاثة اشخاص فاذا جاء منهم مائة وخمسون الى مصر فكم انسانا يبقى هناك وكيف يكفى هذا العدد ؟ فصدق البك وقال إذا ذهب منهم المائة

والخمسون فكيف يكفى الباقيون لزراعتهم؟ فوافق على ذلك مصطفى افندى وعبد الرزاق اغا ورستم افندى وغيرهم وقرروه .

وقال محمود افندى : نعم ان من المناسب ان توفد رجال ليتعلموا الصنعة ولكن اذا بعث مائة وخمسون نفسا فكم يبقى من الستمائة ومن الذين يقيمون بالقرى وكيف يكون حال الزراعة وكيف تكون ادارة البلاد؟ فأنا ايضا اصادقكم على هذا الرأى .

وقال حسن اغا : إني سائل موسى الكاشف عن شيء : وهو انكم كنتم هناك قبل ذهاب خورشيد اغا فلم تفيدونا حينئذ عن خراب تلك البلاد واحتياجها إلى العمار وانتم تتشددون الآن بذلك؟ فأجاب الكاشف قائلا : قد سبق ان عرضنا هذا الامر مرات عديدة وانت الاجابات إلى محو بك ولكن محو بك لم يطلعنا عليها ولم يقم هو أيضا بعمل ما فبقى الأمر على حاله .

(البند العاشر)

وفيه الأسئلة والأجوبة الخاصة بالمناجم الموجودة بجبال سنار من أن بجبال هذه الديار انواع المناجم ولسكنها لم تظهر فبقيت على حالها لعدم وجود خبراء وان معدنا خبيراً يدعى الخواجه (بروكى) قد قدم بأمر إلى سنار مع درويش اغا المشرف (أى الناظر) على تلك الجهات (أى الجبال التى بها المناجم) وأنه قدم بعد وفاة المرحوم عثمان بك فأهملت المسألة فى عهد محو بك وان منجم الذهب يقع على مسافة ثمانى عشرة مرحلة من سنار فلا يمكن الوصول اليه بقليل من العسكر بل يحتاج إلى اصطحاب خمسمائة جندى وانه اذا صدر الأمر الحديوى بالذهاب اليه فإن خورشيد اغا سيقوم بنفسه أو يوفد عيسى اغا قبل حلول موسم الأمطار وانه أرسل كشفا عن نفقات المعدن المذكور والناظر درويش اغا .

فوجه حسن اغا سؤالا إلى البك عما إذا كان يستحسن ارسال خمسمائة

نفس مع هذا المعدن أم إذا كان الأولى وقفه (أى وقف المعدن) فأجابه
الملك قائلا : لا أدري ، حيث انى لم يسبق لى سفر إلى تلك الجهات — وقال
رستم افندى أن أهم المسائل عمران البلد فاضن أن الأحسن الاهتمام بعمار
البلد أولا ثم التوجه إلى ذلك المعدن — وقال محمود افندى : أن خورشيداغا
رجل نشيط معروف بالبحث فى هذا القليل من الأمور وجدير بالوصول
إلى عورها ، فإذا فوض هذا الأمر إليه فهو ادري بتحقيقه وعدم تحقيقه فيبادر
إلى العمل بما يرشده إليه عقله — وقال مصطفى افندى : فلو انهم بدلا من أن
يذهبوا إلى المنجم مع خمسمائة جندى زرعوا الأراضى للحصول على طعامهم
وشرابهم وعمرروا البلاد لكان خيرا لهم ولكان ذلك احسن منجم — فاذا
أحضر المعدنون بعد أن تعمر البلاد فليس بعزيز على فضل الله تعالى ان يحصل
على هذه الفائدة أيضا ان شاء الله تعالى — فصدق عبد الرزاق اغا ثم جاء
سليمان اغا فصدق أيضا — ولما سأل حسن اغا حنا إذا كان ترجى فائدة من
المنجم أم لا فأجاب انها لا ترجى وصدق حسين بك .

« البند الحادى عشر »

وملخصه : أنه جرى البحث فى حبوب سنار المأخوذ من سنار وضواحيها
على حساب المطلوبات الأميرية ووضع سؤال عن سعر وقوته بحساب الفرنسه
(أى الريال) فقال المعلم ميخائيل أن الوقية منه كانت تباع وتشترى بعشرين
فرانسه منذ فتح السودان حتى عهد المرحوم عثمان بك فخفف المرحوم عثمان
بك من سعرها أربع فرانسات وقرره ست عشرة فرانسه فهو (أى المحبوب)
يؤخذ بسعر ست عشرة فرانسه حتى الآن — وسئل عما إذا كان للديوان
فائدة من هذا السعر : فأجاب أن ليس للديوان من ذلك فائدة إذ أنه يعطيه
بالسعر الذى يشتريه بل يصيب الرعايا من ذلك خسارة قدرها خمس فرانسات
وأما التجار الجلابون أى (أى الجلابه) فيشترونه بسعر سبع عشرة

فرانسه فينقلونه إلى جهات الحبشة والمكادى والسواكن ويبيعونه بسعر
خمس وعشرين فرانسه فقال خورشيد أغا حيث أن الخسارة تلحق بالرعايا
والربح يعود على التجار فإذا تقرر سعره عشرين فرانسه كما كان من قبل فإن
الرعايا لا يعطون التجار الفرائسات التي اشتروها بزيادة فرق في السعر قدره
أربع فرائسات بل يؤدونه إلى الديوان فتحصل المطالبات الأميرية كاملة
— وقد صدقه الجميع وتقرر سعر وقية المحبوب عشرين فرانسه وكتبت
أوامر إلى الحكام كافة وأعلن لهم الأمر — فلما انتهوا من قراءة ما تقدم وافق
أمين افندى ومصطفى افندى ورستم افندى وسليمان أغا وغيرهم من أهل
المجلس وقرروه .

« قال البك الدفتردار — أن وقية المحبوب تزيد عشرة دراهم كما أنها تسعة
بالديزات بحساب اليالدين فإذا حسبنا اليالدين سعره ثلاثة وعشرين قرشاً
فتكون قيمتها مائتي قرش وأن العشرين فرانسه تساوي ثلاثمائة قرش على
حساب خمسة عشر قرشاً كل واحدة منها — وقد أصابوا إذا سعروا وقية
المحبوب عشرين فرانسه كما كان في عهدنا وفيما قبل — وقد وافق محمود افندى
وعبد الرازق أغا ورستم افندى ومصطفى افندى وأمين افندى وغيرهم على
رأى البك في تثمان الفرائسه خمسة عشر قرشاً وتسعين وقية ذهب المحبوب
عشرين فرانسه ثم قرروا ذلك .

« البند الثاني عشر ،

وملخصه أنه لما بحث في مقدار استحقاق الجنود الموجودين اجاب أهل
المجلس (مجلس خورشيد أغا) أن للجنود الجهادية مطلوباً لسبعة أشهر لغاية
هذا التاريخ سوى ما أخذوه على الحساب وان لعيسى أغا مطلوباً لعشرين شهر
وأن لكل من أصحاب التذاكر (الضباط) استحقاقاً لاثنى عشر شهراً وأن
الصناع لهم استحقاق لستة عشر شهراً تخميناً — ثم قيل : هل يمكن أن تحصل

هذه المرتبات من بقايا السنة السابقة وندفعها لأصحابها؟ فأجابوا بقولهم — فمن نستطيع أن نحصلها مادامت البلاد يبابا؟ إلا أنه إذا أراد الله تعالى أغاثنا بالأمطار في العام المقبل وعاد الهاربون وعمرت البلاد وزرعت الأراضي واجتهد في ذلك فإن الإيراد إنما يكفي المرتبات المستحقة بعد ذلك ففتحسن الحالة حينذاك —

فلما قرأ هذا قال مصطفى افندى : ان هذه المسألة لا يصح الاستعجال في الإجابة عنها بل هي تحتاج إلى تفكير عميق وقال البك الدفتردار : حيث أنهم تعهدوا كما ذكر آتفا وقالوا لو أننا حملنا على بلاد حسن وقطارف وعطيش يمكن أن ندير ما يكفي تمويننا هذه السنة وحيث أنهم يريدون السير إلى تلك الديار ويرون امكان الحصول على المال في الجزيرة فلهم أن يسافروا إليها كي يدبروا ما يكفي مؤونتهم .

وقال محمود افندى أن موسى الكاشف ملم بأحوال تلك البلاد الماما تاما فنسأله عما إذا كانوا سيحتاجون إلى نقود من هذا الطرف (اى من مصر) أم يمكنهم الاكتفاء بما يجدونه عندهم — فقال الكاشف : ان مولانا قد سلم إلينا جزيرة كسنار فكيف يكون لنا أن نسأل مصر نقوداً ؟ فعلمنا أن نجتهد ما استطعنا في كفاية انفسنا بفضل ولى النعم .

« البند الثالث عشر »

جاء في هذا البند أن المشايخ الكبار والصغار والخولية الذين ذهبوا مع مأمور سنار قد أنزلوا هم وحسين أغا حاكم الخط في اخطاط بلاد سنار وجالوا فيها وكتبوا دفترآ عن الفلاحين الموجودين في كل خط وقرية وعن القسم الذى أصبح يبابا في ظرف هاتين السنتين مبينة فيه الأسماء والأوصاف فأرسل الدفتر إلى الاعتبار العلية مع موسى كاشف وإن في شرق هذا الإقليم على

ساحل النيل ثلاثة أخطاط تشمل مائة وأربعين قرية يعرف الأول منها بخط (أبو هراز) والثاني بخط (ولد عباس) والثالث بخط (الهلالية) وأنه قد فرت جميع أهل تلك القرى في عهد الحاج أمين أغا رئيس الأدلاء وأنه لا يوجد فرد واحد من المشايخ ولا من الرعايا في أي تلك القرى وأن من الهاربين من يقيم الآن بالموضع الذي يقال له عطيش وأن منهم من قطن بين العربان وأنه إذا جلب هؤلاء الناس بفضل الله تعالى وبرعاية ولي النعم وعمرت تلك الأخطاط فانه سيطلب من مصر مشايخ وخولية بقدر كفاية ثلاثة أخطاط .

فلما فرغ من قراءة ما تقدم قال محمود افندى : « قد تعين علينا واجب آخر وهو أننا إذا أرسلنا رئيسا أو ناظرا إلى محل ينبغي أن ننظر أهو من أصحاب الخصال العالية أم هو رجل مرتكب (أي مرتشي) فنختاره من أصحاب حسن السير والسلوك الذين يوافق أفعالهم أقوالهم — وقال البك الدفتردار : « فليمض هؤلاء في عمار البلاد فإذا احتاجوا إلى مشايخ وخولية فعليهم أن يعرضوا أمرهم على الاعتبار فإن مولانا صاحب المراحم يرسل إليهم مشايخ وخولية — فصدق محمود افندى ورسم افندى وأمين افندى ناظر المباني وعبد الرزاق أغا —

« البند الرابع عشر »

فيه : ان خورشيد اغا قال لأهل المجلس وهو يحاورهم : سمعت أن هناك موضعا بمسافة خمس مراحل من سنار يقال له عطيش وأنه كان في حكم جزيرة سنار أصلا وأن فتحه لم يتيسر حينما فتحت سنار لعدم مساعدة الوقت فبقى على حاله وأن (المكاديين) (وهم سكان إقليم يسمى المكادى على حدود الحبشة) تسلطوا على أهله فاطاعوهم وعاهدوهم على أن يعطوهم شيئا ضئيلا من الخراج وأن الهاربين من هذا الطرف (أي من سنار) يلجأون إليه

(أى إلى ذلك الموضع) فيقيمون به زاعمين انه دار امان وراحة فهل هذا صحيح؟ فقال الشيخ بشير والشيخ خليفة: نعم هذا حق فهو (أى بلد عطيش) معمور جدا فاذا استولينا عليه فلا يستطيع أحد أن يفر اليه كما يتمكن من إعادة الهاربين فتعمر سنار ولو فرض أنه يوجد من يفر اليهم (أى إلى أهل عطيش) ولكنهم (أى أهل عطيش) يابون ايواء اللاجئين بينهم فتحصل منافع من عدة وجوه — قيل فهل تحصل فائدة من جهة المؤونه؟ فأجابوا بأنه يؤخذ من تلك الديار ما يؤخذ من الجزيرة (أى جزيرة سنار) في سنة — وصادق الجميع على ذلك — فيعرض (خورشيد أغا) بناء على ما تقدم أنهم قرروا اجماعاً تسخير تلك الديار باصطحاب النجدي: منهم ستمائة خيال من الفرسان الموجودين وأربعمائة من خيالة (أهل شايقية) والاف من الجنود الجهادية الموعودين بالظفر.

وبعد الفراغ من تلاوة ما تقدم قال حسن اغا: لقد سبق ذكر هذا الموضوع في التقرير واتخذ القرار اللازم في شأنه وحيث أنه (أى خورشيد اغا) متفق مع المشايخ والعربان وأهل الوقوف فليس من المعقول أن يتعهد هذه المسألة ويكتبها في تقريره قبل أن يشاور الذين سبق لهم الإقامة في تلك الديار بقى، أنهم اعترفوا بإمكان تحصيل مال من عطيش بمقدار المال الذى يحصل من الجزيرة (أى جزيرة سنار) في سنة — فعلى هذا فان المصلحة بعيدة بالنسبة إلينا قريبة بالنسبة إليهم، فنحن نستحسن ما يستحسنونه ان يأخذوا معهم النجدي وما يكفيهم من النقود والذخائر —

فقال محمود أفندى: أما انا فأمتنع الآن عن الموافقة على ذلك لأن مسألة عطيش تحتاج إلى شيء من التفكير.

ثم قال محمود أفندى — الظاهر أن تقريره هذا كتابي كما يعلم من آخر كلامه —: أن جزيرة سنار لم يبق لها سكان بالنسبة إلى سعتها، حيث أنه قد

ذكر في كشوفها أنه بقي في مائة وخمس وأربعين (١٤٥) من قراها خمسمائة وتسعة وتسعون نفسا فلا نرى من هذه الجهة وسيلة توصل إلى عمار ماخرب منها ولم ندرى ما اذا كان الذين يسمونهم بالهاربين يبلغ عددهم كم الف نفس ؟ وقد قال موسى الكاشف في تقريره أنه هلك كثير من الناس جوعا وبسبب الجدرى — وقد أخذتني الحيرة من أجل ذلك — فلو كان أهل الجزيرة خمسين الف نفس فإن ذلك ليس كما نؤمل ولا يوافق أصولنا — ولم أرى فائدة في اختيارنا هذه المقادير من النفقات وهذا العدد من التكاليفات — ولو فرضنا أن هناك كثرة عظيمة في الانسان والمواشى فلا ريب أن في تربية الآدميين وتفشئة المواشى نفعا وقد بذل الجهد والمساعى في عمار تلك الديار ولسكن الموظفين الموجودين هنالك قد اهتمهم أمر رجوعهم إلى مصر قائلين في أنفسهم (متى نرجع إليها) وأما الأهالى فهم يفكرون أيضا في عودة الموظفين فيقولون : (لا بد أن يرجعوا) فوقع التقصير من قبل الطرفين في الاهتمام بالأمور فيجب أن يسأل موسى الكاشف عن قلة الانسان والحيوان حقيقة فإذا كان الأمر كذلك فيجب التفكير فيه وإعمال الذهن في اتخاذ طريقة أخرى بجميع نواحيها ولسكنى أيقنت بما يوحى الى عقلى القاصر ان هذا الدفتر كذب — فلو أنه أجتراً على القول بأن الباقيين هم واحد في المائة على الأقل فإن ذلك يحتاج إليه التفكير أيضا إذ كان معناه أن عدد سكان الجزيرة (أى سنار) ستين الفا — هذا ما دعانى فسكرى القاصر إلى الإجتراء على تحرير ما تقدم فالأمر إلى أهل المجلس —

وقال البك الدفتردار : انه قيل أنهم هلكوا بسبب المجاعة والجدرى فيجب أن يقع مثله بكردفان ولسكن لم يظهر مثل هذه الشكاوى من جانب كرفدان وحيث أن الفردة لم تدفع سنتين فم نشأت هذه الضرورة وهذا الضنك ؟ فقد حيرنى عدم اهتدائى إلى علم اسباب ذلك . وقد وصلت الساعة إلى

النصف بعد الغروب أى واصل المجلس مداولته على التوالى من الساعة الثانية صباحا (غروبية) إلى ذلك الوقت وقد فض المجلس —

الزملاء : البك الدفتردار ، حسن أغا (ناظر المواشى) ، حسين بك محمود افندى (ناظر الفابريقات) ، راتب افندى (وكيل ناظر السكيلارية) رستم افندى (ناظر القماش) ؛ أمين افندى (ناظر المباني الأميرية) ، أمين افندى (وكيل الأصناف) ، عبد الرازق أغا (مأمور التقارير) ، على افندى (ناظر الحرير) ؛ سليمان أغا (وكيل ناظر الغلال)

[عابدين . المعية . محفظة ١٩ بحرياً ترجمة الوثيقة التركية رقم ٢٢]

٤٣

مرسومات الخرطوم الأربعة التي أصدرها محمد سعيد باشا .

المرسوم الأول

موجه إلى المديرين الجدد لمديريات السودان الخمس ، سنار وكردفان ،
تاكة ، بربر ودنقله .

الخرطوم في ٢٦ يناير ١٨٥٧ .

ليس منكم من يجهل ما ألاقه من التعب في سبيل إحياء ما اندرس من
معالم المدنية والعمران ، وإيراد كافة صنوف الرعاية موارد العز والرفاهية
وقطع شأفة الظلم والاستعباد .

ومع ذلك فإنني لما قدمت إلى هذه الأصقاع شاهدت بعيني رأسي ما يلاقه
أهلها من الضنك والفاقة وسمعت بأذني صوت أنينهم من أحمال الضرائب التي
أثقلت كاهل الغنى منهم فضلا عن الفقير ، وفداحة الخراج المضروب على
سقاياتهم وأطيانهم وتسخيرهم في كثير من الأعمال التي لاقدرة لهم على القيام
بها والاتجار في أولادهم وبناتهم كالسلعة في الأسواق . فكان ذلك مما أحزن
قلبي وبلبل فكري لاسيما وقد علمت بأنهم أخذوا يهاجرون من أوطانهم إلى
أقاصى البلاد هربا من هذه السكوارث والمحن المتراكمة بعضها فوق بعض ،
فقد عقدت النية على جعل الخراج قدرا يناسب حالة البلاد وأهلها وعلى أن
أبذل جهد المجتهد في إصلاح أحوالهم وترتيب أمورهم على ما فيه الصالح لهم
ولذريتهم من بعدهم .

فلما نزلت على بربر جمعت المشايخ وجميع من جاء للقاء من أهل البلاد
على اختلاف مراتبهم وسألتهم أن يؤمروا عليهم أميرا يختارونه من بينهم ممن
يستبشرون بإمارته ، ويتوسمون فيه الخير للبلاد وتحصل على يده السكينة
والخلود إلى الطاعة ، وأن يقدرُوا مبلغ الخراج الذي يسهل عليهم القيام به

بلا كفه ولا مشقة ، ففرحوا بذلك وطلبوا أن يربط على كل ساقية خراجا قدره مائتا وخمسون قرشا في كل سنة ، [ولكن حبى لشعبى يحمانى على منحه أكبر قدر ممكن من الرخاء وعلى الاهتمام بشأنه حتى أضمن عطفه ، وحتى يستطيع هو الآخر أن يهتم برعاية شئونه وتحقيق رفاهيته ، ولما كنت أريد بالإضافة إلى ذلك أن أعيد الطمأنينة إلى قلوب أولئك الذين هاجروا حتى يعودوا إلى أوطانهم وهم لا يخشون ظلما ولا عدوانا ولا ضرائب باهظة ، فقد أمرت بالا تزيد ضريبة كل ساقية على مائتى قرش فقط] وخراج كل فدان من أرض الجزائر خمسة وعشرون قرشاً ، أما أراضى العسلى فعشرون قرشاً لا غير . فكان لهذا العمل أحسن وقع فى قلوب سائر الرعية وفرحوا فرحا لا يوصف وأخلدوا إلى السكون والطاعة وهنا بعضهم بعضا وأرسلوا يستقدمون من هاجر منهم وترك الأوطان .

ولما وصلت إلى الخرطوم جاءنى المشايخ والأعيان [وإذا كان هؤلاء الآخرون قد خفوا لمقابلتى فذلك لأنهم شعروا نتيجة لوجودى بينهم بدلائل كرم لم يشعروا بمثله قبل الآن قط . ولسكنى لما كنت قد عينتكم مديرين لهذه الأقاليم] ، فإن عليكم أن تقتدوا بى ، وإنى لم أقلدكم المناصب إلا لتكونوا عونى على استتباب الأمن وإصلاح أمور الرعية ، فأياكم والعنف والجور ، ولا تجبوا الخراج إلى فى الأوقات المناسبة ، واعقدوا لتقرير قاعدة ذلك جمعية فى الثلاثة شهور التى لا زرع ولا قلع فيها ، وقسموا الخراج على أقساط متساوية يسهل عليكم جبايتها فى آخر كل سنة [بصورة تجعل من الممكن تحصيل الخراج فى بحر السنة دون أن يتعرض الأهالى لارهاق ماودون ترك متاخرات لديهم] ويجب أن تتألف هذه الجمعية من ١٢ إلى ٢٤ عضوا من أعيان المديرية حسبما ترونه مناسبا للمصلحة العامة . وبوصفكم رؤساء لهذا المجلس ، فأنتم الذين تقومون بتقسيم الخراج والنظر فى الوسائل الأكثر صلاحية لزيادة الرخاء

والهدوء بصورة تؤدي إلى استتباب الأحوال في المدن وفي القرى استتباباً تاماً
ويجب أن ترفع إلى القرارات التي تتخذونها بهذا الشأن واحداً إثر واحد [ثم
أحصوا جميع الكشاف والجند والموكلين بجباية الخراج وأخلعوههم وقلدوا مكانهم
مشايخ البلاد فهم أولى بذلك .

[وعلى الجمعية أن تعنى ضمن ماتفنى به بالأمور التالية : عليكم أن تسرحوا
الكشاف الذين هم اليوم حكام تلك الجهات ، وكذلك أخذ الموجودين معهم
ثم عليكم ألا ترسلوا بعد الآن ، كما كان الحال سابقاً جنداً لتحصيل الخراج ،
فإن القرى وحدها هي التي ترسل شهرياً خراجها حسب التقسيم بواسطة مشايخها
ولا تستخدموا قوة القانون إلا بكل عدل لإجبار المتأخرين على الدفع . ولتشجيع
المشايخ على القيام بوظائفهم بأمانة وإخلاص ، وجدت من الحكمة أن يكافأ
المشايخ على خدماتهم وذلك بأن تعافوهم [في مقابلة هذه الخدمة برفع خراج
سقاية في كل خمس وعشرين سقاية] ومعنى ذلك ألا تحصلوا خراجاً إلا عن
٢٤ ساقية من خمس وعشرين ، بينما تبقى الساقية الخامسة والعشرين من سواقي
المشايخ دون خراج ، وبالمثل فيما يتعاق بالأراضي ، فتعفون من الخراج أربعة
أفدنة من كل مائة فدان تخص المشايخ] .

هذا وحيث أن لأولئك المشايخ والأعيان بيوتاً ينزل عليها كل طارق
وقاصد ، فأرفعوا عن كل منهم خراج أربعة أفدنة في كل مائة فدان [فإنه لما
كان المشايخ - وهم أصحاب هذه المنازل يقدمون المأوى والمأكل للسياح
والمسافرين ، ولما كانوا مشهورين بضيافتهم ، فقد وجدت من العدل أن يعم
كرمي بحيث يشمل نفقات هذه الضيافة ؛ وعلى ذلك فقد تركت لتقديركم بحث
وتعيين ما يمكن أن يمنح لهؤلاء المشايخ ، وما ترونه أنتم مناسباً وعادلاً وذلك
حسب مركز كل قرية] .

[وعليكم أن تقوموا بقياس الأراضي ، وإحصاء السواقي بواسطة المشايخ الذين

يجب عليهم أن يقدموا بيان ذلك إلى المديرية ؛ وأما إذا أرسلتم رجالا من طرفكم لهذا الغرض ، وحدثت أخطاء فسيكونون المسؤولين وحدثهم عن هذه الأخطاء ، والخراج الذى سوف يجرى تحديده على الأراضى بعد قياسها وعلى السواقي يجب أن يدفعه زارع الأرض وحاصد غلاتها ، وذلك حتى لا يستطيع أحد أن يقول أن الملتزم بدفع الخراج قد تمكن من الهرب ، والخراج الذى يجرى تحديده وتعيينه على النحو الآنف الذكر ، يبدأ العمل به منذ هذه السنة الهجرية سنة ١٢٧٢ ، ويحتسب الخراج الذى حصل من ابتداء هذا العام من خراج هذه السنة ؛ وتمشياً مع هذه القاعدة يؤخذ هذا الخراج عن الأراضى التى تروى بماء الفيضان أو ماء الأمطار أو السواقي . ولكن إذا — لا قدر الله — انخفض النيل أو احتبس المطر ، فالخراج لا يستحق ولا يجبى .]

[وكل ما نحتاج إليه الحكومة من مأكولات وأشياء أخرى . أو جمال أو رجال للخدمة فعليها أن تدفع ثمن وأجر ورواتب ذلك كله بزيادة ٢٪ عما يدفعه السكان فيما بينهم وحتى إذا ارتفعت أثمان الأشياء فعلى الحكومة أن تدفع دائماً زيادة ٢٪ على الرغم من زيادة الأسعار . وخوفاً من ألا يعلن المشايخ عن الأثمان الحقيقية للأشياء وعن القيمة الحقيقية للبدل العاملة إظهاراً منهم لاهتمامهم بصالح الحكومة ، عليكم تفادى هذا المحذور بالآلا تأخذوا شيئاً إلا بموافقة أصحابه موافقة حرة . وذلك حتى يمكن بفضل هذه الوسيلة أن يزداد رخاء البلاد وحتى أنه عندما يرى أولئك الذين هم فى الخارج الأثمان التى تدفعها الحكومة ، يدفعون هم الآخرون أثماناً طيبة مما من شأنه أن يزيد ثراء البلاد . ويجب أن لا تسخروا الرجال أو الجمال فى الأعمال . ويجب أن تشجعوا السكان على زراعة القمح والنيلىج والقطن والسمسم وغيره وأن تبذلوا كل جهد حتى يمكن كبس الأقطان ، وصناعة النيلىج ، حتى يسهل تصديرها ، وتفيد البلاد من أثمانها وقيمتها . ومن واجبكم أيضاً أن

تشجعوا الأهالى على استخراج الزيت من السمسّم لأن فى ذلك مصلحة لهم .
وحيث يوجد فى هذه البلاد الأخشاب الصالحة للبحائر ومد السفن
والحريق (الوقود) وغيره شيئاً كثيراً فاشترى منه من الأهالى كل ما تيسر
وسيروا به إلى القاهرة ثم انقدوهم الثمن معجلاً .

[وسوف يكون من السهل إنزال هذه الأخشاب إلى مصر على شكل
أرماث وقت فيضان النيل . وعليكم أن تفهموا الأهالى ذلك وأن تشجعوهم
على هذا العمل ، لأن أكثرهم لا يجدون عملاً كافياً ، وسيكون هذا العمل
مصدر ربح جديد .

[ومما يوطد الرخاء فى بلد ما ، بناء المنازل فى المدن . ولكن عليكم أن
تنتبهوا حتى لا تبنى المنازل فى الطرق من غير نظام ، بارزة أو مخفية كما هو
الحال اليوم بل من الواجب أن تكون البنايات الجديدة فى صف واحد
وهذا من غير أن تضطروا لهدم المنازل الموجودة . فالبنايات الجديدة فقط
هى التى يجب أن تشيد وفقاً لهذه القاعدة الجديدة ويجب أن يكون لكل منزل
حديقة ذات اتساع كاف لاستخدام مياه ساقية أو شادوف أو ما هو أقل
من ذلك إذا لزم الأمر ، حتى تكون الأمور بهذه الوسطة منظمة تنظيماً
حسناً ، والهواء أنقى وأحسن . ويجب ألا تحصلوا ضريبة عن الأراضى التى
تعطونها لهذا الغرض .

[وشجعوا الأهالى كذلك على زراعة الأشجار فى الطرق وعلى طول
شاطئ النيل . إذ أن هذه المزروعات تفيدهم أولاً بإنتاجها ، وثانياً بالآثر
الطيب الذى تحدثه بامتدها على طول الطرق والشواطئ .]

ثم علّموهم الصنائع والفنون وإنشاء المباني المنظمة والمساكن المشيدة
وغرس الأشجار بالشوارع والطرق وإذا أعطيتهم أحداً أرضاً للفلاحة من
الأطيان المتروكة فأخبروا بذلك المديرية التى انتم فى دائرة اختصاصها وإذا

عاد من هاجر إلى بلد وطلب رد اطيانه وكانت ثابتة إليه وجب ردها إذا لم يمض على انسحابه خمس عشرة سنة . وارفعوا عن الأهالي جميع المتأخرات لغاية سنة إحدى وسبعين ومايتين واللف هجرية والمقاس أن مساحة كل فدان أربعائة قصبة وأن كل قصبة ثلاثة أمتار فقط وإياكم والمخالفة فيكون جزاؤكم شر الجزاء .

[أما المنازعات والقضايا فيكون بحشها والبت فيها أمام المشايخ . ولكن في الحالة التي يتعذر فيها الوصول إلى حل بهذه الطريقة فإن هذه القضايا يفصل فيها « المسكوك » الذين يقبلهم الطرفان المتنازعان . وإذا كانت من نوع لا يحل بهذه الطريقة فإنها ترسل إلى المديرية ، وما لم يمكن الفصل والحكم فيه فإنه يعرض على المجلس أثناء الشهور الثلاثة التي ذكرت أعلاه . فعلى المجلس أن ينظر في هذه الأمور ويصدر حكمه فيها .

[أما فيما يخص المسائل المتعلقة بالقانون ، فهذه يحكم فيها القضاة ، ويقوم بتنفيذ هذه الأحكام المشايخ والمديرية . أما قضايا القتل فيجب أن ينظر فيها مدنياً بمساعدة المديرية ، وتبحثها المحكمة في المديرية ، وفي المجلس الذي سبق التحدث عنه وذلك بحضور القاضي والذين يخصهم الأمر حتى ترفع إلى بعد ذلك بواسطة المديرية . أما قضايا البدو فهذه من اختصاصات شيخ قبيلتهم ، أو الشيخ الأعلى .

[وفي الحالة التي تتحسن فيها ثروة أحد الأفراد ويطلب إعطاء بعض الأراضى في قريته (من بين الأراضى غير المزروعة) زيادة على ما يملكه يجب إعطاؤه هذه الأراضى إذا كانت من غير صاحب ، وتخبر المديرية بذلك حتى يكون لديها إلمام بالأمر ويطبق نفس الشيء في الحالة التي يعود فيها أحد الأهالي إلى بلده بعد أن تغرب منها ، فيجب إعطاؤه أرضا غير مزروعة . ولكن إذا لم توجد مثل هذه الأرض فالواجب أن تسهل له وسائل العيش

في قريته ، وأن يعطى بتدخل المشايخ والأعيان قدراً من الأراضي كافية لعيشه وذلك حسب مركز كل فرد . أما إذا كان هذا الفرد الذي ترك قريته يملك أرضاً ، وحدث بسبب تغيبه أن استولى غيره عليها منذ مدة تزيد على الخمسة عشر عاماً تماماً فإنه يجب رد أرضه إليه ويعطى لمن أخذت منه الأرض أرضاً أخرى . وتخبر المديرية بذلك . وفي الحالة التي لا توجد فيها أرض حرة بتاتاً في القرية ، يكون التصرف معه كما هو مبين في حالة من عاد إلى قريته بعد أن هجرها وكان لا يملك فيها أرضاً ، وإذا رغب أولئك العائدون الذين لم يكونوا يملكون أرضاً في قراهم أو أولئك الذين لا توجد أرض حرة لإعطائهم إياها ، أن يحصلوا في نظير دفع الضريبة على أرض متروكة لأصحابها ، ولا تجاور أية قرية ، وأن يبنوا فيها قرية جديدة للإقامة بها والعيش فيها فمن الميسور إعطاؤهم هذه الأرض من غير أية صعوبة .

[ولما كانت الضريبة المفروضة على البدو قد حددت فإنه سوف تصدر إليكم — حسب إرادتي — الأوامر اللازمة لتوزيعها على القبائل وتحديد ما يعطى للمشايخ منها نظير قيامهم بأعباء وظائفهم ونظير نفقات ضيافتهم ومع ذلك لما كانت ضريبة القبيلة موزعة بين الأفراد بمعرفة شيوخهم ، وهذا التوزيع غير معروف لدى المديرية ، فإنه نتيجة لذلك ، إذا لم يجد أحد هؤلاء البدو الراحة التي ينشدها في قبيلته ، وأراد الذهاب إلى قبيلة أخرى للعيش فيها ولما كان حراً في التصرف بشخصه ، وكان إرغامه على الكوث في قبيلته سيزيد من ألمه — الأمر الذي لا يتفق مع رغباتي — بات من الواجب عليكم ألا تمنعوا هذا الشخص من العيش في القبيلة التي يختارها . ولكن يجب أن تنتقص الضريبة التي كان يدفعها في قبيلته بما يجب أن تدفعه هذه القبيلة وتضاف إلى ضريبة القبيلة التي اتخذها مقراً له .

[وإذا زرع أحد البدو أرضاً في قرية ، وسرت عليه الضريبة المقررة فمن

الواجب ألا يكلف هذا الفرد بدفع ضريبتين ، إحداهما يدفعها في قبيلته والأخرى عن أرضه . إذ أن هذا مخالف للعدالة . وقد قررت أنه في كافة الحالات التي يزرع فيها بدوى أرضاً في قرية ما ، يجب إعفاء هذا البدوى من ضريبة القبيلة التي يعينها مشايخ القبائل . فلا يدفع غير ضريبة واحدة هي ضريبة الأرض التي يزرعها . وقد أمرت بهذا حتى أشجع البدو على الإقبال على الزراعة وممارستها ، وعلى السكنى في المدن .

[وفي الأمر الذي سأصدره إليكم في موضوع ضرائب البدو ، سوف أعطيكم أيضاً الأوامر اللازمة لإرشادكم في مسألة بعض الأهالي من الرعاة الرحل .

[أما فيما يختص بالجبال التي تفرض عليها الضريبة (أقول أنه) لما كان سكانها يعيشون في حالة همجية وكان من الضروري قيادتهم في طريق الإنسانية حتى ينعدم ميلهم إلى العزلة في الجبال ، وإلى القيام بالثورات ، فقد قررت أن أعفيهم من ثلث الضريبة فلا أدعهم يدفعون إلا الثلث الواحد فقط . ويجب أن تفهموهم أنهم ليسوا بعبيد بل هم أحرار طلقاء .

[ولقد اعتاد هؤلاء أن يزرعوا بعض الأراضي على منحدرات الجبال فمن واجبكم أن تشجعوهم وأن تدخلوا في أذهانهم فوائد الحياة في المدن وأن تحضوهم على الإكثار من زراعاتهم وأن تبذلوا جهدكم في إقناعهم لتجلبوهم إليكم . أوضحوا لهم جيداً أنهم إذا أقبلوا بملء قلوبهم على الزراعة ، فإنني سوف أعفيهم من الضريبة التي أنقصتها اليوم ، فلا يدفعون عندئذ سوى ضريبة على الأراضي التي يزرعونها ، وهذه أيضاً سوف تكون أقل من تلك التي يؤدونها عن جبالهم ، وإنسكم إنما تعاملونهم على هذه الصورة لتوفير راحتهم وامنهم ، واجتذابهم إلى طريق الحضارة والمدنية . وحتى إذا حدث في اجتماعاتكم التي تعقدونها لشرح ما تقدم لهم ولاستمالتهم : ان طلبوا منكم

إلغاء هذه الضريبة — على شريطة أن يعدوا أنهم سيقبلون على الزراعة .
وان يدفعوا فقط ضريبة الأراضي (التي يزرعونها) . فعليكم أن تقبلوا
ذلك ، وان ترفعوا إلى هذه المسألة حتى اعاملهم وفق رغباتهم لغرض واحد
هو ان اثبر حب الحياة في المدن في نفوسهم ، وان اصونهم بذلك من التقلبات
التي يتعرضون لها .

[هذه هي الطريقة التي تتبعونها مع سكان الجبال الذين يعيشون في حالة
همجية وكالحيوانات المتوحشة . واما فيما يتعلق باهالي الجبال امثال اهالي
الفونج المتحضرين قليلا فسوف اصدر إليكم الأوامر فيما يخص الجبال التي حضر
مشايخها إلى . واما اولئك المشايخ الذين لم يحضروا ، فعليكم ان تتفاهموا
معهم ، وبعد التداول مع مشايخهم عليكم ان تخبروني بما يمكن ان يدفعوه
بسهولة ومن دون مشقة ، كما عليكم ان تقدموا إلى تقريراً مفصلاً عن الضريبة
الحالية ، والضريبة التي يريدون دفعها حتى اصدر اوامري إليكم بهذا الصدد .
وعليكم أيضاً أن تجمعوا المشايخ والأعيان وتقرأو عليهم أمرى (هذا)
وتفهموهم ما قررت القيام به لمصلحتهم ، مدفوعاً إلى ذلك بحبي لشعبي .

[وعندما وصلت إلى بربر وإلى شندى عينت المشايخ والمسكوك حسب
رغبات الأهالي ووفق اختيارهم . ولم يحضر مشايخ بعض القرى ، وعليكم أن
ترتبوا الأمور بهذا الشكل في مديرية دنقلة ، وتموها أيضاً فيما يتعلق بأقاليم
بربر والجاغلين وهي التي لم تجر فيها هذه الترتيبات ، وعليكم أن تعينوا
المشايخ والمسكوك من أولئك الذين اختارهم الأهالي والأعيان ، ثم تزودونهم
بنصائحكم وإرشاداتكم الحكيمة حتى يمكنهم أن يسلكوا مسلكاً حسناً ،
وحتى يتجنبوا بعناية كافة ما من شأنه إبعاد الأهالي عنهم .

[ابحثوا المسائل ، واعدلوا بين الناس دون ما تحيز فاذا استحق إنسان
السجن لذنب من الذنوب فمن واجبكم الاهتمام بانهاء هذه المسألة حتى لا يبق

المجرم وقتاً طويلاً في السجن ، لأنه ومع كون السجن ضرورياً لعقاب أحد الأشخاص على عمل سيئ أتاه ومن المنتظر أن ينتج خيراً إذا أن هذا من شأنه أن يمنع المجرم من اقتراف آثام أخرى في المستقبل ، وفي نفس الوقت تكون هذه العقوبة مثلاً يردع الآخرين عن الإتيان بأعمال تستحق هذا العقاب ، فإنه لما كان السجناء هم من رعاياي وشعبي فإن عدلي ورحمتي لا يسمحان بأن يبقوا في السجن أكثر من الوقت المقرر ، ورغبتى أن أكون شفيقاً في معاملتهم [وفي الحالات التي تحدث فيها منازعات بين السكان والبدو ، أو بين

بعضهم بعضاً ، فعليكم أن تعاقبوا المذنب منهم فوراً ومن غير إهمال .
[وإذا دعوتهم شيخاً أو عيناً من الأعيان ورفض الحضور ، ولما كان رفضه هذا غير لائق تجاه السلطة ، وأنه بعمله هذا سيرغم السلطة على إحضاره بالقوة ، فعليكم أن تعدوا حالة كهذه حالة عصيان ، وإن تحضروه بالقوة .

[وبالنظر لكافة ما أحدثته الآن لصالح أهالي هذه البلاد ، سواء بتخفيض الضرائب أو بإلغاء السخرة ، أو بمنع الأعمال التعسفية والظلم ، فمن الواضح إذاً أنه لا ضرورة لبقاء جنود في هذه البلاد إذ أن الأهالي سوف يكونون مرغمين بحكم الضرورة — بالمحافظة على أملاكهم — إلى تولى الدفاع عن أنفسهم ضد أي معتد عليهم يريد مهاجمتهم ، وذلك حتى لا يروا الدمار يحل بهم ، ومع ذلك فقد أقت عدداً كافياً من الآليات في مختلف الجهات نخذوا حذرهم إذن حتى تدفعوا كل من تحدثه نفسه بالهجوم عليكم . وإذا كان من الضروري أن تتعاون المديرية فيما بينها ، فافعلوا ذلك حتى لا ينزل السوء بأحدى الجماعات الموجودة تحت إشرافكم .

[ولما كانت المدافع الموجودة في السودان من المدافع الكبيرة التي لا يمكن جرها على الجبال أو الرمال ، ولما كانت لهذا السبب غير ذات فائدة بتاتاً لأن المدافع لا تفيد إلا إذا استطاع الإنسان نقلها من مكان لآخر ، ولما كانت

المدافع الموجودة في السودان لا تتوفر فيها هذه الشروط أمرت ان يحطّم البعض وان يجمع الباقي .

[وقد تركت في الجزيرة (سنار) ما هو ضروري من المدافع وهي مدافع خفيفة . والباقي يوجد في كورسكو . وقد أمرت ان تنقل هذه الأخيرة إلى الخرطوم . وعندما يتم جمع كافة هذه المدافع ، فإنه سيرسل إلى كل جزء من اجزاء البلاد ما هو ضروري لها .

[وكذلك فإنه في المرتبة الأولى من الأهمية وهذه هي رغبتى الشديدة ، أن تصلنى في كل وقت أخبار منكم عن أحوال البلاد وعمّا يحدث فيها . ولذلك فمن الواجب إذا أن تنظموا خدمة البريد للجزيرة (سنار) ، وكردفان وتاكة على أن يخرج البريد من (الجزيرة) إلى «أبي حمد» وعلى بعد كل عشرة ساعات تقريباً تقطع على ظهر الهجن ، يجب أن تؤسسوا محطات يوجد بها هجانه تنقل الرسائل ، وأن تعدوا فيها أما كن لإقامة هؤلاء باستمرار ، وأن تعنوا بالوسائل التي تكفل لهم ولهجنهم الغذاء . فتقيمون ثلاث محطات بين أبو حمد وكورسكو : الأولى عند أبي حمد ، والثانية عندمرات ، والثالثة عند كورسكو . وذلك لتسهيل وصول الرسائل ، وترتبون عشرة من الهجانه لكل مديرية .

[وأما إذا اعتدى عليكم أحد وهاجمكم ، وكانت قوات أعدائكم كبيرة ، وأصبحتم في حاجة إلى نجدات من القاهرة ، فعليكم أن تخبروني بذلك سريعاً وفي الوقت ذاته أرسل إليكم ما يثير الفزع في قلوبهم ، ويقضى عليهم ويفرقهم وسوف أحضر بنفسى حتى أقتص من أولئك الذين يجرؤون على إثارة الإضطراب وفعل الشر .

[ولتعملوا جيداً أن الاستعدادات الضرورية تتم دائماً في القاهرة ، وكذلك تلك في الحالات الضرورية التي تستلزم وجودى مع جندى الذين سأقودهم إلى السودان . وسوف اقتص اقتصاصاً شديداً من أولئك المعتدين . ويجب

أن تتأكلوا أيضاً أنه إذا علمت أن الأهالي قد أصابهم سوء من جانبكم أو من جانب المشايخ فسوف لا ينجو أحد منكم من عقابي فلتعلموا ذلك جيداً واسترشدوا بذلك في تصرفاتكم حيث إن هذه هي أوامري وهي التي تعبر عن رغباتي وإرادتي .]

ميخائيل شاروبيم ح ٤ : صفحات ١٢٤ ، ١٢٥ ثم

Abbate. 29 — 41: Lesseps (Souvenirs d'Un Voyage) 512-515

المرسوم الثاني

في الأمر الذي أصدرته لكم لترتيب الخراج (الضريبة) والمتعلق بوضع الترتيبات الأخرى موضع التنفيذ ، ذكر أن الضريبة قد حددت على هذا الأساس منذ سنة ١٢٧٢ (ذى الحجة سنة ١٢٧٣) وأن مادفعه الأهالي من بداية العام حتى الوقت الحاضر يجب أن يحسب من ضريبة هذه السنة ، وأنه نتيجة لما أشعر به نحو شعبي من حب فإنه لا ينبغي لكم أن تطالبوا الأهالي بالمتأخرات المستحقة عليهم حتى هذه السنة (سنة ١٢٧١ .)

ولكن لما كان كل هذا غير مفسر بشكل واضح في المرسوم السالف ، ولما كان أهالي هذه البلاد أميين ، فإني أخشى أن يعتقدوا أن هذه المتأخرات لازالت باقية عليهم وأنهم مدينون بها للحكومة ولذلك فإني أردت من هذا المرسوم الجديد أن أطمئنهم في هذا الصدد تماماً حتى يكتمل سرورهم وتم سعادتهم وأبين لهم بوضوح إرادتي ورغباتي .

يجرى طرح المبالغ التي دخلت الخزانة من بداية سنة ١٢٧٢ حتى هذا اليوم بعد عمل الخصم وفق ما ذكر في أمري السابق — من خراج العام الحاضر وذلك بعد التحقق من صحة حسابات الصيارف بكل دقة .

وفيما يتعلق بالذين يظلون دائنين للحكومة حتى نهاية سنة ١٢٧١

بفضل تقديمهم دفعات من المال تزيد عما هو مستحق عليهم ، فمع أن العدل يقضى بأن تحل هذه الزيادات مكان المتأخرات فإني لما كنت في عدالتى لا أريد أن يفقد أحد رعاياى شيئاً من المستحق له ، أطلب منكم أن تقوموا بتعويض كافة أولئك الذين ثبت تماماً أنهم دائنون (للحكومة) على النحو المتقدم بعد فحص دقيق عن هذه الزيادات وذلك بحسابها من خراج العام الحاضر المستحق عليهم .

ولقد جاء فى المرسوم السابق أنه إذا غير أحد البدو قبيلته ، فإن الضريبة التى كان يدفعها فى قبيلته تنقل إلى حساب القبيلة الجديدة التى يختارها ، وإذا زرع أحد البدو أرضاً خارج حدود قبيلته فلا ينبغى أن يدفع سوى ضريبة هذه الأرض فقط ، ويجب أن تخصم الضريبة التى كان يدفعها فى قبيلته من حساب هذه القبيلة . فإذا وجدت مثل هذه الحالات ، ولزم نقل الضريبة التى كان يدفعها البدوى فى قبيلته الأولى إلى حساب القبيلة الثانية التى انتمى إليها فإن ذلك سيثير مناقشات ومنازعات حول موضوع قدر الضريبة التى كان البدوى يدفعها لقبيلته الأولى ، وهذا يتطلب تحقیقات وضیاع وقت كبير .

لذلك وحتى يمكن التخلص من هذه الصعوبات يجب عليكم أن تعدوا فى الوقت الذى يتم فيه تحديد الضريبة المفروضة على كل قبيلة بواسطة رئيسها قائمة بقدر الضريبة الموزعة على كل فرد من أفراد هذه القبائل ، على أن تحتفظوا بهذه القوائم فى المديرية للرجوع إليها عند الحاجة .

وكذلك من الضرورى معرفة حدود كل قرية من القرى مع إجبار المشايخ والأعيان على احترام هذه الحدود وكذلك من الواجب إقامة الحراس اللازمين حتى يكونوا مسئولين عن كل جريمة قتل أو سرقة تقع فى حدود قريتهم ، ويكونوا مجبرين على تقديم السارق أو القاتل وفى حالة تعذر ذلك يصبحون هم المسئولين شخصياً . وقد صدر الأمر بهذا لغرض المحافظة على الأمن فى الطرق ، وحتى يمتنع الأفراد من إلقاء المسئولية أحدهم على الآخر مما

يجعل النظر في هذه الأمور يتطلب وقتاً طويلاً جداً ، ويجعل من المتعذر الكشف عن الحقيقة .

وعلى ذلك فواجبكم أن تقوموا بما يلزم لتعيين حدود كل قرية ، وأن تفهموا المشايخ قدر المسؤولية الملقاة على عواتقهم .

وحتى هذا اليوم كان يودع السارقون والقتلة الذين حكم عليهم بالأشغال الشاقة المؤبدة في سجون السودان ، فإذا نقلوا بدلاً من ذلك إلى السجون الواقعة بعيداً عن عائلاتهم وعن قراهم فإنه من المحتمل أن تمنعهم معرفتهم لهذه العقوبة من ارتكاب الآثام ، وبناء على ذلك فقد قررت أن ينقل أولئك الذين تصدر ضدهم أحكام بالسجن المؤبد إلى السجون الموجودة في مصر حيث تنفذ فيهم العقوبة ، بينما يرسل من مصر المجرمون المحكوم عليهم بنفس العقوبة إلى السودان لتنفيذ هذه العقوبة فيهم .

كانت الحسابات في الماضي ترسل إلى حكام السودان ، ولكن لما كانت كل مديرية مستقلة اليوم ، فإنه يجب إرسال كشوف حساباتكم كل ثلاثة أشهر إلى القاهرة .

وعليكم أن تعلموا كافة المشايخ والأعيان بمحتويات هذا المرسوم ، وأن تفهموهم مضمونه حتى يعملوا بموجبه .
وهذه هي إرادتي .

المرسوم الثالث

إنه بحسب الترتيب الذى صار إجراؤه بالسودان رحمة منا على أهلها جعل على كل فدان طين من الكائن بالجزر خمسة وعشرون عرش والذى بالجروف بعشرين عرش ، وحيث من الاقتضى تحديد قدر الفدان قاعدة وريج أى طول وعرض على مقدار معين فو إن كان بمصر والجهات البحرية الفدان جملة قياسه ثلثائة ثلاثة وثلاثين قصبة وثلث قصبة مسطح مكسر فى بعضه كناية عن ثمانية عشر قصبة و $\frac{٥٧}{١٠٠}$ من القصبة فى مثلها تقريبا ، فاقتضت مكارمنا أيضا أن بالسودان يكون مقاس الفدان الواحد اربعائة قصبة أى طوله عشرون قصبة فى عرض عشرين قصبة ، وما ينقص ويزيد فى المقاس يستخرج قدره فى الحساب ، وطول القصبة الواحدة ثلاثة أمتار وقد صار إعمال لكم قصبة بهذا المقاس وصار يختم على كل واحدة من الطرفين وما يلزم من الأقسام للمساح تعمل على قدرها بغير زيادة ولا نقص ويجرى الختم عليهم من طرفكم للاعتداد . ويكون المقاس والحساب على وجه ما توضح كما اقتضت إرادتنا .

[أمين سامى ، تقويم النبيل المجلد الأول من الجزء الثالث صفحة ٢١٢
(أمر على لمديرية التاكة فى غاية جمادى الأولى سنة ١٢٧٣ ، والترجمة الفرنسية
فى كتاب أباته (Abbate) صفحة ٤٥)] .

المرسوم الرابع

بناء على رغباتي المتعلقة بفرز العساكر وترتيب ما يمكن إرساله منهم إلى كل جزء من أجزاء السودان عليكم أن تتفقوا مع قومندان جند الخرطوم لفرز العساكر الذين يجب أن يبقى منهم آلاى فى سنار وآخر فى تافة وتسمونهما الآلاى الأول والآلاى الثانى .

وليس هذان الآلايان بحاجة إلى ضبط من رتبة اميرالاي ، إذ يتولى البكباشيون قيادة الجند والإشراف على الأعمال الضرورية . ومعنى ذلك أن كل أورطة تصبح تحت مسئولية قائدها .

وعند الفرز عليكم أن تشكّلوا من أولئك الذين يتضح أنهم غير صالحين للخدمة فى الآلايات ، وهذا عدا الضعفاء أو المسنين جدا ، أربعة بلوكات على أن يكون لها أربعة أوباشية ، وذلك للخدمة فى المديرىات الأربع ، فيكون لكل من هذه المديرىات بلوك واحد يقوم بحراسة الخزانة وغير ذلك من الأعمال .

وقد أرسلت أوامرى بهذا الشأن إلى مدير الخرطوم ، وأرسل اليكم هذا الأمر الآن حتى تعملوا بموجبه ، فبمجرد انتهاء الفرز تقومون بإرسال هذه البلوكات إلى المديرىات حتى يتم قيدها هناك تبعا للأوامر التى أصدرتها .

[كتاب أباته (Abbate) صفحة ٤٦]

إقامة السواقي وإنشاء الحدائق

من الجنب العالى إلى حكمدار السودان (مومى حمدى باشا)

فى ٦ رجب ١٢٨١ (٥ ديسمبر ١٨٦٤)

أن أحمد أغا من بلوكات المحافظين (بدنقله) سابقا قد قدم إلى ديوان معاوتى عريضة مطوية بهذه المكاتبة مفادها أنه فى سنة ٧٢ قد أنشأ ساقية بالغابة والتلول الواقعة خارج زمام مديرية (دنقلة) وأصلح فعلا قسما من تلك التلول وغرس فيها نخيلا وأشجارا من الليمون والصنط وأنه يريد إنشاء حديقة وسبيل بها وبما أنه قد فرض مال أميرى على تلك الساقية كما فرض ثمان وثمانون قرشا ونصف القرش سنويا على النخيل قبل طرحها الثمار وذلك فى الإحصاء الذى عمل فى سنة ٧٨ وبما أنه لم يسبق فرض أموال أميرية على بعض الحدائق الموجودة فى المديرية قديما وأن السواقي التى فرض عليها الأموال الميرية واقعة على البحر فإنه يلتمس رفع المال عن الساقية والنخيل المذكورة فعليكم بإعفائه من الأموال المفروضة على الأشجار التى غرسها والسواقي التى حفرها المذكور هناك وأنه من البديهي فى حالة إعفاء الحدائق الموجودة بالأراضى السودانية من الأموال سيرغب حينئذ كل شخص فى غرس تلك الأشجار وسيكون ذلك سببا فى ازدياد الحدائق يوما فيوما فى انتظام وعمران الأقاليم السودانية والإكثار من اصلاحها ومدنياتها وهذه زبدة أفكارى فى ذلك ، وإنى بموجب أمرى هذا أطلب منك عدم فرض أموال أميرية على الأراضى المنزرعة بها أشجارا ولا على الأشجار المنغرسه أو التى ستغرس من الآن فصاعدا مثل أشجار الليمون والبرتقال والتين وأشجار الفاكهة الأخرى فى السودان .

حاشية : بموجب أمرى هذا يجب أن لا تفرض أموالا أميرية على الأشجار المنزرعة بمجة السودان والتى ستغرس من بعد الآن من الأشجار

المشجرة ولا على الأراضى التى تزرع فيها تلك الأشجار وأن تقيس الأراضى المنزرعة فيها تلك الأشجار وتحدها وأن تحرر جميع تملك باسم أصحابها يتصرفون فيها كيفما شاءوا .

[عابدين . المعية . دفتر ٥٢٩ رقم ٤ صفحة ١٩٧]

٤٥

عمران مصوع وسوا كن

إدارة سنية إلى حكامدار السودان (جعفر مظهر باشا)

فى ٢٨ صفر ١٢٨٣ [١٢ يولية ١٨٦٦]

لقد وصلت إلينا أخيراً مذكرتكم المخصوصة المؤرخة فى ٢٣ ذى الحجة سنة ٨٢ التى ضمنتها آراءكم ووجهات نظركم فيما يختص بإلحاق ثغرى مصوع وسوا كن بحكومتنا نهائياً فتلوناها حرفياً . والحق إننا قررنا رأيكم ونظرياتكم حق قدرها واستحسنناها وسررنا منها أيما سرور . إن أمر ضم هذين الشغرين إلى حكومتنا نهائياً قد سبق بيانه فى أمرنا الصادر إليكم فيما يتعلق بحق وراثته الحكم فى مصر فى ذريتنا بتاريخ صفر سنة ٨٣ فلم يبق ما يدعو للزيد من البيان وبما أن سوا كن هى ميناء عمومية الأقاليم السودانية والمنفذ التجارى لها فإن أهم ما نفكر فيه ونسعى إليه الزراعة والتجارة فى تلك الجهة . ونرى فيما نراه من الوسائل المؤدية لذلك أنه لو أنشئت فى السودان السكك الحديدية التى أصبحت الأساس الأعظم للتقدم والعمران لأفادت البلاد الفوائد الجمّة فى قليل من الوقت والله يعلم أن هذه الفكرة لم تبرز مخيلتنا لحظة واحدة ولو كان فى الإمكان لأمرنا بمباشرة العمل فى هذا المشروع منذ الآن . ولكن ما الحيلة وإنشاء السكك الحديدية فى تلك الجهة يصطدم بصعوبات كثيرة ويحتاج إلى نفقات طائلة سيما والحالة تقضى بإرجاء تحقيق مثل هذه المشروعات العظيمة

التي تتطلب هذه النفقات إلى ما بعد مدة ريثما تتخلص المالية من بعض الضيق الذي تعانيه في الوقت الحاضر كما أن هناك مع الأسف الشديد موانع أخرى تحول دون ذلك كالمال المخصص سنوياً من المالية لنفقات السودان وما إليه من الموانع ولما لا يدرك كله لا يترك جله فإذا كان الطرف المالي لا يسمح لنا بإنشاء السكك الحديدية الآن فإننا نعلم أكيداً أنه لا يرضيكم أن نتجهم عن ذلك نهائياً من غير أن نعمل على تحقيق بعض المشاريع السهلة المال القليلة النفقات التي من شأنها أن تسهل سبل التجارة والمخبرات والمواصلات . فإذا ما أصلحنا الطريق الموصول من بربر إلى سواكن ومن سواكن إلى التاكة في الوقت الحاضر ومهدناه على قدر الإمكان وسيرنا فيه عربات لنقل البضائع كعربات (العريق) عربات جميع أجزاءها من الخشب وعربات الثيران كالتى يستعملها أهالى الأناضول وأنشأنا بعض المباني اللازمة كالحانات وما إليها في المحطات الكائنة على الطريق وحفرنا الآبار الضرورية فى الأماكن التى يجب أن يتوفر الماء فيها للمسافرين كان لذلك أثره فى توسيع دائرة التجارة . وحيث أن تحقيق هذه المشاريع هناك ليس من الصعوبة بمكان سيما وبندر سواكن بطبيعة موقعه صالح للعمران وحيث أن الحدادين والنجارين والبنائين وما إليهم موجودون بكثرة بين العساكر فإنه من الممكن استخدامهم فى بناء الأكواخ الكافية على أن تكون على الأقل أساساتها ومقدار متر من جدرانها من الحجارة وبقيتها من الطوب النيى لياوى إليها الأهالى بدلاً من العشش المغطاة بالحصر التى سمعنا أنهم يقيمون فيها ، ويشاد إلى جانب ذلك بأيدى هؤلاء العمال مسجد صغير ومدرسة صغيرة ومستشفى (مدنى) بسيط وحينئذ تتحسن حالة البندر ويزداد عمرانه فأطلب أن تبذلوا الجهد لتحقيق هذه الفكرة . ولما كان توصيل الماء الذى يبعد مسافة ساعة عن سواكن هو من الأهمية بمكان فسنجلب من أوروبا خصباً آلة ميكانيكية لصنع المواسير الفخارية والطوب اللازم لهذه

العملية وسنرسلها إليكم متى وصلت لتسهيل عليكم تنفيذ هذا المشروع فاعنوا بتحقيقه وإتمامه في أقرب وقت .

[عابدين . المعية . دفتر ٥٥٨ تركي رقم ٢٧ صفحة ٥٩]

٤٦

توجيهات لتنظيم مصوع وزيادة العمار بها
الجناب العالي إلى محافظ مصوع .

في ٢٣ شوال ١٢٨٣ (٢٨ فبراير ١٨٦٧)

إن انتخابنا لكم لما نعهد فيكم من الجدارة واللياقة واستخدامكم في هذه المأمورية الهامة النائية إنما كان على أمل أن يوفقكم الله في مسعاكم لتحقيق مقاصدنا الخيرية فيما يتعلق بالإصلاحات والتنظيمات الجديدة التي تتفق وكرامة الحكومة المصرية في هذا الموقع الهام السكّان في طريق سفن بعض الدول العظمى وركابها والذي دخل في حوزة حكومتنا حديثاً . فتعملون على تجميل هذا الموقع وتسهلون سبل التجارة وتوطنون الأمن وتخدمون الأهالي .

إن الموظفين الذين يكتفون بإدارة الشؤون على ما هي عليه ولا يكلفون أنفسهم القيام بالإصلاحات وإحداث المرافق الخيرية التي تعود على أبناء جنسهم بالنفع ويقضون المهمة على هذا النحو يجهل الناس أسماءهم ويظنون في حكم الذين لم يأتوا إلى هذه الدنيا كما هو مسلم به لدى أولى الألباب .

وبالعكس فإن الذين يتولون تصريف الأمور العادية بما يتفق والعدل ويعملون في نفس الوقت للإصلاحات والتنظيمات التي تعود على التجارة والثروة والعمران بفوائد جمة ويوفقون إلى ترك الأثر النافع خلفهم يخلدون أسماءهم في صحيفة هذا العالم .

ولما كانت مقاصدنا الخيرية لا تخرج عن حمد ما ذكر فإننا كثيرا ما نحثكم ونستنهض همتكم في أوامرنا التي نصدرها إليكم بعد حين وآخر لاتباع هذا المبدأ وإننا وإن كنا كبيرى الأمل في أنكم لن تنسأهوا مقدار ذرة في تحقيق مقاصدنا فإننا رأينا وجوب إخطاركم باتباع ما يلي :

١ — أن الموقع الذى أنتم فيه هو ميناء تجارى هام وستزداد أهميته على مر الأيام فيزداد بالطبع عدد الأهالى وتكثر فيه المباني وبما أن أهم واجبات الحكومة أن تعمل على عدم مضايقة الأهالى في أمورهم المعيشية فأول ما يجب الشروع فيه هو توفير الماء العذب الذى هو العنصر الرئيسى في حياة الإنسان وإيجاد الطريقة المؤدية لصرفه وتوزيعه بسهولة ، ثم تمهيد السبيل لورود المواد الغذائية كالقمح والحبوب الأخرى والسمن واللحم وما إليه وتسهيل بيعها وشراؤها . ولما كان وجود هذه المواد الضرورية في داخل البلدة وأطرافها أذى للفائدة يجب تشويق الأهالى وترغيبهم في الزراعة وغرس الأشجار وتربية المواشى وبدلا من بقاء عساكر الأورطة الموجودة عندكم بلا عمل طيلة يومهم دعوهم يعملون في غرس الأشجار وزرع الخضار وما إليها في أطراف الجهة التى يقيمون فيها أو مكان آخر قريب ، تصلح تربته للزراعة فتسكون مزارعتهم هذه أنموذجا يعمل الأهالى على منواله .

وقد أرسلنا لكم في هذه المرة تقاوى بعض الخضار وفي المرة التالية سنبعث لكم بفسائل بعض الأشجار فاعتنوا بزرعها وغرسها كل الاعتناء .

٢ — كلما اتسعت تجارة البلدة كثرت فيها المباني فإذا ما جعل لهذه المباني وضع حسن وأنشئت في البلدة دار جميلة للمحافظة وأخرى للجمرك وبنى على شاطئ البحر بجوار السكرك رصيف لشحن السفن وتفرغها تسهيلا للتجارة وأنشئ فيها أيضا مدرسة ومستشفى كان لذلك أثره البالغ في الصحة العمومية والتربية وتسهيل التجارة وفي أنظار الناس فانتخبوا المواقع التى يستقيم

فيها المباني أما المستشفى فيجب أن يشاد في مكان مناسب يبعد عن البلدة قليلا .

ولما كان من الممكن أن تجدوا عندكم ما يلزمكم من المواد والمهمات لهذه المباني كما أن بين عساكر الأورطة الموجودة بمصوع الكثير من الصناع والعمال فضعوا تصميم المباني المذكورة وارسلوه إلينا وباشروا في تدبير المواد والمهمات اللازمة وإذا كان ثمة حاجة لإرسال بعض المواد من هنا اعرضوا علينا حاجتكم منها حتى نوافيكم بها .

ومتى تم بناء الباخرة (مصر) التي خصصت لركوبنا سنسافر عليها إلى تلك الجهة عن طريق رأس الرجا الصالح حيث نرى بنفسنا ما وصلت إليه الحالة فإذا رأيناكم قد وفقتم إلى تحقيق هذه المشروعات الخيرية سررنا منكم أيما سرور واستحققتم جميع أنواع المكافأة .

فأوصلوا العمل بالنهار واسعوا بكل ما أوتيتم من جهد لتحقيق ذلك وحيث أننا نرغب في إنشاء قصر صغير نخصصه لإقامتنا هناك فانتخبوا أيضا الموضع الذي سيشاد القصر عليه وابعثوا إلينا بتصميمه وإذا كنتم في حاجة لمهندس يضع تصميم هذه المباني انبئونا حتى نرسل إليكم أحد المهندسين .

[عابدين . المعية . دفتر ٥٥٨ (تركي) رقم ٣ صفحة ٣ قسم ثاني]

٤٧

زراعة القطن في بربر

أمر كريم إلى مدير بربر

في غرة محرم ١٢٨٨ (٢٣ مارس ١٨٧١)

أمر كريم منطوقه صار منظورنا عريضتكم الواردة لطرفنا رقم ٢٦ ذي

القعدة سنة ٨٧ نمرة ١٥ جوابا لأمرنا الصادر لكم بأجرى الطرق والوسائط المؤدية لعمارية جهة طرفكم وثروة أهاليها بواسطة تأليفهم وتشويقهم على زراعة صنف القطن بالأراضي الموجودة هناك والاستحصال بذلك على الثمرات التي تعود بالفوائد المستحسنة كما لا يخفى وقد علمنا بما ذكرتموه أنكم باذلين غير تكم ومجتهدين بكل ما يمكنكم في أجرى هذه الأسباب حتى أنه بالنظر لسكون اطيان المديرية لا تروى سنوى إلا إن كان النيل بالغ النهاية في الزيادة لمناسبة عدم وجود ترع مثل جهة بحرى قد شرعتم في حفر سيالات صغيرة من البحر بالمحلات المنخفضة التي يتيسر امتدادها بدون كلفة كبيرة ولا مشقة وبها يصير الاستحصال على رى أراضي المديرية على وجه العموم سوا كان النيل بالسغ النهاية في الزيادة أو متوسط وأجرى زراعة تلك الأراضي من صنف القطن لآخر ما أوضحتوه قد وقع عندنا موقع الاستحسان والقبول ولا بأس من بذل الجهد والاجتهاد في تسميم هذه العملية الخيرية والحصول على الثمرات التي تعود منها وقد حضر ولدكم لطرقتنا وقابلناه وأمرناه شفاها بتفهمكم عن أجرى بعض أشياء يخبركم عنها فعلى حسب تعريفه إليكم بادروا بإجراها كما أن المائة أردب بذرة قطن التي طلبتوها فإنها مرسولة إليكم لتجروا توزيعها وتشويق وترغب الأهالى على زراعتها ومن جهة أئمانها ومصاريفها الذي ذكرتم عن توزيعها على الأهالى فإننا لا نريد الزام الأهالى بشيء من الأئمان والمصاريف المحكى عنها بل إننا ساهمناهم من ذلك ترغيبا لهم وتسيلا إليهم وعلى مقتضى ذلك يلزم توزيع هذه التقاوى عليهم مجانا بدون ثمن ولا مصاريف وبالمثل الأربعة أشخاص الذي طلبتوا إرسالهم من جهة بحرى لأجل تعليم أهالى طرفكم زراعة القطن فإنهم مرسولين أيضا كما أن قاضى بربر الذي كتبوا في حقه لمعيثا في ٢٨ ذى القعدة سنة ١٢٨٧ نمرة ١٦ بعدم لياقته وعدم أمنيته صدر لسكم أمرنا في تاريخه برفقه وتعيين السيد محمد الظاهر الذي استنسبتوا

تعيينه بدله وبهذه السكيفية وما أتم شارعين فيه من أعمال الوسائط الممكن بها سهولة رى أطيان المديرية مع تأليف الأهالى على الزراعة وتحسينها إليهم مأمول — بعون الله تعالى الحصول على ما هو مرغوب لدينا من عمارية جهتهم ومن تقدم وتمدن أهاليها كما هو متلزم إرادتنا ؟

[عابدين . المعية . دفتر ١٩٣٨ (أوامر عربى) رقم ٨ صفحة ٢٤]

٤٨

بيان الأراضى الخصبة الصالحة للزراعة الكائنة بالسودان
والجهات التابعة لسواحل البحر الأحمر

فى ربيع الثانى ١٢٨٨ (يونيه — يوليه ١٨٧١)

١ - مصوع : تمتد محافظة مصوع من حيث الطول إلى مسافه بعيدة على أن طولها اعتباراً من المكان المسمى (زله) إلى موطن قبيلة الحباب التى تحدها من الجهة الشمالية يبلغ ٢١٠ ميلا وعرضها فى اتجاه الغرب يمتد فى بعض الأماكن إلى ما يقرب من نصف درجة وفى موطن قبيلة الحباب يمتد إلى درجة واحدة ومساحة ذلك يبلغ ٨٧٠٠ ميل مربع وبحسب الأفدنة تبلغ (١٧٦٣ . ٨١٠) فداناً وإذا ما طرح سبعة أجزاء هذه المساحة المسكونة من الجبال والرمال والأراضى التى لا تصلح للزراعة على حد رواية المحافظ منسنجر بك وغيره يبقى هنالك ١٠١٢٧٤٩ فداناً ونظراً لأن العربان التابعين للمحافظة المذكورة لم يرغبوا فى الزراعة فانهم يزرعون كميات قليلة من الذرة العويجة إلا أن المزروع منها لا يكفى لقوتهم فيبتاعون الذرة من التاكة والجهات الأخرى فاذا ما رغبوا فى الإكثار من زراعة الذرة والقطن فسوف لا يبتاعون الذرة من الخارج كما أنهم يمكنهم أن يبيعوا أقطانهم فى نفس

مصوع ولما كان تجار الحبشة يبتاعون الأقطان الواردة بالسفن إلى ميناء مصوع ويشترونها لغاية ١٥ ريالاً فن البداهة أن العربان الذين بجوارهم يرغبون في شراء القطن إذا وجدوه هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن السفن تحمل القطن من بلاد بعيدة كإلهند وأستراليا عن طريق البحر الأحمر إلى أوروبا فالقطن الذي يزيد عن حاجة التجار الأحباش بميناء مصوع يمكن شحنه إلى أوروبا عن طريق السويس حيث يباع هناك .

٢ - سواكنه : هنالك جهات صالحة لزراعة القطن تقع في الاتجاه الغربي والشمالي من عتيق وتوكر ونفس سواكن وتمتد لغاية راوية والمساحة الصحيحة لتوكر . مائتي ألف فدان وعدا عن ذلك هنالك في السواحل المذكورة ما يزيد على ٢٠ ألف فدان من الأراضي التي يمكن ريها بواسطة السيول . وهنالك سيول كثيرة غربي سلسلة الجبال القائمة غربي سواكن ، ولما قمت في هذه المرة لمهمني في سواكن أخذت أرغب عربان تلك الجهة في الزراعة فقوى لدى الأمل بالنظر لما شاهدته فيهم من الميل والرغبة ولا تساع الأراضي في زرع ما يتجاوز الـ ٢٠ ألف فدان قطنا غربي الجبال المذكورة فقط . وقد تحمس العربان وازدادوا رغبة عندما نما القطن الذي زرع في بعض جهات الأراضي المذكورة سيما بعد أن جنوه وحملوه إلى سواكن حيث باعوه حالا . إن الأراضي المذكورة الواقعة غربي سنكات أي غربي سلسلة الجبال الآنف الذكر تمتد طولا وعرضا حتى أتبره مسافة اثني عشر يوما . وفيها مساحات واسعة تروى في أيام الصيف بالأمطار والسيول وهنالك أراض واسعة شرقي وغربي السيل المسمى : خور العرب الذي هو الحد الغربي لعربان سواكن . وقبل بضع سنين وضع خريطة هذه الجهات اعتباراً من أتبره إلى شندی اسماعيل بك ناظر الرصدخانة والمهندسخانة ومن معه من المهندسين فاذا تفضلتم بالرجوع إلى هذه الخريطة أمكنكم

الوقوف على حالة أراضى تلك الجهة حيث أنهم دونوا ورسموا فيها الأماكن التى صادفوها فى طريقهم . إن فى هذه الجهة أراضى واسعة منبئة وإذا كان عربان حمران وقرهباب وشيوديتاب وغيرهم من العربان المقيمين فيها يكتفون حتى الآن بزراعة الذرة فإنهم بناء على التشويق والترغيب الواقع سيزرعون نحو ٢٠ ألف فدان قطناً والذين بالقرب من سواكن سيرسلون أقطنهم إلى سواكن والقرييون من أتبره سيرسلونها إلى قوز رجب .

٣ — مديرية القضاة : لقد اكتشف داخل حدودها المعلومة سبعة ملايين وكسور من الأراضى (الخالية) منها مليونان وكسور فى وادى قاش فقط وهذا الوادى يروى من نهر قاش الذى يجرى من شمال الحبشة ويدوم جريانه مدة ثلاثة أشهر بدون انقطاع — وعرض هذا النهر يتراوح بين ١٠٠ ، ١٥٠ لغاية ٢٠٠ متر وعمقه متران وهذا عدا عن موسم الأمطار الذى هو عبارة عن فيض ربانى وقد أبان منسجر بك أن عدد نفوس المديرية المذكورة على أصح تقدير يتجاوز المليون والقطن الذى سيزرع بالجهات الشمالية من المديرية المذكورة سيرسل محصوله إلى توقر : (توكر) أو إلى سواكن ومحصول المزروع منه فى الجهة القبلية يرسل إلى قوز رجب حيث يشحن من هناك على السفن التى تقوم — إبان فيضان النيل — بمجازة شلال حلفا فى طريقها إلى المحروسة وفى الإمكان تنظيم كشف مفصل لكل قبيلة يشعر بأنه من المستطاع زرع مائة ألف فدان من القطن بالتاكيد فى السنة القادمة ومتى أدرك العربان ثمرة الزراعة أى أنهم متى جنوا المحصولات وباعوها ازدادت مع الأيام رغبتهم فى الزراعة .

٤ — مأمورية القضاة : أنه بالنظر لبعدها عن مواطن عربان السكرية وحمران والضباينة والقبائل الأخرى القاطنة شرقى مديرتى سنار والخرطوم عن مركز هاتين المديرتين فإن إدارة أمور هذه الجهة (مأمورية القضاة) محولة على

جيش السرسواري على كاشف وأماس أغا وهذه المأمورية منضم إليها أراضي واسعة طولها وعرضها مسافة ٦٠ ساعة وهي مأهولة بقبائل العربان المنتشرة فيها . ولما كانت الجبال والرمال قليلة في هذه الجهة فان جميع أراضيها منبثة وصالحة للزراعة وأراضيها تتشقق قبل موسم هطول الأمطار فاذا امطرت السماء انساب الماء في الشقوق فتشبعت الأرض بالماء ورويت على أحسن وجه وبما أن أراضيها مسطحة فان السير فيها يتعطل لمدة شهر واحد أو شهرين من جراء تشبعها بالماء وفي هذا الدليل الكافي على صلاحيتها للزراعة وعربان هذه المنطقة ألفوا زراعة بعض المواد ولسكنهم نظراً لقلّة تصرّفها يعمدون إلى زرع ما يمكنهم بيعه منها فقط فاذا ما أنشئت (ترسانة) بالمكان المسمى صوفية القريب من القضايف لكي يصرفوا محصولاتهم وقاموا بها من عطبرة إبان الفيضان بطريق النيل وتوجد المراكب اللازمة أمكنهم في هذه الحالة أن يزرعوا مائتي ألف فدان من القطن وحيث أن القطن الذي سيزرع هنا يروى تماماً لمدة شهرين أو ثلاثة أشهر فانه لن يقل جودة عن أحسن أنواع القطن المصري ومتى كفل أمر تصرّف المحصولات على نحو ما تقدم بيانه ترفت الزراعة مع الأيام .

٥ — مديرية سمار : إن مساحات الناحية المسماة ولد عباس من أعمال هذه المديرية اعتباراً من حدودها الشمالية حتى جبال فونجه القائمة في جنوب قسم فيزاوغلي تمتد إلى مسافات تزيد على مائة ساعة إلا أنه من فيزاوغلي فما فوق لا تسير المراكب : فأما الجهات التي تعمل فيها المراكب فإن شرقها وغربها ليس فيهما أثر للجبال والرمال وأراضيها واسعة خصبة وهي تروى بالأمطار مثل أراضي القضايف ويباع هنا رطل السمسم أي أردبان إلا ربع بثلاث ريالات . ولما كان القطن في هذه الجهة من المرتبة الأولى كقطن القضايف وشرق هذه المساحة وغربها مأهول بالعدد العظيم من النفوس فقد فهم من

أقوال الخبراء ومن اتساع هذه المنطقة المرسوم على الخرائط أن من الممكن أن تتجاوز المساحات المزروعة قطنا في هذه المديرية في خلال سنتين الثلاثمائة ألف فدان .

٦ — مديرية الخرطوم : تمتد مديرية الخرطوم إلى مسافة ٦٠ ساعة على طول النيل . وإذا كان حول الخرطوم أراض فيها القليل من الرمل فإن الاتجاه الشرقي والغربي منها متسع ومأهول بقبائل متعددة ومواطن بعض هؤلاء القبائل على النيل الأزرق كما يقطن البعض الآخر على امتداد النيل الأبيض وبحر عطبرة وجميع أراضيهم تروى بماء المطر وهناك أيضا أكثر من ألف ساقية ولما أن مواطنهم تجاور الأنهار المذكورة فإن وسائط النقل متوفرة لديهم أكثر من أية مديرية أخرى ولذلك يمكن إبلاغ المساحات المزروعة قطنا في هذه المديرية إلى مائتي ألف فدان في خلال سنتين .

٧ — مديرية البحر الأبيض : ان أراضى هذه المديرية تمتد إلى مسافة طويلة وأراضيها هذه منبثة . إلا أنه نظرا لحداثة تشكيلها فإن الحالة تستدعى الوقوف على أحوال أهلها فليس من المناسب والحالة هذه تقدير المساحات التي يمكن زرعها الآن .

٧ — مديرية كردفان : إن امتداد أراضي هذه المديرية على طول النيل الأبيض حتى جبال تكلى يزيد على امتداد مديرتي الخرطوم وابنا إلا أن أراضيها في الاتجاه الشمالى رملية وهم يزرعونها تبعا . أما الجهة الجنوبية منها وهى واقعة على طول النيل الأبيض فواسعة خصبة ويمكن زرع مائة ألف في هذه المديرية قطنا كما يمكن أن تزداد المساحات المزروعة مع توالى الأيام . أما طريقة تصريف المحصول فتتكون بشحن المحصول من الأماكن المتعددة القائمة على طول البحر الأبيض والنيل ونقله بالمراكب عند فيضان النيل

أسوة بمحصولات الجهات الأخرى . وإذا كانت بعض أراضي هذه المديرية رملية فإن أراضيها الصالحة للزراعة كثيرة جدا وأن وجود الأبقار بكثرة في هذه المديرية دليل على خصبة أراضيها .

٨ — مديرية بربر : إن المساحة الممتدة من المكان المسمى حجر العسل إلى آخر قسم زباطاب الذي يحد حجر العسل من الناحية الشمالية تبلغ مساحتها ٧٠ ساعة تقريبا فيها أكثر من ثلاثة آلاف ساقية هذا غير الجزر الواسعة المنبثة وفي الجهة الشرقية منها سيما في الجهة التي يتلاقى فيها نهر عطبره بالنيل وفي الزاوية المنفرجة التي أوجدها تلاقيهما هناك بضعة مئات ألوف من الأفدنة الصالحة للزراعة وهي تروى بالأمطار وإذا لزم الأمر يمكن حفر ترعة في هذه الجهة وحيث أنه يوجد أراض واسعة في المسافة بين فم عطبره وآخر القسم الجنوبي فمن الممكن أن يزرع في هذه المديرية أيضا مائة ألف فدان من القطن

٩ — مديرية دنقلة : بعد عملية تطهير ترعة ولته يمكن أن يزرع في الجزر الممتدة على طول النيل بواسطة السواقي الموجودة بهذه المديرية نحو ٦٠ ألف فدان وعلى قدر العناية بأمور الري تتسع الزراعة .

وها قد بين — على قدر المستطاع الجهات الخصبة في السودان وسواحل البحر الأحمر والمساحات التي يمكن زرعها في الوقت الحاضر وطرق نقل المحصولات في كل جهة منها . إن شاء الله متى استفاد الأهالي من الزراعة —

في ظل الجنباب العالي — فلا شبهة في اتساع وازدياد الزراعة سنة فسنة ؟

[عابدين . المعية . محفظة ١٥٣ ترجمة الوثيقة التركية]

٤٩

تخفيض الضرائب وتشجيع الزراعة

أمر كريم إلى مديرية دنقلة وبربر

في ٢٨ شعبان ١٢٨٩ (٣١ أكتوبر ١٨٧٢)

امر كريم منطوقه قد عرض لطرفنا انها كم المرقم ١٩ رجب سنة ٨٩ نمره
٤ وعلينا منه انه في هذا العام بواسطه علو النيل والامطار التي نزلت والسيالات
التي صار فحتها بجهات المديرية حصل رى جملة من اطيان العتامير والاطيان
المهجورة وحاصل الاهتمام في زراعتها انما لكون هذه الاطيان لاتزرع سنوى
بل في بعض السنين بحسب علو النيل ونزول الأمطار وافكار الأهالى انه متى
اجروا زراعتها هذا العام تربط عليهم بالزام وتطلب منهم أموالها في السنين
القابلة لرفع مشغوليتهم من هذا القبيل وترغيبهم في الزراعة صرحتم بأن
تمويل تلك الاطيان يكون على واقع ما يحصل ريه وزراعتة سنوى كما انه
لمناسبة ان اطيان العتامير مالية الفدان منها سنوى ثلاثين غرش ومنظور لكم
ان محصول الفدان لا يبلغ هذا المقدار والأمر السابق صدوره من المرحوم
سعيد باشا مصر حافيه بان مالية الفدان منها عشرين غرش والعلاوات التي
تأت ومدها كانت بأذونات الحكمداريون وبسبها تكاسلوا الأهالى عن الزراعة
فلزيادة تشويقهم وعدم ترك شىء من الاراضى التي تروى بالامطار قد جعلتم
ضريبة الفدان من ابتداء سنة ٨٩ خمسة وعشرين غرش وتروموا استحصال
امرنا بما يعتمد اجراء الى آخر ما ذكرتموه والذي اقتضته ارادتنا هو انه من
حيث المقصود اجري ما فيه مساعدة الاهالى على تسخير الزراعة وترغيبهم
وتشويقهم علما بما يترتب عليه عماريتهم وجلب المنفعة اليهم وثروتهم فالذى اجريته
في التصريح على ان تمويل الاطيان المذكورة آنفا يكون على حسب الرى

والزراعة سنوى هذا فى محله واما الاموال قولوا انكم استنسبتم تنزيلها الى خمسة وعشرين غرش الفدان للناسات المار ايضاها لكن من حيث علم انه سابق صدور امر المرحوم سعيد باشا بربط مال الفدان عشرين غرش فقط وضرورة ان هذا كان بحسبها ترمى وقتها فيه من الصلاحية بالنسبة لحال الاهالى وعماريتهم فمن الاقتضى اعتبار مالية الفدان عشرين غرش فقط تطبيقا لامر المرحوم وصرف النظر عن الزيادات التى تعلنت بعدها باذونات الحكمداريون حتى بذلك يحصل زيادة الرغبة والاقدام من الاهالى على زراعة ما يروى من تلك الاطيان وانتفاعهم بمحصولاتها انما مع هذا يلزم زيادة الاعتناء والالتفات منكم ومن الحكام التى تحت ادارتكم للتجرى سنوى عن الاطيان التى يصير ريبها من هذه الانواع وحث الاهالى على زراعتها اول بأول وعدم ترك شىء باير منها بدون زراعة مع حصر مقاديرها وربط ماليتها سنوى بحسبها يتحقق من ريبها وزراعتها فاصدرنا امرنا هذا لكم للمعلومية به واجرى العمل على مقتضاه ؟

[عابدين . المعية دفتر ١٩٤٦ (أوامر عربى) ترجمة الوثيقة التركية

رقم ٢ صفحة ١٥]

٥٠

تثبيت ملكية الاراضى بالأقاليم السودانية

من بندر مديرية عموم السودان إلى المجلس الخصوصى

فى ٩ ربيع الثانى ١٢٩٠ (٦ يونية ١٨٧٣)

جواب رد المحرر له فى ٨ صفر سنة ٩٠ نمرة ١١ بطلب الإفادة عن القاعدة الجارية بمديريات عموم قبلى السودان فى الأطيان وكيفية تملكها لواضعين اليد عليها والقواعد الأساسية فبذلك وإن كان بمقتضى حجب أو بمجرد وضع اليد

وإن كان بحجج فما مضمونهم أو ما هو المقرر على أربابها في نظير الزراعة وهل هو بكيفية عشور أو مال وعلى الفدان أو بأى كيفية والجارى فى توارث أطيان من يتوفى عن ورثة والجارى أيضاً فى أطيان من ليس له وارث يذكر أنه من الاستدلالات التى صارت فى ذلك خصوصاً من مديرية الخرطوم قد أفيد منها الآن بتاريخ ٦ ربيع الثانى سنة ٩٠ نمرة ١١٢٣ الواردة لف هذا بأن تمليك الأطيان بالسودان أصلها بالحوز ووضع اليد وتنتقل من وارث إلى وارث وأغلبها لا يكون لها حجج ولا وثائق وكان بالمدد السابقة بمدة ملوك السودان قبل فتوحها إذا ظهرت جزيرة مستجدة أو جرف يعطوه لمن يختاره بطريقة الانعام سواء كان من أهل العلم أو خلافه بموجب وثيقة تتحرر إليه بحتم ملك ذاك الوقت وتتفضل بيد من استحوذ عليها إلى أن يتوفى تنتقل إلى ورثاء وتلك الوثائق والأوراق لا يعلم صحتها من عدمه وأيضاً بعض الأشخاص يرغبوا إصلاح أراضى تكون غير صالحة للزراعة ويقدموا عليها إعراضات إلى الحكومة ويصدر عليها الأوامر بالتسليم لهم فيها ويجرى فى تصليحها وقطع الأشجار وإزالة الأعواد التى بها ومن وقتها يستحذوا عليها بوضع اليد وإذا أراد أحداً مما توضح مبيع شيئاً من تلك الأطيان يجرى مبيعها بموجب وثيقة تتحرر من أحد الفقهاء الموجودين بالجهة التى تكون موجودة بها الأطيان ونادر الذى يكون بيده حجة شرعية لأن أهالى هذه الجهة لم كانوا يلتفتوا لذلك قبل الآن ولم يحدث تحرير الحجج بتمليك الأطيان إلا فى مدة قريبة وكيفية الإيجار ونحوه فالذى يكون ليس مقتدر على زراعة أطيانه أو يكون أطيانه جسيمة المقدار ولا يمكنه زراعتها بأكملها فأطيان الضهارى التى تزرع بواسطة رى الأمطار هذا يعطى بالعشور لمن يرغب الزراعة أى صاحب الأطيان يأخذ عشر المحصول وما بقى لمن يزرع وأما أطيان السواقي والجروف هذه تحت توافق المؤجر وصاحب الأطيان

بعضها يبقى مناصفة والبعض صاحب الطين يأخذ الثلث ويترك الثلثاى للمزارع
والبعض يأخذ الربع وهما على حسب توافقهم بين بعض بالنظر للأراضى
الجيدة والغير خصبة والأطيان الذى لا يكون لها مالك ولا وارث فهى العقارات
الغير صالحة للزراعات هذا ما كان من أمر تملك الأطيان وأساسية تملكها
أما المقرر على أرباب الأطيان فى نظير الزراعة فإن الذى كان جارى قديماً فى
حق ربط الأموال هو على حسب مقدرة كل شخص وأرزاقه أشبه بويركو
ولما كان المرحوم سعيد باشا حضر للسودان أبطل ما كان جارى فى ربط
الأموال من عهد فتوح بلاد السودان على الأشخاص وأمر بتقرير المسالية
بواقع زراعة الأطيان أعنى على الفدان بحسبها يظهر من المساحة وجرى ذلك
لكن لكثرة الأراضى بالسودان وكون أغلب ربيها بالأمطار فصارت الأهالى
ترك الأراضى الذى صار قياسها بالمحلات القريبة من العمار وتنتشر بالبرارى
الذى تعمها الأمطار ويجرى زراعة ما يكفى معاشهم والميرى صار لا يتحصل
على شىء من مالية زراعة تلك الأراضى الذى صار مقاسها عليهم وصارت أشبه
بمتروكة حتى تخلف من ذلك مبلغ نحو الثلاثة والثلاثون ألف كيسه وستماية وكسور
ولما نظر موسى باشا حاكم السودان سابقاً فأبطل مساحة الأطيان وأعاد كل
شىء على حاله الأول وأجرى ربط المالية على الأشخاص بواقع مقدار نفوس كل
حالة أى كل قرية بواسطة أهاليها وبحسب مقدرة كل واحد فى الزراعة وخلافه
ومن وقتها صار كل نفر من الأهالى يزرع محل ما يريد بقدر طاقته إن كان على
السواقي أو فى الضهارى أى البرارى والميرى يتحصل على ماليته نظراً لربطها
على ذات شخصه واعرض عن ذلك للأعتاب السكريمة وصدر الأمر العالى
بموافقة ما أجراه وأما من يتوفى ولم يكن له وارث ويترك له أطيانه فانه يضع
يده عليها ويزرعها عوضاً ويدفع ما كان مربوط عليه سنوى من المالية للميرى
وبما أن أطيان الجهات هى بكثرة ولسبوق فتح السودان بقوة الحكومة

الخديوية فإن كافة أراضيها ملكا للحكومة ليس للأهالى والتادر فقط هو الذى يحجج ولا يمكن حصر هذا ولا هذا لكثرة الأيطان خصوصاً عدم إمكان حصرها بالفدان لأنه ليس جارى استعمال مقاس الأراضى بهذه الجهات لداعى أن المالية هى مربوطة على نفس الأنفار لا على الأيطان وكان تحدد ميعاد سنة كى من يتأخر عن تركيب السواقى بالأيطان الموجودة تحت يده تنزع منه وتعطى لمن يؤمل فيه زراعتها وعمارتها ونصب ساقية عليها وتراعى بالجمعية التى صار عقدها بديوان العموم عدم إمكان ربط المالية على الفدان للناسبات التى توضح بالبنود وبإفادة مديرية الخرطوم وبعرض البنود المذكورة للمعية السنية صدر أمر المجلس الخصوصى والأمر الكريم باعتمادها للاستحصال على سداد الأموال الميرية بأوقاتها وعدم تأخير شىء من ذلك ولذا يرام النظر فى ذلك وصدر الأمر بما يوافق وطيه إفادة الخرطوم المحكى عنها ؟

[عابدين . المعية . دفتر ٢٨٣ وارد المجلس الخصوصى رقم ٣ صفحة ١٢٦]

الضرائب وتشجيع زراعة القطن وإرسال وابورات الخليج
من تحريرات المجلس الخصوصى إلى المعية السنية

فى ٩ شعبان ١٢٩٠ (٢ أكتوبر ١٨٧٣)

جواب بناء على الصادر له فى ١٣ محرم سنة ٩٠ نمرة ٣١ بخصوص ما تراهى لمدير عموم قبلى السودان من نصب سواقى على الأيطان وتعميمها بالزراعة وحث الأهالى على زراعة القطن ونحو ذلك بالنسبة لما ظهر له من عدم نجاح زراعة ذاك الصنف بأغلب جهات الخرطوم وسنار عدا الذى زرع على السواقى وبالجروف التى على شاطئ الجسور يذكر أنه لما تحرر للمدير

المسمى إليه بالاستوضحاح عن القاعدة الجارية في تلك الأطيان وما يماثلها وغير ذلك وردت منه الإفادة وعلم مما أوضحه أن أصل تملك الأطيان بالسودان إنما هو بالحيازة ووضع اليد وتنتقل من وارث لوارث وأغلبها ما له حجج ولا وثائق ولم يحدث تحرير الحجج إلا في مدة قريبة وما هو جاري من التأجير ونحوه في أطيان الغير مقتدرين على زراعة أطيانهم أو من تكون أطيانه جسيمة المقدار وأنه بعد ما كان الجارى قديما أن ربط الأموال هو على حسب مقدرة كل شخص أشبه بويركو فلما توجه المرحوم سعيد باشا إلى السودان أبطل هذه القاعدة وأمر بتقرير الأموال بواقع زراعة الأطيان على الفدان وبعد أن جرى ذلك فلكثرة أراضى تلك الجهات وكون أغلب ربيها بالأمطار صارت الأهالى تترك الأراضى التى حصل مقاسها عليهم بالمحلات القريبة من العمار وتنتشر بالبرارى التى تعمرها الأمطار ويجروا زراعة ما يكفى معاشهم والميرى لم يستحصل على شىء من مال الأطيان التى حصل مقاسها عليهم وصارت أشبه بمتروك حتى تخلف من ذلك مبلغ كلى فلما تعين المرحوم موسى باشا حكمدارا بالسودان وظهر له هكذا قد أعاد ربط الأموال على الأشخاص بواقع مقدار النفوس واقتدار الشخص وصار كل منهم يزرع محل ما يريد بحسب طاقته وأعرض للأعتاب السكرية وصدر الأمر العالى بموافقته ما أجراه وأنه غير ممكن حصر مقادير أفدنة الأطيان هناك لكثرتها وعدم جريان استعمال مقاسها كما أنه بالجمعية التى عقدها مدير قبلى السودان المسمى إليه تراءى عدم إمكان ربط المال على الفدان كما وأنه أخيرا بانضمام شاهين باشا وجعفر مظهر باشا وممتاز باشا والمراوية بينهم فيما يناسب إجراء بالنظر لسبق توجه حضراتهم هناك فأعطوا تقرير أبداوا فيه ملحوظات ما استنسبوا إجراءه فى كل نوع والكيفيات التى يترتب على إجراها الحصول على كثرة زراعة صنف القطن بجهات السودان وكيفية ما يجرى فى خليجه وكبسه وحضوره للبحر وسهولة المراكز

التي يلزم أن يوجد بها وابورات خليج ومكابس مع حث المقتدرين من الأهالي على تكثير السواقي وإصلاح أراضيها وزراعتها وعدم استئصالهم ربط أموال عليها الآن واستمرار ربط الأموال على الأهالي بالمديريتين المذكورتين أيضاً كالجارى الآن مؤقتاً لحين إصلاح الأراضي ونمو الزراعة وتكاثر المحصولات وإذا ذاك ينظر كما أن باقى مديريات السودان ومحافظة سواحل البحر الأحمر يستمر الأجرى فى الربط بهم الآن مؤقتاً حسب الجارى بكل منهم وأن ما أوراه المدير المومى إليه من حيثية تحرير حجج تملك بالأطيان التي يرغبوا أربابها تحرير حجج بها قد أوضحوا حضراتهم بأن يكون الأجرى فى ذلك حسب لائحة الأطيان والمنشورات المتعلقة بذلك حيث أنه سبق إرسالهم إلى جهات السودان الأجرى بموجبهم وبإبعاث ذلك التقرير لختمه من ممتاز باشا فأعاده بمعنى أنه غير مستوفى بعض أوجه وهى أن مديرية كردفان ومحافظة مصوع للآن لم يحصل بهما زراعة قطن مع إمكان زراعته بهما ولم يعلم لذلك أسباب وأنه من المقتضى إعطاء التعليمات اللازمة عن ذلك للأجرى بموجبها وأنه موجود بالسودان جملة مشاريع منسية بين فشوده وقونديوكروا أراضيها خصبة وأمطارها بكثرة ولو عملت الطريقة المؤدية لإجعال مديريات لها وزراعة هذا الصنف وخلافه بأراضيها تتمدن أهاليها وينتج للمدير والأهالى فوائد عظيمة من إيراداتها وأن وابور الخليج الذى قيل عن لزومهم فى مراكز المديريات من قوة ٤ خيول لغاية ٨ ملاحظة لسهولة نقلهم وتوصيلهم . فحيث أن كل وابور يلزم له مهندساً فيكون الأولى أن يكون من قوة عشرين حصان ويرسلوا بدون تركيب بل بحالة التجزئ حيث مستدرك توصيلهم بهذه الحالة بالمراكب وأنهم إذا صار الالتفات لجهات السودان تبلغ مستخرجاتها عموماً نحو عشرين مليون ليرة قبل عمل سكة الحديد وإذا عملت فيكون أزيد من ذلك لآخر ما أوضحه وشاهين باشا

أوضح بأنه لم يترأى له مقتضى للإجابة عن الملاحظات التي أبداهاممتاز باشا
المومى إليه حيث أصل الاجتماع كان بقصد الإجابة عما أبداه مدير قبلى
السودان وقد حصل ولكون بتلاوة التقرير المثنى ذكره بالمجلس تراءى موافقة
الأجرى بمقتضاه وأنه يرسل للمعية مع نسخة ما اشتملت عليه المسكاتبات التي
حررها مدير العموم وإفادة ممتاز باشا والتقرير الذى كان قدمه قبل اجتماع
حضراتهم مع التقرير الذى كان تقدم أيضاً ابتداء من جعفر باشا للإحاطة
بهم والعرض عن ذلك للأعتاب السنوية حتى أن كلما صدر به الأمر العالى
يتبع إجراه ولهذا أرسل التقارير والتحشية والأوراق عدد ١٢ محافظة .

ملحوظة : عرضت للأعتاب السنوية وأشير بتوقيفها وبحضور منسجر
باشا حصلت المكاملة معه بطرف الأعتاب السنوية فى هذا الخصوص وقيل
عن توقيف ذلك ومع التذكار عنها مراراً أخيراً قيل من سعادة المهردار
بحفظها حيث صار تعيين غوردون باشا للحكمدارية وجارى النظر فى شؤونها
بمعرفة ولم يرد منه شىء عن هذا الخصوص .

وحفظت فيما ٥ شوال سنة ٩٥ .

[عابدين ، المعية . دفتر ١٨٧٤ معية عربى رقم ٩ صفحة ١٨]

٥٢

تشجيع زراعة القطن وتخفيف الضرائب

من حكمدار السودان إلى المعية السنوية

فى ٥ ذى القعدة ١٣٩٠ (٢٥ ديسمبر ١٨٧٣)

جواب يذكر أنه لما صدر الأمر العالى بتاريخ ١٤ محرم سنة ٩٠ نمرة ١١
بعلاوة عشرة قروش على أثمان الأقطان كتب إلى مديريات الخرطوم وسنار
وفيزوغلى والبحر الأبيض بعلاوة العشرة قروش المحكى عنها على أثمان الأقطان

التي وردوها الأهالي لأجل سهولة سداد الأموال المطلوبة منهم وتشويقهم لتكثير زراعة الصنف المرقوم وقد بلغ ثمن القنطار الذي يورد الخرطوم سبعين قرش والذي يورد أبو حراز والسكوه والمدني خمسة وستين قرش وفشوده وفيزوغلي خمسة وخمسين قرش وسنار ستين قرش وتأكد على المديريات المحسكى عنها تحت الأهالي على تعميم الأراضي بزراعتها لأجل ثروتهم ومأمول أنه في هذا العام يجتهدوا الأهالي في زراعته والذي نتج وورد لليرى في العام الماضي صار مبيعه سعر القنطار بزره من ستين قرش لغاية سبعين قرش والتجار الذين اشتروه أرسلوه المحروسة وكسبوا فيه كذا مديرتي دنقله وبربر موجود بهم جملة سواقى زياده عن باقى المديريات وزراعة القطن بالسواقى أنجح وأصلح عن الجارى زراعته بالأمطار فاذا ربط لهم ثمن القنطار سبعين قرش أسوة الخرطوم يسهل عليهم سداد الأموال وتزداد عمارة السواقى وترجع الأهالي المنتشقة لمحلاتها لان أخذه بهذا الثمن لليرى لم فيه خسارة ولو فرض وجرى حليجه وكسبه على ذمة الميرى ومبيعه بالمحروسة أو بالخرطوم ولو بثلاثمائة قرش صاغ ولم حصل أرباح لليرى فى ذلك فلا يحصل خسارة بل الميرى يستحصل على حقه بالتام وتعتمد الاهالى على زراعته .

(عابدين . المعية . دفتر ١٨٧٥ معية عربى . رقم ١ صفحة ٤٨)

٥٣

زيادة العمر فى الخرطوم

من حكمدارية السودان إلى المعية السنية

فى ١٠ ربيع الأول ١٢٩٣ (٥ أبريل ١٨٧٦)

جواب يذكر أنه بالنظر لضرورة لزوم تنظيم مبانى بندر الخرطوم واتساع العمارة جارى ترغيب الأهالي والسكان فى بناء منازل لهم بالطوب الأحمر على حسب أصول التنظيم وحاصل منهم مشترى الأراضي الفضاء من الميرى

وبناها حسب التنظيمات وحاصل تنافس الأهالى فى المشتري والبنا إلا أنه
بمناسبة ضيق بعض المنازل ولزوم بنائها واتساعها من الاراضى الفضل المجاورة
للبندر وغير لازمة للميرى وعدم الترخيص بمبيع شىء منها إلا باستئذان المالية
وكونهم رأوا بأن فى ذلك طوله وعدم إسعاف لهم فى إتمام مبانيهم وإتلاف
لادواتهم من نزول الامطار صاروا الآن يتأخروا عن مشتري الاراضى
الفضا من الميرى وفضلت تلك الاراضى بوره والميرى لم ينتفع بشىء من
أثمانها مع أن جهات السودان لا تقاس بالجهات البحرية بل إذا ترخص
للحكمدارية بالمبيع يبقى فى ذلك سهولة لتكاثر المباني وإقدام الاهالى على المشتري
وبوجود سعادة الحكمدار أو من ينوب عنه حال غيابه تجرى التحريات
والتدقيقات المقتضية ما يكون فيه المنفعة للميرى وكذلك باقى مديريات
السودان التابعين للحكمدارية بوجود مدير كل منهم إذا عرض له منه أى
شخص كان بالمديرية إدارته عنه أخذ شىء من الاراضى الفضل لبنامنزل فبعد
الكشف عليها بمعرفة المهندس ومعلوماته موافقة مبيعها وبنائها حسب التنظيم
ومقدار ما تساويه من الثمن بعد إشهار المزاو وبالا تتهى يتحرر منه للحكمدارية
ومتى رأت الموافقة يتصرح له بتحصيل الثمن ويتسلمها لمن يريد بنائها وبهذه
الحالة لا يبقى هناك عذر للاهالى فى تأخيرهم عن المشتري والبنا فان وافق
ذلك يفاد .

(عابدين . المعية . دفتر ١٧ معية عربى قيد وارد الافادات من جهات الاقاليم
والمحافظات والسائرة رقم ٧ عموم صفحة ٦٤)

٥٤

تشجيع زراعة البن في هرر وتأمين الطرق

أمر كريم إلى حكامارية هرر (محمد رؤوف باشا)

في ١٨ جمادى الثانية ١٢٩٣ (١١ يولييه ١٨٧٦)

أمر منطوقه صار منظورنا عريضتكم المؤرخة ٢ ربيع الثاني سنة ٩٣
نمرة ٦ وعلينا ما أجرىتموه من تشويق الأهالى على زراعة البن وتوزيع
الأطيان عليهم بالكيفية التى أوضحتوها حتى انهم ابتدءوا فى الزراعة فعلا
هذا وما ترغبوه فى اجعال محطتين لتأمين الطريق إحداهما فى جلديسه
والأخرى فى دارمى وإقامة خمسمائة عسكرى بكل محطة منها وتروموا إرسال
العساكر المذكورة من هنا مع ما يلزم لصرف ما هياتهم لآخر ما انهيتوه وقد
وافق إرادتنا ما حصل من توزيع الأطيان على الأهالى على حسب عوايدهم
وتشويقهم على زراعة البن والمقصود استمراركم على تشويق وترغيب الأهالى
فى حب الزراعة وتفهمهم بمحسناتها وما ينتج منها من ثمرات العمارة والتقدم
هذا مع أعمال الطرق والوسائط اللازمة لترغيب واستماله قلوب أهالى قبيلة
الآلا لدخولهم تحت الطاعة وتشبثهم فى الزراعة أيضا كما صار مع باقى القبائل
وأما من جهة المحطتين المرغوب استعدادهما لتأمين الطريق فهذا وإن كان
ضرورى كما ذكرتم غير أن إرسال عساكر جهادية منتظمة من هذا الطرف
غير ممكن ومن الضرورى أعمال الطرق والوسائط اللازمة بحسن تدبيراتكم
لما فيه حفظ وتأمين الطرق المذكورة بغير انتظار حضور عساكر جهادية من
هنا وبما أن المفهوم من توضيحاتكم السابقة واللاحقة أن أهالى جهات
طرفكم لها رغبة تامة فى أصناف الأقمشة فلا بأس من أنكم تنظروا مقدار
ما يلزم لكم من الأقمشة المحكى عنها أو من غيرها من الأصناف التى
يرغبوها أهل تلك الجهات ويرسل كشف ببيانها صنف صنف ومقدار اللازم

منها ولا بأس أيضا من إرسال عينات من كل صنف لتدارك اللازم وابعائه
لطرفكم لتصرفه على الأهالي بطريقة المبادلة وأخذ البديل من أصناف البن
وغيره من أنواع محصولاتهم وترسل بتلك الأصناف إلى المحروسة لتصرفها
وما يتحصل منها من الأثمان يخصم من ثمن المشتريات التي ترسل لكم وما
يظهر من الأرباح يكون تحت صرفه في لوازم مأمور يتسكم بحسبها تطلبوه كما
أنه بوقتها يمكن بواسطة ما ينتج من الأرباح المبادلة تدارك عساكر باشبزو
وسجان وترسل لطرفكم لاستعمالها في الخدمات اللازمة ومأمولنا أنه مع
صرف أفكاركم واتجاه عزائمكم في هذه الخصوصيات يصير الحصول على
المقصود وبهكذا لزم إصداره لكم لتعلموه وتجروا العمل بمقتضاه كما
هو المطلوب ؟

[عابدين . المعية . دفتر ١٠ (أوامر عربي) رقم ٨ صفحة ٧٦]

٥٥

عمار الخرطوم

أمر كريم إلى حاكم السودان (اسماعيل ايوب باشا)

في ١٨ جمادى الثانية ١٢٩٣ [١١ يوليو ١٨٧٦]

أمر كريم منظوقه عرض لطرفنا انهي خالد باشا مذ كان قائم مقام حاكم دارية
السودان رقم ١٠ ربيع الأول سنة ٩٣ نمرة ٧ وعلينا منه أنه بناء على تشويق
وترغيب أهالي وسكان بندر الخرطوم في تقوية المباني وبنائها بالطوب الأحمر
واتساع العمارة كانوا تجاروا على مشترى الأراضي الفضا تعلق الميرى وبنائها
حسب التنظيمات وحصل الارتفاع بأثمان ما أبيع من الأراضي فضلا عن زيادة
العمارية وهذا لما تراءى لهم عدم الترخيص بمبيع شيء من الأراضي إلا بعد

الاستئذان من المالية وكون هذا فيه طوله وعدم إسعاف لهم في تسميم مبانهم وإتلاف أدواتها من الأمطار صاروا يتأخروا عن مشتري الأراضي ولكون جهات السودان لا تقاس بالجهات البحرية بالنسبة لإتساع الأراضي وبعد المسافات يرام الترخيص للحكمدار بمبيع الأراضي الغير لازمة لأجل السهولة وازدياد العمارة سوى كان المبيع بمعرفة الحكمدار أو من ينوب عنه حال غيابه بعد حصول التدقيقات المقتضية لما فيه الصلاحية والمنفعة لجهة الميرى كما أن ما يلزم مبيعه من باقى مديريات السودان التابعين للحكمدارية ومتى ترى موافقتها يتصرح بالمبيع لآخر ما توضح فى معنى ما ذكر وحيث الحالة هكذا فلأجل منع الصعوبات الناشئة من الطولة فى إجراء الاستئذان من المالية اقتضت إرادتنا استثنى جهات حكمدارية السودان من القاعدة المتبعة فى حق الأراضي التى تباع من متعلقات الميرى لعدم لزومها ورخصنا وصرحنا لكم فى أجرى المبيع بمعرفتكم أو معرفة من توكلوه حالة غيا بكم من مركز الحكمدارية بكيفية إن الأراضي التى يظهر لها راغب وتتحقق عدم لزومها للحكومة فى الحال والاستقبال سوى كان بجهة الخرطوم أو بجهات السودان التابعة للحكمدارية يعمل عنها المزااد اللازم وبإتمامه وقطع الأمل من وجود راغب للزيادة ومعاينتها بمعرفة مهندس الجهة التابعة إليها تلك الأراضي ومن يلزم وبتحقيق موافقة الثمن الذى انتهى عليه المزااد وإنه حد القيمة وما هناك مانع ولا محظورات فى البيع يجرى توقيع صيغة المبايعه الشرعية بمعرفتكم أو بمعرفة من توكلوه عنكم بعد استولى الثمن حسب الأصول وبناء عليه أصدرنا أمرنا هذا لكم لاعتماد الاجرى بمقتضاه كما إشعار نظارة المالية من معيتنا عن ذلك فيتاريخه هذا كما اقتضته إرادتنا

٥٦

العمار في بربره

من محافظة بربره إلى المعية السنية

في ١٧ جمادى الثانية ١٢٩٤ (٢٩ يونية ١٨٧٧)

خطاب صورته أنه في ظل المسكارم العلية صار إنشاء المباني الخيرية في بندر بربره وقد تم بناهم على خير نفوس الحضرة الخديوية ويتزين أمامهم بالمزروعات النباتية ومن داخل الاسـبتالية الصحية أيضاً ويراد انتظامهم بوجود فوانيس القيادة المضيئة بالغاز الذي صار وصفهم بمعرفة داعيكم بأن كان كل محل من المحلات المبنية أسوة الفوانيس الموجودة بمصر وشوارع الأزبكية حتى صارت هذه الجهة في أعلا درجة عن باقي الجهات السودانية بوجود الفينار والأسكلة الحديد الرئيسية والمياه العذبة والطواحين الميرى الجارى طحين الغلال فيهم والفرن الجارى تشغيل الجراية والبقساط فيه لزوم مأكول عساكر المأمورية خصوصاً بروق الجامع وهيئته مما عليه من النورانية وكافة الضابطان والعساكر وباقي الخدمة الملكية في أرغد عيش من تلك المآثر الخيرية وفي غاية السرور والتشكر والممنونية وعلى الدوام باسطين الأكف بالدعوات الصالحات للحضرة الخديوية وسعادة الأنجال الكرام ومع انتظام المباني المذكورة بالصفة التي توضححت فان وصفها هو في المحل المسمى الشعب مع أن السومال والأهالى جميعاً لا يستحسنوا هذا الاسم لسابق وقوع القتل والنهب فيه من قبل تتبع هذه الجهة للحكومة السنية والحقيقة أن الاسم المذكور في حد ذاته غير لائق لدرجتها وحسن انتظامها الحالة الراهنة ولا يوافق لها وقد تراءى لنا موافقة إهمال اسم الشعب بالسكية فاذا كان يتحسن ويرى أن الاسم المحكى عنه موافق بكرم علينا بورود الأمر لاعتماده والنداية وإلا كلما بطرف الاعتبار الخديوية وطرف سعادتك تسمية هذه النقطة به من الألقاب اللايقة لدرجة هذه الجهة بكرم بورود الإفادة عنه لاتباع الاجرى بموجبها ومع ذلك فالأمر مفوض أفندم .

(عابدين . دفتر ٣٧١٢ (عربى) رقم ٦٧ صفحة ١٨٠)

هـ - مالية السودان

٥٧

الضائقة المالية بالسودان (١٨٦٥)

إرادة سنية إلى صاحب السعادة جعفر باشا حاكم دار عموم السودان

في ٢٨ محرم ١٣٨٢ (٢٣ يونية ١٨٦٥)

سبق أن سلفكم المرحوم موسى باشا التمس إرسال ثلاثة آلاف كيس نقداً أو أربعة آلاف إلى مديرية التناكه عن طريق سواكن ، لما علم من المكاتب الواردة إليه من تلك المديرية أن هناك ضائقة مالية بسبب القحط الحادث في حاصلاتها هذه السنة ، وأنه من أجل ذلك لم يصرف للعساكر والمستخدمين رواتبهم لبضعة أشهر ، وقد التمس أيضاً أن ترسل إلى الحكمدارية كمية من النقود لتساعده في نفقاتها الضرورية ، فنبلغكم أن تلك النقود على وشك الإرسال وقد حررنا يوم تاريخه إلى ديوان المالية ليخبروكم ويتخذوا التدابير اللازمة في تسوية تلك المسألة . فإذا وصلتكم إلى مقر الحكمدارية فابحثوا إيرادها ومصرفها بحثاً دقيقاً ، ونظموا ميزانيتها نظاماً موافقاً وبعد أن تفحصوا عما إذا كانت السودان تحتاج إلى نقود بطريق المساعدة علاوة على إيراداتها السنوية لتصرف في الإصلاحات الضرورية والتنسيقات المهمة فحرروا بيانا مفصلاً بذلك واعرضوه علينا .

٥٨

الضائقة المالية بالسودان

من الجنب العالى إلى ناظر المالية

فى ٢٨ محرم ١٢٨٢ (٢٣ يونيه ١٨٦٥)

يؤخذ من المكاتب الواردة فيما تقدم من مديرية التاكه أنها تعاني ضيقاً
مالياً بسبب قلة المحصول هناك فى هذا العام حتى أنها توقفت عن صرف
مرتبات الجنود والموظفين الآخرين منذ بضعة شهور ، وقد ظهر من المكاتب
أنها فى حاجة إلى مبلغ نحو ثلاثة آلاف أو أربعة آلاف كيسه ترسل إليها
فنأمركم باتخاذ الاجراءات اللازمة لإرسال مبلغ الثلاثة أو الأربعة آلاف
كيسه المطلوبة إليها بطريق سواكن وذلك كلما سمحت ظروف خزينة المالية
كما أننا نأمركم المخاطرة مع سعادة جعفر باشا الحكمدار الجديد عن المبالغ
المقرر إرسالها إلى الحكمدارية بناء على طلب موسى باشا الحكمدار السابق
والعمل على إعداد ذلك المبلغ مهما أمكن وإرساله .

وقد كنتم عرضتم علينا عن وضع نظام يمكن به صرف مرتبات الجند
والضباط والموظفين الآخرين الموجودين فى الاقاليم السودانية ، أولاً ولا
أى وقت استحقاق الصرف فنأمركم أن تقابلوا جعفر باشا الحكمدار الجديد
لاتخاذ ما يلزم فى هذا الموضوع .

(عابدين . المعية . دفتر ٥٣٩ (تركى) رقم ١٦١ صفحة ٨٦ قسم ثانى)

٥٩

معالجة الضائقة المالية بالسودان (١٨٦٥)

إرادة سنية إلى حكمدار السودان (جعفر باشا)

فى ١٩ ربيع الثانى ١٢٨٢ (١١ سبتمبر ١٨٦٥)

لقد فهم مما وصل إلينا أخيراً أن الإدارة والأهالى تعانيان بعض الضيق

والحاجة من جراء الضمائم التي أضافها المرحوم موسى باشا حكمدار السودان على الويركو والأموال الأميرية المقررة من جهة ، ومن جراء نقص المحصولات الناشئة عن قلة نزول الأمطار في تلك السنة الماضية من جهة أخرى حيث تعذر صرف التعيينات المرتبة للعساكر بتمامها في أوقاتها. إنه كما لا يخفى عليكم أن جل غايتنا وآمالنا منحصرة في استكمال أسباب رخاء العيش والسعادة لجميع الأهالي الداخلين في حوزة الحكومة أو السكان عموما خصوصا تمدين الأقاليم السودانية ، وتوسيع دائرة التجارة والزراعة فيها ، وحيث أن الحالة الآنفة الذكر بالسودان على عكس مقاصدنا الخيرية كلها ، فقد تأسفنا جدا وإننا وإن كنا نعتقد بأنكم متى وصلتكم إلى هناك ستعتمدون إلى تفقيد أحوال الأهالي وتعاملون على إزالة أسباب هذه الضائقة وما إليها وتبذلون الجهد للحصول على الأسباب والوسائل المؤدية لراحتهن إلا أنه بالنظر لإشفاقنا وحناننا على جميع الأهالي والسكان ولشدة رغبتنا في عمران تلك الجهة ، اضطررنا إلى التأكيد عليكم وإلى حين وصول أمرنا هذا ، نأمل أن تكونوا قد وصلتكم إلى الخرطوم وباشرتم عملكم ، فبادروا إلى تفقيد أحوال الأهالي وإذا كان هناك أية ضائقة ادرسوا أسبابها واعملوا على إزالتها . فإذا ما اتضح لكم أن الضمائم التي أضافها موسى باشا الحكمدار السابق على الويركو والأموال الأميرية المقررة أو سواها من التدابير والإجراءات فيها محاذير وتحقق لديكم عدم ملاءمتها ، ورأيتم أن الحالة تستوجب تنقيحها وتعديها بادرنا إلى إجراء ما يدخل في اختصاصكم . أما المسواد الخارجة عن اختصاصكم والتي يجب الاستئذان عنها فاشرحوها تفصيلا واعرضوها علينا سريعا . وإذا كان من المناسب توقيف تحصيل الضمائم ريثما يصدر أمرنا فاقفوا تحصيلها . وجامع القول أن جل آمالنا ومقاصدنا متجهة إلى إسعاد الأهالي وتوسيع العمران والزراعة والتجارة وتوطيد الأمن . فابذلوا الجهد في هذا السبيل وأطلب

أيضا أن توجهوا عنايتكم لتنظيم العساكر الجهادية وخيالة العساكر المرتزقة (الباشبوزق) وفقا للقانون وأن تعنوا بما كولاتهم ومشروباتهم وبأمورهم الصحية وتعليمهم وتدريبهم وأن تسكون العساكر في حالة تتفق والشرف العسكرى مع تعويدهم الطاعة والانقياد للذين هما الأساس الأعظم للنظام العسكرى .

[عابدين . المعية دفتر ٥٥٨ (تركى) رقم ١ صفحة ٤]

٦٠

الأموال التى أرسلت لإعانة السودان ومتأخرات الضرائب (١٨٦٥)

إرادة إلى حكمدار السودان فى ٢٩ جمادى الآخرة ١٢٨٢

(١٩ نوفمبر ١٨٦٥)

بيان النقود التى أرسلت أخيراً إلى السودان

كيسه

٥٠٠٠ أرسلت فى ١٥ ربيع الأول سنة ٨٢ مع جعفر باشا وكيل الحكمدارية .

١٥٠٠٠ » آخر ربيع الأول سنة ٨٢ إلى سعادة الباشا حكمدار السودان .

١٠٠٠ » فى ٦ جمادى الأولى سنة ٨٢ إلى سعادة جعفر باشا وكيل الحكمدارية .

٥٠٠٠ » فى ٥ جمادى الآخرة سنة ٨٢ إلى سعادة جعفر باشا وكيل الحكمدارية .

لقد ذكرتم فى خطابكم التركى العبارة المؤرخ فى ٢٢ جمادى الأولى سنة ٢٨٢ المرسل إلينا من أبو محمد أن انتظام الحالة والإدارة فى الأقاليم السودانية يتوقف على القوة العسكرية والمالية .

بيد أننا قد عرّفنا مبلغ أهمية النقود والجنود هناك ومن أجل ذلك أرسلنا إلى السودان حتى اليوم ٢٦٠٠٠ كيسه على نحو ما مر بيانه وعند قيام شاهين باشا بحكم سترسل معه عشرة آلاف كيسه أيضا .

أما الجنود فقد خصصنا للسودان ما يقرب من ٦٥٠٠ جندي أرسل منهم حتى الآن ثلاث أوط عن طريق أسوان وأورطتان عن طريق سواكن والباقي منهم على وشك السفر كما هو معلوم لديكم وعدا هذه العساكر النظامية يوجد لديكم كثير من خيالة الباشبوزق والشايقية وجيشان من المشاة المتطوعة يقود كل منهما (سر بياده) ثم بطاريتان من المدفعية وهذه القوة كافية للأقاليم السودانية وإذا ما انضمت إليها مقدرتكم وتدابيركم العسكرية نأمل أن تتم الإصلاحات والتنظيمات المنشودة وما دما قد أرسلنا من المال ٢٦٠٠٠ كيسه فسترسل عشرة آلاف كيسه أيضا . وقد اتضح لنا من كشف نظارة المالية أن هناك نحو ١٦٣٠٠٠ كيسه من الأموال المتبقية على السودان ومن البدهة أنكم بهمتمكم وتدابيركم ستحصلون على مبالغ منها .

أما المصروفات منها أن الألايات السودانية قد لغيت وأرسل أكثر جنودها إلى هنا وسيوزع العجزة والمشوهون من الألايات المذكورة على بعض الجهات وإذا ما صرفتم للجنود المرسله هنا نصف استحقاقاتهم فسيصرف لهم من مصر النصف الآخر وسنوافيكم بجميع تعيينات وملبوسات ومصروفات الجنود النظامية الموفدة إليكم إلا اللحم والسمن وما إليها من الحاجات التي يمكنكم تدبيرها بسهولة وعليه فالمصروفات قد نقصت عنكم كثيرا وبديهي أن النقود التي أرسلت والتي سترسل والمبالغ التي ستحصلونها من الأموال المتبقية تفي بالحاجة على قدر الإمكان وعلى ذلك فانكم بعد وصولكم إلى مركز الحكمدارية وإطلاعكم على المصروفات والإيرادات إذا بعثتم إلينا بميزانية صحيحة لها فسوف لانضن عليكم بإجابة المطالب التي نرى لزومها .

وكما أننا عند ما نطلع على هذه الميزانية نوافيكم حالا بالمال الذي تدعو
الضرورة له فإننا كذلك نؤكد لكم بأننا نرسل ما تدعو الحاجة لإرساله من
المال لتغطية بعض المصروفات علاوة على إيرادات السودان فنخطركم بذلك
منذ الآن .

[عابدين . المعية . دفتر ٥٥٨ (تركى) رقم ١١ صفحة ٢٨]

٦١

ارسال الغلال لتفريج الضائقة (١٨٦٥)

إرادة سنية إلى ناظر المالية

في ٧ رجب ١٢٨٢ (٢٦ نوفمبر ١٨٦٥)

لقد فهم من المكاتب المؤرخة في ٢ جمادى الآخرة التي بعث بها إلينا صاحب
السعادة جعفر باشا حاكم دار السودان عقب وصوله إلى مديرية بربر أنه :

بسبب عدم نزول الأمطار في الأقاليم السودانية في السنة الماضية قد قلت
المحصولات وبلغ سعر الأردب الواحد من القمح ثمانمائة قرش صاغ ولذلك
توجد ضائقة شديدة في تلك الجهة فما دام واجب الحكومة على كل حال أن
تمد العون والمساعدة للأهالي والرعايا الذين هم وديعة رب البرايا وحيث أن
من المؤكد أن تخليصهم من الضائقة وإعانتهم فيما يتعلق بأقواتهم اليومية أمر
واجب فياني أمر بأن ترسلوا في الوقت الحاضر بحرا وعن طريق سموا كن
خمسة آلاف أردب من الغلال إلى سموا كن وكسله وبربر والخرطوم فيوضع
كل نصف أردب منها في شوال وتوزع على هذه الجهات بحسب سعة كل جهة
منها وبالنسبة لكثرة الأهالي أو قلتهم وتباع لهم بأثمانها الأصلية .

[عابدين المعية دفتر ٥٥٧ (تركى) رقم ٦٩ صفحة ٣٩]

تفريج الضائقة ومساعدة الأهلين (١٨٦٥)

إرادة سنية إلى ممتاز بك محافظ سواكن ومصوع

في ٧ رجب ١٢٨٢ (٢٦ نوفمبر ١٨٦٥)

لقد فهم من المكاتبة التي أرسلها لنا سعادة جعفر باشا حاكم السودان حين وصوله إلى بربر أنه يوجد هناك ضائقة شديدة بسبب قلة المحصولات نظرا لعدم هطول الأمطار في السنة الماضية بالأقاليم السودانية . ولما كان من واجب الحكومة أن تعمل على استكمال أسباب رخاء العيش للأهالي والسكان وأن تساعد على قدر المستطاع سيما عند احتياجهم للأقوات اليومية وحيث أن ذلك من مبادئنا منذ الأبد أيضا فقد أمرنا سعادة الباشا ناظر المالية بأن يرسل الآن خمسة آلاف أردب من الغلال إلى سواكن وكسله وبربر والخرطوم بحسب اتساع كل جهة منها وبالنسبة إلى كثرة أو قلة سكانها لتباع هناك بأثمانها الأصلية للأهالي والسكان وموظفي الحكومة فعندما تصل لكم هذه الكمية من الغلال أخرجوها من الباخرة واستبقوا ما يلزم لسواكن منها وارسلوا حصص كسلا على الجمال وابعثوا ما يتبقى إلى بربر والخرطوم لتوزيعه وبيعه هناك . وقد يحاول بعض الموظفين أو سواهم بدافع الطمع أن يأخذوا ما يزيد عن حاجتهم من الغلال للتجار والتمتع بها فحولوا دون حدوث أي شيء من هذا القبيل واكتبوا إلى مديري بربر والتا كهو عرفوهما إرادتي وتعليماتي

[عابدين المعية دفتر ٥٥٨ (تركي) رقم ٣ صفحة ٦]

٦٣

عدم المطالبة بمتأخرات الضرائب ومقدار هذه المتأخرات (١٨٧١)

قرار المجلس الخصوصى الصادر فى

٦ محرم ١٢٨٨ (٢٨ مارس ١٨٧١)

تقرار صورته المعية السنية بعثت للداخلية إفادة تاريخها ١٧ جمادى الأولى سنة ٨٧
نمرة ٣٦ ومعها أوراق تتضمن أنه لمناسبة كثرة المصاريف بجهات السودان
كان سعادة الباشا الحكمدار أجرى علاوة ضمنية على أموال كافة المديريات
بالسودان البعض باعتبار ثلثى المال الأصلى والبعض أقل من ذلك لعدم
اتساع أراضيه وقلة زراعته ومواشيه كذا النخيل أجرى علاوة على ماليته
بحسب ما رآه مناسب وقتها وأنه اعتبر العلاوات جميعها من ابتداء سنة ٨٣ وأنه
من جملة المديريات مديرية التاكا بما فيها مالية العربان ضمنهم ناظر عربان
الهدندوه قدم اعتذار يلىتمس بها معافاة عربانه من الضميمة المذكورة بواسطة
قلة محصولاتهم وضمنين زراعتهم وأنه لما تأكد عند سعادة الباشا أن أراضى
أولئك العربان غير متسعة ومحصولاتها قليلة ولم يقاسوا بالعربان غيرهم، فتحرر
من سعادته لمديرية التاكا بتحصيل مالية عربان الهدندوه المذكورين على اعتبار
مال ونصف فقط وقد كان إنما لمناسبة سبق ربط ضميمة الثلثى عموما
بحسابات تلك المديرية فتخلف هناك بقايا على أولئك العربان من سنة ٨٣ لغاية
سنة ٨٧ مبلغ ٣٧ بارة و ٩٥٢٧٥٥ قرشا بمتأخرات حاصل المال وما صار
تحصيله كما أن مدة قيام العساكر الأشقياء جماعة أربعة جى بيادة على ضباطهم
بجهة التاكا بعام سنة ٨٢ كانوا واقعوا نهب أمتعة البعض من تجار البندر وخرّبوا
سواقيهم ولحصول التضرر من المذكورين لحضرة المدير ولسعاداته من طلب
مالية السواقي المذكورة منهم فتحرر من سعادته بإيقاف طلب مالية السواقي
المذكورة من العام المذكور فقط وتخلف من ذلك مبلغ ٩٩٨٠ قرش ولهذا

يرام صدور الأمر بإزالة المبلغين المذكورين من ابتداء سنة ٨٧ والمبلغ الثاني بإزالته من متأخرات عن السنة المذكورة وأنه يعرض كيفية ذلك للاعتاب السنية صدر النطق السامى بأحالة النظر فى ذلك بالمجلس الخصوصى وبالمداولة والمذاكرة عن ذلك به رؤى أنه بناء على ما أوضحه سعادة الباشا المشار إليه يرى موافقة خصم المبلغين المذكورين البالغ لكونهم مبلغ ٣٧ بارة و ٩٦٢٧٣٥ قرشا على طرف الديوان لأجل إزالته من المتأخرات إنما حيث علم أن عدم تسديد سددس المال المحسوب ضمن ضميمه الثلاثى بالسنيين المذكورة هو من قلة المحصولات وضيق الزراعة ومديرية التاكا والحالة هذه تحت إدارة سعادة الباشا محافظ السواحل فبمعرفة سعادته يصير تحريض الأهالى على توسيع دائرة زراعتهم وتقديم أموالهم لما فى ذلك من كسب العمارية والثروة هذا الذى روى وبإعراضه على الاعتبار السنية إذا وافق وصدر عليه الأمر العالى بالأجرى يتحرر من ديوان الداخلية لسعادة محافظ السواحل بالأجرى على موجبته وترسل معه الأوراق المختصة به كما استقر عليه الرأى .

[عابدين . المعية ، دفتر ٧٧ رقم ٩٤ صفحة ٩٧]

٦٤

عدم كفاية إيرادات السودان (١٨٧١)

من سعادة مهردار خديوى « المعية السنية »

إلى المجلس الخصوصى

فى ٩ رمضان ١٢٨٨ (٢٢ نوفمبر ١٨٧١)

جواب صورته عرض على المسامع الخديوية لإفادة دولتكم رقم ١٩ شعبان سنة ١٢٨٨ نمرة ٥ والأوراق مرفوقها المشتملين على ما حرره حضرة مدير التاكة إلى الداخلية بشأن ما هو متأخر على أهالى تلك المديرية من

الأموال لغاية سنة ٨٧ وقدره ثمانية آلاف ومائة وثلاثة وخمسين كيس وكسور على أن المنظور أنه بغير تكثير زراعة القطن لا يمكن دفع هذه المتأخرات ومع ما هو حاصل من الأهالي المذكورين من الرغبة في الزراعة وسابقة التصريح بتوقيف الطلبات منهم لعدم مشغوليتهم فإنه إذا صار طلب المبالغ المتأخرة عليهم لا يتحصل شيء ويتكاسلوا ويتأخروا في الزراعة لآخر ما أوضحه عن تضرر المستخدمين من عدم صرف استحقاقهم وبناء على ذلك كتب المجلس الخصوصي لسعادة مدير عموم قبلي السودان بصرف خمسة آلاف كيس نقدية مما يوجد بخزينة الخرطوم إلى مديرية التاكة وكتب لمدير التاكة بصرف هذا المبلغ عند وصوله لأرباب الاستحقاقات كما أنه لأجل المعلومات بكفاية وعدم كفاية إيراد كل مديرية من مديريات السودان لمصروفها وما يلزم للبعض من إيراد خلافها استصوب بالمجلس الخصوصي طلب موازين من كل جهة من جهات السودان وسواكن ومصوع وبورودها ينظر فيها ويعرض للأعتاب السنوية لآخر ما بالإفادة والأوراق وقد صدر النطق السامي بموافقة ما تراءى للمجلس في هذا وذلك وبناء عليه لزم عرضه لدولتكم بتبليغ ما صدر به النطق الكريم والأمر لمن له الأمر .

[عابدين . المعية . دفتر ١٨٥٢ (معية عربي) رقم ٩ صفحة ٣٨]

٦٥

متأخرات الأموال (١٨٧٢)

من مديرية عموم قبلي السودان إلى المعية السنوية

في ٢٩ شعبان ١٢٨٩ (أول نوفمبر ١٨٧٢)

جواب يذكر أن مديرية الخرطوم مالها سنوي ١٤٧٩٨ كيسه وكسور ومتأخر عليها أموال مثبتة بالكامل لغاية سنة ٨٨ ، ٢٧٥٩١ كيسه ١٤٤ قرشا

١١ بارة والخزينة لم يكن بها نقود ، والمستخدمين ملكية وجهادية موقوف لهم لغاية السنة المذكورة ١٩٩٩ كيسه ٦٤ قرشا ٧٦ بارة فضلا عن مبلغ ١٠٧٤ كيسه ٢٨٧ قرشا ١٣ بارة كان موجود أمانة بالخزينة وأجرى صرفه ممتاز باشا للعساكر والمستخدمين لعدم وجود النقدية وداعى ذلك عدم حصول الانتظام فى تحصيل الأموال والتفريط للنظار والمشايخ والمأمورين والحكام بحملة وجوه يتداخلوا فيها فى حقوق الميرى والأهالى كما أن تلك التحصيلات لم تسكن بسراكى مدموغة ولا دفاتر يوميات وجرايد بالأسماء لمعرفة حساب أصول وخصوم الأموال ومعلومية مالكل عن الأهالى وما يكن عليه للهيرى بل فقط كلها ورد كان يعطى به وصولات برانى لمفردات الأهالى والبعض لا يستحصلوا على مثل ذلك ودفاتر الجهات لم تسكن منتظمة لصيانة الإيراد لأن الأموال لم تسكن مقررة على الأطيان وإنما هى عبارة عن ويركوب مربوط على الأشخاص بواقع التعداد والاقتدار لعدم تقدم أولئك الأهالى فى أمور الزراعة لأنه إذا صار ربط الأموال على الأطيان فأغلبهم يمتنعوا عن الزراعة ويتركوا الأطيان بور خشية من التمويل كما حصل فى سنة ٧٣ لما تقرر المسال على الأطيان بجزيرة سنار فى عهد المرحوم سعيد باشا لغاية ما أن بعضهم تسحبوا وبعدها فى مدة المرحوم موسى باشا صار لغو تمويل الأطيان وربط الأموال على الأنفار وصار اعتماد ربط الزمام على ذلك فى سنة ٧٩ وصدر الأمر العالى فى تلك السنة نمرة ٢٦ باعتماد ما ذكر ومن وقتها ما صار تعديل مع أنه لا يخلو الحال من أنه فى ظرف تلك السنة تسحبوا بعض الأهالى وتوفى البعض والبعض عجز ولهذا تراهى له أنه إذا صار تكليف الأهالى بدفع أموال السنتين السالف ذكرهم ومال سنة ٨٩ يتعسر ذلك وربما يحصل تأخير زيادة وإذا جرى ربط الاموال على الأطيان يحصل عجز فى الزمام المربوطة فيه سابقاً وهذا يحتاج له زمن فى المساحة وأعمال دفاتر عنها وغير ذلك . ومع

هذا ربما أن الأهالي فيما بعد يمتنعوا عن الزراعة كما حصل في الأزمنة السابقة ولذلك جرى عقد جمعية مركبة من ذوات وعمد تجار وأهالي ووجوه الناس والذي استصوب عمل عنه جملة بنود فيما يتعلق براحة الأهالي ورواج مال الميرى مع رفع النظار والحكام السابقين الغير مستقيمين وتنصيب بدلهم من المنتخبين بمعرفة الجمعية لضبط وانتظام حركات التحصيلات وحسن الإدارة وصيانة حقوق الميرى والأهالي من غير إعطائهم سراكى مدموغة بيد كل شخص بالأصول والخصوم وأعمال دفاتر يومية وجرايد رسمية مع إبقاء مال الزمام على حاله بدون نقص شيء منه وأجرى التعديل بأواقع التمويل بكل حلة وكل قسم وتخصيص أموال السنتين على سبعة سنوات حتى أنه في السنة الثامنة لا يكون باقى على المديرية شيء من البقايا وصار تقدير ثمن القنطار الواحد من صنف القطن لمعرفة الأهالي أثمانه وفوائده العائدة لهم ، كل جهة بحسب حالها لأجل تشويقهم وترغيبهم للزراعة كما وأنه لأجل عدم التأخير في التحصيلات مع عدم وجود شيء بالخزينة تحرر للخرطوم بالأجراء على حسب البنود التى تراعى أجزاها ونشرها لجهااتها للمعلومية وأرسل صورتها لأجل النظر وعرضها للأعتاب السنية وصدور الأمر عنها ومن بعد تسوية أحوال تلك المديرية وانتظامها تصير المبادرة فى تسوية أموال باقى المديريات ، وما يتضح من أحوال كل مديرية يعرض عنه أول بأول أما موازنة إيرادات ومصروفات مديرية عموم قبلى السودان فعند انتهى عمل التريب العمومى الجارى النظر فيه يعرض .

اعانات مالية للسودان (١٨٧٤)
من شرق السودان وسواحل البحر الأحمر
إلى : المعية

في ٢٣ ذى القعدة ١٢٩٠ (١٢ يناير ١٨٧٤)
جواب يذكر أنه لما كان في المحروسة بالعام الماضي أخذ مبلغ
١٠٧٥٠٠٠ قرشا منه مبلغ ٤٨٧٥٠٠ قرشا برسم المصاريف السنوية الجارية
صرفها بمعرفته ومبلغ ٥٨٧٥٠٠ من المالية رسم مشتري أقطان وما تحصل من
أثمان الأقطان مع المبلغ المستلم نقديه جرى صرفه للجهات الموضحة أدناه ومن
قيمته مبلغ ١٢ بارة ١٦٢٥٢٣ قرشا صرف بمأمورية سنهت ومبلغ ٣٠ بارة
٣٧١٤١ قرشا صرف على بربرة وضبط الرقيق والخواجه فرنسيسكو ولم فهم
إن كان يجرى الخصم بالإبغادية لإزالته من العهد أم كيف فيريد الإفادة ؟
منصرف بمأمورية سنهت

منصرف المذكورين حسبت على قبول الإحسان	٥٠٩٣٨	٣٢
وورود الأخبار ووصول الجوابات		
أجرة مذكورين في فخت الأبيار	٩٦٧	٢٠
منصرف بالعمارات	١٠٦٦١٧	
منصرف الخواجه كوني في عمارة السكنيسة	١٦٢٥٢٣	١٢
منصرف الى جهات وسيجرى الخصم على جهاته		
منصرف لواهور الصاعقه	٢٤٠١٦٣	٢٩
الطور	٢٦٩٠١٧	٥
لأورطة المأمورية	٦٩١١٤٧	٩

٢	١٣٢٥٣	منصرف للأكسبوزيون
٥	١٣٠٣٥٨١	
هو منصرف لجهات ولم معلوم ماذا يجرى نحو خصم ذلك إن كان بالأبعادية أو على أى جهة		
—	١٥٧٥٠	منصرف على مأمورية بربره
١٠	١٥١٨٧	للخواجه فرنسيسكو المحضر من ضبطية مصر
٢٠	٦٢٠٤	مأمورية ضبط الرق
المبلغ ٧	١٥٠٣٢٤٦	منصرف فى ثمن الأقطان والنقدية التى استلمها من المحروسة
البالغ قدرها ١٠٧٥٠٠٠ قرش والمنصرف زيادة من محافظة مصوع مبلغ ٤٣٢٢٤٦ قرش ٧٢ بارة بتاريخ الورود ٣ ذى الحجة سنة ١٢٩٠ هـ [عابدين . المعية . دفتر ١٨٧٥ (عربى) رقم ٣٥ صفحه ٥٠]		

٦٧

العجز فى ميزانية السودان (١٨٧٤)

من شرق السودان وسواحل البحر الأحمر
إلى المعية السنية

فى ٢٧ جمادى الثانية ١٢٩١ (١١ أغسطس ١٨٧٤)

جواب يذكر أنه لما صدر له الأمر العالى بإحالة جهة القلايات عليه وأن
يعين من يعتمد له لإدارتها فلتقارب أوان الخريف ونزول الأمطار وعدم
إمكان المرور لتلك الجهة وإبطال حركة السوق ومشغولية الأهالى فى الزراعة

صار أبقى مأمورها وعساكر إدارتها على ما هو عليه لبعده انتهى الخريف
وأما من السكشوفات التي طلبها من تلك الجهة علم أن إيرادها ١٩٢٦٨٨ قرشا
ما هو ١٠٠ قرشا متحصل الجمارك بالسوق و ٩٢٦٨٨ قرشا أموال
مربوطة على التقارير سنوى ومصرفات أجر بزيادة سودان والخدمة سنوى
١٨٨٢٥٥٤ قرشا و ٣٧ بارة فصارت الزيادة في المصروفات عن الإيراد
٣٣٧٩ كيسه و ٣٨٦ قرشا و ٣٦ بارة ولمناسبة أن الجهة المحكى عنها كانت
تابعة للحكمدارية وعربات الضباينة والخران والشكرية بالتبعية لها أيضا
متسبل ومتيسر تأدية مصروفاتها من أذرة وتغذية من هؤلاء العربان ومع
تتبع القلابات والعربان المذكورين هم بالتبعية للحكمدارية وإيرادات
القلابات لم تكفى مصروفاتها فلم يتفهم كيف يكون في تأدية مصروفاتها فضلا
عن كونها ليست مستقربة لمديرية التاكا بل انها مستبعدة عنها والمسافة من
التاكة مثل المسافة من مصوع للتاكة وبينها وبين التاكة جملة جهات وعربان
تابعين لمديرتى الخرطوم وسنار والبعض منهم مستقرب للتاكة عن جهة
القلابات فراسل كشف ببيان الإيراد والمصروف عن القلابات لأجل النظر
والعرض للأعتاب السنية .

[عابدين . المعية . دفتر ١٨٧٥ (معية عربى) رقم ٦١ صفحة ١١٢]